إستراتيجية للغد

الاستراتيجية الأمريكية في السبعينيات والثمانينيات وحتى سنة ٢٠٠٠

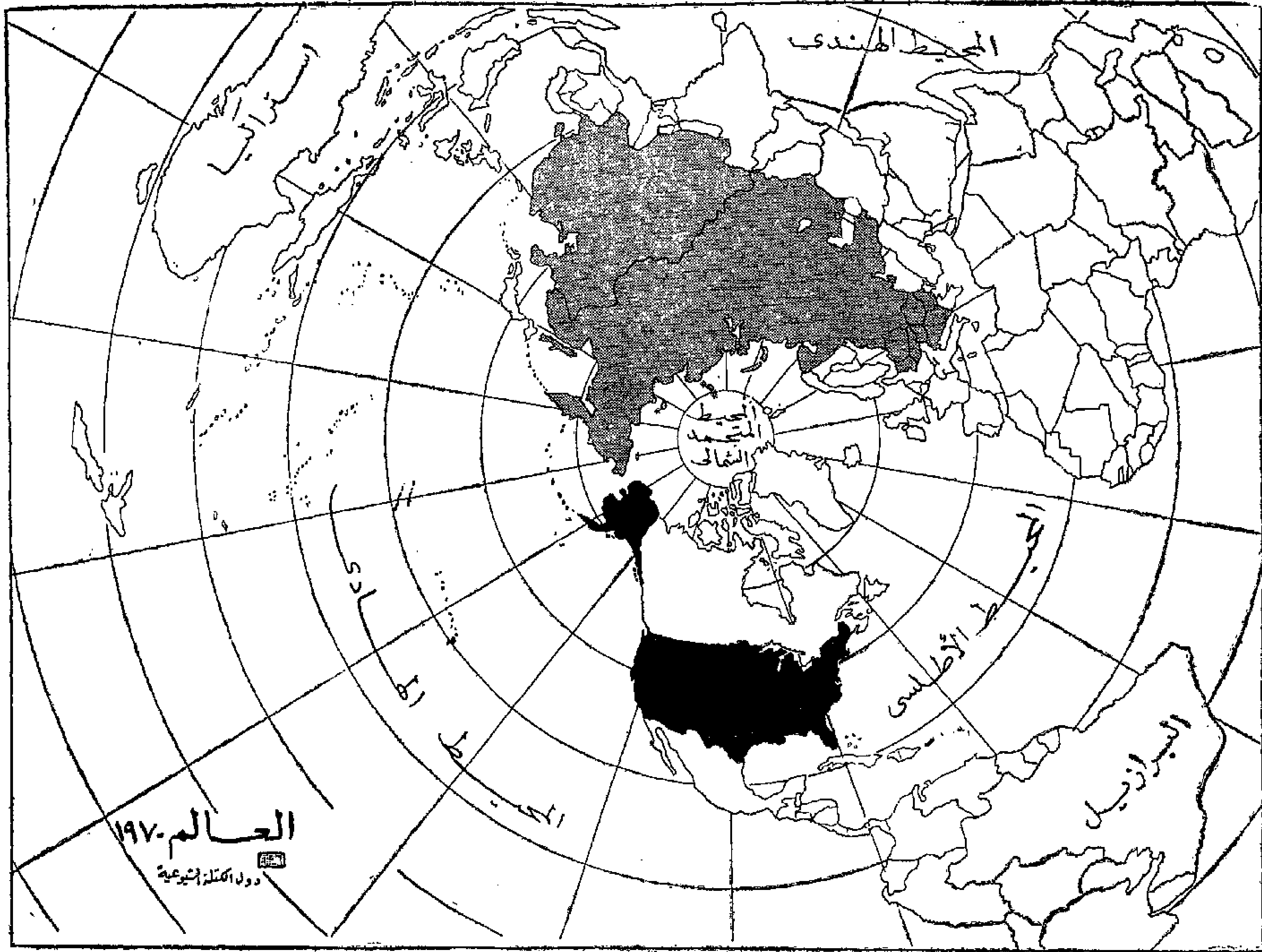
STRATEGY FOR TOMORROW

تأليف
هانسون و. بالدوين

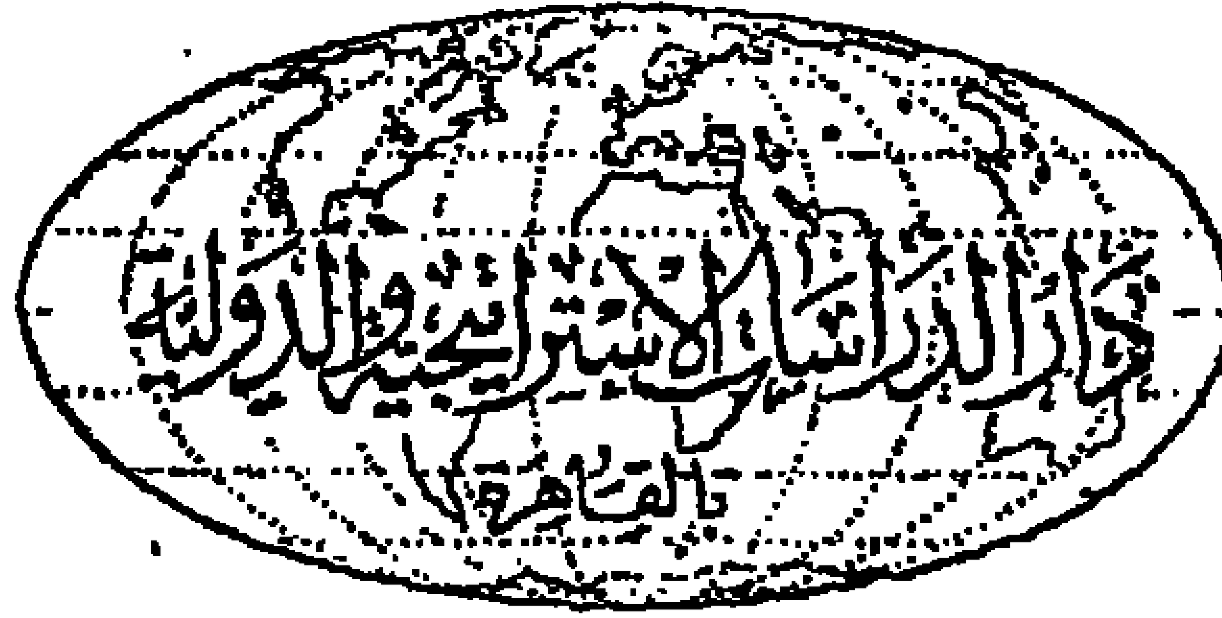
HANSON W. BALDWIN

المحرر العسكري بجريدة النيويورك تيمز سابقاً
وضع تحت رعاية
مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية
جامعة جورج تاون . واشنجطن

ترجمة
د. محمود خيري بنونه
لواء رئيس شعبة التدريب
بالقيادة الموحدة لجيوش
الدول العربية سابقاً


المحيط الهندي
استراليا
المحيط المتجمد الشمالي
المحيط الهادي
المحيط الأطلسى
البرازيل
العالم ١٩٧٠
دول الكتلة الشيوعية

تمت الترجمة في



The Center for Strategic and International Studies

Cairo

إستراتيجية للغد

الاستراتيجية الأمريكية فى السبعينيات والثمانينيات وحتى سنة ٢٠٠٠ ؟

تأليف
هانسون و. بالدوين
وضع تحت رعاية
مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية
جامعة جورج تون . واشنجطن

ترجمة
الدكتور محمود خيرى بنونه
لواء رئيس شعبة التدريب بالقيادة الموحدة لجيوش الدول العربية سابقاً
ماجستير فى العلوم العسكرية . خريج اكاديمية ناصر العسكرية العليا . دراسات فى تخطيط العمليات المشتركة من الولايات المتحدة الأمريكية والأكاديمية العسكرية العليا بتشيكوسلوفاكيا
دكتوراه فى العلوم السياسية

ملتزم الطبع و النشر
مكتبة الأنجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد فريد بالقاهرة

مؤلفـات للمترجم

عدد
الصفحات

أثر الطاقة النووية على العلاقات الدولية واستراتيجية الكتلتين عـام ١٩٦٧ . . . . ٧٢٤

التسلح النووى بين الحظر الجزئى ومنع الانتشار . دراسات فى القانون الدولى . الجمعية المصرية للقانون الدولى . عام ١٩٦٨ . . . . ٢٧

العمليات الحاسـمة فى تاريخ جنود الجو بالاشتراك مع الفريق أول عبـد المحسن كامل مرتجى ٣٢٥

السياسة النووية لاسرائيل . عام ١٩٧٠ . . . . . . ١٢٦

القانون الدولى واستخدام الطاقة النووية فى السلم والحـرب عام ١٩٧١ . . . . ٤٧٨

الاستراتيجية عبـر التـاريخ . من فن القـائد العـام الى الاستراتيجية النووية . تحت الطبع . . . .

By the same auther

Men and Ships of Steel
(with Wayne Francis Palmer)
The Caissons Roll
We Saw It Happen
edited with Shepard Stone
Admiral Death
United We Stand
What the Citizen Should Know About the Navy
Strategy for Victory
The Navy at War
The Price of Power
Great Mistakes of the War
Sea Fights and Shipwrecks
The Great Arms Race
The New Navy
Warld War I
Battles Lost and Won
Strategy for Tomorrow

المحتـــويات

صفحة

تقـديم وتعليق .... و

١ ـــ الانســان والقــوة ٤

٢ ـــ من التاريخ الحديث ١٢

٣ ـــ عالم الغــد ٤٢

٤ ـــ المــارد يواجه الضــغوط ٧٠

٥ ـــ الدفاع عن هذا شيء محتم ٨٢

٦ ـــ الدفــاع عن اوروبا ١٢٦

٧ ـــ البحر الابيض المتوسط والشرق الاوسط ١٥٤

٨ ـــ شرق الســويس ١٨٢

٩ ـــ آسيا والمحيط الهادى الفسيح ٢٢٠

١٠ـــ استراتيجية للغـــد ٢٧٢

الملاحق ٣١٩

الهوامش ٣٢٥

الخرائط

١ — أوربا والبحر الابيض المتوسط
[أمام ص ١٣٦]

٢ — الشرق الاوسط
[أمام ص ١٨٤]

٣ — المحيط الهندى
[أمام ص ١٠٠]

٤ — المحيط الهادى
[أمام ص ٢٢٤]

٥ — منظمات الدفاع المشترك للولايات المتحدة الامريكية
[ملحق (د)]

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـديم وتعليق

منذ فجر حياتى العسكرية شغفت بلفظ « الاستراتيجية » عندما كان يحاضرنا فيها قائد من رجال الفكر العسكرى النـابهين فى مصر فى ذلك الوقت . وبلغ شغفى بها أن حرصت على قراءة ما يقابلنى من مراجـع تتناول هذا الموضوع كلما سنحت لى فرصة بذلك . وتأثرت بمفهـوم الفكر الاستراتيجي وتطوره حتى فى مجالات دراستى المدنية ، فجاءت بحوثى ومؤلفاتى كلها تدور حول هذا الموضوع .

ومن البديهى أن تشد الاستراتيجية الامريكية المعاصرة التفات المهتمين بالدراسات السياسية والاستراتيجية العرب ، لان الولايات المتحدة — حتى الآن — هى احدى أعظم قوتين فى العالم ، وتسعى لوضع وتطبيق استراتيجية تمكنها من البقاء كذلك ، لتتفادى الانزلاق فى طريق «الأفول» ، وهو طريق سلكته قبلها كل الامبراطوريات قبل أفولها . ومن البديهى كذلك أن يتأثر وطننا العربى باستراتيجية تحاول بها الولايات المتحدة الامريكية أن تمد نفوذها وتحقق مصالحها فى جميع انحاء العـالم ، ولو عنوة على حساب الشعوب .

وكتـاب استراتيجية للغـد STRATEGY FOR TOMORROW « هو أحدث وأشمل الكتب الامريكية التى تناولت هذا الموضوع بأسلوب علمى . وقد ضـمن فيه المؤلف المطالب اللازمة « لتحقيق الامن القومى الامريكى ... » خـلال السبعينيات والثمانينيات وحتى نهـاية القرن العشرين . وحدد فيه أسبقية المناطق الجغرافية والمصالح القومية طبقا لاهميتها بالنسـبة لبلاده ، واستخلص فى نهايته أن انسب الحلول التى يجب أن تتبعهـا الولايات المتحـدة هى أن « تعتمـد على ردع نووى استراتيجى فعال ، يرتكز على استراتيجية بحرية محيطية معدلة » .

ومواطن عربى يهتم بهذا الموضوع ، لا يستطيع أن يرى هذا الكتاب ولا يضعه متاحا بين يدى كل ناطـق بالضاد ، لنتعرف على موضـعنا وموضع عدونا فى نطاق فكر استراتيجى معاصر ، وموقفهم منـا ومن مصالحنا ، ونواياهم نحونا ونحو بلادنا . هذا ما دفعنى الى ترجمة هذا الكتاب .

ولتتم الفائدة ، التزمت الدقة معنا ولفظا وأسلوبا فى ترجمتى ، حتى يخرج الكتاب صورة صادقة تبين فكر الكاتب بدقة دون تغيير أو تحريف لما يتخيله من أمور أو ما يعرضه من آراء . التزمت بذلك رغم انى أعارضه فى كثير من الاراء وضعها متأثرا بخلفية انطبعت فى ذهنه نتيجة لدراسة هامشية لعالمنا العربى ، متاثرة بأعدائه . وعلى القارىء العربى أن يكون لنفسه نهجا يواجه به ذلك .

وقد تضمن الكتاب عشرة أقسام . أولها « عن الانسان والقوة » جاء فيه ان الحرب ظاهرة ستبقى ما بقيت الحياة . وان الدول سوف تستمر فى حشد قواها ومصادرها من أجل تحقيق مصالحها . وان وضع النظريات الاستراتيجية ستبقى الشغل الشاغل لمخططى المستقبل . وان استراتيجية الغد يجب أن تبنى على دروس الامس . واستطرد المؤلف فى القسم الثانى فى تلخيص دروس التاريخ الحديث التى يمكن الاستفادة منها مبينا أن الحرب التى نخوضها يجب أن تفوق أرباحها خسائرها . وانه اذا كان من المحتم بناء الاستراتيجية على أساس دروس الامس فانها يجب أن تناسب ظروف اليوم والغد . وان أنسب استراتيجية للولايات المتحدة الامريكية هى ما اعتمدت على التكنولوجيا أكثر من قوة البشر فى مجال التصعيد .

ثم وصف المؤلف « عالم الغد » فى القسم الثالث مبينا أن الولايات المتحدة سوف تواجه فى الغد ، فى عالم الشك والصراع ، مشكلات سياسية واقتصادية واجتماعية وتكنولوجية وعسكرية معقدة لم يسبق لها مثيل . بسبب استمرار الثورة التكنولوجية والانفجار السكانى ، والتصنيع ، والمشكلات العنصرية ، وتضاؤل مصادر الثروة ، والمشكلات الاقليمية ، والايديولوجيات المتعارضة . وخلص فى نهاية هذا القسم الى أن أعظم دور للسياسة الخارجية وسياسة الأمن للولايات المتحدة الامريكية « هو مقابلة التحديات التى ستواجه أمنها فى السنين القادمة ». واشار انها سوف تكون فى حاجة لقوة عسكرية معدة للدفاع عن مصالحها الحيوية ، تدعمها وتعاونها قاعدة صناعية تكنولوجية حديثة ، سواء سلكت طريق التعاون الدولى لاقصى حد أو التزمت بعزلة جديدة أو قامت بأعمال رجل البوليس فى العالم .

ويرى المؤلف أن الولايات المتحدة الامريكية ، وهى مارد فى هذا العصر ، تملك أضخم وأقوى قاعدة اقتصادية وتكنولوجية فى العالم . وهى قادرة على ملىء العالم ضجيج ، ولكن قوتها لا هى دائمة ولا هى نهائية ، لأن مصادرها المحدودة أصبحت تواجه مطالب لا حدود لها ،

وحدود أرضها لم تصبح منيعة ضد الغزو ، ولأن مجتمعها يتجــه الى الرفاهية والكسل والراحة والميوعة . ولان مصـــالحها الحيوية تربطها بالتزامات موزعة فى أجزاء عديدة من العالم . وهذا يقتضى أن تقــوم استراتيجيتها على ركائز أساسية تتضمن : أمن اقليم الوطن ، وحفــظ كيان مؤسساته السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية ، والدفاع عن الدولة « حتى يستطيع المارد مواجهة التحديات التى تقابله » .

وفى مجال تحــديد ما يتحتم الدفاع عنه بالنسبة للولايات المتحــدة الامريكية ذكر المؤلف أن قلعة أمريكا — وهى انجلترا القرن العشرين من الناحية الجيوبولوتيكية — يجب الدفاع عنها بتقوية مرابض الصواريخ المنتشرة على أرضها وزيادة عدد قواعد الصواريخ والقاذفات المخصصة للرد ، وزيادة نشرها . وتوفير شبكات الدفاع ضد الصواريخ . وانشاء شبكة من القواعد العسكرية على الارض ، وبقاء القاذفات فى الجــو جاهزة لاطلاق الصواريخ . ومضاعفة قدرة الصواريخ الموضوعة على قواعد بحرية . وهذا يقتضى وضع استراتيجية لنصف الكرة الغربى ، حتمية وضرورية للدفاع عن الجزيرة العالمية « الولايات المتحدة الامريكية وجيرانها » تعتمد أساسا على تفوق بحرى جازم ، وقوة نووية فذة ، حتى يمكنها دفع قواتها عبر البحار لتحمى مصالحها .

ويرى المؤلف أن مصلحة الولايات المتحدةالحيوية فى اوروبا اقتصادية وثقافية وجيوبولوتيكية ، لانها تملك رأس مال كبير مســـتثمر فى اوروبا الغربية ، كما أن مجموع قوات أوروبا العسكرية يجعلها حليفا يساعد فى دعم استقرار العالم . ويعتقد أن دفاع الغد عن اوروبا يجب أن يستند الى فكرة الردع النووى ، مدعما باستراتيجية جوية فضائية بحرية . مع العمل على احياء الناتو « ليجعل للاوروبيين صوتا أقوى من خلال تجمع أوروبى » .

وفى القسم الخاص بالبحر الابيض المتوسط والشرق الاوســـط ، ذكر المؤلف أن الخطر الاكبر يكمن حول حوض البحر الابيض المتوسط ، وان الناتو والاسطول السادس يواجهان مشاكل ضخمة نتيجة ضعف المركز السياسى للغرب وزوال نفوذه من منطقة لها أهمية جيوبولينيكية عظمى ، تتجمع فوقها الخطوط الجوية التجارية والعسكرية فى طريقها بين أوروبا وأمريكا وبينشبه القارة الهندية ، وجنوبشرق آسيا ، وبين روسيا وقلب أفريقيا . ترتكز هذه الخطوط على مطارات فى العربية السعودية وتركيا وايران والعراق وليبيا ومصر . كما أن المصالح الامريكيةالمتشابكة فى الشرق الاوسط — كما يقــول المؤلف — توجد فى الاراضى العربيـــة

والاسلامية وليست فى اسرائيل ، اذ يدخل الخزائن الامريكية وحدها بليون ونصف بليون من الدولارات سنويا من بترول هذه المنطقة .

اتجهت واشنجطن رغم ذلك لمساعدة اسرائيل متأثرة بتعاطف الرأى العام الامريكى مع اليهود وبالركائز المشتركة بين الديانتين المسيحية واليهودية وباصوات اليهود فى الولايات المتحدة وخصوصا فى نيويورك وبنفوذهم السياسى فى هذه البلاد ، فجعلت نفسها خسيسة فى عيون العرب كما ذكر المؤلف . واستقطب النزاع العربى الاسرائيلى فى الشرق الاوسط الى نزاع بين الشرق والغرب . ووجدت الولايات المتحدة نفسها بين خطرين، وان سياستها تناقض مصالحها فىالدول العربية والاسلامية، اذ أن الصهيونية أو اسرائيل كثيرا ما كانت هى الذيل الذى حرك السياسة الامريكية فى الشرق الاوسط .

يرى المؤلف ان ذلك قد يكون فى صالح اسرائيل ، ولكنه ليس فى صالح الولايات المتحدة الامريكية ، وان اسرائيل لا يمكنها البقاء وسط بحر من العرب ... بدون قوة واسطول الولايات المتحدة الاميركية . وأنه من الصعب حل هذه المشكلة الا اذا ترك الاسرائيليون بعض مثلهم الصهيونية وعادوا الى فكرة فلسطين القديمة التى يشارك فيها العرب واليهود فى ظل السلام .

ولكن القارىء المحلل الباحث يستشف بين السطور مصالح تحققها الولايات المتحدة الامريكية من استمرار هذه المشكلة دون حل . اذ يرى المؤلف أن التكنولوجيا الحديثة أكدت أهمية الوصول الى المحيط الهندى أبعد محيطات العالم عن معرفة الامريكيين . وان روسيا أظهرت اهتماما كبيرا بهذا المحيط ، وان نشاطها فيه تتزايد اثارته للاعجاب ، وان معدل استخدام الروس لقناة السويس ـ أقصر طريق للمحيط الهندى ـ ظل يتزايد حتى غلقه عام ١٩٦٧ ، وكانت تستخدمه السفن التجارية والحربية الروسية بمعدل يتزايد يوما بعد يوم ، وكانت هذه القناة عند غلقها على وشك أن تصبح شريانا يغذى اطماع روسيا فى المحيط الهندى . ويضيف المؤلف أن المستفيد الاكبر من اعادة فتح قناة السويس بعد مصر هى روسيا ، كما أن فتح القناة سوف يسهل معاونة الشيوعية لجبهات التحرير حول الجزيرة العربية ويزيد فرص زرع الحركات الثورية التى يشجعها الشيوعيون فى القارة الافريقية .

بالاضافة الى ذلك يرى المؤلف أن اتحاد جنوب افريقيا له أهمية جيوبوليتيكية واستراتيجية فى معادلة القوة العالمية . لانها تسيطر على

طريق رأس الرجاء الصالح وتنتج ٤٣٪ من معادن أفريقيا ، ٧٣٪ من ذهب الغرب . مما يجعل لهـا أهمية كبرى للولايات المتحدة الامريكية . وهنا نضيف أن مليون ونصف مليون طن من حمولات السفن تمر يوميا بموانى جنوب افريقيا منذ قفل قناة السويس . وهذا يدعم اقتصاد دولة تجـد الولايات المتحدة فى صداقتها تحقيق مصالح استراتيجية .

وفى شرق السويس ، حيث يجرى الصراع « بين الخيرين والاشرار على بترول الشرق الاوسط ، وعلى الشاطىء الطويل الممتد عرضا من رأس الرجاء الصالح حتى بورما » يقع حوض المحيط الهندى . هـذا المحيط الذى قد ينافس بمرور الزمن المحيطين الهادى والاطلسى فى أهميته ، كما يقول المؤلف ، لانه طريق الوصول الى مصادر الثروة فى أفريقيا ، وتمر فيه الطرق البحرية حول رأس الرجاء الصالح الى الشرق الاقصى .

اسـتعرض المؤلف المصـالح الامريكية ومشـكلات الاستراتيجية الامريكية فى هذا النطـاق ، فى الجزيرة العربية وايران وافغانسـتان وباكستان والهند وبورما وسيلان وافريقيا والمحيط الهندى مستخلصا فى النهاية أن المحيط الهندى أصبح أحدث مسرح لتنافس القوى الكبرى . وان الدولة التى تسيطر عليه سوف تسـيطر على الشريط السـاحلى الافريقى وعلى الشرق الاوسط وعلى شبه القارة الهندية . وانه لا يمكن السيطرة عليه الا « باستراتيجية بحرية ، استراتيجية سفن » .

ويستشهد المؤلف على أهمية « آسيا والمحيط الهادى الفسيح » بما ذكره لينين من ان « الطريق الى باريس يتجه من بكين » . وبما جاء فى أقوال ماوتسى تونج عندما تكلم عن « ريف العالم ، والمد فى ثورة الفلاحين التى سوف تعزل وتغرق وتفوق بالتدريج مراكز القوة فى جزيرة العالم المتحضرة » . وهو يرى أن أهم العوامل المؤثرة على سياسات آسيا فى الغد تتضمن : تقدم الصين ، وروسيا السوفيتية ، والتنافس القائم بين هذين الماردين ، والعلاقة بين روسيا واليابان .

استعرض المؤلف هذه المنطقة فى دراسة جيوبوليتيكية استراتيجية اقتصادية مبتدءا من القطاع الشمالى ، منطقة الاسكا ، والوتيان وجزر كوريل حتى اليابان ، ثم تايوان والفلبين واندونيسيا . وجنـوب شرق آسيا ، وفيتنام الجنوبية ، ولاوس وكمبوديا وتايلاند وماليزيا وسنغافورة واستراليا ونيوزيلندا وميكرونيسيا . ثم انتقل الى دراسة قلب الارض الاسيوية وأثر الانشقاق الصينى السوفييتى على استراتيجية الامريكية . وخلص فى النهـاية الى أن معضلة الغد الرئيسية أمام واشنجطن هى

«كيف تضخم منحة اعطاها لها رب الشيوعية ...» . وقال ان الاستراتيجية الفعالة للولايات المتحدة الامريكية فى المحيط الهادى يجب أن تبنى على تفوق جوى وبحرى لا يجارى ، وان ترتكز على مواقع متقدمة على سلسلة الجــزر التى تحيط بالارض الاسـيوية ، وعلى استراليا ونيوزيلنــد وميكرونيسيا وخلف هاواى ، مع بقاء بعض الالتزامات نحو كورياوفيتنام وتايلاند . وأكد أن هناك « مطلب حتمى ضرورى للامن الامريكى فى أعظم محيطات العالم وعلى امتـداد شواطىء أعظم قارات العــالم ازدحاما بالسكان . يجب أن نسيطر على المحيطات وأعماقها وسمائها » . وفى النهــاية خصص المؤلف قســما لعرض الاستراتيجية التى يقترحهــا « استراتيجية أمريكية للغد » مبينة على اعادة توصيف المصالح الحيوية ، لتحمى هــذه المصالح فى نظــير كسب مناسب . تنبثق من الماضى ، لان التكنولوجيا والجغرافيا والسياسة والاقتصاد كلها تشير بضرورة الاحتفاظ ببعض أهداف وغايات وأساليب الماضى لتحقيق أقصى أمن للولايات المتحدة الامريكية فى عالم مستقر . وخلص فى النهاية الى أن الولايات المتحدة اذا أرادت أن تعيش الثلث الاخير من القرن العشرين ، يتحتم عليها الالتزام بالاسبقيات الاتية :

أولا : تفوق فى الاسلحة الاستراتيجية ، فالشعور بضعف التسليح النووى يهدد بفشل الردع ، ويضعف فرص النجاح فى نزاع تقليــدى ، كما أنه يؤدى الى فشل دبلوماسيتنا .

ثانيا : تفوق بحرى . القدرة على استخدام البحار لاغراضنا وحرمان العدو من استخدامها اذا لزم الامر .

ثالثا : الابحاث والتطوير فى مجال العلم والتكنولوجيا . اذ أن زمن المعجزات لم ينته بعد ، والمفاجأة التكنولوجية لا تزال ممكنة . ابحــاث اساسية وتطبيقية نشطة فى مجال الاسلحة الهجومية والدفاعية وفى مجال خفة الحركة كلها مطالب أساسية لتحقيق الامن .

رابعا : الاستخبارات ــ الالمام التام بالعدو والعالم حولنا ــ تلك هى الصخرة الاساسية التى يجب أن تبنى عليها كل سياسة .

خامسا : أقل وقت ممكن للانتاج ــ الوقت بين وضع التصميم على الورق وبين الانتاج الفعلى ــ لكل أنواع التسليح والمعدات .

سادسا : الاهتمام بسيادة الانسان ملك المعركة ، اذ ان مستقبل الولايات المتحدة يتوقف على ارادته ومهارته . وفى الغد يجب ان تكون هناك مدرسة خاصة للقادة فى القوات المسلحة .

وتحقيق ذلك — كما ذكر المؤلف — يقتضى أن تكون الاسبقيات فى أى ميزانية دفاع امريكية للغد كما يأتى : (١) تسليح لا يجارى . (٢) سيطرة فى الجو وعلى المحيطات وفى الفضاء الجوى . (٣) قوات برية خفيفة الحركة صغيرة الحجم وجاهزة للعمل يساندها بناء ادارى ونظام تعبئة قادر على تجهيز احتياطى ضخم .

وفى مجال الممارسة يرى المؤلف أن الولايات المتحدة يجب أن تختار الوقت المناسب للتدخل فى القارات الاخرى . على أن تبدأ بعمل سياسى ودبلوماسى ينعكس من تصورها وارادتها وسياستها كخط أول للدفاع . ثم استخدام الدولار كخط ثانى . ثم استخدام القوات الامريكية البحرية والجوية كخط ثالث . وقوات الحلفاء والقوات المحلية فى المنطقة كخط رابع . والجندى الامريكى على الارض هو الخط الاخير . على أن يتحقق ذلك فى ظل مزج بين استراتيجية محيطية واستراتيجية جو فضائية تحقق استغلال التفوق العلمى والتكنولوجى للولايات المتحدة الامريكية .

وخلاصة القول ان هذا مؤلف يلقى ضوءا على استراتيجية الولايات المتحدة الامريكية فى الغد مبينا خطوطها العريضة فى كل منطقة من مناطق العالم ، له قيمته فى مجال البحوث والدراسات الاستراتيجية العربية. وعلى الباحث العربى أن يأخذ ما جاء به بوعى وحذر .

والله ولى التـوفيق . .

دكتور محمود خيرى بنونه
لواء ٠ رئيس شعبة التدريب بالقيادة
الموحدة لجيوش الدول العربية ، سابقا

الطبعة الاولى — ١٩٧٢

١

الانســان والقــوة

حول الاسلحة والانسان اتحدث فى وقت أصبح فيه الامريكيون يملون الحرب ، والعالم ينادى بنزع السلاح وتخفيف حدة التوتر فى العلاقات الدولية .

ولكن هنـــاك سبب لذلك .

لا يعيش الانسان دون آمال وأحلام ، وما يحاول الوصول اليه يجب أن يزيد عما فى حوزته .

ومع ذلك ، فالحرب — وهى نزاع مسلح منظم — بقيت عبر التاريخ مظهرا متكررا ينم عن رغبة الانسان فى استخدام القوة المادية كوسيلة أخيرة للجدل . وهى عمل انسانى تأكد بقاؤه كظاهرة اجتماعية عالمية .

يختص هذا الكتاب بالاستراتيجية — خاصة الاستراتيجية العسكرية — ويعتمـــد على حقيقة بارزة ، وهى أن القوة فى جميع اشـــكالها — السياسية ، والاقتصادية ، والعسكرية ، والنفسية ، والمادية ، والمعنوية والروحية — هى الان ، وستظل دائما وســيلة للسيطرة بين الافراد والدول .

على أن حتمية قيام النزاع : واستحالة منع قيام الحرب تأكيدا لحقيقة القوة لا يدعو الى اليأس . فلا سخرية من أن نتقبل الامور على حقيقتها . والواقعيون — بالتفكير الجاد المضنى — أقدر من المثاليين العاطفيين على خلق عالم أفضل ، والسياسى الذى يعد بتحقيق المستحيل ، ربما يقود بلاده الى كارثة ، أكثر من الواقعى .

لا يكفى أن نعارض الحرب ، فقد قامت من وقت الى آخر ثورات ضد العنف ، منذ أيام ليزيستراتا Lysistrata . ومع ذلك لم تتوقف الحرب. والدكتور سبكس Spocks ، والذين يدعون الى السلام من هذا الجيل ليسوا شيئا جديدا فى التاريخ ، من لا يذكر طلبة اكسفورد الذين أقسموا قبل الحرب العالمية الثانية الا يحملوا السلاح من أجل الملك والدولة ؟ لقد عبر الشعب الامريكى ، حقيقة ، عن تبرمه من الحرب — فى نصف قرن ، خاض الحرب العالمية الاولى ، والحرب العالمية الثانية ، وكوريا ، وفيتنام، واحداث أخرى اقل سفكا للدماء — بسخرية بدت فى العنف المنظم . والحروب الصغيرة — « ثورات الطلبة » ، والاضطرابات العنصرية — التى تعكس ميل الانسان الفطرى نحو العنف .

وعلى ذلك فان دراسة الحرب ، واعتبارها ظاهرة متكررة ، ليست فى حد ذاتها تحريضا عليها ، رغم ما يعتقده كثير من المخلصين خطأ . واكثر من ذلك ، فان أمل الغد لا يكمن فى التمنى ، ولا فى « تصور الاشياء على غير حقيقتها » ، ولكن يكمن فى الحذر الدقيق من حقيقة الاشياء ، وفى تقدير ما يستحق أن نحارب من أجله وما لا يستحق ذلك ؛ على أن يصحب ذلك دراسة لتقليل الحروب وتحديد نطاقها .

ومرة أخرى فى هذه الايام ، وللمرة التاسعة فى ذاكرتنا الحية ؛ تبدو ملامح حياة جديدة ممتازة خالية من الحروب فى خيال الامريكيين .

وقد يتوقع الكثيرون — من الساخطين الذين ثبط عزمهم وانهكتهم الحروب — عصر سلام جديد . وهم يرون أن الحرب (دون تعقل ، وخسائر كوريا وفيتنام ، وخسائر الصراعات الاخرى التى لا حصر لها ، بغير جدل) أصبحت مستحيلة فى العصر النووى . وتعدد السياسات الدولية سوف تولد العالمية على كوكب الارض . والطائرات الاسرع من الصوت ، ووسائل الاتصال الحديثة ، وعجائب الثورة التكنولوجية يمكن أن تستغل لتدعيم التآخى بين بنى الانسان . وحقيقة يمكن أن يصبح عالمنا عالم واحد ، ويمكن أن يحجم الانسان عن قتل أخيه الانسان .

ولا يقدر المراقبون تحسنا شاملا فى عالم الانسان — وقد يكون ذلك هو الواقع بالرغم من انه مثبط للهمم — ولكنهم يعتقدون أن تغيرا جذريا

سيكلوجيا هائلا فيما ورثناه عن الحرب العالمية الثانية قد يمهد الطريق الى تسوية سياسية عالمية . وحتى ذلك الواقعى العنيد والت روستاو Walt Rostow الرئيس السابق لمجلس التخطيط السياسى بوزارة الخارجية قد تنبأ أخيرا بعصر أكثر استقرارا ، وبان « العدوانيين المغامرين الثوريين » يبدون وكأنهم فى الطريق الى الاختفاء من هذا العالم. وقال أيضا « ان الصراع فى فيتنام قد يكون آخر مواجهة كبرى فى عصر ما بعد الحرب » .

جاء هذا التفاؤل — وهو فى غير موضعه — نتيجة للتشتت النفسى الذى ولدته حرب فيتنام فى بعض قطاعات الرأى العام الامريكى . وهو اما يؤدى الى شعور بالنشاط السياسى والسيكلوجى — كنوع من الرضى القومى — أو الى الانسحاب من العالم المحيط بنا . غير انه فى الواقع قد قادنا الى شكل جديد من الانعزالية ومناهضة التفاخر بالروح العسكرية والوطنية . فقد ، كنا منذ وقت طويل ، شعب مفكر شغوف بتحويل أحلامه الى واقع ، على استعداد لحسن النية تجاه أى دولة أو شعب أو رجال ، تنقصنا الحنكة التى لا تكتسب الا عبر التاريخ الطويل . كما كنا كبشر ، منذ وقت طويل ، نزاعين الى خوض الحرب ثم نسيانها ، لا نبالى بالبؤس ولا بالدم المراق ولا بتشويه السمعه . نحطم هيكل الامن الذى أقمناه بجهدنا أثناء الحرب آملين فى مستقبل أفضل ، بدلا من أن نواجه بعد الحرب عالما مشوها مثل العالم الذى قبله . لقد دخلنا حربين — الحرب العالمية الاولى والحرب العالمية الثانية — « كحروب تنهى الحرب » ، وهناك فى بلادنا من يرون أن نهاية حرب فيتنام سوف تؤدى الى عالم مستقر خالى من الحروب ، وانه اذا ما حدت الولايات المتحدة الامريكية من تسلحها ، فان الاتحاد السوفيتى سوف يحذو حذوها .

ولا يعدو أن يكون كل ذلك هراء .

ان القناعة بالمثالية ، والامل فى المستقبل ، ومحاولة الوصول الى أكثر مما نملك ، كلها مقومات ضرورية للسياسة الخارجية للولايات المتحدة ، وفى الواقع ، لحياة الانسان أيضا . وينبغى الا يحجب ذلك ، الحقائق التاريخية البغيضة ، أو يخفى النزعة العدوانية عند الانسان . ليس هناك علاج ناجح لداء الحرب ، ولا نستطيع الان أن نتوقع عصرا ذهبيا .

ان دراسة التاريخ ، ودراسة الانسان ، كلاهما يؤدى الى حقائق تفند فكر الذين يبنون أملهم على تمنياتهم وليس على الامر الواقع .

والدراسة عبر التاريخ تبين أن حرب فيتنام وحروب القرن العشرين ليست جميعها الا حلقة فى سلسلة متصلة من احداث العنف المتعاقبة فى تاريخ لا انسانية الانسان ضد نفسه . والحرب ظاهرة متكررة — مستمرة فى الغالب — منذ بدء تسجيل تاريخ البشرية . وان كانت حرب فيتنام هى الحرب الوحيدة بالنسبة للامريكيين فى السنين الاخيرة ، فقد كانت هناك عشرة حروب عاصرتها على الاقل فى اجزاء أخرى من العــالم . ولو أن بعضها لا يقارن حجما أو عنفا مع حرب فيتنام ، فان فى جميعها قتلى كقتلى حرب فيتنام ، ويتألم فيها الجرحى بفظاعة مثل جرحى فيتنام تماما . منها حروب على شكل نزاع قبلى أو قومى أو اقليمى مسلح ، أو على شــكل حرب أهلية ، أو دينية ، أو حرب عصابات ، أو ثورات كتلك التى قامت فى اليمن ، وفى جنوب الجزيرة العربية ، وعلى طول الحدود بين العرب واسرائيل ، وعلى أرض الاكراد ، وفى نجالاند فى الهند ، وعلى الحدود الهندية الصينية بشكل منقطع ، وربما فى التبت وحتى فى الصين ، وفى الفلبين فى منطقــة هوكبلهاب ، وفى كولومبيا وفنزويلا ، وفى نيجــيريا والسودان ، وفى الكونجو وفى المستعمرات البرتغالية فى أفريقيا بشكل منقطع ، وقد نضيف اليها ما يحدث فى شوارع أمريكا .

واذا قصر الانسان اهتمامه على المعنويات ، ونبذ شــغفه بالعنف المسلح — من الفوضى والعصيان الى الحروب — فانه سوف يخجل لمــا سجله التاريخ عنه .

فقد استعرضت مؤسسة كارنجى للسلام العالمى Carnegi Endowment for International Peace فى مذكرة عــام ١٩٤٠ عن « حروب العالم » تاريخ البشرية ، واقتبست من رسالة ايفان س بلوخ Ivan S. Bloch الشهيرة عن «مستقبل الحرب The Future of War » ، وذكرت ان « احصاء . . . بين انه عبر السنوات منــذ عام ١٤٩٦ ق.م حتى عام ١٨٦١ ميلادية — وهى دورة زمنية طولها ٣٣٥٧ سنة — لم يكن بينها الا ٢٢٧ سنة من السلام ، بينما تخللتها ٣١٣٠ سنة من الحرب ، وبمعنى آخر ، كان هناك ١٣ سنة حرب فى مقابل كل سنة من السلام ».

ومن المعروف ان الحروب العالمية — والحروب الكبرى بالذات — لم تقع الا مرات قليلة . لقد مضى ربع قرن على وجه التحديد بين تاريخى بدء الحربين العالميتين الاولى والثانية . كما مر بين حروب نابليون التى هزت أوروبا والحرب العالمية الاولى قرن من الزمان اشتهر بعصر السلام والاستقرار — عصر فكتوريا الذهبى وكان فعــلا كذلك — ولكن ليس بالنسبة لمن قتلوا فى الحرب أو شوهوا فى ميادين القتال المنتشرة فى أنحاء

أخرى من العالم . لقد خاضت الولايات المتحدة حربا مع بريطانيا عام ١٨١٢ : فى الفترة بين انهزام نابليون ومعركة المارن . وحاربت المكسيك فى السنوات ١٨٤٦ — ٤٨ ، وانقسمت على نفسها فى حرب أهلية كبرى وطردت الهنود الحمر اثر مصادمات متعددة صغيرة ولكنها دموية ، وهزمت أسبانيا . ولقد شهدت هذه « السنوات الذهبية » أيضا غزو بريطانيا للهند ، وقيام المانيا فى أوروبا وما تلى ذلك من حروب ، حرب القرم ، والحرب الفرنسية الروسية ، والحرب الصينية اليابانية ، وحرب البوير ، وعدد آخر من الصراعات التى استمر بعضها سنين . ولكن جاء عصر « السلام المترنح » فى القرن التاسع عشر على النقيض من ذلك .

والحروب المعروفة بالنزاع المسلح بين مجموعات منظمة ، لم تصبح فى العصر الحديث أقل حدوثا بل زاد تواترها . وان أظهر الانسان منذ بدء العصر النووى عزفه عن استخدام اقوى ما يملك من قدرة تكنولوجية ، اذ لم تحدث — منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية حتى الان — حربا عالمية ، أو نووية محدودة أو غير محدودة .

ولكن هذه الفترة لم يسدها استقرار دائم ، اذ كان بين الاربعين الى ستين حربا الكبيرة — وعددها الحقيقى يتوقف على قدر العنف المسلح المنظم التى تضمنته كل حرب من هذه الحروب — التى حدثت منذ الحرب العالمية الثانية ، حروب كبرى بالنسبة لعدد الافراد الذين اشتركوا فيها ، أو بالنسبة لتكاليفها ، أو بالنسبة لخسائرها أو نتائجها . كما بينت بعض الاحصاءات ان حوادث العنف فى العالم قد زادت من ٣٤ حدث فى عام ١٩٥٨ الى ٥٨ عام ١٩٦٥ (١) .

لقد خاضت الولايات المتحدة حربين كبرتين منذ عام ١٩٤٥ . وخلال ٣٧ شهرا فى كوريا ، خسر الجانبان — قوات الامم المتحدة والشيوعيين من الصين ومن كوريا الشمالية — ما يزيد عن ٥ر٢ مليون من الخسائر (قتلى وجرحى ومفقودين) . وفى حرب فيتنام بينت الاحصاءات التى لم تكتمل بعد أن خسائر الجانبين منذ عام ١٩٦١ حتى عام ١٩٦٩ بلغت ٧٦٥ر٠٠٠ قتيل تقريبا . وتقدر خسائر الحرب الاهلية فى نيجيريا بحوالى مليون قتيل اغلبهم من المدنيين . وكانت الحرب القصيرة بين الهند والباكستان كبيرة بالنسبة لاثرها الاقتصادى والسياسى على كلا الجانبين .

من ذلك يتضح ان اصطلاح « الحرب المحدودة » يدخل تحته طيف من أنواع المنازعات ، تتراوح من نزاع يقوم بين جماعات مسلحة ، الى منازعات تقوم بين شعوب بأثرها ، وان أبعاد نتائجها العسكرية

أو السياسية أو الاقتصادية يمكن أن تصل الى أبعاد الحروب التى يطلق عليها حروب عالمية أو كبرى ؛ فى بعض الاحوال . أما بالنسبة للقتلى ، فان القتل يستوى سواء بالقنبلة الذرية أو بشرك خداعى صغير .

واذا كان الماضى يعطى دلالات للمستقبل ، فان التاريخ قد وفر لنا احصاءات مقنعة ؛ تبين ان السلام ليس قريبا منا .

ولكن هناك مؤشرات أخرى جاءت فى سياق المحاولات الجريئة التى بذلها كونسى رايت Quincy Wright (فى كتابة دراسة الحرب) وآخرين كثيرين ، لتحليل الحرب وتحديد أسبابها .

لقد أكد الدارسون المتعمقون ، ومنهم رايت ، ما لا يعترف به ، رجال الاقتصاد والسياسة ، والمثاليوم والوطنيون المتعصبون ، والمتطرفون الذين ينادون بعالم واحد ، والذين يدعون الى القومية فى أضيق نطاقها — وهو ، كما قال رايت ، انه « ليس هناك سبب واحد للحرب . والسلام توازن بين قوى متعددة » (٢) .

وقد خلص بعض المتفائلين المعاصرين الى أن التجمع السياسى والتطور الاقتصادى للانسان قد أخلا بهذا التوازن ، والى أن قوة سلاحه الهائلة قد جعلت وقوع الحرب أقل احتمالا . ولكن رايت يرى « ان الحروب تتجه الى الزيادة تواترا وعنفا فى وقت التغير التكنولوجى والثقافى السريع ، لان المواءمة والملائمة يحققهما الزمن » (٣) .

فى قبول هذا الرأى راحة للفكر ، لانه لم يحدث تغير تكنولوجى وثقافى هائل فى أى فترة من فترات التاريخ كما حدث فى القرن العشرين . وقد حدث تحول من الفحم الى الطاقة النووية ، ومن الحصان والبغل الى آلة الاحتراق الداخلى ، من كلمة الفم الى صوت المذياع ، ومن ظهر الجواد الى النفاثة الاسرع من الصوت ، وهذا افراط فى التغير التكنولوجى لانه حدث خلال حياة جيل واحد . وقد تخطى التغيير الثقافى — الذى صاحب الثورة التكنولوجية — كل الحدود الوطنية . لقد قيل بحق ان الازمة الكبرى فى مدنيتنا هى أزمة فى القيم ، فالمعتقدات القديمة قد وهنت أو هى فى طريقها الى الزوال ؛ والانسان يتلمس طريقه بين برارى التغيير — التكنولوجى والثقافى والروحى .

اذا ما سلمنا بصحة رأى رايت ، يبدو ان تكرار الحرب وتواترها عبر التاريخ هو دليل على أن الانسان منذ نشأته ، فى مكان ما من العالم ، كان فى حالة مستمرة من « التغير التكنولوجى والثقافى السريع » .

والانسان نفسه قاسم مشترك فى كل اسباب الحروب ، رغم كل الابحاث الاكاديمية النظرية ذات النطاق المحدود فى بعض الاحوال ، التى تجرى من أجل معرفة هذه الاسباب . وكما قال افلاطون « ان الحروب والثورات والمعارك تنبع من جسم الانسان وشهواته » . فالانسان حيوان مقاتل ولو انه لا يعترف بذلك .

وقد تعقب روبرت اردرى Robert Ardrey فى كتابه العميق الممتاز عن الاجناس الافريقية African Genesis ، بعض ما توصل اليه علم الانثروبولوجيا من فروض حول التطور البطىء للانسان الذى جاء من « قرود متسلقة ، وليس من ملائكة هبطت من السماء ، وبجانب ذلك فالقرود قتلة مسلحون » . وهو يرى ان الانسان « تسيطر عليه نزعات حيوانية لا يمكن استئصالها . . . وهو أرقى قاتل سفاك عرف على وجه الارض حتى الان » . كما يرى أن « الحروب سنة طبيعية يعبر بها الانسان عن نفسه منذ بدء تسجيل تاريخ البشرية » (٤) .

ان الغرائز الملحة أو « النماذج السلوكية ، وبعضها قديم قدم التاريخ المسجل » الموروثة على مر الدهور من أجدادنا الحيوانات ، ومن الانسان الضخم الذى جاء منها وعاش فى الكهوف ، لا تزال موجودة فى أعماق نفوسنا ، كما يرى مستر اردرى فى كتاب الاجناس الافريقية ، وفى كتابة المكمل له الحتمية الاقليمية The Territorial Imperative (٥) ان طبيعة الانسان هى التى خلقت الحرب وليست النظم الاقتصادية أو السياسية .

يعرض بعض العلماء بمستر اردرى كهاوى ، ويرى علماء الانثربولوجيا على وجه الخصوص ان هذا العالم ، الكاتب المسرحى اصلا ، يثير الجدل . ولكن لا يستطيع المرء أن ينفى « غريزة الاقتتال فى الوحوش والانسان ضد بنى جنسهم » ، كما جاءت فى كتاب حول العدوان On Aggression الفه كونراد لورنز Konrad Lorenz فى هذا الموضوع .

ستظل النزعة العدوانية « دافعا بدائيا » ، كما كانت فى انسان ما قبل التاريخ تدفع أى اسكندر أو أى نابليون الى التضحية بملايين الانفس من أجل اخضاع العالم لصولجانه . ان سؤال « لماذا يتصرف الانسان دون تعقل ؟ » لغزا لا يمكن الاجابة عليه الا اذا افترضنا « ان السلوك الانسانى لا يزال خاضعا للقوانين السائدة فى السلوك الغريزى المرتبط بالتاريخ العرقى والنشوء النوعى ... بعيدا عن العرف والتقاليد » (٦) .

هذه وجهة نظر — وهى تحدى للاعتقاد التقليدى بأن الانسان يختلف عن الحيوان اختلافا كبيرا ، وان « الخير » يولد فيه — تستمد قوتها من أن المؤلفين متفـائلين ، اذ يرى لورنز ان أمل المسـتقبل يكمن فى « المرح والمعرفة » واضعاف غريزة العدوان (وليس استئصالها) ، ويثق اردرى فى أن استغلال غريزة الانسان الاقليمية وتطويرها قد تصبح قيدا على حبه فى قتل نفسه .

ولكن يتفق هؤلاء ، وكثير من الباحثين الواقعيين الاخرين ، على أن الانسان أعدى أعداء نفسه ، وفيه تكمن بذور الحرب . لان استعراض الماضى ، ودراسة سلوك الحيوان وما جمعوه من دروس الحاضر ، كلها اكثر اقناعا من توقعاتهم للمستقبل ، لانه بالنسبة للمستقبل ، يستبدلون العلم بالامل ، ويفترضون أن الانسان سوف يحكم عقله الذى أهمله عبر التاريخ كله .

يبدو واضحا — طبقا لدراسة التاريخ والانسان — ان الحرب ظاهرة انسـانية . وهى الى حد كبير جزء من تقـاليدنا وتاريخنا وعاداتنا ، وغريزتنا ، حتى انه ليبدو من المحتمل أن شكلا من اشكال النزاع المسلح المنظم بين تجمعات من الناس قد وجد ليبقى لزمن غير محدود — ربما ما بقى الانسان .

« . . . الحرب نتاج لاحوال الانسان وغرائزه ، ويبدو انها لن تختفى حتى يحدث للانسان شيئا جديدا عجيبا . وكما قال توماس مور Thomas More عن حلـول عصر الفضـيلة . . . . . ، سوف لا يتحقق ذلك لفترة ما من الزمن » (٧) .

واستئصال الحرب ، قطعا ، لا يعنى فقط انهاء النزاعات الدائرة ، ولكنه — فى أحسن الاحوال — جهد رزين متئد وربما معرض للفشل فى المستقبل كما فشل فى الماضى .

هل نستطيع الا نتمنى — بعد انتهاء حرب فيتنام — بدء عصر اكثر استقرارا ، وحل بعض المشاكل المزمنة التى سببت اضطرابات فى العالم خلال ربع قرن ؟

حتى الدراسة المختصرة لمشكلات العالم — التى سوف نستعرضها فى الابواب التالية — بينت أن الاجابة لا تبدو واضحة .

لم تكن فيتنام الا حدثا واحدا فى عصر الهزات العنيفة الذى نعيش

فيه . ومشكلات العالم الكبرى التى تواجهنا سوف تؤدى الى تعقيدات مستمرة .

فالانسان يتكاثر — دون قيود — على كوكب أفسده ولوثه بيديه .

وتحديد التسليح لم يبدء .

والمشكلات التى ورثناها عن الحرب العالمية الثانية لا تزال بعيدة عن الحل ، بعد مرور ثلاثة عقود من الزمن .

والارتباطات القديمة — حلف الاطلسى ، والحلف المركزى ، وحلف جنوب شرق آسيا ، وحلف وارسو — تضعف . ولكنها لا تستبدل بروابط العالم الواحد بل بتجمعات من القوى الصغرى ، وبالقوميات ، وبصراع عنيف بين الدول ، وبالتعددية .

ان المانيا المقسمة ، وكوريا المقسمة ، والموقف المزدوج للصين فى الشرق الاقصى ، والنزاع العربى الاسرائيلى ، وضغط روسيا من أجل السيطرة على الشرق الاوسط ، والصدام بين الهند والباكستان ، ونيجيريا، وأفريقيا — ما هى الا بعضا من هذه المشكلات السياسية الكبرى التى سوف لا يجد انهاء الحرب فى فيتنام حلا لها عندما يتحقق . وفوق كل ذلك هناك الصحوة العنيفة للصين النائمة ، والمواجهة الجديدة التى يبدو انها تتشكل فى قلب آسيا الوسطى وعلى حدود منشوريا .

لقد واجهت ولايات متحدة القرن العشرين ضغط القوى وغالبا ملأت — ليس باختيارها ، ولا طبقا لتخطيط سابق ، وقطعا دون ارغام — الفراغ الذى تركته الامبراطوريات القديمة التى انهارت ، كما حدث فى جنوب شرق آسيا .

نحن من العالم . نحن جزء منه . وهو طبقا لمفهوم الجيوبولتكا ، عالم أصغر من عالم أجدادنا ، يتحتم علينا بالضرورة المشاركة فى المشكلات العديدة .

لا يمكن أن يبقى الانسان منعزلا وحده .

ولا يمكننا أن نهرب من المكاره بتجنبها ، كذلك لا يمكننا أن ندير عجلة التقدم التكنولوجى الى الخلف ثم نتلمس السلام فى العزلة .

كتب د. وليام ر. كنتر Dr. William R. Kintner ان « السلبية

النووية » « لا تخول لنا مخرجا من المأزق » والتوازن يجب أن يتحقق بين الدفاع عن القيم والدفاع عن الحياة . لان مجرد الحياة المادية لا يمكن ان تأتى فى المرتبة العليا للقيم البشرية ويجب الا نهتم فقط بالحياة نفسها ، ولكن بنوع هذه الحياة أيضا » (٨) .

لذلك ، سوف لا تأت نهـــاية حرب فيتنام بعالم جديد فى يوم وليلة . ان عصر المشكلات الذى نعيش فيه سوف يبقى لفترة طويلة بعد أن يخفت صدى المدافع فى فيتنام ، ويختفى فى غياهب التاريخ .

سوف يبقى النزاع بين الانسان والانسان ، بين القبـــائل والاجناس والشعوب بعضها البعض ، وسوف يبقى شكل ما من الحرب حتى الغد . وتبعا لذلك سوف يستمر استخدام القوة وحشد المصادر من أجل تحقيق الإهداف القومية . وستبقى عملية وضع النظريات الاستراتيجية الشغل الشاغل لمخططى الغـــد .

ولكن استراتيجية الغد يجب أن تبنى على أساس من دروس الامس.

٢

من التاريخ الحديث

اذا لم يتعلم المرء من التاريخ فسوف يتعرض لتكراره .

كثيرا ما ينسى هذا الدرس البسيط ، والامريكيون لا يجيدون دراسة تاريخ الماضى ، وكثيرا ، مع الاسف ، ودون داع ، ما تتعلم الاجيال المتعاقبة دروسا مرة من الامس . لذا فمن واجبنا أن نستخلص الدروس والحقائق من خلال البؤس واراقة الدماء ، ومن الحروب حربا بعد حرب . وان نطبقها ونمارسها بعمق فى دورات العلوم السياسية وفى كليات الحرب .

كما يجب أن تبنى الخطط السياسية والاستراتيجية والعسكرية : وسياسات الولايات المتحدة على خبرة الماضى ، وأن تستخلص مادتها من حاضر وطننا وماضيه . على الولايات المتحدة أن تهتم بدراسة التاريخ ودروسه .

ان أعظم دروس الحرب تحتم الا تشن اى حرب كبيرة الا اذا كانت ستؤدى الى استقرار أكثر ، ولو مؤقتا أو فى منطقة الصراع على الاقل . فالحرب وسيلة أخيرة لحل المشكلات ، فاذا لم تحل هذه المشكلات دون أن تسبب مشكلات أخرى على نفس مستوى الخطورة ، فان شنها يكون

هراء . لقد جرت الحرب العـــالمية الثانية الولايات المتحدة الى مثل هذه النتائج ، فمن ناحية ، كانت حرب فيتنام فى الواقع نتاجا ثانويا للحـــرب العالمية الثانية . وقد استبدلنا المانيا الدكتاتورية التوسعية بتهديد روسيا (والصين) الدكتاتورية التوسعية . لقد كسبنا الحرب وخسرنا السلام . على أن الغايات السياسية لاى حرب هى أسمى من أى هدف آخر ، لذا فمن المحتم أن تكون ظاهرة واضحة ، وان تساهم الاستراتيجية وأسلوب الحرب فى تحقيق النتائج المحددة ، لانه لا يكفى تحقيق النصر دون ذلك .

وقد اثبتت تجربة الحرب فى فيتنام الدرس الثانى العظيم ، ويقضى بأن نقدر التكاليف اللازمة لتحقيق النتائج المطلوبة قبل التورط ، وبذلك يمكن اتخاذ القرار السليم على قدر الامكان ، واضعين فى الاعتبار الاجابة على سؤالين ، هل تســتحق المباراة أن نخوضـــها ، وهل تقتضى المصالح الامريكية توريط الشعب فى حرب التراشق عبر المحيطات ؟

ومن البديهى أن تمتد مصالح الولايات المتحدة الامريكية حول الكرة الارضية فى عالم جديد تلاشت فيه المسافات وتقلصت الابعـــاد . ولكن ليست كل المصالح مصالح حيوية . وهذا يقتضى أن يفصل الدفاع طبقا لاهمية المصـــالح ، فقد يحتاج بعضـــها لجهود دبلوماسية أو اجراءات اقتصادية أو سياسية أو وسائل سيكلوجية ، وقليل منها يقتضى الحرب . وطبقا لهذه المعايير يجب تقييم المصالح وتحديدها بوضوح ، كمـــا يجب موازنة المخاطر والخسارة المحتملة مع المكاسب المطلوب تحقيقها ، تلك كلها عوامل يجب وضعها فى الاعتبار أثناء تقدير موقف الاحوال العالمية الذى يستمر دون انقطاع . ولـــا كانت القدرات المتـــاحة هى العامل الرئيسى الحاسم فى أى سياسة واقعية ، لذلك يجب المقارنة بين موارد الثروة القومية والنفقات المحتملة .

تلك حقائق بديهية يجب اعادة تأكيدها ، ومن المعروف ان مثل هذا التقييم الواعى لم يتم قبل حرب فيتنام .

ولا يمكن تقييم مشكلات العالم تقييما حقيقيا الا بالاتصال الوثيق بين ادارات ووكالات الحكومة المسئولة بشرط توفر الصراحة المطلقة من جميع المشتركين ، ولم ينشأ مجلس الامن القومى ووكالاته الا لهذا الغرض . ولكن هذا المجلس — بل واى هيئة أخرى — لا يكون له تأثير فعال الا على قدر استخدامه . فالرئيس جونسون والرئيس كنيدى على الاخص ، كانا يتخذا القرارات بعيدا عن المجلس ، وتجاهلوا أو أساءوا استخدامه .

ووزير الدفاع روبرت ماكنمارا Robert Mc Namara ، لم يستعن لا بالخبراء العسكريين ولا بالقادة العسكريين أثناء وجوده فى البنتاجون، ولكنه تجاهلهم ، فطغى التقييم السياسى والادارى للمطالب العسكرية على آراء العسكريين . ولم تستطع هذه الاراء الوصول الى مستوى التأثير العام فى بعض الاحوال . ومن البديهى بل من المحتم أن يكون وزير الدفاع رجلا سياسيا بصرف النظر عن التخصص الذى جاء منه ، لانه يتخذ قرارات سياسية وادارية ، وكثيرا ما تكون آراؤه أفضل من آراء مستشاريه العسكريين ، لان بعد النظر وحدة الفكر فى حروب فيتنام أو كوريا ، أو فى الحربين العالميتين الاولى والثانية لم تكن موقوفة على الرجال العسكريين ، ولكن التدريب وخبرة الممارسة ، كلاهما من خصائصهم . وهم مصدر هام من المصادر القومية . وآرائهم ووجهات نظرهم عامل هام يجب وضعه فى اعتبار رئيس الدولة عند اتخاذ القرارات، لانها عنصر له وزن كبير وتأثير فعال . والجهاز الحكومى يكون فاشلا اذا عجز عن عرض وجهة النظر العسكرية — حتى اذا كانت محل خلاف — بشمول وأمانة وادراك وتفصيل على القائد العام ورئيس الجمهورية .

لم يكن كل ذلك متوفرا فى حالة فيتنام ، لان أسلوب العمل كما تعوده كنيدى وجونسون ، وشخصية ماكنمارا التى لا تقبل أى معارضة فى الرأى، كما أن سيطرة المتخصصين فى الاحصاء وحساب التكاليف ، والمتخصصين الاداريين ، والتبعية التى فرضت على هيئة الاركان المشتركة ، كانت كلها عوامل ساهمت فى الفشل الاساسى أى الفشل فى تقدير التكاليف العسكرية والمطالب اللازمة لتحقيق النصر على أعلى مستوى حكومى .

كانت هناك تقديرات صحيحة للتكاليف والمطالب ، وضعت قبل اشراك طلائع القوات الامريكية فى فيتنام فى مارس ١٩٦٥ . وكان رئيس أركان القوات البرية ، وقائد البحرية قد اشتركا فى وضع هذا التقدير فى الاشهر الاولى من عام ١٩٦٥ قبل ارسال قوات كبيرة الى فيتنام . وتقدر ان النصر يستلزم قوات من ٥٠٠٫٠٠٠ الى ٨٠٠٫٠٠٠ فرد وسنين من الجهد . ومن الصعب على المرء أن يصدق ان الرئيس أخطر بهذه التقديرات . وحتى اذا كانت قد وصلته فالارجح انه لم يعيها تماما ، واذا كان قد وعيها ، فمن المؤسف أن تبدو مصالح الولايات المتحدة الامريكية وكأنها لا تستحق هذه التكاليف .

ولكن ما لبث أن تعقد هذا الخطأ فى صيف عام ١٩٦٥ ، عندما أعلن الرئيس ارسال قوات مقاتلة أمريكية كبيرة الى فيتنام ، فى الوقت الذى فشلت فيه الدولة فى تعبئة قوات الاحتياط . وكان هذا الفشل يعنى اجهاد واستنزاف لكل القوات المسلحة النظامية وتطبيق سياسة انشاء بطيئة

يمكن للعدوان يوائم نفسه لمواجهتها الى حد كبير . لقد وضع العسكريون تقديراتهم ، واستعدوا للتعبئة ، والارجح ان الرئيس لم يدرك تماما نتائج الفشل فى استخدام قوة الشعب بسرعة وحسم ، التى لا يمكن تفاديها . لقد قطع الاتصال أو طمست المعانى فى مكان ما بين القادة المسئولين فى القوات المسلحة والقائد العام فى البنتاجون .

وكانت هيئة الاركان حرب الامريكية المشتركة ـ أثناء الفترة الحرجة من التدخل الامريكى فى فيتنام ـ تتكون من أشخاص غير معروفين للشعب . ولو انهم لم يكونوا « سلبيين » الا ان اختيارهم بواسطة الرئيس ومكنمارا كان يرجع الى الاعتقاد بأنهم ليسوا ممن « يقتفون أثر سلفهم » ، ولا ممن « يعارضون بعنف معتدين برأيهم » . فهم ليسوا أقوياء مثل ايرنى كنج Ernie King أو جورج مارشال . وكان فكرهم مشتت بين التزاماتهم العسكرية ـ الموزعة بين الانصياع لاوامر رئيس الجمهورية والولاء للوزير وللقائد العام وسياسته ـ ومسئولياتهم أمام الكونجرس والشعب . وقسمهم بدعم دستور الولايات المتحدة الامريكية والدفاع عنه يجسم هذا التشتت الحتمى . لقد أعطى ضباط هيئة الاركان حرب المشتركة ، وهم من أفرع القوات المسلحة ، ولاءهم وطاعتهم للقائد العام ، ولكنهم كانوا ملزمين ايضا باعطاء تقارير صحيحة وصريحة للكونجرس وللرئيس عن كل الموضوعات العسكرية . واخلاصهم الاساسى يكون للشعب قبل كل شيء وليس لاى حكم بذاته . ولقد حرص أباؤنا على تأكيد هذا الولاء المزدوج .

لم يكن هذا التنازع ـ الموروث فى صلب المسئولية الدستورية للكونجرس من أجل المحافظة على دفاع فعال ـ جديدا فى التاريخ ، ولكن المغالاة فى تركيز السلطة فى يد القسم التنفيذى من الحكومة ـ وخاصة بالنسبة لمكنمارا شخصيا ـ وتضاؤل دور الكونجرس ، أدت ، بالاضافة الى عوامل أخرى ، الى تضاؤل أهمية استشارة العسكريين .

كان ميل الرئيس لان يكون مكنمارا هو المرشح الذى تمر خلاله جميع المعلومات العسكرية طاغيا على شخصيات ضباط هيئة الاركان حرب المشتركة. ولا يمكن أن تكون هناك لوائح تنظيمية ثابتة ـ مهما بلغت من الدقة ـ تحدد أسلوب الرئيس فى ادارة العمل ، وطريقته وخصائصه وشخصيته ، ولو أنها عوامل تغير سير التاريخ . فعندما كان جونسون نائبا لرئيس الجمهورية ، قلما أتاحت له الفرص مشاركة العسكريين . وعندما أصبح رئيسا كان لا يثق بهم . ولم يكن معتادا أو ميالا لاستخدام هيئة أركان حرب مثل كنيدى تماما . وكان كلاهما يدرس الموضوعات بالاتصالات التليفونية أو المقابلات الشخصية التى كانت تتم على نطاق

واسع . وكان كلاهما يستحث كل الاراء المتعارضة وإن اقتصرت أغلبها على آراء السياسيين ومشورتهم . اذ لم يكن هناك اتصـال قريب بين القائد العام ومستشاريه العسكريين كما كان الحال بين روزفلت أو ترومان أو ايزنهاور ورؤساء الاركان الذين عملوا معه .

يخول القانون لوزير الدفاع وهيئة الاركان المشتركة — كمجموعة واحدة — ان يكونوا « المستشارين العسكريين الاساسيين للرئيس » على أن يبقى الاتصال بين القائد العام والرجال العسكريين وثيقا ومستمرا بما يضمن وصول الاراء العسكرية الصحيحة غير المضللة اليه .

وخلال السنوات الحرجة ١٩٦٥ — ٦٨ . كان رئيس هيئة الاركان المشتركة هو الشخص الوحيد الذى يقابل الرئيس بانتظام من هذه الهيئة، وكانت له بعض السلطة والهيبة العسكرية وان كانت مسئوليته المباشرة فى هذا المجال ضئيلة . ففى الفترة الحرجة من منتصف ١٩٦٥ حتى شهر يونية ١٩٦٦ ، وهى الفترة التى تم فيها وضـع سياستنا الاساسية فى فيتنام ، كان رئيس هيئة الاركان لا يرى الرئيس الا مرة أو مرتين على الاكثر كل أسبوع ، فى حين ان الاتصال بين الادميرال د. ليهى والرئيس روزفلت كان مستمرا يوميا أثناء الحرب العالمية الثانية ، كمـا كانت الاتصالات التليفونية والمقابلات مستمرة بين روزفلت والجنرال مارشال والادميرال كنج .

لم يقـابل رئيس هيئة الاركان الرئيس على انفراد الا نادرا ، مرة أو مرتين من كل ثمان أو تسع زيارات للبيت الابيض ، اذ كان غالبا فى صـحبة وزير الدفاع أو نائبه ، وكلاهما لم يتردد ابدا فى تقـريز آرائه ومعارضـتها أو تمييعها . ولم ير أعضاء الهيئـة — وهم قادة القوات المسلحة ، الجيش والبحرية والطيران والاسطول — الرئيس فى مقابلة خاصة الا نادرا . ففى الاثنى عشر شهرا الحاسمة ، من يونيو ١٩٦٥ الى يونيو ١٩٦٦ ، حينما أقحمت قوة أمريكية كبيرة فى فيتنـام وبدأ قصف فيتنام الشمالية ، قابل رئيس أركان القوات الجوية الرئيس أربع مقابلات خاصة ، وقابله قائد الفيلق البحرى عدد مسـاوى من المرات ، ولم ير رئيس أركان القوات البرية الرئيس الا مرتين . وفى هذا الوقت ، وصلت هيئة الاركان المشتركة الى « متاهة الضياع والتشتت » كما سـاها بعضهم ، وكانت مشورتهم للقائد العام « اما لا تصل اليه » واما لا ينظر اليها بعين الاعتبار عند وضع القرار .

انتهكت أحكام قانون الامن القومى ، التى تقضى بأن يتلقى الرئيس المشـورة العسكرية من الرجال العسكريين ، أثناء وضـع سياستنا فى

فيتنام . اذ اغتصب المدنيون فى البنتاجون ــ أثناء رئاسة كنيدى وجونسون على وجل الخصوص ــ دور العسكريين ، رغم قلة أو انعــدام خبرتهم العسكرية . وكانوا يملكون سلطة طاغية ومسئولية ضئيلة من الناحية القانونية ، وأكثر ضآلة من الناحية الواقعية . فأصبح وزير الدفاع ــ يعاونه المستشارون المدنيون ــ هو المستشار الوحيد للرئيس فى واقع الامر .

ربما يؤدى هذا الوضع الى اخطار مضاعفة كما أثبتت حرب فيتنام . لان المشورة العسكرية البحتة ــ ومن المفروض أن يعطيها العسكريون الى البيت الابيض ــ سوف تتميع بعوامل غير عسكرية ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان المدنيين ذو النفوذ ، عندما يقومون بدور المحللين ، يكونوا اكثر عرضة ــ من العسكريين ذوو خبرة الممارسة والذين يقدرون الاخطار ــ لوضع قرارات عسكرية ذات طابع حزبى ، خطيرة على البلاد بالنسبة لنتائجها النهائية كالقرارات السياسية ذات الاتجاه الحزبى تماما .

« .... عندما تسيطر السلطة المدنية على عملية وضع القرار فى الموضوعات العسكرية البحتة ... فربما يؤدى ذلك الى نكبة قومية » ذلك ما كتبه ليمان ب. كيرك باتريك Lyman B. Kirkpatrik. (١) .

أثبتت جميع الحروب التى خاضتها الولايات المتحدة الامريكية انه يجب على الرئيس نفسه ــ وليس على أعوانه فقط ــ وضع العوامل العسكرية موضع الاعتبار ، كحلقة هامة فى سلسلة اجراءات وضع القرار على أعلى مستوى . وقد يكون للاعتبارات السياسية أو الاقتصادية أو غيرها أهمية أكثر ، ولكن الرئيس نفسه هو الذى يقرر ذلك ، لانه أثناء الحرب ، يدفع الثمن من أرواح جيل الشباب الامريكى .

كما أن وضع سياسة أو استراتيجية عسكرية جامدة ، لا يمكن الخروج عليها ، تؤدى حتما الى الهزيمة والنكبات ، كمـــا اثبت هتلر فى الحرب العالمية الثانية .

كان فشلنا الواضح فى فيتنام فشلا فى القيـــادة والادارة على أعلى المستويات فى واشنجطن ، ولم يكن بسبب الاشخاص فقط ، ولكن كان نتيجة للتنظيم المركزى الضيق ، الذى طبق فى البنتاجون منذ صدور قرار التوحيد بعد الحرب العالمية الثانية .

المراجعة والموازنة جزء أساسى من نظام الحكم فى الولايات المتحدة الامريكية واذا ما أردنا المحافظة على الحرية والديموقراطية فان المراجعة

والموازنة يتحتم توفرهما فى القطاع التنفيذى ، كما تتوفران فى الكونجرس والمحكمة العليا والنظام الفيدرالى . ولا تقل المراجعة والموازنة فى المجال العسكرى أهمية عنها فى المجال السياسى ، لاسباب عسكرية وسياسية ايضـــا .

لقد أدرك أجدادنا هذه الحقيقة فأنشأوا مليشيا الولاية (الحرس الوطنى) فى كل ولاية على حدة . وبسطت الحكومة الفيدرالية سلطتها على هذا الحرس ، فتضاعفت قدرتها العسكرية فى مقابل موازنة سياسية عسكرية . وقد أثبتت اصــوات أفرع القوات المسلحة ، والحرس ، والاحتياط ، وقادة الاسلحة والخدمات التى ألغيت ، ونظام المكتب البحرى القوى — وجميعها مدعمة أو مرتبطة بســلطات من الكونجرس — انه لا يمكن لاى عسكرى ، فى الخدمة أو خارجها ، أن يحقق سيطرته على الكونجرس أو يفرض اتجاها عسكريا حزبيا ، كما هو الحال بالنسبة لاى مستبد ســياسى .

كان تركيز السلطة فى البنتاجون فى مكتب وزير الدفاع ، كما كان الغاء وزارات الجيش والبحرية والطيران ، وضم اداراتهم ، وانشاء وظيفة رئيس هيئة الاركان المشتركة ذات الهيبة والسلطة ، كلها عوامل ساهمت فى تطوير وانشاء وزارة قوية منفذة ، لها نفوذ عسكرى مرتبط بالخبراء الذين يديرون الاجهزة الحاسبة ، المدنيين والعسكريين .

كما كان اهمال اسلوب المراجعة والموازنة فى المجال العسكرى الذى كان من الخواص المميزة لتنظيم أمننا القومى ، كما كان تضاؤل سلطة الكونجرس فى ظل فكرة « الرئيس القوى » التى سادت فى عهد كنيدى وجونسون ، عاملين يؤديان الى خطر قادم .

وأوضحت فيتنام أن فاعلية الادارة والالتزام بخطر عسكرى أو نظرية عسكرية دون تغيير ليسا بالضرورة توأمين للقدرة العسكرية ولا لتحقيق الاهداف السياسية بنجاح .

كان الميل الى المركزية فى البنتاجون له نظير مشابه فى ميدان القتال فى فيتنام . ولم يسبق فى تاريخ الولايات المتحدة الامريكية ان تحمل قائد — لم يخول الا مثل هذه السلطة الضئيلة — مثل هذه المسئوليات الضخمة كمـــا تحملها الجنرال وليم س وســـتمورلاند General William C. Westmoreland . اذ باشر الرئيس ووزير الدفاع ورئيس هيئة الاركان المشتركة ، وحتى مساعديهم خارج سلسلة القيادة ، ادارة العمليـــات أو التدخل فى شئونها على مختلف مستويات جهاز القيادة . فكثيرا ما عمل

مركز القيادة فى واشنجطن كمركز قيادة لقائد الكتيبة . وفى المراحل الاولى من العمليات ، كانت الطلعات الجوية تدار من واشنجطن أو هاواى وبذا كان اختيار الاهداف ، وتحديد خط سير الطائرات ، وعدد الطلعات ، وحمولتها وتسليحها يتخذ فيه القرار على بعد آلاف الاميال . وفى حادث خليج تونكين بينما كان قائد احدى المدمرات يدير قتال سفينته فى مواجهة هجوم بقوارب الطوربيد وبينما كان يقوم بتحليل نبضات الرادار من اجل ذلك ، كانت تغمره رسائل متوالية سريعة من واشنجطن .

كان فشل القيادة والتنظيم والادارة ظاهرا فى سيجون كما هو فى واشنجطن حتى زمن قريب . فقد تحملنا المسئولية بالتدريج فى سايجون دون سلطة . وكان الاحتياج الى قيادة مشتركة موحدة (مع فيتنام الجنوبية) سببا فى عرقلة مجهود الحرب . كما أدى عزل حكومة دايم Diem وقتله ، وشعورنا بعقدة الذنب ، الى تغاضينا عن تصرفات حكومات فيتنام الجنوبية المتعاقبة . ولم نسيطر فى الواقع على الاحداث فى فيتنام الجنوبية — حيث كان من المحتم كسب المعارك السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية — فى مقابل الجهد الضخم الذى بذلناه .

نشأت الرغبة فى « نفض الايدى » من صفة مميزة أصبحت مطبوعة فى أذهان الامريكيين ، عرقلت الاستغلال السليم للقوة الامريكية عبر البحار . وكل ذلك نتاج للنزعة الاخلاقية عند الامريكيين وميلهم الى تعميم مبادىء رشيدة فى نطاق القانون . وقد استغل مبدأ تقرير المصير وعدم التدخل فى شئون الشعوب استغلالا خاطئا فسبب لنا كدرا وخسارة لا لزوم لها . والاول اذا استغل بتطرف يؤدى الى الفوضى ، كما حدث فى النزاعات القبلية فى أفريقيا وأثناء النضال فى شوارع الولايات المتحدة الامريكية . والالتزام بالمبدأ الثانى تماما فى بلاد مثل فيتنام يعنى التخلى المطلق عن السلطان أو ممارسته دون توجيه كاف . وهذا ما يجعلنا نعمل باستمرار على دعم الحكومات التى نتوسم فيها الديموقراطية . على أن ذلك يقتضى منا تبين عدم جدوى محاولة انشاء نظام ديموقراطى غربى فى كثير من الدول المتخلفة الجاهلة .

كانت اكثر أخطاء القيادة والتنظيم والادارة نتاج للخصال الامريكية : وتجسم أول فشل فى الربط بين السلطة والقيادة . وكما كتب سير روبرت تومسون Sir Robert Thompson ، وهو المسئول عن العمليات المضادة للعصيان فى بريطانيا « .... يجب أن يكون السفير مفوضا له سلطة مطلقة على السياسة والوكالات فى نطاق عمله » (٢) .

حدد سير روبرت وآخرون — بصدق — الفشل الاولى فى المراحل الأولى من حرب فيتنام — تركيز جميع الجهود لهزيمة قوات العدو العسكرية بواسطة جيش أجنبى متحالف (الجيش الامريكى) وتجاهل الاصلاحات الاساسية فى الحكومة وعدم اتباع سياسة تبعث الحياة فى فيتنام الجنوبية. كان من الواجب أن تعطى اسبقية لتقوية النظام الحاكم والخدمات المدنية وانشاء شرطة وطنية وفتنمة القدرة القتالية للقوات المسلحة فى فيتنام الجنوبية وتقويتها . ولكن الاهتمام لم يوجه الى هذه الشئون الا حديثا .

كان بدأ ظهور خبراء الادارة فى هذا الوقت ، كما كانت محاولة أباطرة المكاتب لتمجيد أنفسهم ، وشغف البيروقراطية بالاحصاء والاجهزة الحاسبة كلها عوامل أدت الى أن تسلك الحرب طريقا معقدا كثير التكاليف فى الانفس والاموال . لان الدراسات التى تمت أثناء حكم كنيدى وجونسون ومكنمارا — وكانت عديدة ومعقدة وليست وثيقة الصلة بالموضوع — أدت الى الارباك اكثر من التوضيح .

من الغريب أن يتبين أن ٥٪ فقط من افراد القوات المسلحة الوطنية تشغلهم رغبات جنسية ، ويبدو أنهم لا يأملون فى كسب الحرب . وهذا يوحى بقلة الطعام وضآلة المرتبات ، كما هو معروف . لقد تكدست تقارير الابحاث فى الادارات الحكومية فى واشنجطن . ولكن لم يقرأها الا القليلين ، ولم يتخذوا حيالها أى اجراء . وقد أدى ذلك الى تقييد صفوة المدربين المتعلمين من فيتنام الجنوبية ، وكان من المستطاع استغلالهم بطريقة أحسن . (٣) . هذا ما كتبه سير روبرت تومسون .

كانت المركزية فى واشنجطن ، وسرعة وكفاءة المواصلات الحديثة ، وكذلك عدم رغبة أو قابلية الرئيس ووزير الدفاع لتفويض بعض السلطات لمساعديهم بابلاغهم ماذا يعملون ، تاركين لهم اختيار أسلوب العمل ، تلك كلها عوامل سببت ضعف فعالية القوات وزيادة خسائرها . ولم يتمكن واضعوا القرارات على مستوى القمة من وضوح الرؤيا بسبب انشغالهم بالتفاصيل ، وكانوا يتخذون قراراتهم دون فحص واستقصاء ومشورة كافية . والنتيجة : خسائر لا لزوم لها ، فمن المحقق أن الطيارين دفعوا من حياتهم ثمنا للادارة التفصيلية الخاطئة من واشنجطن أو هاواى .

أدت السيطرة الزائدة ، وفرض عمليات تكتيكية زمنية على القوات العسكرية بواسطة من هم على بعد آلاف الاميال من ميدان القتال الى عكس ما كانت تهدف اليه هذه الاجراءات ، مزيد من سيل الدماء .

أتبعت الولايات المتحدة الامريكية ما أسماه الرئيس جونسون « بسياسة التصعيد » فى فيتنام منذ بدء اشتراك القوات البرية الامريكية

وقصف فيتنام الشمالية عام ١٩٦٥ . وتعنى زيادة الضغط العسكرى بالتدريج وببطىء شديد ، ورفع حد المقائرة مع العدو ، وهذا ما يسمى بالتصعيد فى اللغة العسكرية ، اى رفع المخاطرة بزيادة القوات المشتركة وتقوية العمليات الدائرة .

يفيد التصـــعيد الجانب الاقوى ، اذا تم بسرعة وبتصميم ، وبقـدر لا يعطى للعدو الاضعف فرصة مجاراته ومواءمة نفسه عليه . واذا سار التصعيد ببطىء وتردد وتشكك ــ كما حدث فى فيتنام ــ فان العدو يستطيع مواءمة نفسه نسبيا لمقابلة كل تزايد بطىء ، خصوصا اذا كان يستمد المساعدة من خارج البلاد ، كما هو الحال بالنسبة لفيتنـــام الشمالية . وسياسة التردد دليل على ضعف الارادة القومية وعدم الثقة والحسم ، وكلها عوامل يستغلها عدو ذو تصميم أحسن استغلال . على أن وضوح التصميم مع بضعة آلاف من الجنود اذا استغلت مبكرا فى الحرب ، يغنى عن جهود ضخمة .

وما كان ممكن تحقيقه بخسائر طفيفة فى عامى ١٩٦٤ و ١٩٦٥ ــ حصار بحرى لشواطىء فيتنام الشمالية وحملة جوية لعزلها ــ لم يكن ممكنا فى عام ١٩٦٨ الا بخسائر جسيمة ، بعد أن أعطى الاتحاد السوفيتى جهدا اكبر ، وعزز العدو دفاعاته الى حد كبير . وأدت سياسة التصعيد البطىء الى الفشل . فقد قصفنا منشآت الوقود ومخزون البترول فى فيتنام الشمالية ، ولكن بعد أن قام العدو بتوزيع المنشآت ونشر مراكز الامداد . وقصفنا مطاراتهم ، ولكن ليس قبل أن تنتشر فيها الطائرات . ووضعت القيود السياسية على استخدام القوات الجوية ، بينما استمر بناء اقوى دفاع جوى فى العالم بثبات وتصميم فى فيتنام الشمالية ، فتمكنوا من انزال الخسائر بنا أكثر فأكثر . كان التصعيد الذى طبق طوال حرب فيتنـــام أسلوب خاطىء بالنسبة لاى حرب من الحروب . وقد أدى الى فشل محتم، والى تثبيط الهمم واطالة مدة الحرب وزيادة تكاليفها وجعلها حربا طويلة بصرف النظر عن الاسلوب الذى أتبع فى مباشرة هذا الضغط العسكرى .

ازاء سياسة التصعيد وفشل الحكومة فى توضيح طبيعة الحرب فى فيتنام وأهدافها نفذ صبر الرأى العام الامريكى ، رغم أهمية الراى العام فى حرب العصابات ، فقد كسب الفرنسيون المعارك العسكرية وخسروا الحرب فى الجزائر لان الراى العام لم يكن فى جانبهم ، لا فى الداخل ولا فى الخارج . وحرب العصابات أو « حرب التحرير كما يسميها خرشوف » هى حربانهاك واستنزاف مستمرة وطويلةوممتدة الى ان تؤدىالى الفشل والهزيمة .

وعندما يستطيع رجال العصابات تلقى الامدادات من دول مجـاورة لا يمكن للطرف الاخـر مهاجمتها ، يصبح ذلك مؤكدا . فقد اسـتغرق البريطانيون ١٢ عام فى القضاء على عمليات عصابات أصغر بكثير ، أثناء العصيان فى الملايا ، وفى الفلبين لا تزا لعناصر العصيان تعيش فى جماعات متفرقة رغم مرور عشرين عاما على محاربتهم . وفى قبرص وفلسطين وبلاد أخرى كثيرة ، لا يزال التاريخ يسجل أعمال العنف وصور الرعب والضرب ثم الهروب الذى تمارسـه العصـابات . ومن المحقق أن قيـام حرب العصـابات على أسـاس سليم فى أى منطقـة ، يؤدى الى الانهـاك والاستنزاف ، خصوصا اذا كان فى الامكان امدادهم من الخارج .

يجب أن يلم الرأى العام بذلك ، ويكون على وعى بطبيعة الحرب حتى يعطى دعمه الكامل . وهذا يقتضى من الحكومة أن تقوم بتقييم سير الحرب وتطورها ، تقييما مستمرا غير متحيز ، لان الصراحة والامانة أصبحت أدوات أساسية للحرب فى عصر المواصلات الالكترونية ، لان شاشـة التليفزيون أدخلت صور الرعب والدماء فى المنازل . وفى الغالب كان لتعليق « جنرالات التلفزيون » المقتضبة ، ولحديث المصابين والمتعبين من أهوال المعارك ، أثرا على الرأى العام فى حرب فيتنام .

تقع مسئولية ما نال هذا الشعب نتيجة لحرب فيتنام على الحكومة ، لان تفاؤلها الزائد عن الحد ، ضلل الشعب الامريكى وسبب له نشوة . كما أن التردد وعدم الامانة أدت الى ارباكه والى وجود « ثغرة فى الثقة » — فى واشنجطن وسايجون بقدر متفاوت — بشكل واضح من السهل ادراكه . وضعفت الثقـة فى الرئيس ووزير دفاعه لانهما كثيرا ما حاولا تحوير الحقيقة حتى تصبح مقبولة .

كما تقع بعض المسئولية على وسائط الاعلام ايضا ، بسبب التمادى فى تبسيط الاخبار ، واتباع أساليب الاثارة فى مجال الحديث عن حرب فيتنام . فقد حشد بعض الشبان قليلى الخبرة تعليقاتهم على احـداث الحرب الماضية وتوقعاتهم للمستقبل فى مساحة ضيقة من صحيفة ، أو فى عدة ثوان من برنامج . ولم يكن الحجاب بين الحكومة ووسائط الاعلام من صنع الاولى وحدها . كانت هناك تحقيقات صحفية ممتازة ، واخرى لا تتسم بالالتزام بالمسئولية ، كما هو الحال فى أى حرب . وكانت السمة الغالبة على قطاع كبير من وسائل النشر حتى ١٩٦٨ — وهى الفترة التى تم غيها التشكيل — تتميز بمعارضة الحكومة والاثارة والاسراف فى تبسيط الامور والخطأ فى الحكم وعدم صواب الرأى .

للمرة الاولى فى تاريخ الولايات المتحدة الامريكية ، منذ الحرب الاهلية الامريكية ، يثور شعور معارض للعمل العسكرى ومعادى للحرب ، قبل نهايتها . وقد عكست وسائل الاعلام هذا الشعور بطريقة لم يكن من المستطاع تفاديها . وكانت هناك عوامل مثبطة كثيرة ، بالنسبة لاشتراكنا فى الحرب دون اعلان ذلك ، وحجم القوات ، وطبيعـــة النزاع الذى لم يتضمن معارك يمكن فيها تحقيق النصر أو غزو اقليم محدد . يضاف الى ذلك أن هدف الحرب كان سلبيا ـــ منع الهزيمة وليس تحقيق النصر على العدو ـــ كمـــا أن خصائص حرب العصابات تجعلها شيئا منفرا وعملا مكروها من الامريكيين . تلك كلها عوامل ساهمت فى الشعور بالضجر من الحرب وعدم التحرر من الوهم ، خصوصا وان الشعب الامريكى فشل فى تبين علامات التقدم فى هذا المجال .

لم تكن وسائل الاعلام وحدها ابدا هى التى أشاعت العبث وضاعفت الازدراء الذى ساد بعد اخفاق العدو عسكريا . الذى تحـــول الى نصر سيكلوجى فى مواجهة العدوان . ورغم ذلك لم توفر حرب فيتنام أحسن الفرص للصحفيين الا فيما ندر . فقد حافظ بعض الصحفيين والمعلقين ـــ واغلبهم من مدرسة العدالة والموضوعية القديمة ـــ ذوو الخبرة فى الصحافة الدولية والعسكرية على مستوى عال وساهموا بمقالات مفصلة عميقة رائعة ، لكنهم كانوا قلة .

تداخلت فى حرب فيتنام عدة عوامل سياسية واقتصادية وسيكلوجية مثيرة أشاعت حولها جوا من الريبة يساعد على تصديق كل ما يقال عنها . وعمل كثير من مندوبى شركات التلفزيون والاذاعة واتحادات الناشرين والصحافة على ابراز النواحى السلبية للحرب ، وكانوا يمثلون القطاع الشعبى ويعكسون أفكار رؤساء التحـــرير أو الناشرين أو انطباعاتهم الخاصة . ولكن العم سام ونظام حكمه ومؤسسات هذا النظام ، وحكومة فيتنام الجنوبية المدللة ، والقوات المسلحة ، كانت جميعها عوامل ساهمت فى تثبيط الرأى العام . كما أراد بعض الناشئين ـــ وخاصة فى مجـــال التلفزيون ـــ ان يصبحوا لنكلن ستيفون Lincoln Steffens فتجاهلوا الاتجاه السليم ، مفضلين أن يسلكوا سبيل ابراز الفضائح بدل الاعتدال والاتزان .

خلط بعضهم بين « الشغف بالتبليغ » ، أى السبق الصحفى ، وبين « الشغف بتشكيل المعلومات » أى خلق الخيال وافتعال الاحداث ، كما ذكر جنرال ماكســـويل General Maxwell D. Taylor فى خطاب موجه الى اتحاد جيش الولايات المتحـــدة الامريكية فى ٣٠ أكتوبر ١٩٦٨ « .... لقد شعر بعض الصحفيين والمعلقين فى فيتنام ان واجبهم ليس

وصف الاحداث ولكن تشكيلها ، وليس الكتابة حول السياسة الخارجية ولكن صناعتها » .

شجعت الصحافة العاجلة النقد الخاطف . وادى الاسلوب المتبع فى اختيار وتبليغ وتحرير الاخبار — فى الصحافة والتلفزيون — الى التضحية بالموضوعية وأبراز الناحية الدرامية المثيرة على حساب الاعتدال والنظرة المتزنة . لقد تجاهل كثيرون من رؤساء التحرير ومحرى العمود — وخاصة فى صحف نيويورك تيمز وواشنجطن بوست ، وهم رواد الصحافة الامريكية وموجهيها — العدالة والاتزان وشجعوا السلبية ففقدوا النظرة الموضوعية السـليمة .

يشبه الاسلوب الصحفى الحديث صحافة القرن الماضى غير الموضوعية فى عدة نواحى ، عندما كان يصمم رئيس التحرير على رايه بحذف حرف من المقال ليثبت وجـوده .

يوجه الاهتمام فى هذه الايام لـمـا يرضى القارىء على حساب الدقة ، ويستبدل التفسير الموضوعى بالتفسير المطلق ، وكان ذلك سبب فى خلق صورة مشوهة عن حرب فيتنام . وان كانت هناك عوامل وظروف اخرى اثرت على النظرة الامريكية لهذه الحرب .

شعر كثيرون من الامريكيين بعقدة الذنب نتيجة للعروض التلفزيونية التى أبرزت وحشية الحرب ، وتأثروا كالكثيرين غيرهم فى جميع انحـاء العالم ، بدعاية العدو التى صورت القسوة والتسخير بأجلى معانيه . وبقيت هذه الصور لا تنمحى من الاذهان ، خصوصا فى اذهان حلفائنا فى غرب أوروبا . ودعم سلوكنا هذه الافكار الخاطئة . ادت سياسة الغيار (تبديل القوات) كل عام الى وجود جيش متغير قليل الخبرة والتجربة فى الميدان . كانت القيادات العليا والمتوسطة على مستوى لا بأس به ولكن على مستوى قادة الفصائل والسرايا تعاقب النقباء والملازمون وضباط الصف فقلت خبرتهم وتجاربهم وعان الجيش من كثرة الحجز والتحفظ وقلة الانضباط . وقد اساءت مذبحة المدنيين المزعومة فى سونجمى الى سمعة الولايات المتحدة الامريكية فى نظر العالم ، رغم أن القتـل يعتبر جريمة فى الجيش ، وهو الجيش الوحيد فى التاريخ الحديث الذى اعلن الاتهام على عدد كبير من رجاله أثناء الحرب .

تحول الهدف المعنوى — الدفاع عن شعب ضد القوة والارهاب — الى هدف جائر فى أفئدة وعقول الكثيرين ، وصـورت الولايات المتحـدة الامريكية بقوتها الضخمة وكأنها تعمل على تدمير دولة فيتنام الشمالية

الصغيرة . وأغفلت حقيقة القوة البشرية لهذه الدولة ، ومساندة الصين لها ، والدعم الذى تقدماه لها عمالقة الشيوعية العالمية ، روسيا والصين - من صناعات وأسلحة .

لقد أدت وحشية الحرب أيضا الى الاسترسال فيها ، وهو سلوك بشرى قد يدعــو الى الاطراء ولكنه اذا فسر فى ظل الانفعــال السياسى والسيكلوجى العنيف الذى صاحب حرب فيتنام ربما يؤدى الى سقوط واندحار شعب . وقد ضاعفت السذاجة وضحالة الالمــام بالديموقراطية من اثر هذا العامل . أدينت حكومة فيتنام الجنوبية ليس بقلة الكفــاءة والاضمحلال فقط ، ولكن أضيف الى ذلك عدم قدرتها على فهم تصورنا لنظرية صوت واحد لكل فرد . ولم تكن أساليب السياسة البدائية لشعب دولة آسيوية صغيرة متخلفة ، يهاجمها الاعداء من كل جانب ، مفاجأة للشعب الامريكى، اذ كان يشترك فى توجيه سياسة العالم منذ عام ١٩١٧ .

كان هناك فرق شاسع بين حرب فيتنام والحرب العالمية الثانية . وحتى بينها وبين حرب كوريا . ففى الحرب العــالمية الثانية وفى حرب كوريا ، قام العدو بالهجوم على قوات الولايات المتحدة الامريكية أو قوات حلفائها بقوات عسكرية . وفى الحرب العالمية الثانية تحولت معارضة المفكرين فى الجناح اليسار ـــ وهم يلعبون دورا هاما فى تشكيل الرأى العام ـــ الى تعضيد الحرب عندما غزا هتلر روسيا . وأدت ابادة هتلر لليهود الى توحيد المجتمع اليهودى القوى التأثير فى أمريكا ، ذو الوزن الكبير فى مجالات النشر ووسائط الاعلام الاخرى وفى المجالات الاقتصادية والسياسية والمالية ، ضــده .

كل هذه العوامل لم تكن موجودة فى حرب فيتنام ، فالعدوان كان غــير ملموس ، كنا نحارب الشيوعية ولم يكن ليعضدنا اليسار فى هذه الحرب ، لم تكن هناك ابادة تستثير اليهود ، وكانت عواطفهم متجهة الى اسرائيل فى منطقة الشرق الاوســط لا الى فيتنام . وكانت هنــاك ثورة فى القيم والمفاهيم فى الولايات المتحدة الامريكية والعالم كله أثرت على كل المفاهيم والقيم القديمة .

كانت عناصر اليسار الامريكى ، مدعمــة بالاضطرابات العنصرية وثورات الطلبة حقلا خصبا للدعاية الشيوعية . كما كان ضيق أفق كثير ممن يدعون بالليبراليين والجهل بالحقائق أو بترها ، مضافا الى ذلك نصائح فاعلى الخير التى تبدو مخلصة وان كانت تدعو الى العكس ـــ قوى شر غير مقصودة فى حياة الامريكيين ـــ تلك كلها عوامل ساهمت فى

تبسيط النظرة الى نزاع معقد واثرت على قطاع كبير من الرأى العـام الامريكى .

وفى سبيل حلول بسيطة تتضمن « الانسحاب فورا » أصبحت الحلول التى يلفظها أى طالب مدرسة عليا للعلوم السياسية لها تأثير سياسى كبير عام ١٩٦٨ وحتى عام ١٩٦٩ . وخسر جونسون أولى المعارك الاساسية لتحقيق النصر فى حرب العصابات ، معركة الحصول على أفئدة وأذهان الجماهير . وأوضحت حرب فيتنام ان الدولة لم تحقق — على المستوى القومى عامة ، وعلى مستوى القيادة فى واشنجطن خاصة — تناسـقا وتناغما لكل القدرات والقوى من أجل تحقيق غاية سياسية معقدة .

ذكر جورج فيلدنج اليوت George Fielding Eliot وكورنيليس د. سوليفان فى دراسة اعدادها لمركز الدراسات الاستراتيجيةوالدولية فى جامعة جورج تون عن فيتنام ، « يبدو من الصورة الشاملة أن الجهـاز التنفيذى الذى يقوم بوضـع القرارات كان يعمل على أعلى المستويات بطريقة عقيمة فى توجيه الحرب » .

كما لخص روبرت هوتز Robert Hotz ، رئيس تحـرير مجـلة Aviation Week and Space Tecknology الخطأ الاساسى فى « ... أن الفشل الحقيقى لم يكن فى أسلحتنا ولكن كان فى سياستنا » (٤) ؛ أو كما قال آخرون فى الفصل بين السياسة والقوة .

هناك درس آخر من فيتنام ، درس أولى ، مضمونه أن الحاجة تقتضى المحافظة على الطاقة الاقتصادية للدولة وحشدها ، كالقوة السيكلوجية تماما . لقد حاولت الحكومة خوض حرب كبيرة مع بقاء الاعمال الاخرى فى خط سيرها العادى ، وكان من المقرر توفير المدفع والزبدة ، والمحافظة على التزامات هامة ممتدة حول العالم ، وارسال أكبر حملة عسكرية جردت منذ الحرب العالمية الثانية الى مسافة سبعة آلاف ميل بعيدا عبر البحار . خلال الثمانية عشر شهرا الاولى من الحرب استطاعت مصادر الثروة فىالولايات المتحدة الامريكية أن تحقق ذلك ، وان أدت الى مصاعب اقتصادية . لم تكن هناك رقابة على الاثمان والاجور ، ولا رقابة حقيقية على المواد ، كما كان التضخم المالى مستمرا . وواجه الرئيس معارضة من الكونجرس ، لرفع الضرائب دون تخفيض الميزانية الفيدرالية ، لانه كان قد خفض الضرائب من قبل . لقد هددت أزمة الدولار سعر الذهب ، ووجدت الولايات المتحدة الامريكية نفسها فى أزمة مالية خلال الاعوام ١٩٦٧ ، ١٩٦٨ ، ١٩٦٩ نتيجة لسوء الادارة على المستويات العليا .

وفى حرب كبيرة يجب أن يتوفر بعد النظر وجرأة سياسية قادرة على فرض وسائل رتابة مقيدة بغيضة ، وكلما تأخر وضع هذا النظام كلما صــعب فرضه . اذ ان سياسة « سير العمل كالمعتاد » و « المدفع والزبد » قد تؤدى — لاسباب سياسية واقتصادية — الى كوارث فى مجال تحقيق أهداف الحرب ، وحتى فى مجال تحقيق الاهداف القومية الحيوية (٥) .

كانت حرب كوريا وفيتنام بعدها على وجه اخص ، كما كان خطر الذرة ، كلها عوامل حجبت حقيقة ظاهرة فى العصر النووى : ان الولايات المتحدة الامريكية تستطيع ان تخوض حــرب محدودة ، أو حرب ضــد العصيان ، أو حرب تقليدية ، فقط فى ظل قدرة تدميرية نووية استراتيجية. وذلك يعنى ، بل يجب ان يعنى ، قدرة على تدمــير القوة العســكرية والاقتصادية والسياسية للاتحاد السوفيتى والصين الشيوعية بصرف النظر عما سيفعلونه أولا . وحيث تتعارض مصالح الدول العظمى ، تزداد خطورة قيام حرب تقليدية اذا ما فشلنا فى المحافظة على قدرتنا النووية . واذا ما حقق الاتحاد السوفيتى وحلفائه الشيوعيين تفوقا فى المجــال النووى . فان موسكو تستطيع أن تختار وقت ومكان وأسلوب الغزو ، وسوف نقف عاجزين عن منعه .

يبدو اننا نسينا هذا المبدأ الاساسى . لقد قطعت روسيا شوطا كبيرا فى كسر حدة تفوقنا النووى الساحق ، خلال السنين القليلة الاخــيرة . وطالما بقيت الاسلحة النووية فى ترسانات البشر ، فانه يتحتم على الولايات المتحدة الامريكية أن تسترد قدرتها على تحطيم روسيا السوفيتية بصرف النظر عما ستفعله هى أولا . يجب أن تقاس أى معاهدة لمنع انتشار الاسلحة النووية أو للرقابة عليها بمعيار واحد : هو أثرها على الامن الامريكى فى المستقبل . ويتحتم أن نبقى مستعدين لخوض الحرب الثالثة طالما بقيت الاسلحة النووية دون رقابة أكيدة ، ومضمونة ، وبذلك فقط يمكننا ردعها .

هذا لا يعنى تصعيد فى تخزين الاسلحة النووية دون حدود . أو بدء هجوم نووى . ولا يعنى أيضا اننا اذا اقحمنا مرة أخرى فى حرب فمن الضرورى أن نقوم بتدمير المدن وابادة البشر دون تبصر . لان سياسة نشر الدمار ، التى لا يمكن تبريرها ، سلاح ذو حدين ، يسبب دمارا متبادلا فى العصر النووى . والحرب لا تستحق أن نخوضها الا اذا كانت غايتها سلام أكثر استقرارا .

لنتعلم ان نخوض حروبا محدودة دون أن نقيد قوانا الى درجة تجهدنا وتؤدى الى الفشل فى تحقيق أهدافنا . يجب أن نضع قيودا على استخدام

القوة . ولكن القوة العسكرية اذا اقحمت ، فيتحتم استخدامها بسرعة وبتركيز وحسم لتحقيق الاهداف مهما كانت ، والا اصبحت عنفا لا مبرر لـــه .

لقد قدسنا لفظ « الحرب المحدودة » ونسينا انه يجب أن نتريث قبل أن نخوضها . فالاستراتيجية هى فن الاختيار بين الحلول التبـــادلية . ولكننا قيدنا الحلول المتاحة لنا بما نفعله او نقصر فى آدائه . لقد نادينا باستراتيجية وتكتيك نووى خلال أغلب الخمسينيات الى حد كبير ؛ ونادينا باستراتيجية وتكتيك تقليدى ، وبالحرب المحدودة خلال اغلب الستينيات .

يجب أن تعنى الحرب المحدودة — أولا وقبل كل شىء — تحـــديد الاهداف والغايات والمرامى السياسية المحدودة المطلوب تحقيقها . ولكننا فى واقع الامر — فى حربين محـــدودتين ، حرب كوريا وحرب فيتنـــام — استخدمنا قوة بشرية أمريكية وأرقنا دماءها بغزارة (٦) ؛ بينما قيـــدنا الاسلحة المستخدمة وبدلنا الاستراتيجية والتكتيك . لقد طبقنا تصعيد القوة البشرية وقيدنا تصعيد استغلال التفوق التكنولوجى ، والنتيجـــة فشل عسكرى وسياسى . ومشكلة الغد لا تكمن فى تحديد الحرب فقط ؛ ولكن فى تحديدها دون أن نقحم أنفسنا فى حروب استنزاف مرهقة . ودون أن نفشل فى تحقيق أهدافنا السياسية .

أثبتت فيتنام أن المطلب الاساسى الاول لخوض حرب محدودة بنجاح هو ان تبدأ من قوة وليس من ضــعف . وقد بولغ فى مبدأ « عــــدم تكرار الحرب Never Again» وفى بساطته وأصبحت له مدرسة فى مجـــال الدراسات الاستراتيجية فى الولايات المتحدة الامريكية منذ حرب كوريا . ولكن التاريخ بين أن استخدام الجيوش الضخمة أدى الى خسائر فادحة . لان اضمحلال الامبراطورية البريطانية بدأ من خسائرها الفادحة فى الييبر والسوم ، ومن ورطتها فى حرب الخنادق أثناء الحرب العالمية الاولى . كما سحق جيل من أفضل شباب بريطانيا — وكان ذخيرة المستقبل — بين الحديد والنار ، بينما وقع آلاف آخرون — وكانوا قادة المستقبل فى بريطانيا — صرعى للفزع والعجـــز الجسمانى والمعنـــوى والذهنى . ولو ان الاستراتيجية التى طبقهـــا ونستون تشرشل فى الحرب العـــالمية الثانية لتقليل الخسائر قامت على أسس سليمة .

وهكذا لاقت مدرسة « اللاعودة » تأييدا فى السياسة العســـكرية الامريكية خصوصا فى المجال الذى طبقت عليه ، فى القارة الاسيوية . وفى مجال المقارنة بين الولايات المتحدة الامريكية والصين الشيوعية وآسيا كلها نجد الاولى ضعيفة فى القوة البشرية وقوية من الناحية التكنولوجية ؛

بينما نجد كفة آسيا راجحة فى اى نزاع يكون للعامل البشرى فيه المقام الاول ؛ بالنسبة الى نظرتها الى حياة الانسان وما فيها من ملايين البشر . والانطلاق من موقع القوة يقتضى ابتكار استراتيجية تضخم المزايا الطبيعية والمهارة الموروثة فى شعبنا ؛ وتضعف نواحى القوة عند العدو .

أكدت فيتنام الاهمية العظمى « للانتقاء » فى الاستراتيجية ؛ لان التدخل فى أى مكان وفى كل مكان يؤدى الى مصائب أكيدة . وما ندافع عنه من مناطق جغرافية يجب أن يكون له أهمية حيوية ؛ على أن تتوفر شروط النجاح ، حتى لو كانت غير ظاهرة .

كانت العوامل الطبيعية والجغرافية ، والفشل السياسى ؛ كلها عوامل دعمت المبادىء الكلاسيكية التى وضعها لورنس Lawrence ومنها « يمكن اثبات أن الحرب غير النظامية أو الثورة علم صحيح ونجاح محقق اذا مورست بطريقة مناسبة وتوفرت لها شروط معينة » . كتب لورنس فى داررة المعارف البريطانية « يتحتم أن يتوفر للثورة قاعدة انطلاق لا يمكن الاغارة عليها .... وان تشن ضد عدو غريب منظم — على شكل جيش نظامى .... قليل العدد الى درجة تجعله أضعف من أن يوائم بين العدد والمساحة ... وان يكون الشعب صديق للثورة ، صديق متعاطف لا يفضح حركات الثوار ، وليس بالضرورة صديق نشط » (٧) .

كما خلص الكولونيل جوردان Amos A. Jordan Jr. من خبرة فيتنام الى أن « التكنولوجيا الحديثة جعلت الحرب الشاملة أداة غير معقولة للسياسة ، كما جعلت سياسة المشاركة الحديثة الحرب المحدودة أداة غير علمية فى السياسة ، الا اذا كانت الدولة متطرفة ، أو كانت مصالحها محددة أو كانت حرب تشن تحت شعار جماعى » (٨) .

غالبا ما يلقى التدخل الجماعى تأييدا دوليا ، خصوصا اذا ما صودق عليه من الامم المتحدة . وقد اتخذ الرئيس ايزنهاور قراره بعدم التدخل فى ديان بيان فو لامتناع بريطانيا ودول أخرى عن ذلك ، وكان ملهما فى هذا القرار . ولكن الموقف اختلف فى حرب فيتنام ، اذ لم تقاتل القوات المتحالفة تحت علم الامم المتحدة كرمز يرضى الفكر الليبرالى وقادة الراى العام العالمى ، ولو أن مجموع القوات غير الامريكية وغير الفيتنامية الجنوبية — من كوريا الجنوبية واستراليا ، ونيوزيلنده ، وتايلاند ، والفلبين — كان يزيد عن عدد القوات غير الامريكية والكورية فى حرب كوريا .

وخلاصة القول أن فيتنام ليست آخر حروب العصيان ولا محتوم نجاحها . على أن حروب العصيان ستبقى مهما كانت نتيجة حرب فيتنام ؛ اشتركت أو لم تشترك الولايات المتحدة فيها ، ولكن :

« اذا اضطرت القوات الامريكية الى الخروج من فيتنام ، سواء لاسباب سياسية او عسكرية ، فان فشلها ، مهما اخفى ، سوف يستغل من الثوار فى كل مكان ، كمدعم لنظرية حرب الجماهير الثورية ، وكبرهان على انه من المستطاع هزيمة حتى الدول العظمى بواسطة جيش من الفلاحين . وعلى ضوء ذلك سوف تتضاعف الجهود التى تبذل فى مناهضة العصيان أو دعمه فى أفريقيا وامريكا اللاتينية » (٩) .

سوف تكون هناك حروب أخرى كثيرة مثل حرب فيتنام ، مختلفة فى نتائجها ، سواء عادت الولايات المتحدة أو لم تعد الى العزلة (لان العودة سوف تكون مؤقتة) ، ذلك أمر قاطع .

لقد أكدت فيتنام — قبل كل شىء — أن التدخل العسكرى لا يمكن أن يعوض التدخل السياسى . ففى حرب العصيان المسلح تكون المباراة أساسا سياسية ، وتكون العوامل السياسية هى المسيطرة كما قال روبرت شابلن Robert Shaplen « لقد بدا واضحا اننا لم نكن جادين فى فيتنام فى مواجهة حقيقية مرة وضجيج .... ان التدخل السياسى بأسلوب رقيق حازم فى شئون الدول التى نشاركها فى التزامات مشتركة ، هو الطريق الوحيد الى تحقيق النتائج المرجوة ولمنع النكبات العسكرية والسياسية » (١٠) .

أعادت فيتنام تأكيد عدة حقائق حول خصائص وقيود استخدام وقدرة القوات الجوية والبرية والبحرية . ويبدو أنه يلزم على كل جيل جديد وعلى كل واضعى السياسة أن يتعلموا هذه الحقائق من جديد .

لقد اسىء فهم قدرة القوة الجوية وحدود عملها — وخصوصا بالنسبة لحرب فيتنام — من الرأى العام بوجه خاص ، ومن الحكومة الى درجة ما ، وحتى من قادة القوة الجوية أنفسهم . وقد كنا — من جهة — ضحية دعايتنا . فالقوة الجوية اداة حرب مثيرة ، ولكن قادة هذه القوة الحديثة التكوين ، المكلفين بالقتال لتحقيق أهداف مشتركة مع القوات المسلحة الاخرى لم يحسن اعطاء فكرة حقيقية عنهم . فأغلبهم جاءوا من وحدات القاذفات الثقيلة وانتخبوا لوظائف عليا لاسباب سياسية أو عسكرية . وكان ميجر جنرال كليرشنولت Claire Chennault قد وجه نفس النقد الذى وجهه ضابط حديث فى مدرسة القوة الجوية التكتيكية قبل الحرب العالمية الثانية ، ان القوة التكتيكية الجوية وطائرات القتال مقيدة بنظريات قاذفات القنابل الثقيلة أكثر من اللازم ، ذلك درس تعلمناه فى الحرب العالمية الثانية وأهملناه قبل فيتنام .

للقوة الجوية تأثير معنوى على الملايين . وهى تجتذب الرأى العام الذى يتوق الى الانتصارات السهلة السريعة التى وعد بها مع الحد من

اراقة الدماء على جانبنا . ولكن النصر فى الجو يقتضى تقدما تكنولوجيا الى أقصى حد ، وتدريب شاق ، ووعى ودقة فى انتخاب الاهداف . وما زال مبدءا الحرب ، حشد القوة ، والهجوم ، ساريين على العمليات الجوية كالعمليات البرية والبحرية ، كذلك لا يزال قدر المعدات المستخدمة له أثر حاسم ، تلك دروس تعلمناها فى الحرب العالميـــة الثانية وأهملناها قبل حرب فيتنام .

أوضح الدكتور جون س فوستر Dr. John S. Foster مدير ادارة البحوث والهندسة العسكرية ، فى شهادته أمام لجنة من مجلس الشيوخ الامريكى فى ١٠ يوليو ١٩٦٨ « ان القدرة التكتيكية التقليدية لا تكفى لحرب طويلة محدودة غير نووية » . وقال كذلك « انه كان هناك اعتماد كبير على الاسلحة النووية فى المـــدة ١٩٥٣ — ١٩٦١ » ، ولكنه لم يذكر ان جنرالات القاذفات هم الذين تحكموا فى مستقبل القوات الجوية منذ بدء الحرب العالمية الثانية .

واستطرادا من ذلك ، لم يذكر النقائص الاســـاسية فى سياسات كنيدى ، جونسون ، مكنمارا الجوية . اذ بينما حـــول كنيدى ومكنمارا اهتمام القوات الجوية من اعتماد كبير على القنابل النووية الى القصف التقليدى ، لم يتمكن من تحقيق ما وعد به عندما ووجه بمطالب الانفاق الضخمة اللازمة لاعداد قوة جوية تقليدية . ذلك الانفاق المنتظر هو الذى دفع ايزنهاور للاعتماد فى الاساس والمبـــدأ على الردع النووى . ففى العمليات النووية قد تخرج من المطار طلعة جوية أو طلعتين . أما العمليات التقليدية فتحتاج عمليات متعاقبة — كما بينت حرب فيتنـــام — وآلاف الطائرات والطيارين وقدرا كبيرا من قطع الغيار وخطوط انتاج الطائرات ، حتى يمكن استمرار المجهود رغم الخسائر التى تقع . على أن تخفيض عدد الطائرات والطيارين وقطع الغيار تطبيقا لسياسة مكنمارا التقشفية لا تفى بحاجة حرب جوية حتى لو كانت محدودة جدا وتحت رقابة شديدة مثل حرب فيتنام . وكما ذكر د . فوستر .

« .... لم نكن مهرة عندما حاولنا تطبيق أساليبنا الحديثة خصوصا على القوة الجوية فى ظروف حرب عصيان محدودة » . وأضاف قائلا :

لقد ابتلينا بالاخفاق فى العثور على عدو مراوغ متخلف لضربه بشـــدة وحسم . ولم يكن لدينا قوة هجوم ليلى قادرة على العمل فى جميع الظروف والاجواء . ثم قال :

وكنا عاجزين عن تحديد محلات صواريخ سام أرض جو ومحطات رادار توجيه وادارة المدفعية المضادة للطائرات ، وهذا ما واجهناه فى كوريا (عدا مشكلة سام) أيضا من قبل .

لقد مجدت فكرة « ان القوات الجوية هى التى كسبت الحرب العالمية

الثانيــة » طويلا فى كوريا حتى أعلن عن « عمليــة الخنق "Operation Strangle » ــ التى فشلت فى خنق العدو ــ كمناورة لكسب الحرب.

وفى فيتنام ، عانت القوات الجوية من جحد الرأى العام ، ولاموها ظلما لخطأ لم يكن من صنعها ، ولم يعترف بما أنجزته .

عندما بدأ قصف فيتنام الشمالية ، كان جزء ــ على الاقل ــ من النظام الحاكم على اقتناع بان قدر محدود من القصف الجوى على أهداف منتقاه فى الشمال قد تقنع القادة الشيوعيين بأحد أمرين ، أما التفاوض أو التوقف وتقليل المساعدة للفيتكونج فى جنوب فيتنام . وساد الاعتقاد بعد ذلك بأن القصف الجوى سوف يضعف الروح المعنوية لشعب فيتنام الشمالية ، ويدمر ارادتهم على المقاومة .

كان كلا التقديرين سلبيا ولا يستند الى الخبرة . فحتى حملات القصف الجوى المستمرة الشاملة التى بلغت ذروتها بالغارات بالقنابل المحرقة فوق طوكيو والتدمير النووى لهيروشــيما ونجازاكى ، لم تحطم ارادة العدو . على أن ارادة الجماهير ــ فى الواقع ــ يندر أن يكون لها تأثيرا على حكومة فاشية أو دكتاتورية ، الا بعد فترة طويلة ، وهذا يقتضى أن يوجه مجهــود الاقناع بالقوة الى الحكومة مباشرة ، ولو ان الحــكومة الشيوعية تكون فاشية متطرفة لا يمكن اقناعها (عندما كان طلب التسليم بدون قيد أو شرط فى حالة هتلر هو هدف الحلفاء ، لم يكن لديه اى شىء ليخسره بينما كان استمرار المقاومة قد يعطى أملا فى كسب أى شىء) وفى حالة الحرب المحدودة ، يجب أن يكون الجزاء بالضرب الجوى كبيرا الى درجة ترغم العدو على اختيار الحل الاخر البديل .

ولكن القوة الجوية فى فيتنام كانت ، مقيدة ، ومعوقة الى درجــة اضعفت تأثيرها السياسى والسيكلوجى والمعنوى ، وان كان ذلك التأثير لا يمكن أن يكون قاطعا أو حاسما الا باستخدام الاسلحة النووية . وقد أدى قصف فيتنام الشمالية الى رفع الروح المعنوية فى فيتنام الجنوبية ، وثبت مركز حكومتها أكثر مما ادى الى تثبيط المعنويات فى فيتنام الشمالية أو التأثير على حكومة هوشى منه .

ادت سياسة التصعيد الذى طبقها النظام الحاكم فى الحرب الجوية الى كارثة . ففى عام ١٩٦٥ ، أوصت هيئة الاركان حرب المشتركة بتدمير ما يقرب من ٩٤ هدف حيوى فى فيتنام الشمالية فى مدة أسبوعين أو ثلاثة بضربة خاطفة كاسحة . وكان دفاع فيتنام الشمالية الجدى لا يزال ضعيفا فى ذلك الوقت . كان المقدر أن يؤدى هذا التدمير المركز الى اهتزاز صلابة الفيتناميين الشماليين ، والى تعويق مساعدتهم للفيتكونج الى حد كبير .

ولكن مبادىء الحرب اغفلت ، مبادىء الحشـــد والعمل الهجومى والمفاجاة اغفلت تماما . استخدمت قوات الولايات المتحدة الجوية والبحرية بدون تركيز على مدى ثلاث سنوات بدل ثلاثة اسابيع ، فدعمت فيتنام الشمالية دفاعها المضاد للطائرات الى حد كبير بمعاونة روسيا والصين ، وانتشر الدفاع وتطور الى دفاع أفضل ، فزادت خسائرنا فى الطائرات بشكل خطير . وما أمكن انجازه من الهجمات قل تأثيرها بسبب الاخفاء والانتشـــار وترتيبات الوقايةالتى دبرها العـــدو لحماية قواته ووقوده وامداداته ومولدات القوى وغيرها . وعندما أوقف القصف فى عام ١٩٦٨ ، لم يكن قد تم قصف الاهداف المحددة (٩٤ هدف) .

الحملة الجوية ، مثل الحصار البحرى ، فى جوهرها حرب استنزاف يدمر فيها العدو بالتدرج بواسطة ضرب جوى مركز سريع بمعدل يفوق قدرته الاقتصادية والادارية على اصلاح الخسائر أو استعواضها . وقد اثبتت الحرب العالمية الثانية وحرب كوريا أن ذلك يحتاج لمجهود كبير وقدر ضخم من القنابل التقليدية ، لاستنزاف قوات وطاقات عدو قوى الارادة ، بمعدل يفوق قدرته على استعواضها ، ســـواء كانت صناعاته متقدمة أو اقتصاده بدائيا .

عوقت معركة عزل ميدان المعركة — التى شنت ضد فيتنام الشمالية — بقيود ساذجة من وجهة نظر العسكريين ، تتسم بالغباء السياسى . كان المصدر الرئيسى لامداد العدو — منذ عام ١٩٦٥ وبعدها — يأتى من خارج فيتنام ، فروسيا والصين تنتجا الاســـلحة وتمداها بالوقود والغذاء والمنتجات المصنعة التى بدونها لا يمكن أن تستمر الحرب . وكانت هـــذه الامدادات تصل الى البلاد عن طريق هيب هونج ، بالاضافة الى مرفأين صغيرين من موانى فيتنام الشمالية ، بواسطة السكك الحديدية ، وعن طريق الصين . وتزايدت فى المراحل الاخيرة ، الامدادات عبر كوريا عن طريق البحر والبر والنهر . وكانت أعناق الزجاجة هى موانىء فيتنـــام الشمالية وكمبوديا بما فيها الارصفة ومعدات التفريغ . وفى صيف عام ١٩٦٧ ، سمح جونسون باجراء القصف القريب من هيب هونج وهانوى وأمكن — فى مدة ثلاثة شهور — منع تدفق فيض الامدادات الى الجنوب بعد انجاز ما لم يمكن انجازه خلال ثلاثة سنين . ولكن هذا المجهود لم يستمر ، اذ أن سوء الجو ، والقيود السياسية التى حرمت الطيران فوق خط العرض ١٩ جعلت قلب فيتنام منطقة محرم فيها القصف ، ولم يلبث أن امتد ذلك الى فيتنام الشمالية كلها ، عندما أوقفت عمليات القصف الجوى ، وخلال الشهور القليلة التالية — مارس ١٩٦٨ وما بعده — أعيد بناء ما دمرناه بدماء وعرق الامريكيين ، وعادت فيتنام الشمالية قوية عسكريا كما كانت فى أى وقت مضى .

قال أحد الضباط القادة « لقد اقترفنا خطأ كلاسيكيا فى فيتنام فقد أقحمنا مشاتنا الى ميدان المعركة قبل عزله » .

قللت معركة العزل تدفق الامداد بالرجال والتموين الى الجنوب رغم كل القيود الشديدة التى فرضت ، بقدر لا يمكن تحديده . ولم يحدث فى التاريخ من قبل أن تمكنت « عمليات عزل من منع تدفق مثل هذه الامدادات منعا تاما ، حتى اذا ما جاءت كل العوامل الطارئة فى جانب القوات الجوية (كما حدث فى ايطاليا فى الحرب العالمية الثانية وفى حرب كوريا) . ولم تستطع أى معركة جوية للعزل أن تؤثر بحسم على القدرات القتالية للعدو الا اذا صاحبها قتال أرضى عنيف ، فالطيران هو المطرقة والارض هى السندان الذى تحطم عليه قوات العدو . ولا يكون للحصار الجوى قيمة الا اذا أرغمت قواتنا الارضية العدو على استخدام واستهلاك امداداته بمعدل يفوق قدرته على استعواضها عبر كبارى محطمة وسكك حديدية وطرق مخربة .

وحتى بدون القيود السياسية التى وضعت على قواتنا الجوية لم يكن فى استطاعتها منع تسلل العدو الى فيتنام الجنوبية . فالطائرات لا تستطيع منع تسلل الافراد عبر الغابات . كانت الفيتكونج عدوا بدائيا تمكن من تشوين الامدادات والاسلحة والمعدات فى فيتنام الجنوبية ، وأمكنه توفير طعامه محليا أو من كمبوديا عن طريق الشراء أو الزراعة ، كما تمكن من صناعة بعض الاسلحة داخل الغابات ، وبذا تمكن من سد احتياجاته القليلة . والاهم من ذلك كله انه استطاع اختيار أو رفض القتال طبقا لرغبته ، وساعدته الغابات وكمبوديا ولاوس المجاورة على تحقيق ذلك . خصوصا أن الاشتباكات كانت متقطعة ، وكان معدل استهلاك الذخيرة والاسلحة يسمح بامكان الاستعواض . وفى ظل هذه الحقائق ، وقيود البيئة ، وأوامر الحظر ، والقيود السياسية المفروضة ، حققت القوة الجوية عدة أعمال . اذ أنقذت كثيرا من أرواح الحلفاء على حساب أرواح الطيارين ، وسهلت قتال القوات الامريكية وقوات فيتنام الجنوبية الارضية ، وبدون معركة العزل كان القتال فى فيتنام الجنوبية سيكلف أرواح اكثر ، رغم ما فرض عليها من قيود .

عندما عملت القوات الجوية فى ظروف مناسبة ـ كما حدث فى خيسانة ـ أظهرت قدرتها . ففى هذه المعركة كان الجو هو المطرقة والحامية البحرية هى السندان ، وأمكن سحق العدو بينهما سحقا كاملا : اذ قامت القاذفات ب ٥٢ والقاذفات المقاتلة التكتيكية ، بالتعاون مع قصف المدفعية الثقيلة ، بتدمير العدو وخطوط امداده ، بمعدل يفوق قدرته على الاستعواض ، واستحال عليه الصمود فى مواجهة هجوم متعدد الجبهات فى خيسانه .

وفى مناطق أخرى من فيتنام الجنوبية استطاعت القوات الجـوية بمرونتها وتعدد قدراتها تحقيق السـيطرة الجوية فحولت الهزائم الى نصر فى أحوال كثيرة . ووفرت الطائرات العمودية خفة الحركة وجعلت التطويق الرأسى خلف العدو عملا مستطاعا . كما واصلت طائرات النقل وطائرات المواصـلات العمل فى خطوط الامداد بعيـدا عن متناول يد الفيتكونج . كما أتاحت القاذفات المقاتلة التكتيكية والطائرات العمودية المسلحة وطائرات الكوماندو مساعدة جوية للقوات البرية ، مسـتمرة على مدى الاربعة وعشرين ساعة . وكانت ممتازة فى كفاءتها مؤثرة فى نتائجها . كما أكدت طائرات الاستطلاع ذات الاشـعة تحت الحمراء والرادار ، وآلات التصوير ، وأدوات الاستكشاف People Sniffers وتحديد الاتجاه الحديثة ، كل ذلك أكد قدرة القوات الجوية على الاستطلاع الى حد كبير لم يسبق له مثيل . أوضحت فيتنام أن السيطرة الجوية حتمية ولازمة للقوة العسـكرية الامريكية ، بل لاى دولة متنورة . وقد يحلم الانسان بدونها بمنع الهزيمة ، ولكن بدونها لا يتوقع نصرا . وبها يمكن عمل أى شىء ، وهى عامل على تخفيف خسـائرك من العرق والدماء والدموع ، الى حد كبير .

يجب الحذر فى أخذ الدروس من فيتنام ، لان هناك خطورة فى تعميم كثير من هذه الدروس . فقـد واجهنا – فى الجنوب – عـدوا لا يملك طائرات ، ولا يملك الا قليلا من عناصر الدفاع الجوى . وفى الشمال ، كان دفاع العدو الجوى أحدث ما واجهته الولايات المتحدة الامريكية حتى ذلك الوقت ، وان كان ينقصه الطائرات ، ولا يعـدو أن يكون دفاعا لينا (كقطعة الحلوى اللينة) بالمقارنة بالدفاع الجوى عن موسـكو . ولم تستخدم فيه الاسلحة النووية . وقد اتضح أن التأثير الخاطف للقوة الجوية وأثرها المعنوى الكبير تكون نتائجه محدودة فى ظروف حرب الغابات ، أو اذا استخدمت ضد اقتصاد بسيط ، مما جعلها غير حاسمة ، بعكس أثرها اذا استخدمت فى المناطق الصناعية المزدحمة فى أوروبا الغربية .

والخلاصة ان خواص القوات الجوية ، وحدود عملها يمكن تلخيصها فيما يلى :

هى جزء أساسى فى التيم العسكرى ، ولكنها – تقريبا – فى جميع الظروف لا يمكنها منفردة أن تحقق نصرا . أى أنها تحتاج الجهود المعاونة للقوات البرية والبحرية لتحقيق استراتيجية لكسب الحرب . واذا كان المرء يستطيع أن يتكلم عن النصر فى حرب نووية شاملة ، فالقوات الجوية – التى تتكون من صواريخ وطائرات تعمل بالطيارين تقـوم بواجبات الاستطلاع والشئون الادارية والنقل الجوى – يمكنها تدمير ارادة العدو

وقدرته على المقاومة . وفى حالة حرب نووية محدودة ، يمكن أن تكون قوة جوية بمفردها — فى ظروف خاصة ، كما هو الحال عند الدفاع عن قاعدة جزيرية بالمقاتلات والصواريخ ذات الرؤوس النووية — سلاحا حاسما . ولكن فى جميع الحروب التقليدية ، وفى أغلب الحروب المحدودة منها ، لا تعدو القوات الجوية من أن تكون شريكا ضروريا فقط ، ولكن لا عوض عنه .

تستطيع القوات الجوية أن تدمر وتخرب وتوقع الجزاء . ولكن لا تستطيع أن تحتل منطقة أرضية أو بحرية ، ولا تستطيع السيطرة عليها أو ادارتها ، وهى تستطيع أن تزعج وتعطل وتعوق المواصلات البرية والبحرية ، ولكنها لا تستطيع قطعها بمفردها . ويمكنها أن تضعف قدرة العدو بشدة فى بعض الظروف ، ولكنها لا تستطيع تحطيم ارادته أو تحقيق نصر نهائى .

والقوات الجوية تطير عبر المحيطات، وتستطيع حمل الاسلحة الثقيلة وحشود القوات الى أى مكان على سطح الارض بسرعة كبيرة ، ولكنها تعتمد على وسائل النقل البرى لنقل الوقود اللازم للطائرات الجبارة ، وقطع الغيار ، ومعدات تمهيد مدارج الطائرات وجميع الحمولات الاخرى الثقيلة . وقد تستطيع نقل الانسان ولكنها لا تستطيع نقل كل ما يحتاجه الجندى فى الحرب .

تتوقف سرعة استجابة القوة الجوية التى تعمل من قواعد أرضية — أساسا وقبل كل شىء — على مدى توفر مطارات كافية ومؤمنة بالقرب من منطقة العمليات .

وقد اثبتت قوة الصواريخ ، التى تسميها القوات الجوية « قوة الفضاء الجوى Aerospace Power » ، خصائصها المميزة وقدرتها الخاصة فى حرب محدودة . ويمكن لصواريخ القصف من السطح الى السطح ، على مدى يتراوح بين آلاف الاميال ، أن تحل محل قاذفات القنابل ذات الطيارين فى حرب نووية ، الى حد كبير . على أنه لم يتوفر لحرب فيتنام صواريخ قصف ذات رؤوس تقليدية تعادل فى نفقاتها القاذفات المقاتلة ذات الطيارين ، لاستخدامها فى تدمير الاهداف . ولو أن الصواريخ التكتيكية الصغيرة ، ذات الخطأ المحتمل الطفيف الارخص ثمنا من صواريخ بيرشنج Perching وبولاريس Polaris الى حد كبير سوف تشارك — على وجه التحقيق — الطائرات ذات الطيارين ، لصب المتفجرات على أهدافها التكتيكية والاستراتيجية . وفى ظروف حروب العصيان ، تكون الصواريخ المضادة للطائرات أقل تأثير من المدفعية المضادة للطائرات ، وان كان كلاهما دعما الدفاع الجوى باستخدامهما مع الرادار الحديث .

اما الصواريخ من السطح الى السطح فقد زادت كفائتها ودقتها بعد بداية مخيبة للآمال . كما اثبتت الصواريخ من الجو الى الجو اهميتها للمقاتلات الحديثة وان كانت لا تعوض مدافع الطائرات .

ادى بزوغ حرب الصواريخ الى تعقيد الحرب الى حد كبير ؛ لان الحرب الالكترونية المضادة — التداخل والتشويش والتضليل المضاد للرادار واجهزة الادارة المعادية — اصبحت جزءا اساسيا فى الحرب . والصواريخ ، ليست حاسمة ولا قاطعة ، ولكنها اصبحت ضرورية . ولكن هناك درس تكرر وصحبنا الى الوطن عبر الحروب ، فالانسان بمدفع رشاش فى الغابة له اهميته الان كما كانت فى الحروب الفرنسية والهندية ، والاسلحة الحديثة والتكتيك الحديث كلاهما مكمل للقديم ولكن لا يحل محله . ليس هناك سلاح نهائى ، وليست هناك حلولا تكتيكية او تكنولوجية بسيطة للحرب .

والقوة البحرية لها ميزة خفة الحركة كالقوة الجوية . وان كانت سرعة السفينة أبطأ من سرعة الطائرة الا أن طاقة حمولتها كبيرة واقتصادية وقليلة التكاليف . لذا تنقل حوالى ٩٨٪ من المطالب اللازمة لحرب فيتنام بحرا ، كما كان البحر وسيلة لنقل أغلب القوات .

كانت السيطرة الامريكية على البحار مطلبا اساسيا لامتداد النفوذ الامريكى الى جنوب شرق آسيا ، وبدونها لم يكن فى مقدورها خوض هذه الحرب ، وقد وفرت حاملات الطائرات مطارات متحركة اتاحت شن الهجمات الجوية خلال فترة طويلة قبل توفر المطارات البرية . وفى ظروف حرب فيتنام كانت منيعة ضد الهجمات الارضية ، التى حطمت آلاف الطائرات الامريكية من جميع الانواع على الارض ، بواسطة مدافع المورتار والصواريخ واعمال الطابور الخامس ، ولو أن حوادث العمليات ونيران الحاملات تسببت فى تدمير كثير من الطائرات البحرية .

برزت نقط ضعف بحرية عند بدء العمليات فى فيتنام . قلة قوارب الداوريات التى تعمل فى المياه الضحلة والانهار والمناطق الساحلية والنقص فى نيران مدفعية الاسطول (وقد عانينا من كلاهما بشدة فى الحرب العالمية الثانية) . وقد امكن علاجهما بالتدريج ، ولكن فى نهاية ١٩٦٨ ، عندما توفرت المدافع ١٦ بوصة على البارجة نيوجرسى ، التى اعطت قدرا قليلا من نيران مدفعية الاسطول المعاونة . على ان العمليات التى قامت بها الداوريات البحرية للمسح والتفتيش ساعدت على قلة تدفق افراد العدو وامداداته الى فيتنام الجنوبية ، وساعدت مدفعية الاسطول المعاونة عدة عمليات على الشاطىء . كما اتاحت عمليات الابرار البحرى —

وخاصة فى منطقة الفليق الاول الشمالية ، حيث تعاونت مشاه البحرية تعاونا قريبا مع الاسطول السابع — عمليات التطويق التكتيكى التى أدت الى أحداث خسائر كبيرة فى العدو .

ربما كانت المعاونة الادارية ، والامن الذى توفر نتيجة للسيطرة البحرية أهم من كل ذلك . لان الشواطىء كانت قواعد آمنة ظهرها البحر ، والسفن كانت هى المخازن ، أما الولايات المتحدة الامريكية على بعد سبعة آلاف ميل فكانت القاعدة الاساسية الخلفية .

وكما هو الحال بالنسبة للقوة الجوية ، علينا أن نأخذ دروس العمليات البحرية فى فيتنام بحذر . فقد قيدت القوات البحرية بقيود سياسية ، ولم تستغل وسيلة من أهم وسائل العمليات البحرية ؛ وهى الحصار البحرى كما لم يستغل بث الالغام على شواطىء العدو . ورغم ان الحصار كالقصف الجوى كلاهما تطبيق لاستراتيجية الاستنزاف ، ورغم أن فيتنام تحولت كأى حرب عصابات الى حرب استنزاف ، الا أن الولايات المتحدة الامريكية أقسمت الا تستغل أقوى ورقة فى يدها ، وعلاوة على ذلك فان قيادتنا البحرية لم تواجه أى تحدى — عدا فى الانهار ، حيث بارزت قوارب داورياتها البحرية عدوانا من البر . كانت بحرية فيتنام الشمالية أضعف قوة ، ولم يشأ أى من الروس أو الصين منازلة الولايات المتحدة الامريكية بأسطول غواصاتهم الهائل . ولم تواجه سفننا هجوما من طائرات العدو ، وواجهت التهديد الاكبر من مدافع الدفاع الساحلى التى كانت تواجه الاسطول السابع .

أكدت القوات البحرية انها ضرورة حتمية لاى دولة عظمى . اذ لايمكن وقاية خطوط امدادنا البحرى التى تمتد الى الاصدقاء والحلفاء ، ولا نستطيع حماية شرايين الحياة التى تتدفق عبرها دماء الحياة للصناعات الاستراتيجية ، ولا يمكن أن نفرض وجودنا العسكرى فى أى منطقة فى أعالى البحار ، دون توفر القوات البحرية وهى الدرع الواقى — السفن عابرة المحيطات من مختلف الانواع ، ودوريات الاستطلاع الساحلى ، وقوارب الانهار ، والطائرات البحرية والغواصات . ويمكن للقوات البحرية ، باستخدام ما تحمله من طائرات وصواريخ ، ان تفرض وجودها عميقا (الى مسافات بعيدة) على البر ، كذا يمكنها نقل القوات البرمائية بالطائرات وقوارب الانزال . ويمكنها بمدفعية الاسطول وصواريخه وطائراته وسفنه أن تدمر وتخرب وتحاصر حصارا جزئيا ، ولكنها لا تستطيع أن تفرض سيطرة كاملة على البحر أو البر الا فى أحوال نادرة ، ولمدة قصيرة . والسيطرة على البحار حالة سريعة الزوال ، لا تبقى الا باستمرار الدفاع عنها مرة تلو الاخرى — فى مواجهة الغواصات ،

والطائرات ، وما يتسلل عبر الحصار من زوارق وقوارب سريعة ، وفى مواجهة العمليات الليلية — على قدر ما يستطيع أن يديه العدو من نشاط.

والقوة البحرية ، كالقوة الجوية ، جزء من التيم العسكرى ، لا يمكنها منفردة أن تقوم بتحقيق النصر فى حرب تقليدية كبرى . وقد تصبح العامل الحاسم اذا كان العدو يعتمد على خطوط امداد بحرية ، ولكن عصيان القبائل الجبلية لا يتأثر بالاسطول السابع الامريكى وهو يمخر عباب البحار ذهابا وايابا .

اثبتت فيتنام ، كما لم يحدث من قبل ، اهمية جندى المشاه لتسيد الموقف وتحقيق السيطرة ، وفرض الحصار ، والقضاء على المقاومة فى منطقة محددة . فهو يستطيع ان يخوض عبر المخاضات ، ويثبت الاحتلال . ومهما كانت قوة النيران وقدرة التدمير وخفة الحركة التى تميز افرع القوات المسلحة الاخرى ، فانها لا تستطيع أن تقوم بعمل الحارس فى نقطته ، ليلا ونهارا وفى جميع الاحوال الجوية .

ومن ناحية أخرى ، اهتزت قدرة الجندى على السيطرة على الارض — وهو الواجب التقليدى للمشاه — كما لم يحدث من قبل . فتكتيك حرب العصابات الذى يتضمن الضرب ثم الفرار ، وعمليات الارهاب النى يمارسها عدو مختفى بين المدنيين ، وما مارسته الشيوعية من نشاط سياسى وسيكلوجى واجتماعى واقتصادى وعسكرى ، كلها عوامل اهتز فى مواجهتها العمل التقليدى للقوات البرية كما لم يحدث من قبل فى التاريخ . وفى ظروف عمليات العصيان المسلح يصبح أمن الشعب غاية عظمى وأساسا للعمل المضاد للعصيان نفسه . وكانت فيتنام اختبارا — ويراه البعض اختبارا مقصودا — لاسلوب الغزو الشيوعى للعالم « حروب التحرير الوطنى » كما سماها خرشوف ، والثورة العالمية للفلاحين ، كما سماها ماوتسى تونج .

التقطت الولايات المتحدة القفاز ، ولكنها لم تجد اجابة شافية على تحديات الغد ؛ تحديات الحرب الغير تقليدية ، سوى الدماء والعرق والدموع .

واخيرا ، كان هناك درس أساسى من حرب فيتنام ، ورغم انه أساسى فى كل حرب الا أن قادتنا لم يتعلموه أبدا . ففى أثناء هذه الحرب ، ولاول مرة فى تاريخ الولايات المتحدة الامريكية ، طبقت الحكومة الامريكية سياسة « ما يكفى بالكاد بحيث لا يزيد » ، وآراء مكنمارا بالا يتبقى بعد الحرب فائض كبير كما حدث أثر الحروب الاخرى التى اشتركت فيها

الولايات المتحدة . وقد ادى ذلك الى بطىء الانتاج وتأخر صدور أوامر التشغيل ، والالتزام بالدقة الزائدة فى حساب الانفاق ، والشح فى الاموال، مما أدى الى نقص فى المؤن والمعدات (الذخيرة والمولدات وقطع الغيار ... الخ) . كما أدى الى تضاؤل فى عدد الطائرات وقدر المخزونات تبعه هبوط فى الكفاءة القتالية لقوات الولايات المتحدة الامريكية فى جميع أنحاء العـــالم .

اكدت حادثة بويبلو Pueblo المشينة فى أوائل عام ١٩٦٨ عدم استعداد القوات العسكرية الامريكية فى الاماكن الاخرى من العالم غير فيتنام ، وقد اكدت ذلك بوضوح . وعندما تكون البلاد مشتركة فى حرب من أى نوع وفى أى مكان ، يجب أن تكون أكثر استعدادا — فى المستقبل — لخوض حرب أخرى فى اى مكان آخر . اذ أنه بالرغم من التقدير الحـــذر والحســاب الدقيق تحدث صراعات على غير ما نرغب ، كما بينت ازمة الشرق الاوسط .

ان حرب التقطير فى فيتنام — وهى عمل غير مقنع بالنسبة لاغنى دولة فى العالم — كانت نتيجة طبيعية لفشل الرئيس السياسى فى هضم اقتصاد الحرب وفرض الرقابة والتعبئة الاقتصادية . ولم يكتفى مكنمارا بمباركة هذه السياسة وتشجيعها ، بل كان سلوكه فى البنتاجون — متمثــلا فى دراسات وتحليلات لا نهاية لها ورقابة صارمة — سببا فى امتداد الوقت اللازم لانتــاج أسلحة جديدة ، وتعويق التقــدم التكنولوجى . لقد تأثر واضعوا القرارات فى واشنجطن فى الاعوام ١٩٦١ — ٦٨ ، بالقناعة التى منى بها بعض العلماء المخطئين ، كما تأثر البعض الاخر ، وبينهم مكنمارا ، باقتناع آخرين بأن قبول مدروس للتكافؤ النووى مع روسيا فى الاسلحة الاستراتيجية سوف يؤدى الى تحقيق السلام فى العالم . ولكن فى هـــذه السنوات الحاســـمة لم تبد اية ظاهرة تثبت تراخى الروس فى انتـــاج الاسلحة ، أى أن سلبية الامريكيين ولدت نشاطا عند السوفييت . ومن الواضح أن الثورة التكنولوجية لا تزال بعيدة جدا عن نهايتها ، واختراع واحد ، الليزر مثــلا laser — وهى حزمة مركزة من الاشعة الضوئية — قد يؤدى الى قلب ميزان القوى الحالى كلية .

يبدو واضحا أن تقييد الابحاث والتقيد فى الصرف على المخترعات قد يؤدى الى اخطار شديدة فى المستقبل ، واذا ما قدر للولايات المتحدة ان تتخلف فى انتاج الاسلحة الان ، فسوف تصبح دولة من الدرجة الثانية سياسيا وعسكريا .

لخص ماركس واطسن Mark S. Watson كل ذلك بصدق واثارة فى كتاب الفه عن التاريخ الرسمى لجيش الولايات المتحدة الامريكية فى الحرب العالمية الثانية اذ قال :

... تتعارض حقائق الحرب مع حقائق السلام دائما . فالرجل الصناعى ، ذو الوعى الاقتصادى يوفر للعمل ما يكفى لاداءه ، ولا يستخدم قدر أكبر من الوسائل لاداء هذا العمل ، تطبيقا لمبدأ الاقتصاد فى القوة ، الرشيد . ولكن القائد العسكرى ، على العكس ، يستغل وسائل أكثر ، لان القوة العسكرية اذا كانت تكفى بالكاد للاستيلاء على موقع فانها تتعرض لخسائر جسيمة ، ولكن اذا تفوقت على قوة العدو ، فان العمل يتم بأقل خسائر فى المعدات والرجال ، وفى اقصر وقت ، ويكون من المستطاع استخدامها فى مواصلة التقدم لتحقيق النصر تلو النصر ، دافعة امامها العدو المذهول الى الفوضى والارتبـــاك .

قد يبدو ذلك بديهيا ولا يحتاج الى براعة لادراكه ، ولكنه قلما يكون مقبولا عندما يفسر طلب رجال ومعدات اكثر بمعدل أسرع — مما يبدو أكثر من اللازم فى ظاهره — انه دعوة أكيدة للاسراف . وعلى رجال التخطيط العسكرى أن يقنعوا المدنيين فى وقت السلم بقبول مبـدأ الاسراف فى هذا المجال كنموذج نصبوا الى تحقيقه ... والشعب الذى يخوض الحرب وهو يملك فائضا من المعدات هو الذى يحقق النصر غالبا . اننا نتعلم دروس الحرب بالآلام ، ولكننا ننسـاها بانتهاء الحرب ، لنتعلمها ثانيا فيما بعد بآلام أخرى (١١) .

وهنا نخلص الى أن أى استراتيجية فعالة يجب أن تبنى على الخبرة ، وعلى دروس الماضى ، ولكنها يجب ان تتشكل وتوضع فى قالب مناسب لعالم الغد .

٣
عالــــمُ الغـــد

عالم الغــد سوف يكون كأى عصر من عصور الانسان ، عصر صراع وشك ، عالم أحلام تتحقق وآمال تتصارع . على أن عقد السبعينيات سوف يكون عقد تحول عظيم بالنسبة للولايات المتحـــدة الامريكية ذات التاريخ القصير اللامع . سوف يحدد سلوك البلاد وانفعالها بالعالم الذى يحيطنا وبالتحديات فى الداخل والخارج طريقنا ، وما اذا كنا سنبقى دولة عظمى أو ننحدر فى مسار التاريخ الذى سلكته كل الدول العظمى التى سبقتنا فى المـــاضى .

تواجـــه الولايات المتحدة الامريكية مشـــكلات سياسية واقتصادية واجتماعية وتكنولوجية وعسكرية معقدة لم يسبق لها مثيل ، بعد مرور اقل من مائتى سنة منذ بروز شخصيتنا القومية ، ومرور نصف قرن منذ ظهورنا كدولة عظمى . فقد عانت من الفوضى والانشقاق فى الداخل ، ومن برابرة العصر الحديث فى الخارج . والسبعينيات سوف تحدد ما اذا كانت توقعـــات توماس ماكولاى Thomas B. Macaulay فى عـــام

١٨٥٧ ، والفيلسوف جورج سانتايانا George Santayara في ١٩٢١ سوف تتحقق أو تفنـــد .

قال ماكولاي « اما أن يقوم قيصر أو نابليون بمنع انهيار الحكومة بقوة ؛ أو يعـــم الذعر وتســـتنزف برابرة القرن العشرين الجماهير ، كما حدث لامبراطورية الرومان في القرن الخامس ؛ على أن المغول والوانداليين سوف يأتوا من بلادكم وبواسطة مؤسساتكم نفسها » (١) .

وقال سانتايانا « غالبا ما تقرن الديموقراطية بالحرية وكأنهما يعنيان عن معنى واحد .... فالقلة المحرومة ، تقود الكثرة المحرومة ... لتقضي على المصالح الخاصة — وهي أساس كل تعاون — ولترغم كل فرد على الانضمام وأداء الخدمات ضمن قطيع ، دون أن يملك ثروة أو يكون له عائلة أو وطن أو دين » (٢) .

من الســـهل تجاهل هذه الاراء العابسة ، وكذا توقعـــات أوسولد ســـبنجلر Oswald Spengler المثبطة في كتابه اضـــمحلال الغـــرب The Decline of the West باعتبارها تمثل الرأي في حقبة اخرى من الزمان . ولكن ارتباطها جميعا بمشكلات الغد لا يمكن انكارها .

والمصطلحات المعاصرة التي تستغل لوصف مشكلات اليوم مثـــل « الفجوة بين الاجيال The Generation Gap » ؛ و « ثورة التوقعات المتزايدة Revolution of rising Expectations » و « أزمـــة القيم Crisis in values » و « ثغـــرة الدولار Dollar Gap » و « ثـــورة التكنولوجيا » ؛ و « الثورة ضد النظام Revolt against Establishment » ؛ ما هي الا شعارات لتغطية الحقائق العارية للازمة . ومشكلة الغد لا تكمن فقط في احداث التغيير ؛ لان التغيير عمل مستمر ، ولكن تكمن في اتمـــام التغيير الحتمي الهائل دون أن يصيب الوهن النظام الامريكي ؛ ودون أن تدمر المدنية .

ورغم عوامل التغيير التي سوف تؤثر على عالم الغد ، والتي لا يمكن تقديرها ، هناك حقائق تاريخية ثابتة ؛ تساعد على توضيح الابعاد الجديدة للاستراتيجية .

لم تصبح المسافات البعيدة ، ولا الانهار والمستنقعات والاحراش ، ولا الجبـــال والهضاب عائقا ، وحتى المحيطـــات قلت اهميتها كموانع طبيعية ، بالرغم من أن الجغرافية نفسها لم تتغير .

لقد حدث تغيير جذري في عاملي الوقت والمسافة نتيجـــة للسرعة العالية — الاسرع من الصوت — واصبح مدى الاسلحة كوني ، يمتد حول الارض . والتطويق العمودي للموانع السطحية عامل هام في حرب نووية

مدمرة ، ولكنه ليس دائما كذلك بالنسبة لحرب محدودة كما تبين فى حرب فيتنام ، فالانهار والاحراش والجبال لا تزال عامل مؤثر على الجيوش البرية ، والبحار وجوها وعمقها لا تزال عامل مسيطر على العمليات البحرية .

ستبقى نظرية ماكندر — سبيكمان (٣) فى علم الجيوبولتكس أساسية وسائدة لعدة سنين . ومضمونها أن العالم ينقسم الى « قلب أرض » أوراسيا القارى الشاسع ، يحيطه « شريط ساحلى » أوراسى ، يتكون من بلاد ساحلية تجاور البحار ، وأمريكا الشمالية كجزيرة قارية . ولكن الجغرافيا المتقلصة قربت المسافة بين القارات ، لان مدى الاسلحة المتضاعف ، والقوة التى لم يسبق لها مثيل ، كلها عوامل هددت أمن كل دولة فى العالم ، وجعلتها أشد تعرضا من ذى قبل ، بعد أن اصبحت القوات الجوية والصواريخ قادرة على عبور الشريط الساحلى . كما ادت العوامل الاقتصادية والسياسية ، والثورة التكنولوجية الى تركيز اهتمام جديد على أفريقيا وأمريكا اللاتينية .

أضافت الثورة التكنولوجية — التى قصرت المسافات — بعدين جديدين هما الفضاء الجوى وأعماق البحار ، مما عقد المشكلات الاستراتيجية وان لم يؤد الى تغيير مبادئها — الحشد . والعمل الهجومى ، والسرعة والمفاجأة ، وخفة الحركة ، والتركيز وغيرها . وقائد الغد ، سوف يملك القدرة — أكثر من أى وقت مضى — على تحقيق اغلب مبادىء الحرب التى وضعها رجال الفكر الاستراتيجى منذ أيام سن تزو . ولو أن الضباب النووى سوف يحجب كل الخطط والسياسات والاستراتيجيات ، اذ لم يسبق أن امتلك رجال الاستراتيجية القدرة على تدمير الدول الكبرى أو اعادة المدنية الى عصور الظلام . تلك مسئولية عظمى سوف تقيد وتوجه وتشكل كل الخطط الاستراتيجية فى المستقبل .

سوف يستمر « عصر المتاعب » كما وصفه أرنولد توينبى خلال القرن العشرين . لقد دمرت الحربان العالميتان دول وامبراطوريات ، ولعدة عقود قادمة ، سنستمر فى جمع الشتات . ولكن القضاء على هذه الصراعات العالمية الكبيرة يعوقها ويعقدها قيام ثورات وحدوث تطورات، ستبقى لوقت طويل .

والثورة التكنولوجية لم تصل الى حد الاستقرار ، لان العلم ليس له نهاية . وسوف يستمر الانسان فى الاكتشاف والتطوير رغم ما يضع على نفسه من قيود . والرقابة على الاسلحة قد تقلل قوة الاندفاع ولكن لا تمنع المسير فى هذا المجال ، وهى تزداد تعقيدا للارتباط الوثيق بين التطور العسكرى والتطور الصناعى .

والانفجار السكانى : اى النمو الهائل المستمر فى شعوب العالم يهدد البيئة ، أى العالم نفسه . ويرى الاخصائيون نتيجة للدراسات الاحصائية، ان الانسان اذا طبق الاساليب العلمية فى الزراعة ، واستغل كل المصادر المتاحة بكفاية ، يستطيع اطعام نفسه وما يزيد . وقد يكون ذلك صحيحا نظريا ولكنه متعذر التطبيق ، لان الدول التى تواجه مشكلات الانفجار السكانى تعانى من تقاليد التفرقة الدينية ، والتخلف ، وقصر النظام الادارى الحاكم ، مما يجعلها عاجزة عن كفاية نفسها . تنبأ بالخطر العالم الفيلسوف البريطانى سناو S. P. Snow فى محاضرة القاها فى جامعة ويستمنستر فى نوفمبر ١٩٦٨ . وقال انه ربما يبدأ فى المدة من ١٩٧٥ ـ ٨٠ ، « بمجاعات محلية » فى نطاقات محدودة ، ثم يتفاقم « الى مجاعة عامة » (٤) . والمجاعات ، أى النقص فى الاغذية تتواتر فى عالم اليوم ؛ وسوف تستمر فى عالم الغد ، وسوف يكون الضغط السكانى المتزايد عاملا على عدم الاستقرار .

والتصنيع . تحول مناطق فى العالم الى التصنيع ، وكانت فيما مضى تعتمد على الاقتصاد الزراعى . وما يعقب ذلك من تبدلات اجتماعية وسياسية واقتصادية سوف تتوالى فيها .

المشكلات العنصرية . سوف يبقى التنافر والاحتكاك العنصرى كما بقى عبر التاريخ فى الولايات المتحدة الامريكية وافريقيا وبريطانيا ، وفى مناطق أخرى . وفى بعض الاحوال ، سوف يكون للخلاف العنصرى آثار سياسية ـ اقتصادية على السياسات الداخلية والخارجية ، خصوصا فى الولايات المتحدة الامريكية ، وروديسيا وجنوب افريقيا ، وافريقيا البرتغالية . وقد انتهى الى الابد ، التجانس الذى كان يسود الولايات المتحدة فيما مضى ، وهو عامل هام من الناحية العسكرية . وقد تحولت الاغلبية العظمى للناخبين ، وكانت ذات اصل عنصرى وقومى متجانس فى يوم من الايام ، الى شعب مقسم الى عبيد ، وأمريكيين مكسيكيين ، وبورتوريكيين على اختلاف وجهات نظرهم وقيمهم . ولا ينتظر أن تنصهر كل وجهات النظر المتباينة فى المستقبل القريب . فالاقلية السوداء أكبر من أن تذوب وتمتص الا عبر القرون . وتعدادها أكبر من تعداد اغلب الشعوب السوداء فى العالم .

البيئة ومصادر الثروة . تضاؤل الثروات الطبيعية وتلوث البيئة ، الارض والهواء والماء ، مشكلتان من صنع الانسان نفسه ، ولا ينتظر أن نجد حلا سريعا ، وقد بدىء فى بذل الجهود حتى لا يضيع الوقت من أجل حلهما . ولكن السباق الى مصادر الثروة سوف يزداد ويشتد .

المشكلات الاقليمية والمحلية ، أغلبها مشـكلات موروثة من الحرب العالمية الثانية ، مثل برلين ، والمانيا المقسمة ، وكوريا المقسمة ، ومشكلة الصين ، ومشكلة فيتنام نفسها . وكلها مواضع احتكاك ونزاع لا يبدو لها حل فى الافق .

الايديولوجيات المتعارضة . المعتقدات السياسية والدينية المختلفة المتعارضة قديمة قدم الانسان وستبقى ما بقى . والشيوعية جاءت لتبقى ، وقد خفف الزمن حدة تطرفها ونزعتها الحماسية لبلشفة العالم سوف تتآكل بمرور الوقت على ثورتى روسيا والصين وتزايد قدرتيهما على تحقيق الرغبات الاقتصادية والاجتماعية لشعوبهم أكثر فأكثر . ولكن نظريات الشيوعية وأساليب الغاية تبرر الواسطة ، مهما كانت ، التى تطبقها ، سوف تستمر تحديا عالميا للغرب الذى نشأ فى ظل نظريات الماجناكارتا وجيفرسون . والتاريخ كفيل بأن يدحض آراء أولئك اللذين يعتقدون أن الشيوعية أصبحت لا تحمل حقدا ولا غلا . لقد قوبلت ثورة التحرر التى قامت فى المجر عام ١٩٥٦ بعنف وحشى . وبنفس الوحشية والعنف ولكن بأسلوب آخر ، تم غزو تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ ، وذابت الملايين من الصينيين « المعارضين » بواسطة ماوتسى تونج ، ومئـات الالاف من « التعديليين Revisionists » بواسطة هوشى منه . تلك كلها ادلة تبين أن أى تحسن فى العلاقات الدولية عملا محالا فى ظل حكام اليوم أو حكام الغد المنتظرون الا اذا تم طبقا لرغباتهم . لقد جعل النفوذ الشيوعى هذه الجرائم ممكنة ، ولكن الايديولوجية الشيوعية كانت فى حاجة اليها . هناك كذلك الصراع الدينى — المسلمون ضد الهندوس فى الهند ، والعرب ضد اليهود فى الشرق الاوسط ، والقبائل ضد بعضها فى أفريقيا : كلهـا حقائق باقية فى الحياة ولكن الصراعات الايديولوجية سوف تكون — فى الواقع — هى الغالبة فى الغد ، لانها أكثر اثارة من أى نزاع آخر . لقد أصبح القضاء على اسرائيل عقيدة دينية كما هو عقيدة سياسية . وقد تنمو أو تضعف هـذه الخصومات ، ولكنها لن تنتهى . لانهـا جزء من الانسان ، ولصيقة به .

يتضح من ذلك أن الولايات المتحـدة سوف تواجه نفس المشـاكل الرئيسية التى تواجهها اليوم ، خلال ما تبقى من القرن العشرين : مع تباين فى الاهمية واختلاف فى المكان .

ومهمـا كان الامر فعالم الغـد — قطعا — سوف يتغير سياسيا واجتماعيا واقتصاديا الى حد كبير عن عالم اليوم .

بفضل السرعة المتزايدة فى وسائل المواصلات سوف يرتبط العالم بخيوط كثيفة ، ماديا وروحيا . وسوف يستطيع كل انسان أن يساند اخيه

الانسان ماديا ويحافظ عليه ، لان ما يحدث فى الكونغو فى الصباح ؛ سوف يظهر على شاشة التليفزيون عندنا ليلا . ولو انه فى مثل هـذا المجتمع الحساس ، يكون هناك عامل مثبط ، لان أغلب الناس فيه لا يرغبون فى المحافظة على بنى جنسهم ، ولا يريدون من أحد أن يحرسهم أو يرشدهم . والقرب لا يولد بالضرورة تبادل الاحترام ؛ ولكنه قد يضاعف الخلاف . والامل فى ان يوازن التبادل الثقافى وتبادل الزيارات بين الطلبة وتبادل امتيازات النقل الجوى ، الخلافات السياسية وغير السياسية ويؤدى الى « عالم واحد » هو سراب . لان الانسان سيبقى متمسكا بفرديته العميقة فى كيانه ، وخلافاته القومية والدينية الكبرى ، ومسببات التشاحن بينه وبين بنى جنسه .

ومن ناحية أخرى أدت سرعة المواصلات الحديثة الى ما يسمى « بالتشتت السياسى » فى العالم ، والى قيام نظام تعدد الاقطاب . فالافكار لا تعرف الحدود . والرغبة فى التحرر ، وفى حياة وتعليم افضل ، تنتشر عبر الحدود ، رغم الستار الحديدى والتشويش على الاذاعة . ولكن ذلك لا يحقق — بالضرورة — الاستقرار السياسى . والثورة الاجتماعية قد تؤدى الى اضطراب للجميع وحياة أفضل للكثيرين . وقد تؤدى الى الكبت والازمات السياسية الخطيرة ، كما حدث فى المجر وتشيكوسلوفاكيا وكوريا الجنوبية وفيتنام . والحكومات الشيوعية ترى ، كما يرى كثيرون من الحكام الاخرين فى العالم ، أن فى حرية الرأى تهديدا لحكمهم ؛ رغم مدنية القرن العشرين . وهم يعيشون فى الظلام ولا يستطيعون مواجهة ضوء الحقيقة أو الحرية ، ويخشون من أن يؤدى انتشار الافكار الى نسف حكمهم وتقويض نظامهم . والدكتاتورية لم تستطيع حل مشكلة تعاقب القوة ، ولم تتعلم مواجهة الخلاف فى الرأى الا عن طريق القوة . والالتجاء الى العنف والقوة الوحشية — كما حدث فى المجر وتشيكوسلوفاكيا — يؤدى الى اضعاف الحكم الشيوعى — على المدى الطويل — ولو ان الاستالينيين الجدد وموجهو العنف فى الكرملين يثقون فى كبت ، أو يحاولون كبت الانحراف « الفظيع » عن خط موسكو . والارجح انهم سيستمرون كذلك فى المستقبل القريب .

وجد الشيوعيون أيضا أن التعليم العام ، وهو شيء أساسى للتقدم التكنولوجى ، قد ولد مشاكله ، لان العلم الضحل شيء خطير ؛ يغرى بالاندفاع دون تعقل . وبدأ الناس يفكرون فى أنفسهم ، وصاحب ذلك صراع التناقض بين الحكام والمحكومين . والدورة سائرة ولكن النهاية لم تأت بعد ، فخميرة التمنيات تساهم فى مضاعفة تمنيات الجماهير الحبيسة . ولكن لا يستطيع المرء أن يتوقع النتائج النهائية . ولو أن هذا الاتجاه لابد أن يخلق توترا مستمرا فى الدول الشيوعية ، فالشك من

الاجانب فى عقــول الروس والصــينيين الذى يثيره تخــوف حــكامهم الشيوعيون ، والصراع المتواصل من أجل الحرية كلها عوامل من الارجح انها ستؤدى الى صدام لا يمكن تقدير عواقبه . وسوف تكون قوة التغيير عاملا على عــدم الاستقرار فى الغد ، ليس فقط فى البــلاد الشيوعية والاوتوقراطية ، ولكن فى بلادنا ايضا ، كما نرى فى احيائنا القديمة .

ولن يكون عالم الغد عالم واحد ، بل سيكون عوالم كثيرة بالتأكيد . لقد ذهب عالم الاستقطاب الذى جاء عقب الحرب العالمية الثانية ، وقد لا يعود أبدا . والدولتان الاعظم ، الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى ، وقد سادتا العالم فى العقد الاول بعد الحرب العالمية الثانية ، لا تزال دولا أعظم متفوقة فى قوتها على اى دولة فى العالم . ولكن التجمع الذى التئم حول كل منهما ، وانقسام العالم الى مناطق نفوذ شيوعى وغير شيوعى ، اختفى أو فى طريقه الى ذلك . والرابطة والتحالف على كلا الجانبين وهنا ، وقامت مراكز قوى سياسية واقتصادية جديدة ، وبرزت قوة ثالثة من الدول التى لا لون لها — المحايدة أو غير المنحازة — كعامل جديد ، كما أن هناك دولا جديدة متخلفة ، كثيرة ، فى العــالم ، قدرتها السياسية والاقتصادية والعسكرية أو السيكلوجية ضعيفة ، وهى تغرى الغير على خطفها .

لا يبدو التجمع الشيوعى العالمى متناسقا سياسيا كما كان يبدو فى يوم من الايام . فقد تفاقمت متاعب روسيا منذ مجىء تيتو بالتعديلية الى يوجوسلافيا التى اكدت سيادتها الايديولوجية والسياسية . وانشــقت البانيا الصغيرة عنها لتسير على خط ماوتسى تونج الصلب ، واضطرت روسيا لاقحام قواتها العسكرية مرتين ضد اتباع لهــا فى شرق أوروبا ، والتزمت رومانيا باتجــاه شبه مستقل فى تطوير عقيدتها الشــيوعية . واضطر الحكام الشيوعيون فى بولندا لمهادنة الكنيسة الكاثوليكية ، ولا تزال خميرة الحرية ، تختلج فى كل أوروبا الشرقية .

هناك قوى خطيرة تتصارع فى أوروبا الشرقية : كره المانيا والخوف منها ، والحذر من شغف المانيا باسترداد ما فقدته من اراضى ، انتشار عدم الثقة بين البولنديين والالمانيين والمجريين من ناحية والتشيكيين من ناحية اخرى ، بدعة اليوجوسلاف عن الشيوعية المستقلة ، التنافس القــديم بين التيوتون والسلاف . والقومية والحزازات القديمة لا تزال قوى مؤثرة فى شرق ووســط اوروبا . ورغم الاجلال العــام الذى قوبلا به لينين وماركس ، هناك أشكال عديدة من الشيوعية يكاد يصل عددها الى عدد الدول التى تعتنقها .

هناك عاملان مشتركان يوحدان بين روسيا وتوابعها فى أوروبا الشرقية ، وهما : العامل الجغرافى ، وعامل القوة العسكرية والاقتصادية السوفيتية . وترى موسكو فى أوروبا الشرقية منطقة بينها وبين الغرب ، مخففة للصدمة توفر لها وقاية ضد الغزو البرى ، بالنسبة للوقت والمسافة . وكلها دول حليفة تابعة ، لا يمكن الاعتماد عليها وقت المحن الشديدة ، لانها تعانى من الضغط ، ولا تنسى أزمة القيم العميقة التى أثارتها المجر وتشيكوسلوفاكيا .

والخلاف بين روسيا السوفيتية والصين الشعبية خلاف كبير ، والمحتمل أن يستمر طويلا ، وهو خلاف سياسى واقليمى وديموجرافى وكذا ايديولوجى ، ويبدو أنه سوف يستمر فى عالم الغد ، حتى بعد موت أو عزل ماوتسى تونج والبلاشفة الرجعيين . غير أن موت ماوتسى تونج سوف يؤدى الى انطلاق قوات فى الصين لا يمكن تقديرها ، ولا تقدير علاقتها بموسكو . وقد يرى حلفاء ماوتسى تونج بحق ، ان مصلحتهم الشخصية ومصلحة بلادهم فى المستقبل ، تدعم بالتعاون مع الاتحاد السوفييتى ، ولكن مثل هذا التحول سوف يؤدى الى زيادة المصاعب والاربكات الى حد كبير أمام الولايات المتحدة الامريكية وأمام الغرب ، خصوصا فى آسيا ، وان كان خطرا قصير الاجل قد يستمر من عقد الى ثلاثة عقود قادمة .

بازدياد قوة الصين وهيبتها سوف يشتد صراع القوة بينهما وبين روسيا ، اذا ستبقى مشاحنات الحدود ، والتنافس الاقليمى فى وسط آسيا بالقرب من أفغانستان وعلى حدود سيبيريا ، مصادر حقيقية للمتاعب. ولكن السبب الاساسى لانقسام أكبر دولتين شيوعيتين فى العالم ، هو نمو الصين الشيوعية ، كدولة صناعية نووية تملك أضخم قوة بشرية فى العالم . لان المستقبل المنتظر لدولة حديثة قوية تنفجر بطاقة ٧٠٠ مليون نسمة ، تجاور منطقة سيبيريا الغنية قليلة السكان ، يؤرق موسكو بصرف النظر عن الايديولوجية المشتركة .

ومع ذلك ، سوف لا يؤدى الاحتكاك بين روسيا والصين الى تحالف أى من الدولتين مع الولايات المتحدة الامريكية ، كما أن أحلام المتفائلين الامريكيين بأن المصلحة المشتركة بين موسكو وواشنجطن سوف تؤدى الى انفراج فى العلاقات بينهما ثم تحالف فى مواجهة الخطر الاصفر ، ليس لها فى الحقيقة الا اساسا واهيا لان تغيير نظام العالم ، يحتم أن تغير الصين أو روسيا ، أو كلاهما ، اتجاههما الايديولوجى .

وقد قامت فى فرنسا تحت حكم ديجول نهضة اقتصادية وسيكولوجية ، واصبحت دولة نووية صناعية غنية حديثة ، ولكن مكاسبها واجهت

مصاعب أمام أطماع الكثيرين الى الاحسن . وانسلخت من حلف الاطلسى ـ عدا على الورق ـ لتسير فى اتجاه شبه مستقل . وقد ارتفع ديجول فوق معاصريه منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية فى أغلب الاحوال ، ولكن ما أحدثه من تغير وتبدل لم يقتلع الاندفاع السياسى الفرنسى من جذوره . ويواجه حلفاؤه فترة انقسامات حزبية . وعلى مخططى السياسة فى دول العالم أن يضعوا فى حسبانهم ان الاضطرابات الداخلية ، السياسية والاقتصادية عامل مؤثر على السياسة الخارجية لفرنسا .

كما أصبحت ألمانيا الغربية ، باقتصادها المزدهر وقوتها المتجددة ، أقل استجابة لرغبات واشنجطن ولندن وباريس ، وصارت اقتصاديا أقوى دولة بين دول أوروبا الغربية مما جعل لها تأثير جذاب متزايد على دول شرق أوروبا وعلى جيرانها الغربيين . ولكن قوتها العسكرية كانت لا تتناسب مع نموها الاقتصادى ، لان النمو الاقتصادى تدعم نتيجة لما منحه لها حلفاؤها من أمن عسكرى .

حصلت ألمانيا فى ظل حلف الاطلسى على احسن ما فى العالمين . ولكن ينبغى علينا الا نتوقع اشتراك بون بقسط أكبر فى الدفاع عن نفسها وعن أوروبا الغربية ، اذا لم تعامل كشريك على قدم المساواة . ولكن معاهدة منع الانتشار تمنع ألمانيا ، وكل الدول الاخرى غير ذات السلاح النووى من امتلاك أسلحة نووية الى الابد ، لذا فان البعض فى ألمانيا ينظر لها كتفرقة غير عادلة ، وسابقة خطيرة ، رغم قرار بون بتوقيعها . وتخشى بون أن تتوصل الولايات المتحدة الامريكية مع الاتحاد السوفيتى الى اتفاق دون اشراكها ، مما ييسر تقسيم ألمانيا وتهديد أمنها . وقد أصبح هذا عاملا مؤثرا على سياستها .

وتخشى موسكو ، وكذلك الولايات المتحدة الامريكية وحلفاؤها ولكن بدرجة أقل أن تصبح ألمانيا بعد اعادة بعثها قوة توازن فى أوروبا ، تضرب الشرق بالغرب . ومن المعلوم أن الاتحاد السوفيتى انشأ امبراطورية صغيرة بعد عناد شديد ، وأن حلف وارسو العسكرى سوف يتداعى اذا تحالفت ألمانيا الموحدة مع الغرب ، أو اذا لعبت دور المحايد المستقل . وهذا يؤكد أن الاتحاد السوفيتى لن يسمح باعادة توحيد ألمانيا الا بأسلوب بروقه ، طالما كان يملك القدرة على ذلك . كما أن الرغبة الطبيعية فى الوحدة لكلا شطرى ألمانيا ، سوف تستمر ، لان تقسيمها مصطنع . كما أن الانفعال بسياسة عودة الجزر المفقودة والاحساس بضرورة تحرير جزء من الوطن ، تثيره عناصر يمينية متطرفة ، وسيظل غماما يخيم فوق أوروبا . وكما تمسك ألمانيا المقسمة فى يدها أهم العوامل التى تؤثر على تاريخ الغد ، سوف تحدد برلين المجزاة تاريخ ألمانيا ، وقد تكون أكثر نقط

الخلاف تفجيرا فى السياسة العالمية خلال العقود القادمة ، فهى نتوء شديد التعرض فى مركز السيطرة الشيوعية ، وسوف تتطور مشكلة المانيا طبقا لتطور مشكلة برلين .

كثيرا ما نفكر فى تقسيم أوروبا الى « مناطق نفوذ » بين الغرب والشرق كحل دائم ، والمعروف أن « الستار الحديدى » محدد ثابت لا يجرؤ أحد على هدمه ، ولكن لا يوجد مستحيل فى السياسة ؛ ومستقبل أوروبا ــ على المدى الطويل ــ بعيد عن الاستقرار .

وفى منطقة البحر الابيض المتوسط تزداد الروابط السياسية والعسكرية لحلف الاطلسى ضعفا شيئا فشيئا ، وتبرز مراكز قوى جديدة أكثر استقلالا . ولا يزال الخلاف قائم بين انجلترا واسبانيا حول جبل طارق ، واسبانيا ليست بين أعضاء حلف الاطلسى . وسياسة البرتغال الاستعمارية تنفر منها أعضاء الحلف الاخرين . وايطاليا أصبحت أقرب الى اليسار بجناحها الشيوعى أو المتحالف مع الشيوعية ، اذ وصلت نسبة المقترعين منهم الى ما يقرب من ٢٥ ــ ٣٢٪ . وقد اضطرت الى عقد اتفاقات خاصة بالبترول وانشاء خطوط بترول مع الشيوعيين توافقا مع مصالحها ، وتمشيا مع نزعة الاستقلال عن الحلف ، وان كانت ما زالت تتأرجح بين أقصى اليمين وأقصى اليسار . والحرية التى حصلت عليها شمال افريقيا أدت الى قيام دول صغيرة مملوءة انفعالا ، والجزائر ترتبط بموقف سياسى متعاطف مع روسيا نتيجة للمساعدات السوفيتية الكبرى، العسكرية والاقتصادية .

كما أن الجناح الايمن لحلف الاطلسى ــ وكان دائما تحالفا غير طبيعى ــ يتفتت . فالخلاف حول قبرص بين تركيا واليونان لا يبدو له فى الافق حلا . وقد فترت علاقة تركيا بالولايات المتحدة وبالحلف نتيجة للضغط الامريكى عليها لحل مشكلة قبرص ، فعملت على التقارب من روسيا . وضعفت اليونان نتيجة الانقلاب العسكرى . وطوق الجناح كله بالوجود السوفيتى السياسى ــ العسكرى فى مصر وسوريا .

لم يصبح لقناة السويس اهمية استراتيجية وتجارية كبرى لاوروبا الغربية ، بعد ظهور الناقلات الكبرى وانشاء خطوط انابيب البترول من مناطق الانتاج فى الشرق الاوسط الى البحر الابيض المتوسط . ومع ذلك فان الطريق البحرى القصير عبرها له أهمية اقتصادية وعسكرية لكل الدول وخصوصا روسيا . ومن المعروف أن منطقة السويس ــ البحر الاحمر مركز اهتمام للزحف الشيوعى مثل كل المنافذ الضيقة المنتشرة فى العالم ، بنما وسنجافورة .

ليس هناك شك فى أن تركيب حلف الاطلسى قد تغيـــر . وان نوع التنظيم الذى سوف يحل محله فى السنين القادمة غير معروف حتى الان . كما أن حلم الولايات المتحدة الاوروبية ذات التأثير السياسى أصبح أقرب من أى وقت مضى .

وخلال العقد القادم ــ ان لم يكن على المدى البعيد ــ ستبقى منطقة غرب أوروبا أهم المناطق الجغرافية فى العالم ، من النواحى الاقتصادية والسياسية ، ولن يفوقها الا الولايات المتحدة الامريكية . وتكمن أهميتها السياسية فى صناعاتها النامية باطراد ، وتقدمها التكنولوجى المستمر ، وشعوبها المثقفة الماهرة والتشابه فى التراث السياسى والثقافى بين تلك الشعوب ، وشبكات المواصلات الحديثة التى تربط بين أجزائها ، يضاف الى ذلك كله أهميتها الاستراتيجية كشبه جزيرة لقارة أوراسيا ، تشرف على طرق الاقتراب من البحر الى قلب الارض فى وسطها . وقد يأتى وقت تبرز فيه مراكز قوة جديدة فى آسيا ، ولكن ــ حتى المستقبل القريب ــ سوف تبقى لاوروبا الغربية بما فى ذلك الجزر البريطانية ، أهمية اقتصادية وصناعية لا تجـــارى .

من الواضح أن أوروبا مقسمة الى « منطقتى نفوذ » يحددهما خط واضح ، لا يتداخل الا فى منطقة برلين ، يفصل بين الشيوعية والعـــالم الحر . بالرغم من ضعف حلف الاطلسى ، وانقسام القوميات فى الامبراطورية السوفيتية الصـــغيرة . فأوروبا الشرقية تدخل فى نطاق ســلطان القوة والسياسة الروسية ، يؤكد ذلك تقاعس الولايات المتحدة الامريكية عن اتخاذ أى اجراءات فى المجر عام ١٩٥٦ ، وفى تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ . بينما ترتبط دول « الشريط الساحلى » فى غرب أوروبا بالولايات المتحدة الامريكية .

اضمحل موقف الغرب فى شرق البحر الابيض المتوســـط وفى منطقة الشرق الاوسط منذ الحرب بين العرب واسرائيل عام ١٩٦٧ . كما وضع زوال الامبراطوريتين البريطانية والفرنسية نهاية لمرحلة بدأت منذ الحرب العالمية الاولى ، بتجزئة المنطقة الى كيانات سياسية صــغيرة ، تتوق بخيالات الماضى ، بينما لا تعمل على استعادة عظمته . وقد ملىء الفراغ الذى تركه انسحاب البريطانيين بالاســطولين الامريكى والسوفيتى فى البحر الابيض المتوسط ، وبتطوير اسرائيل وتنميتها . وفى هذه المنطقة مصالح بترولية كبرى للولايات المتحدة ودول غرب أوروبا ، كما أن هناك روابط عاطفية بين المجتمع اليهودى القوى فى الولايات المتحدة واسرائيل .

وسيبقى الشرق الاوسط ميدان صراع لعدة سنين قادمة ما بقى تأرجح توازن القوى والنزاع بين العرب واسرائيل .

كما أدى تضاؤل القوة البريطانية فى المنطقة البحرية الشاسعة الممتدة من رأس الرجاء الصالح الى استراليا ، ومن عدن الى سنغافورة الى خلق فراغ سياسى وعسكرى . وليس من المنتظر أن تسد الهند الفراغ بالنسبة لمشاكلها الكبيرة ـ الطبقية السائدة وعدم التجانس العنصرى بين سكانها، والتنافر الدينى والوثنى . والتمييز العنصرى ، والمشاحنات ، والازدحام السكانى ، وتعدد اللغات ، وانتشار المجاعات والتخلف والميل الى الكسل . ونيودلهى مثل باكستان ستبقى مشغولة بالمشاكل الداخلية الضخمة والتنافس الوطنى المتطرف . فلا الهند ولا الباكستان ، يمكن لا يهما أن يبرز اقتصاديا أو عسكريا فى هذا القرن .

وفى جنوب شرق آسيا ، لم يتضح حتى الان خطا فاصلا بين الشيوعية وغير الشيوعية . وهناك مناطق غنية جدا ـ بورما ، تايلاند ، فيتنام ، اندونيسيا ـ بشعوبها الولودة ، وجهلها المطبق ، وأوبئتها ، واقتصادها المتخلف . معرضة للتسلل الشيوعى . وستبقى لمشكلات هذه المنطقة أثر سياسى مزمن خلال ما تبقى من هذا القرن . وقد اكد الانسحاب البريطانى من سنغافورة فراغ القوة فى هذه المنطقة مرة ثانية . وهو فراغ تحاول ملئه كل من روسيا بأسطولها البحرى وقوتها الاقتصادية ، والصين بقوتها البرية وقربها من المنطقة .

كان قيام الصين الموحدة تحت قيادة مركزية فى آسيا فى القرن العشرين حقيقة كبرى ، واكبها قيام حركة التصنيع واهتمام قادتها بقوة الصواريخ النووية . ومن المنتظر أن تصبح على المدى الطويل عامل عدم استقرار ، خاصة اذا التزم حلفاء ماوتسى تونج بايديولوجيته المتطرفة . وسوف يستمر التنافس والصراع بين الصين والاتحاد السوفيتى على الحدود والمناطق المجاورة ويسبب مشكلات من وقت الى آخر فى مناطق عديدة ، فى مضيق تايوان . بما فى ذلك تايوان والجزر المجاورة . وجنوب شرق آسيا ، والتبت وحدود الهند ، وأفغانستان ، وسينكيانج ووسط آسيا ، ومنغوليا ومنشوريا وكوريا .

كما يزداد موقف آسيا تعقيدا لقيام مركز قوة كبرى فى اليابان ، التى تحولت من الهزيمة الكاملة فى الحرب العالمية الثانية الى ثالث قوة صناعية فى العام خلال عقدين فقط من الزمان ، ومن دولة عاجزة عن اطعام نفسها قبل الحرب العالمية الثانية الى بلاد تصدر الارز الان . يعتبر ذلك رقم قياسى لانشط اقتصادصناعى علمى متطور فى الشرق .

وترجع بعض اسباب النهضة اليابانية بعد هزيمتها ، كما هو الحال بالنسبة لالمانيا ، الى اعتمادها على الولايات المتحدة الامريكية فى توفير الامن ، والى الاموال الامريكية الهائلة التى تصرف فى اليابان ، والى التعامل الذى ميزها به غزاتها الامريكيين . ولم يسبق أن أتيحت لليابان مثل هذه الظروف من قبل . وقد تأثر الجيل الحالى فى اليابان بهيروشيما ، والتغيير الذى تم بعد الهزيمة ، والدستور الذى رعاه جنرال ماك آرثر المندوب الامريكى أثناء الاحتلال ، وأصبح يفضل الانتماء للعالم اقتصاديا وتجاريا ، والتنصل منه سياسيا .

ولكن الخلق اليابانى لم يتغير ، واليابان ليست منيعة ضد المد الذى طغى على بقية اجزاء العالم . والصراع بين اليمين واليسار سيشتد فى السنين القادمة . وبينما نجد أقصى اليمين هادىء . نجد الشيوعيين وجناح اليسار المتطرف جيد التنظيم ، ولو أن بعث السوكاجاكيا Soka Gakkai ، وبعث طائفة البوذيين المناضلين ستبقى ظواهر قائمة ، ولا تزال تقاليد الساموري تعيش فى أعماق اليابانيين . يتوقف تطور السياسة الداخلية فى اليابان على الاسلوب التى سوف تواجه به العالم ومشاكله ، وكذلك على الاسلوب الذى سوف يتبعه العالم . وخاصة الولايات المتحدة الامريكية مع اليابان . وهناك نقط كثيرة ستكون مثار مشكلات فى المستقبل ، منها التجارة مع الصين ، والعلاقة مع الولايات المتحدة الامريكية ومع الاتحاد السوفيتى ، وأوكيناوا ، وجنوب شرق آسيا ، وقوة الدفاع عن اليابان . ومثل المانيا بالنسبة لاوروبا ، ستكون اليابان محور السياسة الغربية فى منطقة الباسفيكى وجنوب شرق آسيا . وقد تفوقها قوة الصين الصاعدة بعد عدة سنين ، ولكن اغلب دول آسيا سوف تسير فى اتجاه اليابان فى السنوات القليلة القادمة .

فى عالم الغد سوف يبقى دور أفريقيا وأمريكا اللاتينية ونيوزيلندا الاسترالية وجزر المحيط الهادى هامشيا فى العالم ، ولا يعنى ذلك ان هذه المناطق الغنية الشاسعة من العالم سوف لا يكون لها أهمية فى مستقبله ، بل أنها سوف تؤثر على هذا المستقبل خلال الفترة الباقية من القرن العشرين أشد مما اثرت عليه فى السبعين سنة الماضية ، ولكن دون أن تشترك فى صياغة سياسته ، لان الدول العظمى تقع فى مناطق أخرى ، وقارات أفريقيا وأمريكا اللاتينية مقسمة الى دول صغيرة ، أغلب شعوبها قليلة الوعى ، ينقصها التجانس ، تسود فيها القوة المادية وتسيطر عليها القيادات المتنورة .

تدعو حالة القارة الافريقية الى كثير من التساؤل ، فمكامن المشكلات الانية فيها تعوق عوامل الاستقرار . فيها مصادر الثروة ولكنها ورثت

العجز . تجمعات من جماعات قبائلية ، اغلب شعوبها متخلفة ، يجمعها كلها ــ بشكل نمطى غير مستقر ــ الشغف بلفظ « الحرية » السحرى ، والتطرف العنصرى والقبلى ، والطموح الاقتصادى وان كان بدائيا . وقد اصبحت المشكلة العنصرية فى افريقيا مشكلة سياسية عالمية لعدة عوامل، لان أغلب سكانها من السود والزنوج ، ولانها عاشت فى ظل الاستعمار مــدة طويلة ، وبسبب التقدم الكبير فى وسائل المواصلات والاتصال ؛ وبسبب الانشقاق العنصرى الكبير فى الولايات المتحدة الامريكية . كان لهذه المشكلة عواقب شغلت الدول الكبيرة ، وان كان ليس من المحتمل أن تتورط فيهـــا .

واغلب الدول الافريقية السوداء كانت مستعمرات للدول الكبرى ، ولا تزال تغمرها المشاحنات القبلية ، والمشاكل الاقتصادية والسياسية ، والافتقار الى الخبرة فى الاعمال الحكومية ، التى تخبط فيها الافريقيون اكثر مما تقدموا ، عندما وجدوا أخيرا حريتهم . ولكن النزعات الاقليمية والانفصالية والقبلية جزء من الحياة فى أفريقيا . والانقلابات والحروب القبلية والاهلية ــ كما حدث فى الكونجو ونيجيريا ــ هى أشياء ورثوها من تاريخ أفريقيا البعيد . لقد دفعت الجماهير ثمنا غاليا من أجل الحرية الكاذبة ، وان كان هناك بعض الاستثناءات . ولا يبدو فى الافق نهـــاية للاضطرابات فى افريقيا ، التى سوف تستمر كجزء من الثمن الذى تدفعه فى مقابل الحرية والنضج السياسى .

ومما يدعو الى السخرية ، ان تكون المناطق التى تحــكمها الاقلية البيضاء فى أفريقيا ــ جنوب أفريقيا وروديسيا ــ هى اكثر المناطق تقدما واستقرارا ، وان تكون لجنوب أفريقيا ــ وهى بالنسبة لموقعها الجغرافى تسيطر على راس الرجاء الصالح ــ اهمية استراتيجية للولايات المتحدة الامريكية والعالم الغربى اكثر من أى جزء آخر فى أفريقيا جنوبى الصحراء. بالاضافة الى اهميتها الاقتصادية .

والبرتغال دولة حليفة عضـــوة فى حلف الاطلسى . لهــا أهميــة استراتيجية بالنسبة لموقعها الجغرافى القريب من مدخل البحر الابيض المتوسط ، وموقع جزرها الاطلسية القريبة أيضا من هذا المدخل ، كل هذه عوامل هامة يجب وضعها فى الاعتبار .

اشتركت الولايات المتحدة واغلب الدول الغربية ؛ والاتحاد السوفيتى والعالم الشيوعى فى نقد سياسة التفرقة العنصرية فى أفريقيا وروديسيا والبرتغال . وصاحب ذلك مقاطعة اقتصادية من عدة دول ضد روديسيا .

لم يكن لهذه المقاطعة تأثير اقتصادى يذكر ، ولم يكن لها تأثير سياسى على الاطلاق كما هو الحال بالنسبة لاى مقاطعة ، وان أدت جميعها الى زيادة حدة التوتر والشعور بالحقد . وعلى ذلك فان أفريقيا تمزقها الخلافات ، والولايات المتحدة الامريكية فى موقف شاذ تجاهها ، اذ ترعى سياسات تتعارض مع مصالحها الاستراتيجية فيها . لقد أصبحنا فى موقف « الملام اذا فعل والملام اذا لم يفعل » . ومن المحقق أن الاضطراب وعدم الاستقرار سوف يسودا فى هذه القارة لوقت طويل ، وستبقى مكمن خطر على العالم . لان التنافس من أجل المواد الخام ، والصراعات الداخلية والنزاع العنصرى قد يورط القوى الكبرى ، كما ظهر فى نيجيريا والكونجو .

ويبدو مستقبل أمريكا اللاتينية متشابه الى حد كبير . فهى قارة شاسعة تحوى ثروات عظيمة ، أغلبها لم يستغل بعد ، ولا تملك قوى معدة الا ضئيلة . وقارة مشحونة بالمتناقضات ، فالاقلية الغنية تحكم الاغلبية الفقيرة ، والوظائف العامة يغلب فى نطاقها الاستغلال الشخصى ، والكنيسة الكاثوليكية الرومانية المحافظة الى اقصى حد ، تستحوذ على ولاء كثير من الجماهير ، وتمثل — باستثناء بعض الكاثوليك الثوريين العناف — قوة رجعية لا تعنى من الديموقراطية الا لفظها . والطبقة المتوسطة — وهى الطبقة التى تمتص الثورات — لا توجد الا بنسبة ضئيلة بين شعوب أمريكا اللاتينية . وقد زرعت الشيوعية نقط ارتكاز قوية لها فى كل دول المنطقة . والمؤامرات والمؤامرات المضادة ، والانقلابات والانقلابات المضادة ، والعنف والثورات ، والدكتاريون والحكام العسكريين كلها ظواهر سوف لا تختفى قريبا من هذه القارة (٥) . وخليط الهنود والسود والاسبان ، والبرتغاليون ، وطبيعة الجماهير وضعف الحكومات والظروف الاقتصادية والسياسية المهتزة ، كلها عوامل عدم استقرار . فمن المتوقع دائما حدوث الانقلابات والثورات والمذابح والمتاعب فى أمريكا اللاتينيـة .

غير ان احتمال قيام مشكلات كبرى ضعيف فى الوقت الحالى . فرغم ان كاسترو يصدر الثورات ، فان قدرته على ذلك أصبحت محدودة — خصوصا بعد هزيمة وقتل مساعده جيفارا فى بوليفيا — وستبقى كذلك ، طالما وجهت روسيا السوفيتية اهتمامها الى سياسة تجارية وتسلل سلمى الى أمريكا اللاتينية ، اكثر من رعاية ودعم ثورات العنف . والولايات المتحدة الامريكية ، جارتهم الكبرى فى الشمال ، قد تتعرض للعدوان من دول أمريكا اللاتينية التى تستظل بظل العم سام . وقد اصبح التهديد الشيوعى لانظمة الحكم فى هذه البلاد موضع اهتمام لعدة حكومات فى امريكا اللاتينية ، كما هو بالنسبة لحكومة العم سام ، المستورد الاكبر لمحصول السكر . وتوقعات المستقبل لا تعطى ملامح الاستقرار والتقدم

العظيم ، ولا ملامح الانفجار والتفتت الشديد . بالمقارنة بقارة آسيا سوف تكون هناك حروب عصابات ، ومؤامرات واغتيال وارهاب (كما حدث فى جواتيمالا) ، وضرب بالرشاشات ، ومصادرة وتأميم لمزارع الامريكيين. وكاثوليكية متطرفة ، وانقلابات ومشاحنات . وقد تمتد عدوى الشيوعية عبر حدود كوبا . ولكن لا يزال التهاب القارة عموما بلهيب ايديولوجى او سياسى جديد يهدد الولايات المتحدة الامريكية شيئا بعيد الاحتمال .

اما استراليا ونيوزيلندا وأغلب ميكرونيسيا فهى قابعة فى المياه خلف النزاعات العالمية . والارجح ان استراليا توجه اهتمامها الاساسى الاستراتيجى الى غينيا الجديدة وأرخبيل أندونيسيا الكبير شمالها ، والى جنوب شرق آسيا . تلك بلاد بيضاء مهددة بالاغراق بالشعوب الاسيوية الكثيفة ، ولكن سياسة الهجرة التى تطبقها تحول دون ذلك ، الا عن طريق الغزو . وتعتمد استراليا ونيوزيلندا على الولايات المتحدة الامريكية أكثر من بريطانيا بالنسبة لتحقيق الامن . والاولى حلقة اتصال هامة بين المحيطين الهادى والهندى . ولا يمكن أن تكون هذه الدول والجزر فى المحيط الهادى منيعة أمام رياح التغيير ، ولكن لا يتوقع لها مشكلات داخلية كبرى ، ولا يتوقع أن يبدأ منها التغيير .

سوف يستمر عالم الغد ، عالم تنافس بين القوى الكبرى ، عالم أطماع ونزاع متعدد الاطراف ، وايديولوجيات متصارعة واقتصاد وتكنولوجية متطورين .

سيسود الصراع القديم دائما بين من « يمتلكون » ومن « لا يمتلكون »، « ثورة الامال المتزايدة » ، آمال الشعوب العديدة لحياة أفضل ، تلك كلها سوف تكون محكا وتحديا لبراعة ومصادر الثروة فى العالمين الشيوعى والرأسمالى . وسوف يتكرر الصراع بين حب الاستقرار والنظام وبين التطلع الى الحرية وحب التغيير فى الولايات المتحدة الامريكية ، وفى العالم جميعه .

يرى كثيرون من علماء الاقتصاد السياسى أن المستقبل سوف يتأثر بمدى حاجة الشعوب المتخلفة فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية من أموال ، لان مطالب التنمية فيها تفوق قدرة العالم المالية ، وان فيها تكمن الحاجة الى التغيير . اذا نظرنا الى الموضوع نظرة عالمية شاملة أكثر منها نظرة اقتصادية ضيقة ، ربما وجدنا فيها اسرافا فى البساطة ، ولو أن تحرك الجماهير التى تطالب بالافضل هى بالتأكيد جزء من مشكلة الغد . واذا التزمنا بالتفسير العلمى ، فان المطالب سوف تكون كبيرة الى درجة تفوق ما يتوفر من امكانيات لسدها ، لانها جميعا ، سواء كانت سياسية أو

اقتصـــادية أو عسكرية ضرورية جـــدا ، مما سوف يؤدى الى تفتيت الامكانيات دون تحقيق كفاية تحقق القناعة لهذه الشعوب .

فى عـــــام ١٩٦٦ ، قـــدر ليونارد ليشت Leonard A. Lecht ان مساهمة الولايات المتحدة فى المنظمات الدولية التى لا تعمل فى ميدان المال وفى المعونة العسكرية ، وبرنامج « الغذاء من أجل السلام » سوف تحتاج « معدل من الصرف يبلغ ١ر٣ مليون دولار لكل عام على اقل تقدير خلال السبعينيات » (٦) . واذا ما عدلت هذه التقديرات بعد أن أصبحت متخلفة ، بتقديرات جديدة أضخم ، واضيفت لهـــا كل أنواع المعـــونة الخارجية ، فانها تصل الى مبالغ ضخمة لا يمكن توفيرها سياسيا .

منذ بدء السبعينيات ، ظهر اتجاه قاطع بتخفيض المعونة الخارجية نتيجة لدوافع سياسية ، ومطالب اجتماعية ، ونتيجة لحرب فيتنـــام . والمعونة سوف لا توقف ولكنها سوف تفحص بعناية فى السنين القادمة وسوف تقيد كما لم يحدث من قبل .

ذلك يقتضى أن ينظر الى الفترة الباقية من القرن العشرين من خلال التعارض والتقارب ، والفعل ورد الفعل ، بين الدول والجماهير ، والمصادر والمطالب ، والافكار والحقائق فى عالمنا الصغير .

سوف يتأثر تاريخ الثلاثين سنة القادمة بثلاثة عوامل رئيسية : قدرة الولايات المتحدة ومدى اصرارها على التخلص من أغلب مشاكلها الداخلية المزمنة أو تحقيق الاستقرار على الاقل فى مواجهتها ، مع استمرار دورها كقوة عظمى فى العالم ، واصرار الاتحاد السوفيتى على الخروج من سجن « قلب الارض » المحاط بالارض ، بالنفاذ من الشريط الساحلى أو الالتفاف حوله . والانطلاق بقواته البحرية الى بحار ومحيطات العالم . ومحاولة الصين الشيوعية تحقيق دولة موحدة ، ذات قوة صاروخية نووية عظمى . أما فى أوروبا فسوف يؤثر الدور الذى سوف تقوم به كل من ألمانيا وفرنسا ، وكذلك فى آسيا سوف يؤثر دور اليابان الى حد كبير على هذه العوامل الثلاث . كذلك سيتأثر موقف العالم ، بوجه عام بالتفجيرات التى تسرى بين الدول الصغيرة المتخلفة فى الشرق الاوسط وآسيا وأفريقيا وامريكا اللاتينية . وفى مثل هذا العالم ، سوف تلعب المنظمات والتحالفات الاقليمية دورا كبيرا فى التنمية الاقتصادية والامن السياسى والعسكرى . كما ستواصل الامم المتحدة — والصين الشعبية عضوا فيهـــا ، أو بدونها — عملهـــا كمنتدى عالمى تتشتت فيه حرارة الغضب بالمناقشات والمناظرات والالفاظ الغاضبة بدل أفعال العنف . والامم المتحدة تحمل معنى خاص بالنسبة للدول الصغيرة والمتخلفة ، اذ يمكن أن تكون — برضاء الدول الكبرى —

درعا مخففا للصدمات . وبين جدرانها تستطيع الدول الضعيفة مواجهة الدول الكبرى طبقا للمساواة المجازية التى يفرضها الميثاق . وهى مجال لتلاقى الافكار وتطبيق اسلوب الاقناع المعنوى . وتستطيع الامم المحدة وادواتها . أن تلعب دورا هاما فى المجال الاقصادى ، خصوصا بالنسبة للدول المتخلفة ، كما تستطيع أن تؤدى دورا كبيرا فى تحقيق الرقابة على التسليح .

ولكن الامم المتحدة ؛ ليست ، ولا يمكن أن تكون علاجا ناجحا لمشكلات العالم خلال حياة هذا الجيل . فهى لا تملك قوة خاصة . ولا تعادل مجموع مكوناتها . وقد اتضح عجزها — كما لم يتضح من قبل — فى الظروف التى أحاطت بالحرب الاسرائيلية العربية عام ١٩٦٧ . فقوتها البوليسية شكلية واسمية ولا يحتمل أن تكون أداة بوليسية مؤثرة الا فى ظروف خاصة محدودة ، لها فوائد سياسية وعسكرية لتسوية الخلافات البسيطة ، وتقليل حدة التوتر ، ومراقبة تنفيذ الاتفاقيات الدولية . ولكنها لا يمكن أن تعمل كقوة كبرى ، لانها ليست ولا يمكن أن تكون كذلك . وأى خلاف بين الدولتين العظيمتين أو بين اى دول كبرى تقف امامه عاجزة عديمة الحيلة . ولا تستطيع الولايات المتحدة الامريكية ، ولا اى دولة كبرى اخرى أن تعتمد على الامم المتحدة فى تحقيق امنها السياسى او العسكرى عملا بالقول « ماحك جلدك مثل ظفرك » .

من المحقق أن ما تبقى من القرن العشرين سوف يكون اشد خطورة على آمال الولايات المتحدة الامريكية وعلى العالم اجمع من السبعين سنة الماضية . لقد عانى الامريكيون من توريطهم فى المشكلات والحروب ، واصبحت العودة الى العزلة حتى لمن يعتنق راى وولتر ليبمان Walter Lipman فى هذه الايام فلسفة مبجلة ، اذ أن نفقات الامن والمساعدات الخارجية سوف تكفى لمقابلة الاحتياجات الداخلية . كما ستكون هناك نزعة مماثلة لاختصار الميزانية العسكرية وتخفيض القوة العسكرية العاملة . كما حدث عقب اى حرب اشتركت فيها الولايات المتحدة الامريكية .

ومن الوجهة السياسية . بدى فى الولايات المتحدة الامريكية اتجاه لعدم الاستقرار منذ عام ١٩٦٠ ، سوف يستمر ، وتحول من نظام الحزبين القديم الى تطرف بين اقصى اليمين واقصى اليسار . وسيستمر هذا الاتجاه مدعما بالخلاف العنصرى والحزازات القديمة . والسياسة الخارجية سوف تصبح كما وصفها صمويل هاتنجتون Samuel P. Hatington « تطور اساسى فى السلوك الامريكى ... حول التورط الامريكى فى الشئون الدولية » (٢) . وهو الذى وجه النظر الى الاتجاه السائد للرأى العام

الامريكى ناحية « الانطواء » ، وتوقع انه « لن تكون هناك فيتنام أخرى » فى نطاق السياسة الامريكية فى المستقبل القريب (٨) . وهو يرى « ان التخلص من التورط فى شئون العالم » قد بدأ وسوف يستمر خلال السبعينيات ، وقد يورث ذلك نفس السلوك تجاه البحار والمحيطات .

غير انه يرى ان الولايات المتحدة الامريكية سوف تواجه أزمات عديدة فى الخارج يتحتم مجابهتها ، حركات فاشية ، وحروب شيوعية ، وثورات فلاحين وهجمات على الامريكيين . وفى الداخل سوف يكون هناك تعارض بين التراجع من العالم حولنا ، وبين الرضى المعنوى الذى حققته السياسة الامريكية الخارجية ، الذى سماه السفير السابق أدوين ريستشور Edwin Reischauer الالتزام المعنوى بمساعدة من يحتاجون المساعدة .

ان الصراع الداخلى بين « النزعة الى العزلة لتجنب التورط والتدخل فى مشاكل الشعوب الاخرى ، وبين النزعة العالميــة لتثبيت القيم التى نعتنقها فى العالم » كما وصفه ايتل دى سولابول Ithiel de Sola Pool سوف يتأجج وربما يسوء بانتشار الاسلحة النووية . « وعقدت معاهدات أو لم تعقد ، فسوف يرى كثير منا فى حياتهم كثير من الدول المتخلفة تمتلك وسائل شن حرب نووية » (٩) .

سيؤدى التناقض فى السياسة الداخلية ، والتغيير فى المواقف الامريكية الى عدم استقرار سياسى واقتصادى عميق ، يشتد خطره عندما تمتد اطماع السوفييت الى الافق البعيد ، وعندما يمتد نشاط الاسطول السوفيتى التجارى الى جميع أنحاء العالم ، وعندما تتأثر السياسة والاستراتيجية الامريكية بالتفوق فى قوة الدول الشيوعية ، وخصوصا فى قوة الصواريخ النووية . لقد وصلت الثورة التكنولوجية الى اخطر مراحلها ، واصبح النصر والهزيمة شيئا يمكن تحقيقه فى معامل الابحاث .

واليوم . اذ تحاول الولايات المتحدة الامريكية وضع سياسات أمنية للغد تواجه بحقائق مزعجة عن القوى الشيوعية .

تمكن الروس من تحقيق تفوق فى عدد القواعد البرية للصواريخ بين القارات على الولايات المتحدة الامريكية خلال عام ١٩٧٠ ، كما أن حمولة هذه الصواريخ تفوق حمولة صواريخنا . اذ تنشر موسكو ما بين ٦٠٠ ، ١٠٠٠ صاروخ متوسط المدى على قواعد برية ، بعضها سهل الحركة ، يدخل فى مداها أى هدف فى أوروبا أو شمال افريقيا ، ولا تملك الولايات المتحدة الامريكية شيئا منها . كما أن الاتحاد السوفيتى يتفوق على الولايات

المتحدة الامريكية فى الدفاع ضد الصواريخ الى حد كبير ، بعد أن توصلت روسيا الىمعلومات تفصيلية عنالانفجارات النووية الكبيرة علىالارتفاعات العالية ، من تجارب أجرتها عند خروجها على الاتفاق الودى بوقف التجارب فى المدة ١٩٦١ – ٦٢ . وتمتد حول موسكو شبكة الدفاع بالصواريخ التى لن تلبث أن تعدل وتعزز بنظام جديد للدفاع عن كل البلاد . ولكن شبكة الصواريخ المضادة للصواريخ الامريكية لا تزال تحت الانشاء والروس متفوقون فى هذا المجال ، بمراحل .

ويبدو واضحا ان الولايات المتحدة متفوقة عددا ونوعا فى الصواريخ الموضوعة على قواعد مائية ، ولكن الفرق يتضاءل لان الروس يبذلون جهودا فائقة للحقاق بنا . كما أن للولايات المتحدة التفوق فى فن القصف الاستراتيجى ، ونوع قاذفات القنابل ، وليس فى عددها ، ولكن نظام الدفاع الجوى السوفيتى يزداد قوة يوما بعد يوم بفضل أنواع الرادار الجديدة ، والصواريخ المعدة للدفاع المنخفض ، وطائرات الاعتراض الحديثة ، القوية ذات السرعة العالية جدا .

بحلول عام ١٩٧٥ ، تصبح بعض الصواريخ السوفيتية بين القارات ICBM – وكلها الان فى محلات تحت الارض يتوفر لها وقاية منيعة جدا – سهلة الحركة . ويحتمل أن يجهز بعضها برؤوس متعددة ذاتية التوجيه الى أهداف مستقلة MIRV وقبل حلول هذا العام ، ١٩٧٥ ، سوف يتضاءل التفوق الامريكى فى عدد الصواريخ ذات القواعد البحرية ، وكانت تتراوح بين ٤ و ٦ الى ١ فى عام ١٩٦٨ ، الى من ١ و ٥ر١ الى ١ (١٠) ، اذا لم يزداد نشاط الولايات المتحدة الامريكية فى هذا المجال .

ان مستقبل التفوق السوفيتى ، أو حتى التعادل فى التسلح النووى شىء لا يدعو الى الارتياح . لانه يعتبر ، كما قال سبجنيو برزنسكى Zbigniew Brzesinski « تحول كبير فى معادلة القوة فى العالم سوف يساهم فى خلق موقف يتفاقم باطراد ، لا يمكن توقع نتائجه ، يدعو الى عدم الاطمئنان » .

« ولا يمكن تقدير ما اذا كان هذا الموقف سوف يؤدى الى الكبت أو يبعث على المناورة والخداع ، ولكن هناك ما يدعو الى التشاؤم على الاقل . . .

. . . والردع قد لا يكون فعالا فى المستقبل كما هو الان » (١١) .

والمباحثات الامريكية ـ السوفيتية حول تحديد الاسلحة الاستراتيجية التى بدأت أخيرا ، كما يبدو ، بطريقة لا تناسبنا ـ ليست فى صالحنا . وحتى اذا أمكن الوصول الى اتفاق فليس المؤكد انه « سيؤدى الى تقييد متبادل أشد على الجانبين » .

لم يبلغ التحدى الاستراتيجى للصين الحمراء اشده بعد . وقد أدت الحرب الاهلية التى عانتها الصين فى الفترة ١٩٦٥ ـ ٦٨ ـ وهى جزء من الصراع السياسى الايديولوجى الذى تولده الشيوعية عادة ـ الى بطء التطور النووى الصاروخى الصينى . وان كانت تملك الان صواريخ تكتيكية قصيرة المدى ، وقدرة على القصف النووى حتى مدى القاذفات الخفيفة ، اى من ٧٠٠ الى ١٠٠٠ ميل من حدودها . وقد تملك بكين ـ فى عام ١٩٧٥ ـ ترسانة صغيرة ، لها أهميتها ، من الاسلحة النووية والحرارى نووية ، وقد تملك أيضا أعداد مختلفة تصل الى بضع مئـات مثلا من الصواريخ المتوسطة المدى حتى ٢٠٠٠ ميل وربما بعض الصواريخ بين القارات وصواريخ تطلق من الغواصات .

وبذلك يكون الاحتكار النووى ، والتفوق الكبير فى القدرة على توصيل الاسلحة النووية الى أهدافها ، وقد تمتعت بهما الولايات المتحدة الامريكية لفترة بعد الحرب العالمية الثانية ، قد وصلا الى حد التعادل الى حد كبير . ولكن الثورة التكنولوجية لم تنته بعد ، وأى تفوق أو تطور كبير فى الاسلحة الهجومية والدفاعية قد يبدل معادلة القوة فى السنين القادمة .

هناك عناصر اخرى من القوة العسكرية السوفيتية حققت تقـدما مشابها فى الفترة الاخيرة ، الاسطول السوفيتى ، وكان فيما مضى اسطولا يعمل فى المياه الضحلة ليحمى جناح الجيش الاحمر ، فأصبح القوة البحرية الثانية فى العالم . وهو يملك اكبر قوة من الغواصات . وقوة متزايدة من سفن السطح الحديثة وحاملتى طائرات هليوكوبتر على الاقل . وعـدد لا بأس به من قوارب الانزال الحديثة . وقوة ابرار بحرى صغيرة ولكنها على درجة عالية من التدريب . وطرادات ومدمرات مسلحة بصواريخ طويلة المدى من السطح للجو ، ومن السطح للسطح ، تلك كلها عناصر تدعم قدرة موسـكو .

بمرور الزمن ، ستدفع موسكو قوتها الجوية الرابضة على قواعد برية الى قواعد بحرية ، أما بانشاء حاملات الطائرات الهجومية . أو بتطوير النزول والاقلاع العمودى من الاسطح الصغيرة لسفن الاسطول . لقـد أنشئت قوة بحرية سوفيتية مستديمة فى البحر الابيض المتوسط . والاجنحه الجوية تطير كالمطارق ، والقطع البحرية السـوفيتية تمخر فى الخليج

الفارسى والمحيط الهندى ، والغواصات تجمع الاخبار والبيانات ، وسفن السطح منتشرة فى بحار العالم ، يصاحبها أسطول من السفن التجارية — ينمو بسرعة متزايدة تفوق سرعة نمو الاسطول التجارى لاى دولة أخرى فى العالم — وكذلك احدث اسطول صيد فى العالم ، بهذه العناصر تحاول روسيا النفاذ من الحصار الذى فرضته الارض حولها ، الى آفاق عالمية .

والجيش البرى السوفيتى واحد من اقوى جيوش العالم ، ولو انه خفض منذ ظهور الصواريخ الاستراتيجية . يتكون فى وقت السلم من ١٥٠ فرقة قادرة على الزيادة ، مسلحة بأسلحة حديثة قوية ، من جميع الانواع - وخاصة المدرعات والمدفعية . تعاونه قوة جوية تكتيكية ، تبلغ من ٣٢٠٠ — ٤٠٠٠ طائرة على الاقل .

أما القوة العسكرية الكبرى لبكين فهى الجيش البرى ، وستبقى كذلك لعدة سنين . وهو جيش انتابه الضعف منذ عدة سنين ، مزقته الانشقاقات الناتجة من ثورة ماوتسى تونج الثقافية ، ويحتفظ بضخامته بصعوبة ، ولكنه يملك قدرة على الاستعواض لا حدود لها . مجهزا تجهيزا جيدا بأسلحة المشاه والمورتار ، والمدفعية الخفيفة والمتوسطة ، ولكنه ضعيف فى المدرعات والقوة الجوية التكتيكية المعاونة . وهو اكبر جيوش العالم من الناحية العددية — يتراوح بين ٢٫٢٥٠٫٠٠٠ فرد ، ٢٫٧٥٠٫٠٠٠ - منظما فى ١١٨ فرقة وعدد صغير من جنود الجو .

والقوات الجوية والبحرية الصينية ضعيفة ، اذ أنها ركزت اغلب جهودها التكنولوجية فى مجال الاسلحة النووية والصواريخ الاستراتيجية . ولكنها أظهرت قدرة مفاجئة على صناعة بعض المعدات العسكرية الحديثة وليست كلها مثل روسيا . فهى تستطيع انتاج عدد من الطائرات النفاثة ميج ورادار من نوع جيد . وأهم عناصر قواتها البحرية هى الغواصات السوفيتية ، اثنتان منها على الاقل مسلحة بقاذفات صواريخ ، وبها قوارب توربيد كومار مسلحة بصواريخ مجنحة ستيكس Styx مضادة للسفن ، من النوع الذى اغرقت به مصر المدمرة الاسرائيلية ايلات .

والجيش الاحمر تسانده ميليشيا الجماهير واكبر قوة بشرية فى العالم ، قوة دفاعية عظيمة ، يربض قريبا منه على الحدود جيش هجومى عظيم . والقوة الضخمة لهذا الجيش تبسط ظلالها على القارة الاسيوية كلها .

ولكن الصين — فيما عدا تهديد نووى محدد — لا تملك الا قدرة هجومية صغيرة عبر حدود أراضيها ، فهى مارد متخلف ، تستطيع بتقدمها أن تهز العالم .

وفى مجال مقارنة القوة العسكرية للولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى والصين . تملك الولايات المتحدة الامريكية قاعدة تكنولوجية صناعية متفوقة جدا ، كما تمتاز على وجه العموم فى نوع الصواريخ الاستراتيجية ونظام اطلاقها . كما أن جيشنا تطور الى أحدث ، نتيجة لحرب فيتنام ، ولو انه أصغر فى العدد الا انه يمتاز بخفة الحركة وقوة النيران اذا ما قورن بجيوش العالم الشيوعية الكبرى . وميزتنا الكبرى فى البحر ؛ فقواتنا البحرية — رغم التقدم الروسى الملحوظ فى هذا المجال — لا تزال متفوقة على القوات البحرية السوفيتية . والارجح ان قدرة القوات الجوية والبحرية والبرية الامريكية مجتمعة لهـا التفوق تكتيكيا وتكنولوجيا على الشيوعيين بصفة عامة .

وبالمقارنة بهؤلاء المردة العسكريين ، نجد القوات العسكرية لباقى دول العالم صغيرة فى الحجم ومتخلفة تكنولوجيا . ولكن لها أهمية خاصة من الناحيتين الاقليمية والمحلية ، وتستطيع أن تؤثر على توازن القوى فى ظروف خاصة . فانجلترا وفرنسا أعضاء فى النادى الذرى ، ولهما وضع سياسى — دبلوماسى ؛ وفى بعض الاحوال ، تأثير عسكرى يجعل لهما امتيازا على الدول الاخرى . وكان التقليل من شأن القدرة النووية لفرنسا يغلب فى الغرب ، ولكن ذلك خطأ ، لانه بحلول عام ١٩٧٥ ، سوف يصبح للقوة النووية الفرنسية أثر عسكرى ، زيادة على الاثر السياسى . واذا كانت صواريخ الغواصات الفرنسية تملك القدرة على تدمير موسكو أو بكين — بصرف النظر عما تفعله بكين أولا — فان ذلك يضيف شكلا كبيرا وخطرا قائما يعمل حسابه فى كل معادلة من المعادلات الشيوعية الهجومية .

ولالمانيا الغربية فى أوروبا ، ولكوريا الجنوبية فى آسيا أهمية عظمى فى مناطقهم بالنسبة لقواتهم البرية والقوات الجوية المعاونة لها ؛ بالاضافة الى اليابان ، اذ أن دورها فى المجال العسكرى ينمو يوما بعد يوم . على أن دول أوروبا الشرقية التى تدور فى فلك السوفييت تملك عددا لا بأس به من الفرق البرية ، تعاونهـا قوات جوية مساعدة ، تدعم القوات السوفيتية ، ولو أن جيوش هؤلاء الاتباع يشك فى امكان الاعتماد عليها فى الازمات الحادة .

ماذا يخبئه المستقبل اذا ؟ سيكون عالم مخاطر كعالم الامس ، ولكنها اخطار اكثر لشعوب اكثر كما لم يحدث من قبل فى تاريخ البشرية . وسيبقى عالم « العقربين معا فى زجاجة واحدة » ، فهناك خمس دول تحتفظ بقدر كبير من الاسلحة النووية ، والثورة التكنولوجية ماضية فى طريقها . وقد تؤدى المباحثات الجارية بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى

الى تخفيف حدة سباق التسلح بالاسلحة الاستراتيجية ، نتيجة الجهود الدولية التى تبذل باصرار فى هذا المجال ، ولكن مدى تحقيق ذلك يتوقف على عاملين ، موقف الصين ، وما اذا كانت الولايات المتحدة تتفاوض من مركز القوة وليس من مركز الضعف . ولا يحتمل الوصول الى اتفاق عام على الرقابة على التسلح فى المستقبل القريب . على أن تحقيق « نزع سلاح عام كامل » . وهو مبدأ جندت له الدول العظمى كل افواهها — هو فى الحقيقة كارثة من وجهة نظر الولايات المتحدة الامريكية ، لان الشعوب اذا سلحت بالعصا والحجارة فسوف تكون الغلبة للكثرة العددية دون شك . والانسان لا يستطيع أن يحقق اتفاقا للرقابة على التسلح لا يمكن مخالفته والخروج عليه بواسطة الانسان نفسه . وسباق التسلح يمكن دراسته وبحثه وتعديله ، ولكن لا يمكن وقفه خلال القرن العشرين .

يبدو أن خطرا جسيما يطل علينا فى هذه المرحلة . لان التفوق العظيم الذى كانت تتمتع به الولايات المتحدة الامريكية فى يوم ما ، تحول الى ما يقرب من التعادل . وصاحب ذلك تفتت فى القوى السياسية والاقتصادية — بدرجة اقل — وتبعثرت هذه القوى بين كيانات جديدة اقل التزاما فى كثير من الاحوال . ولكن تقابل ذلك قوة معادلة تناضل لمواجهة الكارثة ، فالحكومات والشعوب وقد روعت بالقوة الهائلة للاسلحة الحديثة ، خصوصا فى العصر النووى ، أظهرت كبتا وحذرا وتعقل حتى فى وقت الازمات .

ولكن الحرب النووية ممكن حدوثها ، ولو انه من السهل رفضها ، وكثيرا ما رفضت فعلا كشىء « غير معقول » . وكما بين هيرمان كاهن ، يجب أن نفكر فيما يبدو انه من المستحيل التفكير فيه ، لاننا اذا قبلنا بسهولة « استحالة التفكير » فى حرب نووية ، وتقاعسنا عن فعل شىء من أجلها ، فسوف نصبح اما « حمر (شيوعيون) أو موتى » أو كلاهما . وعلى ذلك فخطر الغد يكمن فى حرب نووية ، أو عبودية سياسية ، كبديل لها .

ولكن المخاطر المحتملة او الاكثر احتمالا ، كلها غادرة مختفية لا تبدو للعيان . فروسيا على الاقل قد أبدت رغبتها فى تحقيق مصالحها بالتعايش السلمى المتبادل . ولو انها كما قال وليم كنتز William R. Kintner وهاريت فاست سكوت Harriet Fast Scott « تحولت مباشرة الى استراتيجية نووية » (١٢) ولكنها لم تشجب « حروب التحرير الوطنية » التى تسمى الحروب « العادلة » مثل حرب فيتنام . وكان هناك اتجاه معتدل — فى الكتلة الشيوعية باستثناء الصين حتى الان — فى أى ثورة . ولو ان غاية لينين لاخضاع العالم لم يتخل عنها حتى الآن . ولكن ليس

هناك حـد قاطع ، والاندفاع الايديولوجى للشيوعية السـوفيتية يتميز بالانتهازية ويلزم دائما الاتجاه الاضعف مقاومة . وروسـيا لا تزال ، وستبقى تحت حكم رجال قساة . وما تبقى من القرن العشرين سيكون خطيرا بسبب تزايد نمو قوة روسيا ، واستمرار الصراع الداخلى فيها على السلطة . لقد أصبح الاتحاد السوفيتى يمتلك الوسـيلة التى كان يفتقدها من قبل ، لتصدير الشيوعية قسرا ، وهى قوة ما زالت لا تكفى لاخضـاع العالم ، ولكنها تتضاعف . وروسـيا تكرسها لغاية عالميـة جيوبولوتيكية كما يبـدو .

وكمـا كتب جيرالد سـتيل فى كتيب صـغير بعنوان Détente Dilemma or Disaster ? وضعه لمركز المعلومات الاستراتيجية القومية، « تبدو سياسة الاتحاد السوفيتى ، وتوزيعه لمصـادره ، واختراعات أسلحته ، وأفعاله قبل كل شىء ، وكأنها لشعب يستعد لصراع كبير وربما لحرب كبرى » .

وذكر ادمـيرال ايرلنج بيرك Admiral Arleigh Burke رئيس مركز الدراسات الاستراتيجية والقومية فى جامعـة جورج تون ، فى ملخص تقرير حديث للمركز عن الاتجاهات الاساسية فى سياسات الكرملين . انه « من المنتظر أن يواجهنا السوفييت بشوفينية سـوفيتية متزايدة ، وتصلب ايديولوجى فى نطاق الكتلة ، وعدم استقرار ونفوذ عسكرى أكبر فى نطاق القيادة فى الكرملين » .

« قد تؤدى هذه العوامل الى سياسة سوفيتية تتضمن تنافسا وتدخلا أكبر فى الشئون الدولية السياسية والعسكرية » (١٣) كمـا يستخلص الباحثون .

أخذ « التدخل والتنافس » صـور المضاربة ، والتجارة النشـطة والمقايضة ، وأخذ صورة دبلوماسية ، كما حدث مع تركيا واليونان . وصورة تكتيك المواراة ورتق القطوع كما حدث مع الصين وألمانيا الغربية والولايات المتحدة الامريكية . وسوف تستخدم موسكو مفاوضات الحد من الاسـلحة الاستراتيجية والاتفاقات التى تمت بينهـا وبين بون ، والمحادثات بين حلف وارسو والناتو كعوامل تدعم الاسترخاء الذى سرى فى الغرب ، وتستثير عودة التنافس القومى وتشجع انفصـام وتفكك الاحلاف الغربية . ويبدو ان الناتو مهدد بتلك الاساليب الى حد كبير .

ولا يخلو هذا الاسلوب من أخطار على موسكو نفسها ، لان أسلوب الاسـترخاء لا يمكن حصر نطاقه ، وقد تسرى « عدواه » الى البـلاد

الشيوعية ، مما يؤدى الى تفكك الكتلة . ينطبق ذلك على سياسة الموازاة التى تتبعها مع المـــانيا الغربية على وجه الخصوص .

ومهما كانت وجهات النظر ، فان نية روسيا الظاهرة لامتلاك قـــوة عالمية واستغلالها سوف يكون عامل عدم استقرار يخفى وراءه مستقبلا مهتزا .

تبدو الاطماع السوفيتية واضحة فى استئنافها الاندفاع نحو بحار المياه الدافئة والمحيطات المفتوحة ، من قلب الارض عبر النطاق الساحلى لاوراسيا لتصل الى المياه الزرقاء . خصوصا أن نمـــو القوة البحرية السوفيتية يفوق كثيرا ما يلزم لامن وسلامة قلب الارض . ويتوقف تاريخ الغد على معدل هذا النمو ومدى استمراره .

ونمو الصين وسلوكها سيكون العامل الاكبر التالى فى عالم الغد . فخلال السنين الاولى للحكم الدكتاتورى للشيوعية ، كانت الصين سليطة فى صراخها ولكن حذرة فى أعمالها ، عدا فى كوريا . غير انها ــ مثل روسيا فى الماضى ــ كانت لا تملك الوسائل اللازمة لمغامرات بعيدة أو مغامرات خطيرة . وهناك شك قليل فى أن حكامها وبعض شعبها يتوقون لتحقيق السيطرة على آسيا ، ولكنها تجتهد لانجاز قوة صناعية تكنولوجية .

« وطبيعة العالم الذى يعيش فيه الامريكيون والصينيون والروس تجعل العلاقات بين الدول والشعوب حساسة مرتبطة بالصدف . وسوف نبقى جميعا ــ دون شك ــ فى عالم ضيق يسوده الذعر والشك والعداوة تجاه بعضنا البعض. لا يستطيع أى منا أن يخضع الاخرين أو يطيح بهم ، ولا نستطيع كلنا التخلص من تورطنا فيه أو الاحتماء بظل أمن مسلح .... وفى مثل هـــذا الموقف يجب أن نحافظ فى الولايات المتحدة الامريكية على حيوية اقتصادنا وسياستنا وروحنا المعنوية وقوتنا العسكرية ، وأن نتعاون مع الشعوب التى تشاركنا الغايات العظمى ، التى تلتزم بتدعيم السلام ونظهر باستمرار اننا مصممون على الدفاع عن مصالحنا كما حدث فى عام ١٧٧٦ ، ١٩٤٢ » (١٤)

اذا نظرنا الى عالم الغد فى اطار الاستقطاب الماضى ، فان نظرتنا تكون مشتتة ، لان مشكلات ما تبقى من القرن العشرين لا تقتصر على النزاع بين الشيوعيين وغير الشيوعيين ؛ بين قوى روسيا والصين ، والدول الاخرى . انه عالم غادر معقد اكثر من ذلك ، فعالم المســتقبل يحمل بين طياته بذور النزاع ، وتحديات كبرى للانسان لا يمكن توقعها .

والاضطرابات المنتشرة فى انحاء العالم هى نوع من تقلصات التاريخ، سوف يعقدها صراع الملايين من اجل تحقيق الافضل ، وعدم كفاية الجهود التى تبذلها المناطق المتخلفة املا فى سد الفراغ القائم فى هذه المناطق .

وفيما بقى من القرن العشرين ، سوف تكون هناك مواقع لازمات منتشرة فى انحاء العالم ، مواقع تنبت فيها المتاعب والحروب . ومن السهل تحديد مناطق المشكلات التى سوف لا تجد لها حلا بسهولة ، برلين ، والمانيا المقسمة وخليج تايوان ، وموقف الصين الوطنية والصين الشيوعية ، وكوريا المقسمة ، وجنوب فيتنام المقسم ، وجنوب شرق آسيا ، وافريقيا ، وامريكا اللاتينية ، وقبرص ، وشبه الجزيرة العربية ، ومنطقة الخليج الفارسى ، والشرق الاوسط الثائر على وجه أخص . وهناك نقط أخرى « ساخنة » لم تظهر حتى الان سوف تظهر فى السنين القادمة ، لبعضها اهمية محلية عابرة ، والبعض الاخر أكثر خطورة وأطول استمرارا .

كل ذلك لا يعنى حرب شاملة ، وقد لا يصل حتى لكوريا أو فيتنام أخرى ولكنه سوف يؤدى الى عالم ذى أزمات مستمرة ومتاعب لا تنتهى .

والتحديات للولايات المتحدة الامريكية ، اقصاها تحد لدورنا فى الماضى كدولة حديثة متمدينة عالمية ، واقلها تحد لصبرنا ولمؤسساتنا السياسية ولاقتصادنا .

ان أعظم دور للسياسة الخارجية للولايات المتحدة الامريكية ولسياسة أمنها ، واستراتيجيتها العليا ، هو مقابلة التحديات التى ستواجه أمنها فى السنين القادمة : دون أن تتحول الى قلعة عسكرية أو دولة ترصنة . والامر يتساوى بالنسبة لاى طريق نسلكه — التعاون الدولى لاقصى حد خلال الامم المتحدة والوكالات الاخرى ، أو عزلة جديدة فى قلعة امريكية محايدة ، أو القيام بعمل رجل البوليس فى العالم — سوف تكون الولايات المتحدة فى حاجة لقوة عسكرية معدة للدفاع عن مصالحنا الحيوية ، تدعمها وتعاونها قاعدة صناعية تكنولوجية حديثة . **والتحدى لاستراتيجية الغد يكمن فى الموائمة بين القماش والبدلة ، وضغط الالتزامات المتزايدة بما يتناسب مع المصادر المتناقضة .**

٤

العملاق يواجه الضغوط

قال توماس فوللر Thomas Fuller فى عام ١٧٣١ محذرا « لا تزأر بنواياك عندما لا تستطيع قوتك الا الهمس » ولا يزال تحذيره قائم حتى الآن كما كان منذ قرنين من الزمان .

تملك الولايات المتحدة الامريكية أضخم وأقوى قاعـــدة اقتصادية وتكنولوجية فى العالم ، تجعلها قادرة على ملء العالم ضجيجا ، ولكن قوتها لا هى دائمة ولا هى نهائية . والسلطان القومى ينمو ويتضاءل ، وهو ليس محصلة للمركبات المادية فقط ، ولكنه محصلة أيضا لتضافر الارادات والمهارات والسلوك القومى .

لقد بنينا احلامنا على أساس اقتصاد الكفاية ، واقتصاد الفـــائض، واقتصاد الاسراف . واصبحنا آلة مدنية ــ اقتصاد قائم على القـــوة النووية ، والقوة الحرارية ، والقوة الكهربية ، والقوة المائية . كمـــا أصبحنا مجتمع ميكنة متحضر ، ينتج وافر وفائض من الاغذية بواسطة عدد من الفلاحين يقل يوما بعد يوم . لقد ولد الانتـــاج بالجملة والعصر التكنولوجى فى الولايات المتحدة الامريكية . ومنذ عقود ثلاثة أصبح لفـــظ القوة مرادف لاسم الولايات المتحدة الامريكية .

ولكن خلال السنين القادمة ، سوف تواجه مصادرنا المحدودة مطالب لا حدود لها . وعلى الولايات المتحدة الامريكية ان توائم نفسها بالتدريج لتبول حقيقة ان حدودها لم تصبح منيعة بعد . وان قارتها غزيت ، وان الفراغ حولها ملىء وان مصادرها تضاءلت . وفى السنوات القـادمة ، سوف يحل الاقتصاد الموجه محل اقتصاد الاسراف، شيئا فشيئا. وسوف تنتقل الولايات المتحدة بالتدريج من مجموعة الدول التى تملك ، الغنية بالمواد والمصادر الاستراتيجية ، الى مجمـوعة الدول التى لا تملك . ويتوقف ذلك على ما ينتج من مواد خارج حدودها . وبمرور السنين عاما بعد عام ، سيتوقف مستقبل الدولة على صحة مواءمة الالتزامات (أو المطالب أو المصالح) مع المصادر (أو القدرات) .

ومعادلة السلطان القومى لا يمـكن تغييرها ، اذ يتحتم الا تزيـد التزامات الدولة عن قدرة مصادرها . ذلك شرط حتمى سهل فى تغييره صعب فى تطبيقه .

ما هى المصادر الآن . وكيف ستكون فى الغـد ؟

الولايات المتحدة الامريكية تقل مساحتها عن نصف مساحة الاتحـاد السوفيتى من الناحية الجغرافية ، وهى أقل بقليل من الصين . هذا عامل تزداد أهميته ويكون له اعتبار أكبر فى عصر الاسلحة النووية والغبـار المشع المتساقط . وللولايات المتحدة الامريكية ميزات كبرى من ناحيـة الموقع الجغرافى والطقس الجوى، فالجزء الاكبر من اقليمها يقع فى المنطقة المعتدلة ، على عكس الاقليم الارضى الروسى المحاصر بالبر . ولها ثلاث شواطىء بحرية كبرى ، واراضيها الزراعية خصبة وغنية ، تستطيع سد حاجة شعبها ، وشعوب أخرى كثيرة فى العالم المجاور . لا تتعرض لـمـا تتعرض له روسيا والصين من سوء المحصول والمجاعات من وقت الى آخر . وهى كقارة جزيرية ، بعيدة عن مركز المشـكلات الكبرى فى العالم ، فى أرض اوراسيا الشاسعة .

تتساوى القوة البشرية ومعدل نموها ، تقريبا ، فى كل من الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى . ولكن أكبر قوة بشرية فى العالم ، قوة الصين ، تعادل اربعـة اضعاف قوة الولايات المتحـدة الامريكية البشرية .

والولايات المتحدة الامريكية دولة متحضرة صناعية ، اقتصادها متقدم الى حد بعيد ، بلغ انتاجها من الصلب ١٢٧ مليون طن فى عام ١٩٦٧ ، وهو أكبر انتاج فى العالم (روسيا ١١٠ طن واليابان ٥٣ طن) . وتنتنج

فحم ونحاس وتيتانيوم اكثر من أى دولة أخرى فى العالم ، ويبلغ انتاجها من البترول ٣ بليون برميل سنويا (من المصادر المحلية فقط) وهو يزيد عن انتاج روسيا بأكثر من بليون برميل كل عام (*) .

بلغ مجموع انتاجها القومى — السلع والخدمات — ٨٦٦ بليون دولار فى عام ١٩٦٧ ، وسوف يصل الى ٢ر١ تريليون دولار تقريبا فى عام ١٩٧٥ . ويبلغ انتاج روسيا القومى نصف الانتاج القومى للولايات المتحدة الامريكية . ومعدل التنمية الحقيقى يتراوح بين ٤ الى ٥ر٤ ٪ سنويا فى الولايات المتحدة الامريكية وبين ٤ الى ٧٪ سنويا فى روسيا(١) (+) .

والولايات المتحدة القارية غنية أيضا فى المواد الخام ، التى لم يستغل بعضها بعد . وقد اضافت اكتشافات الآسكا قدرا كبيرا من احتياط البترول والخامات المعدنية الى ثروتها . كذلك توجد كميات كبيرة أخرى من خام الحديد فى لابرادور Labrador ، وزيت بترول وغاز طبيعى فى شمال غرب كندا ، بالقرب من حدود الولايات المتحدة الامريكية ، ومن السهل امداد الصناعات الامريكية بها . ولكن هنـاك نقص كبير فيما يسمى بالخامات الاستراتيجية ، المعادن والمنتجات الاخرى اللازمة للصناعات الحديثة والصناعات العسكرية . على ان الولايات المتحدة تعتبر دولة سابقة للاتحاد السوفيتى فى مجال الاستغلال الجيولوجى للثروة الارضية . اذ يتواتر اكتشاف مصادر جديدة للثروات الارضية فى الاتحاد السوفيتى يوما بعد يوم . وان كانت الولايات المتحدة تملك حتى الان كنوزا كبرى لم تمس ، فى الارض ، وتحت قاع البحار المجاورة . وفى كندا والاسكا ثروات طائلة . ولكن روسيا تملك ثروة ضخمة غير معروفة ، وسوف تجد قريبا من حدودها كثيرا من مطالب الانتاج التكنولوجى الحديث ، وليس كلهـا .

وقد تعدت الولايات المتحدة الخط الفاصل بين الدول التى تملك والدول التى لا تملك . بالنسبة للاكتفاء الذاتى من المعادن والمواد الخام ، منذ عقد من الزمن . عندما زاد قدر وارداتنا من هذه المواد عن صادراتنا منها لاول مرة .

هناك ٢٣ مادة استراتيجية اما نادرة أو غير موجودة فى الولايات

(*) المقارنة التفصيلية (انظر فى الملاحق) .

(+) ملحق (ب) .

المتحدة ولكنهـا ضرورية لاقتصادنا (*) ، بعضها نستورده من كنـدا والمكسيك ودول أخرى فى نصف الكرة الغربى ، وان كانت جميع قارات العالم وكذلك بعض جزره ، تمدنا بمواد ضرورية لثرائنا وقوتنا ، ونوع واحد على الأقل من هذه المواد نشتريه من روسيا .

والحقائق حول عناصر السلطان القومى لا تقلق البال بوجه عام ؛ ولو ان هذه العناصر تحتاج لتحليل ومضاعفة .

والسلطان القومى ليس الا محصلة الارادة القومية والتصميم ، وهو نتاج لعوامل عديدة ؛ البيئة ، والنظام السياسى ، والنظام الحكومى ؛ والطبيعة وعادات ومهارات الجماهير .

والاقتصـاد الروسى لا يزال اقتصادا زراعيا ، ولكنه يتطـور الى اقتصاد صناعى بمعدل سريع . والفلاحين الصـينيين الذين يتكاثرون بمعدل سريع هم العصب الرئيسى لثـورة الصين الشيوعية ومصـدر قوتها . ولم تعد الولايات المتحدة الامريكية أرض شاسعة ممتدة ولكنها مجتمع صناعى متحضر ، واغلب سكانها بعيدين عن الاراضى الزراعية . ومثل الصين وروسيا ، هناك اقليات دينية ضئيلة فى الولايات المتحـدة الامريكية ، وكذلك هناك مجموعة السود التى سوف لا تذوب فى المجتمع قبل اجيال عديدة .

والمجتمع الصـناعى التكنـولوجى ، القائم على الميـكنة والادارة الميكانيكية ملتزم بان يدفـع ثمن ذكائه . فالآلة تغير سلوك الانسـان بالتدريج . ولكن الامريكيين لم يفقدوا حتى الان كل فضائلهم : اصرارهم على التعبير عن رأيهم وميلهم للابتكار ، وطاقتهم . ولكننا فى طريقنا الى فقد كثير من هذه الصفات ، لاننا لم ننج من أزمة القيم التى هزت العالم الغربى . ويرى الكثيرون ان اتجاه مجتمعنا الى الرفاهية والكسل والراحة والتساهل ، ليس السبيل لمواجهة التحدى . لقد كان للرغبة فى الحصول على الاكثر فى مقابل عمل اقل تأثير على الروح القومية . وفى الواقع ، جاءتنا الظروف السياسية والاجتماعية بقائد بعد قائد ، وحكومة بعـد حكومة ، وجميعهم يعدون برفاهية وتسهيلات أكثر ، وعمل أقل ، وتحديات اقل . ولو ان جون كيندى بين المشكلة فى قوله « لا تسأل عما تسـتطيع بلادك أن توفره لك . ولكن اسأل عما يمكنك أن تصنعه انت لبلادك » .

ولكن الاجابة لم تكن بالاثبـات .

(*) انظـر الملاحق .

ومن المحتم ان نعرف هـذه الاتجاهات ، لأن السلوك القـومى ، والارادة القومية هما المصادر الاساسية للبلاد فى المستقبل — وهى ، فى الواقع ، أهم من المساحات الخضراء والمصانع النشطة . هذه الاتجاهات ليست جامدة وليست منيعـة ضد التغيير ، ولايزال هنـاك ملايين من الامريكيين يحتفظون حتى الآن بالاخلاق التى جعلت هذه الدولة ، دولة عظيمة . ولو أن الاجيال الحديثة الثائرة ضد القديم قد شجبت كثير من القيم الزائفة والتظاهر بالفضيلة الذى كان سائدا بالامس .

ويصور كل ذلك هال بورلاند Hal Borland فى شعره الجميل عن رجل القرية .

« تنسخت الحضارات التى قامت على أساس تحرر الفرد من العمل ، نتيجة لسير الزمن ، وأصبحت ضعيفة وموضع سخرية أكثر منها هامة وقوية . ان العمل أسطورة تدفع الى الحرب والخراب ... وقد بلغت كل مدنية عنفوانها، من وجهة نظر الانسان على الاقل ، عندما بلغت مرحلة من مراحل العمل ، وعندما خرج الانسان يبنى مجتمعا متمدينا على حافة الجهالة، كان لا يحلم ببناء مجتمع لا طعم له ولكن بمنجزات يحققها بقوة عضلاته ... يتحتم أن تنبت المدنية والثقافة عميقا فى مكان ما ، واغلب الجذور افضل ما تنمو فى التربة نفسها » (٢) .

لم تعد امريكا — دون شك — مجتمعا رائدا ، ولم تبق كما هى دولة زراعية . واصبح التوتر وعدم الصبر ، كما أصبحت امراض ومساوىء الشعب الصناعى المتحضر كلها من الخصائص القومية للشعب الامريكى .

هناك مزايا وعيـوب فى طريقة تطـور حكومة الولايات المتحـدة الامريكية أيضا . اذ اننا لم نبق على النظام الجمهورى كما كان فى مفهوم ابائنا الذين اسسوه ، لقد اصـبحنا ديموقراطية فرضت ملامح حـكم الغوغاء فى عدة أوقات ومناطق . ويبدو فى بعض الاوقات كاننا نطبـق المبادىء الديموقراطية القديمة لدولة المدينة الصغيرة فى اليونان القديمة، أو نظام التجمع الانجليزى الجديد كما كان فى القرن الاخير ، على دولة يبلغ تعدادها ٢٠٠ مليون من السكان المتباينين . لقد اصبحت حكـومة الولايات المتحدة الامريكية مركزية الادارة الى اقصى حد ، حد الجمود ، وهذا لا يتوائم مع ظروفنا الداخليـة . كما اصبحت حكومة بيروقراطية الى حد يقلل من كفاءتها ، تعطف على الفرد ولا تضلله مثل نظام الحكم الشيوعى . ونظامنا اكثر مرونة ، واقل صلابة ، واضـعف قدرة على العمل السريع فى وقت الازمات من النظام الشيوعى الفاشى . ان حكومتنا تعد الجماهير بالكثير ، وتطالبهم بالقليل ، مما يضعف فضيلة الاعتمـاد على النفس ، التى كانت من أهم خصائص الامريكيين فى الماضى . وعندما حاولت الحكومة الوفاء بوعودها ، اضطرت الى رفع الضرائب بشكل خيالى ، الى درجة ان الكل اصبح يحاول الهروب منها — وكان عمـلا

لا يمارسه الا القليلين . ومن جهة أخرى ، لقد ثبت حتى الآن ان نظامنا قادر على تقبل المعارضة والابتكار وانتقال السلطة دون عنف وصدام قاتل كما يحدث فى ظروف تغيير القيادات الشيوعية .

على أن نواحى القدرة والضعف فى الولايات المتحـــدة الامريكية ، باختصار ، ركائز النظام الســـياسى ، ومصادر النظام الاقتصـــادى ، والصفات القومية والتكنولوجية للمجتمع الامريكى ، والفؤاد والعقــل والفكر والعضلات والآلة فوق كل شىء ، كلها عوامل جعلت من الولايات المتحدة الامريكية اغنى شعب فى العالم ، وأقوى شىء فى العالم ، ومارد تاريخى ، كما لم يحدث من قبل فى التاريخ .

ولكنه مارد يواجه الضغوط .

واليوم أصبحنا دولة قائمة على تعهدات وضعناها على كاهل الجيل القادم ، لقد رهنا المستقبل من اجل الماضى ، واصبح الدين القومى التى تدين به الولايات المتحدة والدول الاخرى أضخم دين فى التــاريخ حتى الآن . اصبحنا دولة غنيـــة ، ولكن التضخم المـــالى المستمر ادى الى ضعف الدولار . كما ان الحاجة الماسة الحتمية للخدمات وتطوير المدن ووسائل المواصلات ضاعفت الاعباء على الاقتصاد الداخلى .

كل ذلك يدعو الى تخفيض مطالب الامن القومى — نفقات الدفاع وشئون الفضاء والشئون الخارجية — الى حد كبير ، اكبر من ذى قبل . وقد اثبتت ازمة الدولار وحدها أن الانفاق الامريكى فى الخارج يجب أن يتقلص لأن القـــاعدة الاقتصادية المتينة هى أســـاس أى برنامج للامن القومى .

على ان الانتاج القومى يزداد بمعدل جيد — كما ذكرنا من قبل — يتراوح بين ٤ ، ٥ر٤ ٪ سنويا .

تستطيع الولايات المتحدة الامريكية — من وجهة النظر الامريكية — ان تتحمل عبء اى مســتوى من الانفاق على الدفاع ، اذا ما عـــوض بضرائب كافية وانفاق داخلى محدود . وكنا ننفق فى السنين الاخيرة بين ٨ ، ١٠ ٪ من مجموع انتـــاجنا القومى على الدفاع ، (عدا المعـــونة الخارجية ونفقات شئون الفضاء) . وقد يؤدى نفس المستوى من الانفاق الى ميزانية دفاع تتراوح بين ٩٦ ، ١٢٠ بليون دولار فى عام ١٩٧٥ ، وهو مستوى عالى جدا لا يمكن الوصول اليه ، الا فى حالة الازمات وحـــالة الحرب . لأن البوادر السياسية — وليست فقط الحتمية الاقتصادية —

توحى بضرورة تخفيض هذا المستوى الى حد كبير بعد انتهاء حرب فيتنام ، الى معدل يتراوح بين ٦ ، ٧ ٪ من مجموع الانتاج القومى ، أى ما يعادل ٧٢ الى ٨٠ بليون دولار . خصوصا وان النفاقات الداخلية اللازمة ، والامتعاض من فرض الضرائب الفادحة ، قد أوضحا بجلاء ان تخصيص ميزانية للدفاع اكبر من ذلك فى أوائل السبعينيات يكون عملا غير معقول . وقد قدر فعلا مستوى يتراوح بين ٧٠ ، ٧٥ بليون دولار ، كهدف خلال الخمس سنوات القادمة .

العوامل السياسية ، ومستلزمات الاقتصاد الداخلى ، والروح السائدة المعادية للعسكرية بين كبرى قطاعات الشعب ، سوف تضع قيودا شديدة على ميزانية الدافاع فى أوائل السبعينيات . ولكن روسيا ستقابل معارضة أقل فى هذا المجال ، رغم ان اقتصادها أضعف من اقتصادنا ، والفضل لنظامها السياسى الصلب . وفى مقابل تخفيض بعض السلع الاستهلاكية ستتمكن من تخصيص جزء اكبر من ميزانيتها العامة ومن مجموع انتاجها القومى للدفاع والمشروعات المرتبطة بالدفاع، كشئون الفضاء والاسطول التجارى ، أكثر مما تستطيعه الولايات المتحدة الامريكية . وفى مجال توفير السلاح ، سوف تغذى قواتها المسلحة « باقتصاد وفير » بينما تكون قواتنا المسلحة تعانى — حتى المستقبل القريب على الأقل — فترة تجميد واقتطاع وقلة . سوف يواجه رئيسنا مأزقا دخلنا فيه قبل الانتخابات الاخيرة . وسوف يضطر الى صرف بلايين أكثر لتعويض ما اغفلناه فى السنين الاخيرة ، وليعوض ما اضعناه من وقت وما اقترفناه من نسيان وما أخذناه من مخزونات للحرب فى فيتنام . والا فعليه أن يعد نفسه ويعد شعبه لقبول تفوق الروس فى بعض عناصر القوة العسكرية . ومن ناحية اخرى ، اذا لم تحل المشكلات الداخلية ، فسوف يصعب وضع برنامج عمل للدفاع ضد العدو الخارجى .

المشكلة الاساسية التى تواجه الدولة هى مشكلة الاقتصاد الذى بدأ يضعف ، لأن « هناك مطالب عديدة تتكالب على المصادر ... مما يحتم مضاعفة المصادر التى يمكننا استغلالها ، دون ارهاق مؤسساتنا الاجتماعية والاقتصادية(٣) » كما قال ليونارد ليخت Leonard A. Lecht .

ولكن لب المشكلة هى الالتزامات : عما ندافع ؟ يمكننا أن نحقق أمنا معقولا اذا صنعنا البدلة على قدر القماش ، اذ لا يمكن لاقتصاد محدود أن يقابل مطالب لا نهاية لها دون حدوث كارثة .

هؤلاء الذين ينادون باننا تمددنا حتى أصبح سمكنا رقيق ، وتوسعنا

اكثر مما يلزم ، واننا لا يمكننا القيام بدور رجل البوليس فى العـــالم ، يمكنهم أن يثبتوا ذلك بطريقة مقنعة ، بالاشارة الى العديد من المعاهدات والاتفاقات الجماعية والثنائية التى تلزم الولايات المتحدة الامريكية ، أو تبـــدو وكأنها تلزمها بمعاونة ما يقـــرب من أربعين دولة فى الدفاع عن نفسها ، بشكل من اشكال المعونة ، وربما يصل عدد هذه الدول الى مائة دولة (٤) (*) .

وبالاضافة الى هذه الاتفاقات الصريحة ، هناك اتفاقات ضمنية أكثر الزاما من النصوص الصريحة ، وان كانت تبدو على عكس ذلك . كما ان وحدة اللغة التى تربطنا بانجلترا ، والروابط الثقافية والتاريخية التى تربطنا باوروبا الغربية ، والتعاطف بين كثيرين من الامريكيين واسرائيل — وخصوصا فى المجتمع اليهودى ذو النفوذ السياسى القوى — وكذلك الروابط الدينية التى تربط تجمعات مختلفة من الشعب الامريكى ببعض الدول الاخرى . تلك كلها التزامات معنـــوية قد تتحـــول الى التزامات سياسية . وقت الازمات .

ولكن الالتزامات — رغم المفهوم القانونى المتعارف عليه — لا تكون ملزمة الا اذا دعمتها المصالح المتبادلة ، والالتزامات ، وحتى المصـــالح قد تتغير . وكثيرا ما تتغير . وحتى الالتزامات الكبرى التى تصـــل الى استخدام القوةالعسكرية سوف يكونأساسها واهى اذا لم ترتبط بمصالح حيوية للشعوب المعنية . والمصلحة الحيوية قد تتحول الى مصلحة أقل أهمية . وعلى سبيل المثال ، كان لخام اليورانيوم الذى يســـتخرج من الكونغو أهميته الكبرى — فى وقت من الاوقات — لبناء القوة النـــووية الامريكية . ولكن استغلال مصادر أخرى للمـــواد الانشطارية قلل من اهمية هذا المصدر من الناحية المادية ، مما لا يضع على كاهلنا التزاما بالدفاع عن الكونغو .

وقد علق ستيفن ماكسويل Stephen Maxwell ، على سبيل المثال قائلا « ان التزام الامريكيين بمنع غزو الصين للهند ليس التـــزام للهند أو حكومتها ، ولكنه نتيجة منطقية لمصلحة امريكا فى تقييد الصين ودعم ثقة حكومات أخرى فى آسيا » (٥) .

والالتزام السياسى يقابل مصلحة تقتضى الدفاع عنها — فى النهاية — بالقوة العسكرية . والمصلحة الحيوية تتضمن رفاهة الشـــعب وأمن الدولة ، وهى أهم المصالح على وجه الاطلاق ، وتبرر استخدام « أقوى

(*) أنظر ملحق د .

سلاح على وجه الاطلاق » القنبلة الذرية ، حتى اذا كان هذا الاستخدام سوف يؤدى الى تدمير كلا الطرفين . هذا « التبرير المنطقى لما هو غير معقول » — الاصرار على استخدام سلاح فى ظروف تعنى تدمير انفسنا وتدمير عدونا — قد يكون رادعا قويا ضد العدوان على مصالح الشعب الحيوية أو تهديدها ، بشرط أن تكون هذه المصالح محددة وواضحة ، وان يكون جزاء العدوان عليها جزاءا مقنعا غير مبهم .

ولكن تحديد ما هو الحيوى ، واعلان معالمه — برسم خطوط سياسية واضحة بحروف بارزة ظاهرة « لا انتهاك لحرمتها » — مشكلة صعبة ودقيقة فى نفس الوقت . وليس من المرغوب فيه دائما أن تكون الدبلوماسية واضحة ، لأن الغموض قد يحقق بعض المزايا السياسية ، والجهر علنا بأن مناطق أو دول معينة ليس لها أهمية خاصة لمصالح الولايات المتحدة الامريكية قد يشجع على العدوان عليها ويضعف أثر الردع ، كما تبين لوزير الخارجية السابق دين اتشسون Dean Acheson من العدوان الكورى .

وما يبدو مصلحة (أو التزاما) ثانويا فى المبدأ ، قد يصبح مصلحة هامةوحتى حيوية بعد ان يبدأ العمل العسكرى، نتيجة التورط والتصعيد، كما اثبتت فيتنام . والمصالح ترتبط بعوامل متشابكة وغير متشابكة : الهيبة ، الشرف ، التفاخر ، وحتى اتخاذ المواقف ، وما هو حيوى اليوم قد يصبح غدا غير حيوى .

وعلى ذلك فان مراجعة التزامات الولايات المتحدة الامريكية باستمرار، وخاصة ما يرتبط بمصالحها ، يعتبر عنصر اساسى فى تحليل سياسات الامن القومى .

والانتقاء وتحديد الاسبقيات ليس ضرورى لمصالحنا القومية فقط ، ولكن من أجل استقرار العالم أيضا .

وتحديد الاسبقيات يقتضى أولا تحديد المصالح « يجب . . . ان نسأل انفسنا أولا ، ما اذا كان للدولة أو المنطقة المعنية علاقة مباشرة بأمننا القومى ، وبمعنى آخر ، ما اذا كانت سيطرة العدو على هذه الدولة أو المنطقة تتضمن أى تهديد لأمننا القومى . . ؟ » (٦) .

الدولة نفسها ، تأتى فى الاسبقية الاولى والاساسية على رأس المصالح المتعلقة بأمن الولايات المتحدة الامريكية . فهى القاعدة الحيوية التى ترتكز عليها قواتها المسلحة ، والتى منها تستمد الدعم ، والتى منها تنفتح الى الخارج. فالقاعدة الآمنة هو المطلب الاساسى للأمن العسكرى.

قبل العصر النووى ، كان أمن قاعدة الوطن عملا من الممكن تحقيقه ، ولكن فى هذا العصر ، عصر الصواريخ والاسلحة النووية ، أصبح الامن المطلق هدفا لا يمكن تحقيقه . غير ان قدرا معقولا من الامن لهذه القاعدة، هو فى الحقيقة شىء حيوى اذا كان للدولة ان تبقى ، وهذا هدف ممكن تحقيقة .

والولايات المتحدة — من الناحية الجيوبوليتيكية — جزء من قارة « تحيطها الماء من جميع الجهات » ، تكون مع امريكا الجنوبية نصف كرة جزيرية . واذا ما وقعت كندا والمكسيك أو دول امريكا اللاتينية تحت سيطرة ايديولوجية دخيلة ، كما هو الحال فى كوبا ، فسوف لا يكون فى ذلك تهديد لامننا الجزيرى . ولكن التهديد يكون فى وقوعها تحت سيطرة دولة اجنبية عظمى ، كما حدث اثناء أزمة الصواريخ فى كوبا . ومبدأ مونرو الذى طبقناه فى عصر آخر ، لا يزال هاما — من الناحية الجيوبولوتيكية — فى القرن العشرين ، ولا نستطيع أن نسمح لاى دولة أجنبية بالسيطرة ، ولكن « السيطرة » لها درجات . لقد وجدنا انه من الممكن — وان كان لا يسعدنا ذلك — العيش مع كوبا الشيوعية التى تقع تحت تأثير روسيا السوفيتية . والسيطرة تعنى من الوجهة الاستراتيجية انشاء قواعد لمعدات عسكرية لدولة اجنبية ، اى الاتحاد السوفيتى أو الصين الشيوعية . وهذا لا يمكن التغاضى عنه بأمان ، على أى جزء من نصف الكرة الغربى ، وخاصة اذا كان شمال خط الاستواء .

ترتبط المصالح الجغرافية والاقتصادية والسيكلوجية والسياسية لنصف الكرةالغربى بنظائرها فى غرب أوروبا، وهى منطقةهامة وضرورية لبقاء حريتنا ، حتى المستقبل القريب على الاقل . واذا ما دخلت منطقة غرب أوروبا كلها فى نطاق امبراطورية شيوعية ، أو غزتها قوات روسية، فان موسكو سوف تسيطر على أعظم تجمع اقتصادى فى العالم ، مما سوف يؤدى بالضرورة الى اهتزاز الولايات المتحدة الامريكية بعنف .

وهذا يعنى أن امريكا الشمالية بما فى ذلك منطقة بحر الكاريبى تدخل ضمن نطاق « مجموعة » أساسية ، يتحتم الدفاع عنها اذا أردنا البقاء كدولة ، وتعادلها منطقة غرب أوروبا فى « حيويتها » (٧) .

للولايات المتحدة الامريكية أيضا مصلحة حيوية فى المحافظة على اليابان مستقلة وصديقة للغرب ، وكذلك فى المحافظة على جنوب كوريا مستقلة ، وكذلك فى المحافظة على حرية وأمن الجزر والشريط الساحلى المحيط بآسيا ، الممتد من الالتونيان حتىاستراليا ونيوزيلندا، واى تراجع من الولايات المتحدة من هذه المواقع الجزيرية سوف يؤدى الى هزيمة

جيوبولوتيكية فادحة : لأن هذا يعنى تراجع جبهة الأمن الى الخلف حتى وسط المحيط الهادى .

أما الشرق الاوسط فهو اقليم له أهمية لا يمكن تقديرها ، واذا لم يكن اقليم حيوى فان اهميته العظمى تزداد بالنسبة لثرواته الاقتصادية الكبرى، خصوصا انتاجه من البترول ، وان كانت قيمته قلت منذ عقدين مضيا . كما انه يعتبر حلقة اتصال بين ثلاث قارات ، وهو مهد لثلاثة ديانات كبرى ، وعقدة لطرق المواصلات الجوية والبحرية فى العالم ، ومركزا للصراع بين العرب واسرائيل ، ولاطماع روسيا .

كما أصبحت منطقة جنوب شرق آسيا — الى حد كبير نتيجة لالتزاماتنا فى حرب فيتنام — منطقة هامة بالنسبة لمستقبل الولايات المتحدة الامريكية . لقد ارتبطت مصالحنا برباط قوى بفيتنام وتايلاند ، ودول أخرى فى المنطقة ، اردنا أو لم نرد . وأصبحت الهزيمة المباشرة أو الانسحاب العاجل من فيتنام يؤدى الى نتائج عالمية خطيرة .

ومن صالحنا أيضا منع سيطرة الصين أو روسيا على الهند والباكستان ، تلك مصلحة سلبية أكثر منها ايجابية ، ولكنها تأتى فى الاسبقية بعد ما ذكرناه .

وباقى العالم ، الجزء الاكبر من القارة الافريقية جنوب الصحارى ، له أهمية للولايات المتحدة فى هذه الايام ، لأنه اذا وقع تحت سيطرة دولة عظمى غازية غدا ، فسوف تتضاعف أهميته ، ومن صالحنا أن نمنع ذلك .

والعالم حول الولايات المتحدة مظلل بدرجات متباينة من الظلال ، ولا يمكن أن تبقى هذه الظلال ثابتة دون تغيير ، وفيما عدا مجموعة العوامل المرتبطة بالمحافظة على كيان الدولة ، ستبقى المصالح القومية دائمة التغير . فقد يتطلب التقدم التكنولوجى الحديث معادن نادرة لا توجد الا فى مناطق بعيدة من العالم ، وقد يؤدى حرماننا منها الى تعويق أو تحطيم اقتصادنا وأضعاف قوتنا العسكرية والتأثير على تقدمنا الاجتماعى . ولا نستطيع النظر الى مصالحنا من الناحية المادية فقط ، لأن الروابط العاطفية، والعلاقات المتينة المتشابكة، والمعنويات الاساسية التى قد تدفع الانسان للحرب ، ليست أضعف تأثير من الاحتياجات الجغرافية من الارض والفضاء أو المطالب الاقتصادية .

وعالم اليوم ، ولو انه بعيد عن « العالم الواحد » كما وصفه ويلكيز Wilkie ، الا انه عالم تقلص وارتبط ببعضه أكثر من عالم

اجدادنا ؛ واذا القى خروشوف حذاءه فى مدغشقر فان صداه يسمع فى اوروبا أو واشنجطن . والاحداث الصغرى قد تظهر فى عناوين كبرى كما أن المصالح الصغرى قد تصبح كبرى .

لا يمكن أن يكون هناك تعريف ثابت للاستراتيجية العظمى الامريكية، لأن التغيير يحتم المواءمة . ولكن الاستراتيجية — وتحديد ما ندافع عنه وكيف ندافع عنه — لها ركائز اساسية دائمة وسائدة : أمن اقليم الوطن، القاعدة ، وحفظ كيان مؤسساته السياســية والاجتماعية والثقافيـــة والاقتصادية ، والدفاع عن الدولة .

٥

الدفاع عن هذا الشيء المحتم

«هذه القلعة التى خلقتها الطبيعة وحبتها بمناعة تقيهـا من العدوى ومن عـدوان الحـرب»

من الناحية الجيوبولوتيكية ، تمثل الولايات المتحـدة الامريكية فى القرن العشرين انجلترا « القلعة » التى كتب عنها شكسبير .

فالقارة الجزيرية الامريكية الشمالية تقع بعيدا عن الدول الكبرى فى اوروبا وآسيا . ويفصل بين هذه وتلك المحيطين : الاطلسى والهادى على الترتيب . وفى عصر الصواريخ والنفـاثات السريعة ـــ أسرع من الصوت ـــ انكمشت المسافات الجغرافية وتقلصت محيطـات الامس واصبحت مثل الخنادق المائية ، كما كانت القنـاة الانجليزية فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . غير ان السماء الزرقاء والمياه الزرقاء ، يوفران للولايات المتحدة الامريكية مانعا ضد الهجوم الارضى ؛ منيعا مناعة القناة الانجليزية بالامس .

وبينما تعرضت دول اوروبا وآسيا لغارات السلب والنهب عبر حدودها البرية لعدة قرون ، لم تخش الولايات المتحدة الامريكية أى غزو برى خطير ، مع وجود كندا دولة صديقة مستقلة فى شمالها ، ودول صغيرة ضعيفة فى جنوبها .

هذا يجعل استراتيجية الولايات المتحدة الامريكية اكثر بساطة ويسهل مشكلة الدفاع عن نصف الكرة الغربى . وسيبقى تهديد قوات العدو البحرية للولايات المتحدة الامريكية خطرا غير متوقع ، ما لم تسيطر دولة عظمى معادية قوية على مناطق بحرية شاسعة فى نصف الكرة الغربى لتستخدمها كقواعد قوية للهجوم . كما ان اتساع هذه المناطق وامتدادها لا يتحقق الا باختراق العوائق البحرية والجوية التى تحيط بالقارة الامريكية . هذا يجعل الاستراتيجية البحرية ضرورية وحتمية لامننا من الناحيتين الطبيعية والجيوبولوتيكية .

هذا الموقع الجغرافى الفريد ، لا يعادله موقع أى دولة عظمى اخرى فى العالم . مما جعل الولايات المتحدة الامريكية لا تخشى الغزو البرى ، ذلك العامل الذى ساد واثر على الفكر الاستراتيجى فى أوراسيا منذ عدة أجيال ، ولايزال تأثيره قائم على طابع ولون السياسات السوفيتية ، والصينية ، والالمانية .

ولكن « القلعة الطبيعية » ليست اقوى ممن يدافعون عنها . اذ على الانسان أن يستغل المزايا الجغرافية التى توفرها له الطبيعة .

لقد أصبح الدفاع فى عصر الصواريخ النووية مشكلة كبرى وحادة اكثر من أى عصر مضى . لأن الثورة التكنولوجية جعلت أى دولة على الكرة الارضية — مهما كانت بعيدة — معرضة بشدة للدمار النووى بل وقد يكون الفناء . لأن الموت الشامل قد يأتى فجأة ، بعد قصر الوقت وتقلص المسافات ، مما جعل الردع القوى ، والاستعداد الفورى ، والرد السريع ، عناصر اساسية فى دفاع العصر النووى .

وهناك مسألتان بينهما علاقة متبادلة فى استراتيجية نصف الكرة الغربى ، الدفاع ضد الهجوم النووى ، والدفاع ضد العدوان الاقل فى درجته من الهجوم النووى .

فى العقود الزمنية الاخيرة ، شاع الاعتماد على الحروب المحدودة ، وحروب العصابات ، مما حجب الاهمية العظمى لقوات الدولة النووية كأساس لاى نظام أمن عالمى ، خصوصا وان اتجاه التفكير الغالب يرى

فى الحرب النووية شيئا « لا يمكن التفكير فيه » ، وان كثيرين من علماء السياسة والذرة الذين مارسوا العمل فى هذا المجال ، دعموا هذا الرأى نتيجة تضليل متعمد أو كره عاطفى .

قوات الدولة الاستراتيجية — ترسانتنا النووية ، وشبكة الاسلحة ووسائل الحمل والتوصيل بعيدة المدى ، الهجومية والدفاعية — هى بالتأكيد اول وآخر خطوطنا الدفاعية . وفيها أملنا العسكرى الوحيد اللازم للمحافظة على حرية امتنا . والقوات التقليدية تحتاج لدرع يقيها من تدمير العدو النووى اذا اردنا لها ان تعمل بنجاح . وتستطيع قواتنا النووية أن توفر هذا الدرع ، ليس فى نصف الكرة الغربى فقط ، ولكن على امتداد العالم كله ، لأن قوات الولايات المتحدة الامريكية المسلحة لا تستطيع أن تقاتل بنجاح الا فى ظل الاسلحة النووية ، وتحت مظلة التفوق النووى .

الدفاع النووى هو أصعب وأغلى وأعظم واجب لاستراتيجيةالولايات المتحدة الامريكية ، وأهمها قاطبة فى هذا العصر . فبدونه لا يمكن الدفاع ولا يمكن أن يكون هناك أمن قومى ، وبه لا يتحقق دفاع أمثل ولا أمن مطلق .

كل هذا ليس بجديد فى التاريخ ، اذ لم يحدث أن صمدت قلعة أو خط دفاعى — حتى لو كان خط ماجينو — أو بقى أى نظام دفاعى منيعا الى الابد . ليس هناك أمن مطلق ، وسوف لا يكون هناك أمن مطلق أبدا فى العالم .

ذكر مكنمارا فى حديثه الموجه الى الكونجرس عام ١٩٦٩ ، انه فى حالةقيام تراشق نووى بين الولايات المتحدةالامريكية والاتحاد السوفييتى فى منتصف السبعينيات ، فسوف يعانى كلاهما خسائر تصل الى ١٢٠ مليون قتيلا (١) .

قد يخطى هذا التقدير المنطقى المحسوب بالآلات الحاسبة الذى يهدف الى تقليل اهمية الدفاع المضاد للصواريخ ، وقد وجه اليه النقد فعلا ، ولكن أثر هذا التقدير الرهيب — الثمن الرهيب لحرب نووية مقدرا بملايين الوفيات — لا يمكن ضحده . وعلى ذلك فان أى استراتيجية عظمى للدفاع عن القارة تقتضى أن نسلح انفسنا بطريقة رادعة تمنع الحرب النووية ، وتمنع أى عدو من استخدام اسلحته النووية ، وتقلل الدمار الذى يصيب الولايات المتحدة الامريكية وحلفاءها الى أقل حد ممكن ، اذا ما حدثت هذه الحرب .

لنضع تعريفا رسميا للهدف الاساسى للامن القومى كما يأتى :

«... المحافظة على الولايات المتحدة الامريكية دولة حرة مستقلة، تؤمن قيمها الاساسية ، وتحافظ على حريتها ، لتناضل من أجل تحقيق أهدافها القومية كدولة رائدة فى العالم » ومن ذلك نستنتج هدفنا العسكرى لردع العدوان مهما كان نطاقه ، أو للقضاء على العدوان اذا فشل الردع ، بالتعاون مع حلفاؤنا لتحقيق الفوائد المتبادلة ، ووضع حدود للدمار الذى يصيب الولايات المتحدة الامريكية ، وتقليل اثره على مصالحها ومصالح حلفائها (٢) .

لقد تفوقت أسلحة الهجوم على وسائل الدفاع بعد الحرب العالمية الاولى . وبعد اختراع القنبلة الهيدروجينية والصواريخ عابرة المحيطات، بدا ان الهجوم حقق نصرا أكيدا ونهـائيا فى صراعه الازلى مع الدفاع . « ليس هناك موقع يمكن اخفاؤه » ، « والسلاح المطلق » الذى لا يدانى — القنبلة الذرية — وفرت للهجوم تفوقا جعل الدفاع مستحيلا الا بالهجوم، التهديد بالانتقام بنفس الطريقة .

ولكن الثورة التكنولوجية لا تقف عند حد ؛ ولا شك ان الاراء القائمة على استنتاجات جامدة ، مبنية على البيانات الحالية والقدرات القائمة ، لا تستحق الا اهمال التاريخ .

من المحقق فى هـذه الايام — ويبدو أن ذلك سوف يستمر خـلال العقدين القادمين — ان أحسن دفاع هو الهجوم الجرىء ، أى ان قدرة الولايات المتحدة الامريكية على تدمير العدو بصرف النظر عما يفعله هو أولا هى احسن رادع للهجوم . كذلك من المحقق ان القدرة على ما يسمى «الدمار الاكيد» — القدرة على تدمير أجهزة العدو السياسية والصناعية، والاجتماعية والعسكرية ، حتى اذا بدأ هو بالهجوم — هى حجر الاساس فى أى دفاع قارى .

« الدمار الاكيد » مطلب مطلق لا يمكن الانتقاص منه . ولكن ماذا يعنى هذا المصطلح الغامض ؟ .

يجب ان يعنى انزال دمار لا يستطيع العدو قبوله ، بصرف النظر عن الطريقة التى بدأ بها التراشق النووى ؛ ولكن الدمار الذى لا تقبله الولايات المتحدة الامريكية قد يكون مقبولا من حكومات وشعوب أشـد صلابة وعنفا . مما يجعل التفسير فى هذا المجال يخضع للتقدير الشخصى. وقد يكون خاطئا الى حد كبير . وقد عرفه مكنمارا وزير الدفاع السابق بيانيا بالقـدرة على انزال الدمار بمـا يعادل ٥٠ ٪ من قدرة الاتحـاد السوفيتى الصناعية ، وقتل ما يعادل من ٢٠ — ٢٥ ٪ (٣) من سكانه . وتلك خسائر لا يقبلها العقلاء تجعل للردع أثره المطلوب .

ولكن لو كان كل الرجال عقلاء ، لما كان هناك احتمال لقيام الحرب . والرعونة سوف تلازمنا الى الابد .

كما أن هناك عواملا اخرى تجعل الدفاع النووى أكثر تعقيدا . لأن عدم التعقل ، الخطأ فى الحكم الظاهرى على الاشياء ، وعدم الثقة المتبادلة ، كلها مجاهيل خطيرة فى المعادلة .

هل يثق العدو فينا ؟ وهل يقدر قوتنا أولا ، ونيتنا فى استخدامها ثانيا طبقا للواقع ؟

هناك مجاهيل متعددة فى معادلة الردع تجعل مجال الخطأ واسعا ، ولو ان أى خطأ فى تقدير نوايا العدو أو قدراته سوف تدفع الامة ثمنه من حياتها . ذلك يحتم علينا أن نكون اسخياء عند تقدير ما يلزم لتعويض مثل هذا الخطأ عند تحديد مطالب الردع النووى .

ولكن قدرة الدمار الاكيد ليست وحدها كافية ، فليس فيها ضمان لانهاء العدوان « مع تحقيق مزايا نسبية ودمار محدود للولايات المتحدة الامريكية » .

والحديث عن « كسب » حرب نووية شىء غير معقول ، اذ أن تراشقا نوويا كبيرا بين الدول العظمى سوف يؤدى الى دمارها ، ودمار أغلب حلفائها . ولكن جانب من الجانبين سوف يناله دمار أقل ، وقدرة أكبر ، من الجانب الاخر ، تجعل له « ميزة نسبية » عليه .

ينطبق قول جنرال دوجلاس ماكرثر « ليس هناك بديل للنصر » على الحرب النووية — وعلى ردعها على الاخص — كما هو منطبق على الحرب التقليدية . ولو أن النصر هنا يعنى شيئا جديدا لا يسعد الانسان . وفى الحقيقة ، يعنى ذلك ان قدرة الدمار الاكيد لا تكفى ، بل يتحتم أن يصاحبها قدرة على « تحديد مدى الدمار » الذى قد يوقعه بنا الجانب الاخر . ويمكن تحقيق ذلك بالمزج بين الاسلحة الدفاعية والهجومية : صواريخ بين القارات ICBM's توجه الى قواعد صواريخ العدو ومطاراته ، والى قوات الضربة الثانية ، وشبكات الدفاع ضد الجو وضد الغواصات وضد الصواريخ المهاجمة .

على ضوء ما وضحناه ، يبدو أن ما اتخذ من اجراءات لا يعطى أملا عاجلا فى تحديد الدمار الى مستوى يمكن أن يكون « مقبولا » للولايات المتحدة الامريكية . فى مواجهة سرعة الهجوم الحديث وقوته ، أصبح تقدير الهجوم المفاجىء واتخاذ اجراءات مسبقة ضده بواسطة الاسلحة

الاستراتيجية عملا يستحيل تنفيذه فى الغالب . كما ان النظام السياسى فى الولايات المتحدة الامريكية يمنع البدء بالضربة الاولى ، مما يقتضى ان نبنى استراتيجيتنا وتقدمنا التكنولوجى على أساس الضربة الثانية ، بعد ان يفاجئنا العدو بالضربة الاولى . ويقتضى ذلك أن يتوفر لدينا شبكة أسلحة قادرة على البقاء بعد القصف وبعد التعرض للنيران والتلوث الاشعاعى الذى يحدث عقب تفجيرات نووية منتشرة على نطاق واسع وهذا يقتضى تحديد الدمار الذى يصيب قوات الضربة الثانية ، والمحافظة على قدرة هجومية كافية لاحداث دمار لا يمكن أن يقبله العدو . وذلك يقتضى مطالب شديدة التعقيد لتوفير الحماية الكافية لقوات هذه الضربة .

يجب أن ينشأ جهازنا الدفاعى المضاد للصواريخ — مثلا — على أساس دقة تصل الى جزء من الف من الثانية ، واجهزة الرادار والاجهزة الالكترونية المخصصة للدفاع يجب أن تكون قادرة على الاستمرار فى العمل رغم انطلاق الطاقة الهائلة التى تصاحب كل انفجار نووى أو تعقبه . كما يجب أن يكون الرادار قادرا على التمييز بين الصواريخ الخداعية والصواريخ ذات الرؤوس النووية . ويجب — قبل كل شىء — أن تكون صواريخنا الدفاعية مرتبطة بصواريخنا الهجومية بدقة كافية ، حتى لا يسبب القصف الناتج من انفجار الاولى ، تدمير الثانية أو ازاحتها عن مسارها بعد انطلاقها . على ان مثل هذا الهجوم سوف يتضمن انطلاق صواريخ دفاعية وهجومية بفواصل زمنية تقدر بجزء من الف من الثانية ، فى مسارات محسوبة مسبقا ، بحيث يفسح كل منها المجال للاخر . وحتى الآن لا يوجد حاسب الكترونى له قدرة على القيام بهذا العمل .

من ذلك يتضح صعوبة تحديد الدمار بالنسبة لدولة تلتزم بالامساك عن بدء الضرب ، حتى يقوم العدو ببدء ضربته ، مما يجعل دعم قواتنا الهجومية ، ووقايتها لتقليل تعرضها ، يوفران أملا فى تحقيق الردع النووى ، وتحديد الدمار الذى نتعرض له ، أكثر مما يوفره لنا تقوية نظامنا الدفاعى .

ليس للدفاع مزية فى هذه الايام .

ولكن السباق بين الدفاع والهجوم لا ينتهى ، والتكنولوجيا لا تسير الى الوراء ابدا . ففى الغد ، قد تستطيع شبكة الدفاع الصاروخية اعتراض الصواريخ المهاجمة فى منتصف الطريق ، أو فور اطلاقها من مرابضها ، بدل تدميرها فى المرحلة الاخيرة . وتكنولوجيا اشعة الليزر ، والمرايا الشمسية التى تجمع اشعة الشمس فى بؤرة ، وستائر المقذوفات الصغيرة ، ومركبات الفضاء المجهزة بقدرات الكترونية مضادة ويقودها

الانسان ، واشياء أخرى كثيرة فى السماء أو فى الارض أكثر منها فى الخيال ، قد تغير مستقبل العلاقة بين الدفاع والهجوم .

لقد ضاعف الدفاع فاعليته أمام تطور الهجوم فى العقد الاخير ــ كما بين بعض العلماء ــ من الناحيتين التكنولوجية والمالية . والمبالغة فى معارضة نفقات شبكة الدفاع الصاروخية لا تخفى على أحد . ولو أن شبكة الصواريخ المضادة للصواريخ تعتبر « برنامجا متواضعا » كما بين البرت هلستتر :

« متوسط النفقات السنوية لبرنامج كامل ــ محسوب على أساس خمس سنوات ــ يقل عن خمس ما كنا ننفقه على الدفاع الايجابى ضد القاذفات التى يقودها طيارون ، فى أواخر الخمسينيات . كما أن هذا البرنامج لا يحتمل أن يؤدى الى استنزاف متزايد فى الاسلحة . كما انه لم يضع على كاهل الميزانية المخصصة لاسلحة الهجوم والدفاع الاستراتيجية اى نفقات ناتجة من سباق التسلح ولا اقتضى « زيادة تصاعدية » ولا أى زيادة على المدى الطويل . لقد بلغت ميزانية قوات الدفاع والهجوم الاستراتيجية ١١٫٣ بليون دولار عام ١٩٦٢ . وكان المتوقع أن تصل الى ٨٫٣ بليون دولار فى عام ١٩٧٠ ، واذا ما قارنا المبلغين بالنسبة لتغير الاسعار ، نجد أن رقم عام ١٩٦٢ يزيد بمقدار ٥٠٪ من رقم عام ١٩٧٠ » (٤) .

ان أى اجراءات تتخذ لتقليل الدمار الناتج من الحرب النووية الرهيبة لها ما يبررها ، حتى فى ظل تكنولوجية الدفاع الحالى وما تفرضه من قيود على الهجوم . وقد بين مكنمارا ، وزير الدفاع الامريكى السابق . عندما كان يجادل فى فوائد شبكة الصواريخ المضادة للصواريخ ABM ــ بناءا على دراسات اجريت باستخدام الاجهزة الحاسبة ــ انه حتى الشبكة الكثيفة من هذه الاسلحة سوف لا تنقذ الا ملايين قليلة من الانفس ، بشرط توفر شروط معينة . كما أجمل عدد القتلى الناتج من حرب شاملة بالاسلحة النووية فى منتصف السبعينيات على الجانبين : فى جدول رهيب ضمنه فى تقريره الاخير امام الكونجرس وذكر فيه « عندما يصل مستوى الخسائر الى ١٠٠ مليون أو اكثر ، فان الفروق فى حساب النتائج تصل الى ١٠ أو ٢٠ مليونا ، وهى تقل عن الخطأ فى التقدير » (٥) .

فى حرب نووية تحسب خسائرها بالملايين . يبدو انقاذ ملايين قليلة من الانفس عملا لا يستحق الانفاق . ولكن أى استراتيجية لا تعمل ــ الى أقصى الحدود التكنولوجية ــ على تقليل القتل والدمار الذى تسببه الضربة النووية الاولى ، لا تعتبر استراتيجية للامن القومى . لا من النواحى المعنوية ولا الانسانية ولا السياسية ولا الاقتصادية . ومثل هذه الاستراتيجية تفتقد الالمام بالهدف الاول من القوات المسلحة : تامين الدولة ضد العدوان الخارجى .

وتقليل الدمار ، والدمار الاكيد كلاهما ضرورتان ترتكزان على أساس قوي واحد . وقد عمل جزء من العلماء والمثقفين على مقاومة أي تدعيم لقوات الدولة النووية كيفا أو كما . وقيل ان الانشاءات الجديدة ، مثل شبكة الصواريخ المضادة للصواريخ ، أو الصواريخ متعددة الرؤوس النووية الموجهة MIRV سوف تؤدى الى زيادة حدة سبان التسلح ، مما يؤدى الى اضعاف أمن الولايات المتحدة الامريكية وليس دعمه . كما ان التكافؤ النووى التقريبى مع الاتحاد السوفيتى سوف يؤدى الى « الاستقرار » . واذا لم ننتج أسلحة جديدة ، فان روسيا سوف لا تنتج أيضا .

يحتمل أن تكون هذه اخطر نظرية خاطئة ظهرت فى مفهوم الاستراتيجية . لانها اذا طبقت حتى نهايتها فانها تؤدى الى التسليم ، والتاريخ يعارضها ، والتكنولوجيا تدحضها ، كما أثبتت الخبرة الحديثة بشكل قاطع ، ان الاتحاد السوفيتى والصين الشيوعية ، يعملان على تطوير تكنولوجية التسليح الى أقصى حد ممكن ، بصرف النظر عما تفعله الولايات المتحدة الامريكية . (قد يتأثر حجم قواتهم بحجم قواتنا المسلحة الى حد حد كبير ، وكذلك بما يتوقعونه من نوايانا ، وما يقدروه لنا من قدرات . ولكنهم لا يقتنعون « باستقرار تكنولوجى » ويطورون نوع قدراتهم الى أقصى حد) .

ليست هناك ، ولا يمكن أن تكون هنا استراتيجية للتكافؤ ، الا اذا صاحبها استراتيجية موازنة تعتمد على نظام تفتيش جيد على المواقع ، لا يمكن انتهاكه على الاطلاق . وما هى فى الحقيقة الا توازن فى الرعب ، قد ينهار فجأة نتيجة سبق سوفيتى تكنولوجى ، أو بتنفيذ برنامج سرى لبناء قوى ضخمة .

لقد أدى مجرد التفكير فى مثل هذه الاستراتيجية فعلا الى عدم الاستقرار . لأن تخلى الولايات المتحدة الامريكية عن التفوق النووى طبقا لارادتها يقلل أثر الردع ، وقد تصل موسكو الى الاعتقاد بان لديها قدرة كافية لردع الهجوم النووى الامريكى ، والخروج من التراشق النووى كدولة أقوى . كما ان ارادة الولايات المتحدة الامريكية وتصميمها سيهتزان بالتأكيد فى فكر موسكو ، خصوصا وان رد الفعل العنيف لحادث اسر سفينة التجسس بويبلو Pueblo واسقاط طائرة استطلاع فوق كوريا ، وصدى احداث تشيكوسلوفاكيا ، وتضرعنا للسلام فى فيتنام ، ومن أجل تخفيض التسلح ، كلها عوامل لها أثر على فكر الولايات المتحدة الامريكية . واذا كنا قد واجهنا سياسة عنيفة وحشية من الاتحاد السوفيتى عندما كان لنا تفوق نووى ساحق ، فكيف نطمع فى عالم أكثر استقرار فى

وقت يحقق فيه الاتحاد السوفيتى تكافؤ أو تفوق نووى ؟ سوف يكبح جماح أى عمل أمريكى فى العالم، وسوف تظهر النتائج السياسية الخطيرة للتكافؤ أو للتفوق السوفيتى قطعا بعد فوات الأوان .

ان اخطار التفوق النووى الروسى متشعبة وخبيثة حقا . لأن الرأى العام قد لا يستطيع تبين الكارثة الا بعد فوات الاوان ، والتهديد المطلق لا يصل حينئذ الى حد دمار نووى مفاجىء يدمر الدولة ، لأنه حتى اذا قبلت الولايات المتحدة الامريكية التخلف ، فسوف يكون لديها قدرة على احداث خسائر فادحة فى الاتحاد السوفيتى . ولكن التفوق سوف يدعم الدبلوماسية السوفيتية فى جميع انحاء العالم ، مما يجعلنا نتردد، حقيقة، فى منح أى معونة دفاعية أو فى تحقيق أى مصلحة فى الخارج ، فى ظل التفوق النووى السوفيتى . واذا كانت روسيا تملك تفوقا نوويا فهل نخاطر بمواجهتها بحريا فى خليج عدن ؟ والابتزاز النووى الخبيث قد يكلفنا العالم كله . تلك خطورة قائمة وليست حلما مفزعا . ولا يسعنا ان ننسى تهديد موسكو بالصواريخ النووية اثناء أزمة السويس ثم مغامراتها الجريئة بوضع قواعد الصواريخ فى كوبا عام ١٩٦٢ .

ينتظر أن يستغل الكرملين التفوق النووى بتعقل ، وان تعلن موسكو عن قوتها وتستعرضها ، وسوف يؤكد رجال الدعاية السوفييت موقفهم المتفوق للشعب الامريكى وللحكومة الامريكية . وستبدأ مطالبهم خافتة وتبدو معقولة ، ولكنها متدرجة لتحقيق أهداف أبعد فأبعد . والرضوخ أمام التهديد النووى لا يمكن الرجوع فيه ، لانه يرغمنا ويجبرنا على قبول حلول لمشكلات العالم ، مناسبة لمصالح الاتحاد السوفييتى ، ولا تتفق ومصالحنا .

هناك أكثر من طريق يؤدى الى تسليم العالم الى الشيوعية ، طرق يمكن حصرها ببساطة شديدة فى استراتيجية التكافؤ النووى ، واستراتيجية التخلف النووى ، واستراتيجية تحديد التسلح من جانب واحد . كلها استراتيجيات تؤدى الى الهزيمة ولا تحقق الأمن القومى .

وهذا يعنى أن أى استراتيجية للدفاع عن القارة الجزيرية ونصف الكرة الغربى — وحقيقة ، أى استراتيجية عالمية — يجب أن تبدأ بتفوق نووى قاطع حاسم على أى عدو قوى أو مجموعة من الاعداء ، تفوق لا يمكن ان يخطئه العدو . يجب أن تكون استراتيجية للدمار الاكيد والخسائر المحدودة ، قائمة على التطور التكنولوجى المستمر .

لا يستطيع أى نظام حاكم تحقيق الاستقرار بدون هذه الاستراتيجية،

الا فى ظل اتفاق عالمى بوليسى لتحديد السلاح ، يخضع لسلطة تفتيش ورقابة كاملة .

والتفوق النووى الآن ، لا يعنى فقط ضربة أكبر ، ورؤوس نووية اقوى (ولو ان لذلك اهمية) ولكن يعنى أيضا تفــوق فى نظام الحمــل والتوصيل أو شبكات التسلح . والهجوم لن يصل لقارتنا الجزيرية الا عبر الفضاء ، أو من الجو ، أو فوق البحر ، أو تحت سطح المــاء . وبالمثل لا نستطيع أن نقذف ردعنا النووى الا عبر هذه الاوساط مما يحتــم أن تكون السيطرة على الفضاء الجوى فوقنا ، وعلى البحار حولنا ، ركيزة اساســية لأى استراتيجية كبــرى للــولايات المتحــدة الامريكية . والاستراتيجية البحرية الحديثة يجب أن تعنى بمحيطات الهواء والفضــاء كما تعنى بمحيطات المــاء . كما ان استغلال القوات العسكرية الاخرى فى الدفاع عن الولايات المتحدة الامريكية ونصف الكرة الغربى يلزمه قوة بحرية جوية متفوقة . والاستراتيجية البحرية الناجحة تعنى القدرة على استغلال البحر والجو والفضاء فوقهما ، من أجل تحقيق أهدافنا ، كما تعنى القدرة على حرمان العدو من هذا الاستغلال على قدر ما نستطيع .

يبدأ الدفاع عن الولايات المتحدة الامريكية من « السماء الزرقاء » فوقنا من الفضاء . لقد قيل ان من يسيطر على الفضاء على وجه الاطلاق يسيطر على العالم كذلك . تلك جملة أصبحت مضللة ليس لها مضمون موضوعى ، لان القدرة التكنولوجية على السيطرة « المطلقة » عــلى الفضاء ، اى استخدامه كما نريد وحرمان العدو من استخدامه ، لا تبدو شيئا ممكن تحقيقه .

على ان الاستخدام العسكرى للفضاء متعدد الجوانب ، ولم يتقدم الا قليلا ، مما يحتم التحفظ فى توقع مدى ما يمكن تحقيقة فى هذا المجال .

تتخذ المقذوفات الصاروخية التى تطلق من أى مكان على الكــرة الارضية مسارا عبر الفضاء الى هدفها على شكل قطع مكافىء .

وشبكة القصف المدارى الجزئى Fractional Bombardment System التى أنشأها الروس ، هى كمــا وصــفها سترانجلوف Dr. Strangelove ، صاروخ ذو رأس نووى يسير فى خط مدارى منخفض حــول الارض ، ويوجه الى هــدفه بانزاله فى مسار دائرى على هدفه . ولو ان هــذه الصواريخ أقل دقة من الصواريخ التقليدية ، الا انها تقلل مــدة الانذار بمدة من ٣ — ٥ دقائق . والاسلحة النووية المدارية ، التى تــدور فى مدارات كاملة ، أو التى توضع فى الفضاء الخارجى ، هى انجاز تكنولوجى ممكن تحقيقه على كل حال ، ولو أن الدول العظمى قد اتفقت على قصر استخدام الفضاء على الاغراض السلمية .

وأهم استخدام عسكرى لفضاء حتى الان ، يتضمن الاستكشاف وجمع المعلومات . فالاقمار الصناعيةالمجهزة بمعدات التصوير، ووسائل التجسس الالكترونى واللاسلكى والاشعة تحت الحمراء تعمل على جمع المعلومات عن قوات العدو ، ونواياه أيضا . اذ تستطيع جمع المعلومات عن مواقع ومرابض الصواريخ كما انها تعطى انذارا مبكرا عن انطلاق الصواريخ وحدوث الانفجارات النووية .

سوف تستطيع شبكة من هذه الاقمار — مرتبطة بالاجهزة الحاسبة على الارض بواسطة أدوات القياس من على بعد — فى المستقبل ، من تحديد خط سير جميع السفن التى تمخر عباب البحار والمحيطات على بطاقات خاصة ، كما تستطيع تحديد التحركات الكبرى الميكانيكية . على ان تطور استخدام الاقمار الصناعية فى أعمال الاستطلاع وجمع المعلومات والمراقبة يؤدى الى تطور تكنولوجية الدفاع ، وهى ركيزة أساسية لاى استراتيجية أمن ، فى ظل رقابة على التسلح أو بدونها (٦) .

تستغل الاقمار الصناعية فى شئون الطقس الجوى والملاحة والاتصال وعمل الخرائط ، وبتطويرها وتحسينها ، سوف يكون لها استخدامات عسكرية هامة ، وكذا استخدامات غير عسكرية .

لا تتضمن الترسانة الامريكية لاسلحة الفضاء اقمار صناعية للاعتراض يقودها الانسان ، وهذا نقص كبير . لانه فى الغد ، قد تصبح المراقبة القريبة والتفتيش بالنظر شيئا ضروريا لتبين ما اذا كان القمر الصناعى هو سلاح حرب أو اداة سلام . ويبدو أن هدف برنامج الفضاء السوفيتى هو انشاء معمل مدارى يعمل فيه الانسان ، وهو ضرورى لابحاث الفضاء الاساسية . وعلى الولايات المتحدة الامريكية أن تتوسع فى هذا المجال التكنولوجى وتطوره مع انتاج انواع جديدة من الصواريخ ، حتى تستطيع بناء قوة فضاء هجومية بسرعة ، اذا لم يلتزم الاعداء بتحريم وضع الاسلحة فى الفضاء .

الماء والجو — والاول يشغل ٧٠ ٪ من سطح الكرة الارضية ؛ اما الثانى فهو ذلك الجزء من الفضاء الملاصق للارض مباشرة الذى تطير عبره الطائرات والصواريخ التى تسير بدفع الهواء — يوفران مزايا هائلة لانتشار قواعد الصواريخ فى مناطق شاسعة لا يسكنها الانسان، ويتيحان خفة حركة لا تتاح على الارض . كما يوفر قاع البحر وسيلة للاخفاء . وكلاهما عامل أساسى أكثر أهمية لأمن الولايات المتحدة الامريكية .

يبدو واضحا أن للصواريخ ذات القواعد البحرية — وخاصة التى

تطلق من الغواصات — مزايا استراتيجية ستجعلها عنصرا أساسيا فى قواتنا النووية الاستراتيجية خلال العقدين القادمين . وكانت غواصات بولاريس — فيما مضى — شيئا اضافيا مع الصواريخ ذات القواعد الارضية . كان مدى صواريخها محدود وكانت رؤوسها النووية أضعف ، وأقل دقة . كما كانت هناك مشاكل فى صيانتها وملاحتها ومواصلاتها . وهكذا قابلت الصواريخ الموضوعة على قواعد فى الغواصات مشاكل عديدة ، اذا ما قورنت بالصواريخ ذات القواعد الارضية ، من ناحية الكفاءة والتكاليف .

ولكن التطور التكنولوجى غير المعادلة من أساسها على جانب المقذوفات ذات القواعد البحرية حتى الان . والغواصة قاعدة اطلاق لها ميزة كبرى لم تنتهك بعد ، قدرتها على الاختفاء والوقاية ضد هجوم العدو المفاجىء . ولا ينتظر أن تسلب الغواصات هذه الميزة فى الغد القريب ؛ لأن البحر لا يزال وسط غامض ، وعدم الدقة فى اكتشاف الاهداف وتحديد مسافتها تحت الماء وصعوبة تقدير العوامل المؤثرة ، كل ذلك يجعل الدفاع ضدها غير كاف حتى الآن .

لم يكن الاعتماد الكامل على نظام واحد فى التسلح حلا فعالا لمشكلة الأمن ، والأوفق الا نضع كل البيض فى سلة واحدة ، لأن أى تفوق تكنولوجى يحرزه العدو فى هذا المجال قد يجعل اسلحتنا كلها متخلفة قبل طلوع فجر . ولكن نظام تسليح يشمل أسلحة متعددة الانواع سوف يؤدى الى ارباك العدو ، وتعقيد دفاعاته الى حد كبير ، ويضاعف مشكلاته التكنولوجية والعسكرية والاستراتيجية والاقتصادية . واذا ما مزج التسلح متعدد الانواع بطريقة صحيحة ، فان فعاليته تستحق الانفاق عليه .

مما تقدم ؛ يتضح ان الاستراتيجى الواعى لا يستحث الاعتماد التام على نظام اسلحة تعتمد على قواعد بحرية ، ولكن المقترحات قد وضعت وطلبت فعلا على أساس توجيه تكنولوجية ونفقات الردع فى اتجاه البحر .

بعد انتاج الصواريخ ، والرؤوس ذات القوة الضخمة ، والصواريخ ذات الرؤوس المتعددة ، أصبح توفير قوة رادعة تعمل من قواعد بحرية ضرورية أساسية لاستراتيجية الدمار الاكيد . على أن الصواريخ ذات الرؤوس المتعددة MIRV's — وتحمل عدة رؤوس نووية أو هيكلية أو خداعية على صاروخ واحد ، يتجه كل منها الى هدف مستقل — تضاعف من احتمال تدمير صواريخ العدو الموضوعة على قواعد ثابتة ، وتجعل مشاكل الدفاع أكثر تعقيدا .

يتخذ الدفاع عدة اجراءات لمقابلة مثل هذا التهديد ، وتتضمن :

١ — تقوية مرابض الصواريخ وزيادة صلابتها ، بزيادة سمك الخرسانة والحديد والتربة المستخدمة لوقايتها . وتدعيم دروعها حتى تستطيع مقاومة القوة الهائلة التى تصحب الانفجار النووى .

٢ — زيادة انتشار القوات المخصصة للرد ، وزيادة عدد قواعد الصواريخ وقواعد قاذفات القنابل المحمية .

٣ — توفير شبكات الدفاع ضد الصواريخ .

٤ — انشاء شبكة من القواعد المتمركزة على الارض ، لا تتأثر بتدخل العدو .

٥ — بقاء قاذفات القنابل فى الجو جاهزة لاطلاق الصواريخ .

٦ — مضاعفة قدرة الصواريخ الموضوعة على قواعد بحرية .

ومن المحقق ان الصواريخ ذات القواعد الارضية ليس لها مشكلات الصواريخ ذات القواعد المتحركة، فهى تفوقها من ناحيةالبساطة وسهولة الصيانة . ولكن الصواريخ ذات القواعد البحرية تمتاز فى جميع النواحى الاخرى بما فى ذلك التكاليف والصلاحية للاستخدام بوجه خاص . والصواريخ التى تطلق من الغواصات هى الحجر الاساسى فى قوة الردع النووى التى توفر القدرة على « التدمير الاكيد » .

والصواريخ التى تطلق من الغواصات تمتاز بخفة الحركة ، كما انها ليست هدفا ثابتا فى مكان معروف من قبل ، ولا يعرف العدو مكانها . ومداها يمكنها من الوصول الى أى هدف على وجه الارض ، وقوتها كافية لتدمير أى مدينة ، كما ان دقتها تجعلها قادرة — تقريبا — على تدمير أى هدف صعب . وتستطيع أن تبقى جاهزة للاطلاق الفورى باوامر من واشنجطن . والالتزام الخطير بالعمل السريع فور الانذار المبكر ليس عاملا اساسيا بالنسبة لصواريخ الغواصات . كما ان استخدامها يتيح فرصة للرئيس لاتخاذ القرار . كذلك تساهم هذه الصواريخ فى تحقيق استراتيجية تقليل الخسائر . لان وجودها فى البحر يتيح لها الانتشار فى محيطات شاسعة خالية من السكان ، بدل المناطق الارضية المزدحمة . كما انها تجذب اسلحة العدو النووية الى البحر المفتوح بدل الاراضى المعرضة . وأهم من ذلك كله ، فهى تضاعف الثقة فى قدرة الردع . اذ لا يوجد حتى الان ، وليس من المنتظر أن توجد وسيلة قادرة على تدمير جميع الصواريخ الموضوعة على غواصات بهجوم مفاجىء . مما يرغم المعتدى المتهور على التفكير بتعقل ، طالما انه ليس فى امكانه توجيه ضربة أولى قاضية .

والصواريخ الموضوعة على سفن السطح لها كل مزايا صواريخ الغواصات عدا القدرة على الاختفاء ، مما يجعلها أقل مناعة . وهى أقل تكلفة من اى صواريخ اخرى تعمل على قواعد متحركة أو مدرعة مثبتة على الارض . ومن المنتظر ــ ان عاجلا أو آجلا ــ ان تحمل سفن الاسطول الكبرى مقذوفات صاروخية أو نفاثة ذات واجب مزدوج ، للاستخدام ضد الاهداف البرية أو البحرية ، يصل مداها الى ١٠٠ أو ٢٠٠ ميل واكثر . وقد تخصص قواعد لاطلاق الصواريخ فى بعض السفن التجارية .

ولو ان الردع ضد الحرب النووية ــ حاليا ، وحتى فى المستقبل القريب ــ يعتمد أساسا على الصواريخ الهجومية ، الا أن صواريخ الدفاع تساهم فيه ايضا ، كما تساهم فى استراتيجية تقليل الخسائر ، بقدر محدود حتى الآن سوف يزداد فى المستقبل . على أن قدرتها على تقليل الخسائر وتحديد اضرار الدمار تتوقف على التقدم التكنولوجى فى هذا المجال . ويبدو الآن ان هناك بصيصا من الامل فى حماية الدول من هجوم صاروخى مركز .

بالاضافة الى التأثير السياسى والسيكلوجى والعسكرى السىء لمواجهة الولايات المتحدة الامريكية ــ وهى لا تملك دفاعا ضد الصواريخ ــ للاتحاد السوفيتى الذى يملك شبكة دفاع ضد الصواريخ ، سوف تبقى الولايات المتحدة مفتقرة الى الخبرة فى هذا المجال طالما كانت لا تملك شبكة صواريخ مضادة للصواريخ . لانه بالفتح والاستخدام الميدانى يتحقق النمو والتطور والتقدم التكنولوجى . على أن أمل الدفاع فى الغد، يعتمد على شبكة صواريخ حراسة ، تتضمن صواريخ ذات رؤوس نووية كبيرة ، تعمل خارج النطاق الجوى ، تخصص لملاقاة الصواريخ المهاجمة التى تغير عبره . وتكملها صواريخ ذات مدى أقصر وسرعة أكبر لملاقاة الصواريخ المهاجمة عبر النطاق الجوى القريب .

قد ينشأ هذا الدفاع لحماية نقطة أو منطقة ، على أن يتحول الى شبكة دفاع عن المناطق الآهلة بالسكان ثم عن هذه الدولة كلها . كما هو قائم الان حول مرابض الصواريخ القارية والمواقع العسكرية الاخرى .

يجب أن يقام الدفاع فى نطاق ضيق ، فى أول الأمر ، على أن ينتشر على نطاق أوسع ، عندما تحقق التكنولوجيا تقدما فى هذا المجال .

كما يجب ان تتضمن استراتيجية تقليل الخسائر دفاعا مدنيا . ولو ان وقاية اعداد كبيرة من الناس ــ وخاصة من يعيش منهم فى مناطق

مزدحمة — من العصف والحــرارة التى تصاحب الانفجارات النــووية وتعقبهــا ، يبــدو شيء غير عملى ، ولكن الحماية الجزئية من الغبــار المشع المتساقط تبدو شيئا ممكنا . يتضمن البرنامج الحــالى استخدام ونقــوية وتعديل وسائل الوقاية المتوفرة حاليا — الانفاق الارضية ، المبانى الخرسانية والحديدية ، الكهوف والمناجم المهجورة ، الملاجىء — وهو برنامج معقول يمكن تحقيقه من الناحية الاقتصــادية . وقد يكون حقيقة غير كافى ، ومن المحال أن نوفر الان برنامجا كافيا ، لان اقامة شبكة من الملاجىء العميقة كافية للدولة بواسطة الحكومة ، تحتاج لنفقات ضخمة ليس هناك ما يدعو الى صرفها الان . لاننا لم نصل الى حل مشــكلة المحافظة على الدولة — المحافظة على جياة الافراد — بعد انفجار القنبلة ووقف القتال ، وخروج الاحياء من المخابىء الى أراضى مسممة ومخربة . وهذا يجعل الدفاع المدنى جزءا من استراتيجية تقليل الخسائر ، بشرط أن يعتمد على تكنولوجية تمارس الابتكار والتجربة ، والتطوير فى الوقت الحالى على الاقل ، ولا تقتطع جــزءا كبيرا من ميزانية الدفاع ، اذ من الافضل أن يوجه الانفاق على وسائل الدفاع الايجابى أكثر من السلبى .

لقد أصــبحت الصواريخ أعظم الاســلحة الاستراتيجية فى الدفاع والهجوم ولكنها لم تحل محل الطائرات التى يقودها الطيارون .

وقاذفات القنابل — وخاصة تلك المجهزة بالصواريخ — سوف يكون لها أهمية تكنولوجية فى المستقبل . وان كانت القاذفات المسلحة بصواريخ جاهزة للاطلاق ، القادرة على الطيران فى خط سير منخفض لها منذ الان قدرة مؤثرة على الدفاع الجوى . وسوف يتضاعف مدى الصواريخ التى تطلق من الجو الى الارض وتزداد دقتها ، وسوف ينتج فى الوقت المناسب صاروخ يطلق من الجو ، مداه ١٠٠٠ ميل ويدخل فى تســليح القوات المسلحة ، وهو نوع مشتق من الصاروخ سكاى بولت . وعندما تنضج القاذفة وتصبح قاعدة جوية جيدة لاطلاق الصواريخ ، سوف تكون عنصرا عظيما يدعم قدرتنا الرادعة . والصواريخ التى تطلق من قواعد جوية ليست كالصواريخ التى تطلق من الغواصات من ناحية سهولة الاختفاء . لان مدى عمل الرادار يصل الى مسافات بعيدة فى الجــو ولكن سرعة القاذفات العالية ، ومرونتها ، تجعلانها قادرة على « السباحة » فى أى مكان من المحيط الجوى لتهدد دفاعات العدو من كل اتجاه . ولكنهــا لا تخلو من عيوب لان قوة الرأس الصاروخى التى تستطيع حمله محدودة ، وتكاليفها كبيرة ، وتصويبها غير دقيق ، علاوة على اعتمادها على قواعد ثابتة — معرضة على الارض — لاعادة الملء ، والصيانة ، وتغيير الطاقم الذى يعمل عليها . واذا ما جهزت هذه الطائرات بمحركات تعمل بالطاقة

الذرية ، فان قدرتها على التحمل سوف تزداد وتقل عيوبها ، وان كانت قدرتها القتالية سوف تبقى دائما مرتبطة بنوع خاص من الواجبات .

وللقاذفات بعيدة المدى واجبات اخرى فى حرب المستقبل . اذ تستطيع فى ظروف خاصة اسقاط احمـــال متفجرة بدقة أكبر على الاهداف التى تطير فوقها ، كما أنها ضرورية للاستطلاع المسلح . وقد ظهرت اهمية هذه الطائرات فى الحرب المحدودة عندما استخدمت فى حرب فيتنام . وهى قوة يجب الاحتفاظ بها للغد لان قدرتها الكبيرة على الحمل ، والقصف من ارتفاعات عالية دون أن ترى ، دعمت قوة الولايات المتحدة الامريكية .

التفوق الجوى ضرورة حتمية للدفاع الجوى القارى ـــ شبكة دفاعية قوية قادرة على اســقاط من ٦٠ ـــ ٩٠٪ من الطائرات المهاجمة التى يقودها طيارون . والدفاع الجوى الحديث المؤثر يعنى قدرة على الانذار المبكر بعيد المدى ضد الطائرات والمقذوفات النفاثة التى تطير على أى ارتفاع ، وكذلك قدرة على تدمير الطائرات قبل اطلاق صواريخها المعدة للاطلاق . وفى المستقبل ، سوف يحتاج الدفاع الجوى الى شبكة متكاملة من وسائل الاتصال السريعة ، أجهزة رادار موضوعة على الارض للانذار المبكر وللادارة ، صواريخ ومدفعية ضد الطائرات ، شبكة انذار وادارة جوية ، وطائرات اعتراض طويلة المدى ذات قدرة على اعتراض الطائرات الواطية ، وبها رادار يمكنه تمييز الطائرات التى تطير على ارتفاع منخفض وأسلحة يمكنها تدميرها .

واخيرا ، هناك عنصر اساسى وهام للدفاع القارى ، سوف يضيف قوة مادية الى استراتيجية تقليل الخسائر كما يزيد الثقة فيها ، اذا أمكن توفيره بصورة جيدة . وسوف يدعم ذلك بداهة استراتيجية الردع . يتكون هذا العنصر من شبكة دفاع على قواعد بحرية ـــ أولا ضـــد غواصات العدو ، وضد الصواريخ التى تطلق من السفن أو الغواصات ، وثانيـــا ضد صواريخ العدو التى تطلق من قواعد أرضية . على أن استخدام الوســـائل المســـاعدة ـــ الشـــبكة الدفاعية المخصصـــة لغرض ما فى أداء واجب ثانوى ـــ مثل شبكات الدفاع ضد الطائرات وشبكة الصواريخ المضادة للصواريخ ، فى واجب الدفاع ضد الصواريخ التى تطلق من قواعد مائية سوف يدعم الدفاع ضـــدها . ولكن الانذار المبكر سيبقى مطلبـــا أساسيا للدفاع ، من الصعب تنفيذه طالما كان يعتمد أساسا على اختراق الصوت لاعماق البحار الغامضة .

ومن حسن الحظ ، تقف العوامل الجغرافية فى جانبنا . فجميـــع الغواصـــات الســـوفيتية ـــ عـــدا تلك التى ترســـو فى بتروبافلوفسك

Petropavlovsk وكمشاتكا — يجب أن تمر فى مضايق أو بحار ضيقة فى طريقها الى البحار المفتوحة وبذا يسهل اكتشافها ، لان الحواجز المضادة للغواصات — المنشآت الالكترونية والصوتية الثابتة ، والغواصات ، وسفن السطح ، والطائرت التى تعمل من قواعد برية أو بحرية — تستطيع القيام بمسح دقيق لهذه المناطق بدرجة مناسبة . فالهيدروفون الحساس الموضوع فى مواقع محددة فى المياه العميقة ، يمكنه أن يتسمع على آلات دفع الغواصات بوضوح على بعد آلاف الاميال . وشبكات التسمع الموضوعة فى المياه العميقة — بعيدا عن الافريز القارى حول الجزر البريطانية ، وكذلك فى نقاط أخرى حول العالم — تنقل الاصوات التى تلتقطها واتجاهها بواسطة كابلات الى أجهزة تسجيل وأجهزة حاسبة على الشاطىء . ومقارنة الاشارات الواردة تبين طبيعة المصدر وتحدد نوعه اذا كان غواصة سوفيتية أو سفينة تجارية أو غواصة أمريكية أو غير ذلك . وقد استخدمت شبكات من هذا النوع من السونار لفترة ، ثبت خلالها اهميتها كعنصر لا يمكن الاستغناء عنه فى شبكة الدفاع ضد الغواصات الحديثة رغم قلة دقتها .

من المرجح أن افضل دفاع ضد صواريخ غواصات العدو هى غواصات اكثر سرعة ومرونة واشد سكونا . ويعنى ذلك ، بعد ما أوضحناه ، ان أقوى دفاع ضد صواريخ غواصات العدو هى غواصات أمريكية تقتفى أثر كل غواصة معادية . ويبدو أن ذلك هو ما يتبعه العدو بالنسبة لغواصاتنا الصاروخية .

كما ان شبكة الصواريخ المضادة للصواريخ SABMIS الموضوعة على السفن تعطى أملا كبيرا فى استغلال تكنولوجى آخر للبحار يدعم استراتيجية تقليل الخسائر الامريكية . وهى شبكة بحرية مشتقة من الصواريخ المضادة للصواريخ . وتتكون من صواريخ الجيش سبرنت Sprint أو اسبرتان أو كلاهما ، معدة للعمل من قواعد على السفن ، تدعمها اجهزة الرادار الضخمة والاجهزة الحاسبة التى توجهها ، موضوعة جميعها على سفينة أو سفينتين . وسوف تقوم هذه السفن بأعمال الداوريات فى المواقع الامامية البعيدة عن الشواطىء الامريكية ، تحت مسارات الصواريخ التى تنطلق من اى قواعد ارضية فى اتجاه الولايات المتحدة الامريكية وحلفائها . ولهذه الفكرة اهمية عظمى ، لانها توفر عمقا للدفاع الامريكى المضاد للصواريخ — منطقة اعتراض متقدمة من الصواريخ المضادة للصواريخ الموضوعة على سفن ، ثم نطاقين آخرين من الصواريخ سبارتان وسبرنت الموضوعة على قواعد أرضية . وقد تستطيع الصواريخ الموضوعة على قواعد بحرية — بالاضافة الى ذلك —

اعتراض الصــواريخ المهاجمة وهى فى منتصف الطريق ، أو فى بعض الاحوال ، فى نقط على مسارها قبل انفصال الرؤوس النووية التى تتجه الى أهدافها فى مسارات فرعية متعددة . تلك كلها افكار قد تؤدى الى توفير دفاع قوى ضد الصواريخ ، اذا ثبت أنها ممكنة التطبيق من الناحية التكنولوجية . ولكن ذلك يقتضى حل مشكلات تكنولوجية كبرى وانفاق أموال باهظة .

يتضح من ذلك أن تطبيق استراتيجية بحرية حديثة للسيطرة على المناطق الجوية البحرية المحيطة بنا ليست عملا سهلا أو قليل التكاليف . ولو انه فى — الحقيقة — لا يستطيع اى نوع من الدفاع أن يوفر للولايات المتحدة الا قدرا نسبيا من الامن . وقد أصبح الخطر النووى يهدد بقاء الدولة كلها الى درجة جعلت الحذر الدائم ، والاحتفاظ بأقصى درجة من الاستعداد العسكرى واعظم قوة شيئا حيويا . فللمرة الاولى فى تاريخ الولايات المتحــدة ، منذ حرب الهنود الحمر ، أصــبحنا نواجه حدودا مفتوحة ، ولاول مرة منذ أن بنيت الابراج والقلاع والاسوار حول المدن لحمايتها ، أصبح لزاما على الولايات المتحدة أن تبنى خطوطا دفاعية حول شــواطئها . وللمرة الاولى منــذ أن كان الفلاحون يعملون فى الارض وبنادقهم على اكتافهم ، نذهب الى اعمالنا والمقاتلات ذات المدافع الجاهزة للضرب تزأر فوق رؤوسنا والمقذوفات المسيرة موجهة الى السماء .

بهذه الجهود فقط حققنا أمنا نسبيا ، حتى الان ، الى درجة تشعر أى عدو حقيقى أن العملية غير مربحة له ، وان ثمن العدوان سيكون كبيرا . ولكن الرادع لا يبقى جامدا ، واى فكرة استراتيجية لن يكون لها قيمة الا بالاسلحة والارادة التى تساندها .

تواجه الولايات المتحــدة الامريكية فى هذه الايام خطرا لم يسبق له مثيل . فروسيا تملك الان أو تبنى فى أول عام ١٩٧٠ قواعد لحــوالى ١٥٠٠ صاروخ قارى (تزيد بمقدار ٤٥٠ على الولايات المتحدة) . ما يزيد عن ٣٠٠ منها للصاروخ المارد س س — ٩ الذى يستطيع حمل راس نووية من ٩ — ٢٥ ميجاطن (يحمل الصاروخ منيوتمان رأس نووى ١ ميجا طن) . وحركة البناء والتوسع مستمرة فى هذا المجال . لقد قدر جون فوستر Dr. John S. Foster ، مدير ادارة البحوث والهندســة بوزارة الدفاع الامريكية أن ٤٢٠ صاروخ س س — ٩ ، يحمل كل منها ثلاث رؤوس من ٤ — ٥ ميجا طن ، تصل دقتها الى ربع ميل (تلك كلها فى نطاق القدرة السوفيتية) تستطيع أن تدمر ٩٥٪ من الالف صــاروخ

مانيوتمان ، التى تملكها الولايات المتحدة على قواعد أرضية . وتستطيع روسيا أن توفر هذه الوسائل فى مدة ثلاث سنوات أو أقل . كما انهـا تقوم ببناء عدد كبير — بمعـدل لم يسبق له مثيل — من الغواصـات الهجومية السريعة التى تسير بالطاقة النووية ، محاولة بذلك أن توفر لنفسها أسطولا غائص يستطيع أن يتفوق على صواريخنا الموضوعة على قواعد بحرية باغراق غواصاتنا فى قاع البحار .

وصف الاستاذ البرت وولتتر فى بيان موجه الى السناتو التحـدى التكنولوجى فى المستقبل كما يلى :

أن القول بأن امننا تضاءل بينما تضاعفت قواتنا الاستراتيجية بمعـدل متزايد — وهو قول طالما كررناه خلال الستينيات — هو خطأ جسيم من جميع الوجوه .

لقد زادت بعض البرامج الرئيسية من حماية قوة الضربة الثانية ، بينما وفرت ملايين الدولارات من المبالغ المخصصة فى نفس الوقت ، وكان أمننا أقوى خلال الستينيات لاننا وفرنا الوقاية للقوة الاستراتيجية وجعلناها أكثر ملاءمة .

واذا لم نستمر فى اتخاذ القررات المناسبة لمقابلة التطور التكنولوجى خلال السبعينيات ، سوف يصبح تعرض جزء كبير من قوى الضربة الثانية موضع تساؤل . فهناك ابتكارات جديدة ، وخاصة تلك الصواريخ التى تحمل رؤوس متعددة ، سوف تكون فى صالح المهاجم » (٧) .

المحافظة على درجة مناسبة من الامن واقناع العدو بقدرة الردع ، تقتضى التغيير المستمر ، لان التخلف سوف يحـكم على بعض عنـاصر الدفاع بالفشل ، والانفاق من أجل تحقيق مكاسب سطحية سوف يؤدى الى التضحية بما هو أهم .

ولكن هناك معامل ثابت فى كل معادلة دفاع . وهو ان اخفاق الولايات المتحدة سوف يكون شـيئا محتما مالم تبقى تكنولوجيتها العسكرية — الاسس العلمية لمعرفة كل تطور حديث وكيفية تطبيقه — متفوقة ، وما لم تطبق هذه التكنولوجية باستمرار وتعقل فى الاعمال الاساسية اللازمة للمحافظة على التفوق فى البحر والجو .

لقد ادرك اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية هذه الاسبقية وترجمها فى أقصى تحدى واجهته الولايات المتحدة الامريكية حتى الآن . فقد طبقت موسكو فعلا استراتيجية بحر — جو — فضائية ، ولم تقتصر على انشاء قوة بحار عالمية فى العقد الماضى ، ولكنها انشأت أيضا قوة نووية متفوقة على قوتنا من عدة نواحى ، والوقت أصبح متأخرا اكثـر مما يعتقد أى أمريكى .

يتضمن قلب الارض للدفاع الامريكى — المناطق الداخلية التى يجب أن نحتفظ بها بقوة للدفاع عن نصف الكرة الغربى — الاسكا ، والالوتيان، وجزر المحيط المتجمد الكندية وخاصة جزيرة بافن ، وجرينلاند ، وقارة امريكا الشمالية والمناطق البحرية والارضية والجوية فى البحر الكاريبى، والمكسيك وامريكا الوسطى عبر فنزويلا وشمال كولومبيا . ويتكون النطاق الخارجى من باقى قارة أمريكا الجنوبية والجزر التى حولها ، وجبال البرازيل ، وهى هيئات مسيطرة فى استراتيجية جنوب الاطلسى . تلك مواقع حصينة فى هذه النطاقات الخارجية لها أهمية حيوية للسيطرة على طرق الملاحة البحرية فى جنوب الاطلسى — ممرات السفن البحرية حول رأس الرجاء الصالح ورأس هورن (جنوب أمريكا اللاتينية) .

كما أصبح لجزر فولكلاند فى جنوب الارجنتين وشيلى اهمية خاصة فى عصر الصواريخ كمواقع هامة للرادار ومحطات الانذار المبكر ضد تهديد الصواريخ التى تأتى من الاتجاه المخادع — فوق القطب الجنوبى — وضد تهديد الصواريخ المدارية .

يعتبر المحيط المتجمد الشمالى والاراضى حوله جبهة استراتيجية جديدة بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية . اذ ان سطحه المتجمد أصبح لا يعوق الملاحة ، لأن الغواصات النووية التى تحمل الصواريخ تستطيع السير تحت الجليد ثم اطلاق الصواريخ عبر ثقب أو شق أو بحيرة . كما ان القاذفات ذات المدى الطويل تستطيع الطيران فوق القطب الشمالى . وتمر اقصر طرق الاقتراب المباشر للولايات المتحدة عبر هذه المنطقة بين شمال الاطلسى والمحيط المتجمد الشمالى والاسكا وجرنيلاند .

توقع الجنرال بيلى ميتشل Billy Mitchell — منذ مدة طويلة قبل عصر المقذوفات — وكان مبالغا فى ذلك الوقت — الاهمية الاستراتيجية لألاسكا ، كمركز هام للدفاع والهجوم الجويين ، ومنطقة جانبية مسيطرة على طرق الملاحة الدائرية الكبرى فى المحيط الهادى . وفى عالم اليوم الضيق ، اصبحت الاسكا جزءا كبيرا من نطاقنا الواقى فى الشمال ، بفضل التكنولوجيا الحديثة . وبفضل أرضها الشاسعة (خمس مساحة الولايات المتحدة الامريكية) ، وانتشار سكانها (٢٤١ ... نسمة) وثروتها البترولية والمعدنية ، وقربها من سيبيريا السوفيتية ، وبالنسبة الى أن الطرق البحرية والجوية منها الى اليابان هى أقرب الطرق الدائرية الكبرى الى تلك المنطقة ، وموقعها الجغرافى كمخفف للصدمة بالنسبة للمراكز السكانية والصناعية فى الولايات المتحدة الامريكية ، تلك كلها عوامل جعلت لألاسكا أهمية استراتيجية لا يدانيها فيها أى أراضى أخرى فى المحيط المتجمد الشمالى . يضاعف من اهميتها

انها أصبحت الولاية الخمسين فى الاتحاد. وهى الارض الوحيدة فى منطقة المحيط المتجمد الشمالى التى يرفرف عليها العلم الامريكى . ولذلك فان المنشآت العسكرية الموضوعة عليها لاتتعرض للنقد السياسى والاقتصادى والسيكولوجى الذى تتعرض له القواعد الامريكية فى الاراضى الاجنبية .

قد تتضاءل أهمية الاسكا الحالية كحلقة هامة فى شبكة الانذار المبكر بتطور الرادار الذى يمتد مداه الى ما بعد الافق ، وتطور شبكة الانذار المبكر التى تعمل من الجو ، واجهزة المراقبة الاخرى . ولكن محطات شبكة الانذار المبكر بهجوم الصواريخ BMEWS الموضوعة فى كلير والاسكا ، التى تكمل محطات مشابهة فى ثيول وجرنيلاند وفلاينجليو مورز وانجلترا ستبقى على الارجح حاجز هام يدعم أى شبكة أخرى . على أن خطوط رادار الانذار البعيد باقتراب قاذفات القنابل DEW ، المتدة من التونيا حول الاسكا ثم عبر كندا وجرينلاند الى نيوفونلاند قد عدلت وجارى تخفيفها طبقا لتكنولوجية جديدة . ولكن شبكة الانذار المبكر التى توفرها الاسكا للمنطقة الشمالية القريبة من المحيط الهادى ، وكندا ، وشمال الولايات المتحدة الامريكية وغربها ، لا تزال ضرورية ، لتكثيف قطاع المراقبة الذى توفره المحيطات الثلاث للانذار المبكر بهجوم الصواريخ .

كذلك توفر مطارات الاسكا الكبرى قواعد أمامية للاستطلاع وجمع المعلومات ذات الاهمية الكبرى لأمن الدولة . كما ان موقعها الجغرافى بجوار سيبيريا — عبر الريح السائد من الغرب الى الشرق — والمسيطر على مخرج الطريق السوفيتى البحرى المار بالمحيط المتجمد الشمالى الى المحيط الهادى يجعلها قاعدة مثالية لجمع المعلومات بواسطة أجهزة الرقابة الالكترونية ، وكذا لمراقبة ميدان الصواريخ السوفيتى فى كمشاتكا ، وتحديد درجات الاشعاع الذى يتسرب من التجارب النووية تحت الارض ، وكقاعدة لداوريات الجليد وداوريات مراقبة الملاحة البحرية .

كما ان الاسكا وجزر الوتيان على امتدادها ، توفر موقع ملاحظة وخط دفاعى أولا ضد القواعد السوفيتية فى فلاديفستوك ، ونيكولا يفسك وكمشاتكا .

والاسكا — بالاضافة الى دور الحراسة التى تدعمه — لها أهمية كبرى اذا استغلت استغلالا صحيحا . اذ انها كقاعدة للهجوم والدفاع تستطيع تهديد الصواريخ السوفيتية عبر خليج بيرنج وفى أغلب مناطق سيبيريا ، وابطال عملها .

وأغلب مناطق الاسكا لا تزال قفرة ، اذ يتجمع أغلب سكانها حول مدينتى انكوراج وفيربانكو . وتوفر جبالها وغاباتها مواقع نموذجية للصواريخ المتوسطة وطويلة المدى ، بعيدة عن المناطق الصناعية الكبرى المزدحمة بالسكان ، قريبة من مواقع العدو مما يجعل لها مزايا جغرافية عسكرية عديدة . غير ان النفقات الباهظة اللازمة للانشاء والصيانة ، والجو العنيف يضعف هذه المزايا ويمنع استخدامها كقاعدة كبرى للصواريخ ، أو اقامة منشآت كبرى عديدة بها .

ولكن مزاياها العسكرية التى لا تجارى تغرى على بناء عدد محدود من قواعد الصواريخ داخلها ، بالرغم من النفقات الباهظة . وقواعدها الجوية توفر لقاذفاتنا قدرة على الانتشار . ويعتبر اقليم الاسكا أملا استراتيجيا فى عصر الصواريخ ، بالنسبة لقلة سكانه ووفرة المناطق المفتوحة المنتشرة فيه . اذ ان هذه الصواريخ سوف توفر مزايا مباشرة . انتشار القوة الرادعة ، دفاع غير مشجع ومثبط للسوفييت على اقامة أى منشآت فى منطقة الاسكا ، ووسيلة لاحصاء الصواريخ السوفيتية فى سيبيريا .

كان الدفاع — ضد الهجوم غير النووى — عن الاسكا ، وسيستمر معتمدا على السيطرة على البحار وتطبيق نظرية « الدفاع الجزيرى » . وتعمل المناطق المسكونة الهامة حول فيربانك وانكوراج ، التى تحيط بها القواعد الجوية والمنشآت العسكرية ، كجزائر فى بحر الجليد ، تدافع عنها الطائرات وقوات جنود الجو . ويعمل المحيط الخارجى للولاية كخط الانذار والنقط الخارجية .

نظرا لضيق خليج بيرنج وقرب شبه جزيرة شكسى Chukchi السوفيتية ، وقرب المنشآت العسكرية فى كمشاتكا ، فان الدفاع عن جزائر فيربانكس انكوراج Fairbanks-Anchorage يجب أن يقوم على قوات برية خفيفة الحركة على درجة عالية من الاستعداد ، مدفعية وصواريخ مضادة للطائرات موزعة توزيعا جيدا ، طائرات قتال لاعتراض طائرات العدو تعمل فى بعض الاحوال من قواعد متقدمة . والحامية الحالية تتكون من لواءين صغيرين من القوات البرية ، واحد بجوار كل مدينة ، وهى قوة مستديمة يمكن أن تكون كافية بشرط ١ — أن يكون هناك دعم فورى من الاحتياط الاستراتيجى فى الولايات المتحدة الامريكية ، ويمكن نقله فورا عن طريق الجو . ٢ — وأن يكون اللواءين على درجة عالية جدا من التدريب والاعداد والصلاحية للعمل فى هذا الجو القاسى والإرض القفرة الصعبة . ٣ — توفر طائرات نقل وطائرات هليوكوبتر

قادرة على نقـل القوات الى أى مكان فى الجزيرة بسرعة . لا يمكن أن يخشى حقيقة من غزو برى خطير ضد لورفورتى ايت Lower Forty-eight أو كنـدا عن طريق الاسكا — وقد يعتمد الروس على تحويل اتجاههم عبر هذه المنطقة كما فعل اليابانيون فى الاليوتيان فى الحرب العالمية الثانية — لأن خطوط المواصلات البرية قليلة ومتفرقة ، والاراضى مستوية ، والطقس صعب ، وأى جيش ينزل فى الاسكا بهدف الاستيلاء على سيتل Seattle سوف يصل اليها فى النهاية ، ليس كجيش ، ولكن كاسرى حرب مهلهلين انصاف متجمدين .

هذا يعنى أن التهديد التقليدى لن يكون الغـزو بجيش برى عبـر مضيق بـيرنج ، رغم ضـيقه . لأن الولايات المتحدة لها ميـزة الموقع العسكرى الداخلى فى الاسكا ، الذى يعمل على خطوط مواصلات قصيرة من مواقع الامداد ، بينما يضـطر الروس للتحرك على محيط دائـرى لمسافات بعيـدة من مراكز امدادهم ، ولذا فسوف يكون التهـديد من مجموعات صغيرة من الافراد ، تتسلل مختفية بهدوء ، لتقوم بتخريب المنشآت الهامة كقواعد الصواريخ ، وقد يتضمن التهديد أيضا القيـام بحركة التفاف مدبر . ولكن شبكة الرقابة والانذار المبكر على المحيـط الخارجى ، تكملها داوريات برية وجوية طويلة المدى وعناصر استطلاع من الاسكيمو ومن الحرس الوطنى الهندى ، مدعمة بألوية برية والوية المقاتلات فى فيربانك وانكوراج ، كلها عناصر توفر دفاعا جيدا .

وفى عصر شبكات الانذار بهجوم الصواريخ ، والرادار الذى يزيـد مداه بعيدا بعد الافق ، وشبكة انذار الاقمار الصناعية . قلت أهميـة المنطقة الكندية من القطب الشمالى بالنسبة للدفاع القارى عمـا كانت عليه عندما انشئت خطوط رادار الانذار المبكر التقليدى فى الخمسينات . على ان توفر بضع مطارات امامية صالحة لاستخدام طائرات القتـال وناقلات الجنود يكون له قيمة عظمى لمقابلة اى تهديد من جنود الجو . والقاعدة فى جزيرة بافن Baffin فى خليـج فروبيشر Frobisher تسيطر على مضيق هادسون Hudson وهو مدخل خليج هدسـون وخليج دافز Davis ، كما انها مهمة جدا ، — بالاضافة الى القواعد الموجودة فى لابرادور Labrador ونيوفون لاند — لداوريات الجليـد والداوريات البحرية . كما ان لثيول فى جرنيلاند اهمية عظمى كقاعـدة لانتشار قاذفات القنابل طويلة المدى ، بالاضافة الى وجود محطـات الانذار المبكر بهجوم الصواريخ بها .

فى عصر الصواريخ ، يجب أن يبدأ الدفاع القارى على مسـافات بعيدة عن حدودنا . والغواصات السوفيتية تخرج من قواعدها للقيـام

بداوريات الصواريخ ، أو الى مواقع العمل ضد السفن عبر خليج دانيمرك بين جرنيلاند وايسلندا ، وعبر الثغرة بين ايسلندا وجزر فاروس Faeros ، وعبر الممرات البحرية بين جزر فاروس والمملكة المتحدة . وموقع ايسلندا حاكم على جانب طريق الاقتراب الى قارة امريكا الشمالية ، مما يجعل له اهمية كبرى كموقع للانذار المبكر ، وكقاعدة للداوريات ضد السفن والغواصات . ولكن يجب مراقبة الممرات المائية التى تسيطر عليها فوق وتحت الماء ، فى عصر « العقربين فى زجاجة » .

نستطيع مراقبة هذه الممرات الضيقة بشكل فعال بواسطة شبكات الهيدروفون الحديثة التى تعمل تحت الماء ، وكوابل المراقبة والرادار وعوائق الغواصات (من طائرات الى سفن الى غواصات) . وهذا يضاعف المزايا الجغرافية الطبيعية التى توفرها هذه المضايق ، فهى حقيقة مفتاح شمال الاطلسى ، واذا لم نراقبها وقت السلم ، سنفاجأ وقت الازمات . واذا لم نسيطر عليها أثناء الحرب ، فان خطوط الامداد الى أوروبا سوف تتأثر بشدة أو فى أسوء وضع ، نهزم وندمر .

تقع جزر الازورس البرتغالية وبرمودا البريطانية على طريق الاقتراب المتسع الى شمال الاطلسى ، كخط نقط خارجية جزيرية للدفاع عن القارة له أهمية كبرى فى العمليات ضد داوريات السفن والغواصات، وكمحطات للانذار المبكر وقواعد لمطارات النقل فى الاحوال الطارئة .

كما ان منطقة البحر الكاريبى وخليج المكسيك وقناة بنما لها أهمية عظمى للدفاع عن القارة ، بمياهها ذات التيارات البحرية ، وارخبيل جزرها الفريد فى نوعه ، وثرواتها الزراعية والمعدنية. لأنها تكون سلسلة متصلة من الممرات البحرية العالمية . يمر عبرها بترول فنزويلا ، وبوكسيت جاميكا ، ومنجنيز البرازيل ، ونحاس شيلى : والزنك ، وخام الحديد ، والالياف ، والبن ، والموز ، والسكر الى الولايات المتحدة الامريكية . وتسيطر على التجارة مع أمريكا اللاتينية بين الشمال والجنوب ، ومع غرب اوروبا بين الشرق والغرب، من موانىء الشواطىء الشرقية للولايات المتحدة الامريكية الى الموانى القريبة والى المحيط الهادى .

وقناة بنما لا يمكنها استيعاب كثير من السفن الكبيرة وحاملات الوقود ، ولكنها صالحة لعبور الغواصات النووية ، وحاملات الجنود والسفن الصغيرة . وسوف تحل محلها قناة تشق فى أمريكا الوسطى، أكثر عمقا وصلاحية للملاحة الحديثة . ولكن السيطرة المادية والعسكرية

الفعالة على هذه القناة عنصر أساسى فى أى دفاع عن القارة . ويجب أن تكون الولايات المتحدة قادرة على منع عبور سفن العدو عبر القناة فى وقت الحــرب أو الازمات ، كما يجب أن تستطيع دفع القــوات ، والامدادات على وجه الخصوص بين المحيطــات عبرها . ففى حــرب فيتنام نقل ما يعادل ٩٨٪ من مجموع الاوزان على السفن عبر قناة بنما ، وشحن ٣٣٪ منها من الموانى الشرقية وموانىء الخليج .

يسيطر البحر الكاريبى وجزره الافريزية على طرق الاقتراب المتجهة من الاطلسى الى أى قناة فى أمريكا الوسطى ، أو الى خليج المكسيك أو الى الشاطىء الشرقى للولايات المتحدة الامريكية . فاذا ما وقع أى جزء من المناطق البرية المحيطة به أو من جزره تحت سيطرة أى دولة عظمى معادية ، يكون ذلك انتهاك للنطاق الخارجى الدفاعى عن القارة ، وقد يؤدى ذلك فى ظروف خاصة — كما اثبتت أزمة الصواريخ ١٩٦٢ — الى تهديد خطير قاتل لأمن الولايات المتحــدة الامريكية . كما أن ســيطرة الشيوعية على أى دولة فى البحر الكاريبى ، تعنى التهديد بغزو زاحف ، وقد تكون منبتا لعدوى تمتد منها الشيوعية الى أمريكا اللاتينية .

لا يحتمل حدوث تحدى عسكرى صريح لمبادىء مونرو بواســطة روسيا أو أى عدو آخر ، فى صورة غزو عسكرى أو بناء قاعدة جــوية بحرية اجنبية للصواريخ ، لأن المنطقة قريبة من ارض الولايات المتحدة ذات القوة العظمى ، ولكن هذا لا يعنى أن ذلك شىء مستحيل حدوثه.ولقد حدث وقد يتكرر . ولو ان السيطرة الشيوعية على اى دولة فى المنطقة تسبب مشكلة سياسية كبرى للولايات المتحدة الامريكية ، كما تسبب شغل جزء كبير من قواتنا العسكرية ، وتقتضى يقظة دائمة ، خصوصا وان استمرار الثورة التكنولوجية يهدد الأمن بمشاكل معقدة .

أوضحت حكومة كاسترو — مدعمة من موسكو ومعاونة لها — هذه المشكلة بشكل واضح .

لكوبا اهمية استراتيجية كبرى باعتبــارها أهم جزيرة على وجــه الاطلاق فى البحر الكاريبى ، بالنسبة لقوتها ومساحتها وموقعها . فهى تسيطر على عنق الزجاجة ذو الاهمية الاستراتيجية للممر المحاذى لاتجاه الريح — وهو المدخل البحرى الرئيسى من الاطلسى الى البحر الكاريبى — واتجاه الجزيرة مقاطع لخليج فلوريدا ، مما يجعل لها اهمية عســكرية بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية .

تبلــغ مساحة القاعــدة البحرية الامريكية فى خليــج جوانتانامو Guantanamo ٤٥ ميل مربع ، وتعرف بجمتو Gimto ، ويصل قدر الاستثمارات فيها الى ٧٦ مليون دولار . فيها مطاران ميدانيان ، بكل منها ممر للنفاثات ٨٠٠٠ قدم . وهى من أهم مناطق الرسو فى البحــر الكاريبى ؛ بها ١٤٠٠ مبنى ويعيش فيهــا من ٤٠٠٠ — ٦٠٠٠ أمريكى بالاضافة الى من ٤٠٠٠ — ٥٠٠٠ منهم على السفن والقطع البحرية التى ترسو هناك . ويعمل ١٦٠٠ موظف مدنى فى محلاتها التجارية .

منذ الحرب الاسبانية ، اصبحت قاعدة جوانتانامو أهم القــواعد البحرية واكثرها استعدادا خارج شواطئنا فى نصف الكرة الغربى ، ولكنها معرضة لكثير من الاحتمالات . فامنها الداخلى مهدد اذ يعمل بها جيش من المدنيين ، ويوجد على حدودها سور طوله ٢٤ ميل وشاطىء بحرى طوله عشرة أميال ، مما يجعل هذا — الأمن — مشكلة معقدة . وقــد يكون الاغتيال والتخريب عملا صــعبا وليس من الصعب مواجهتــه . والقاعدة ليس بها مصدر للمياه . وكانت المياه تصل اليها فى خط انابيب من محطــة ضخ على نهــر ياتيراس Yateras على بعد ٤ أميال ، حيث تحفظ فى خزانات فى القاعدة . وقد منع هذا الامداد فى أوائل عام ١٩٦٤ بواسطة كاسترو ، فعملت الولايات المتحدة على استيراد المياه للخزانات، وانشأت محطة لتحلية مياه البحر ، وحفرت الابار حتى تجعل القــاعدة مكتفية ذاتيا من المياه . وقد أصبحت فعلا كذلك بدون مياه النهر . والتباب الكوبية العالية تسيطر على بعض اجزاء القاعدة ، واذا وضــعت على هذه التباب صواريخ سوفيتية ضد السفن أو مدفعية بعيدة المــدى ، أصبح من المتعذر استخدام المطارات ومناطق الرسو .

تلك مزية نظرية فى يد كاسترو لا يستطيع أن يقامر بها ازاء ما تحتمله من نتائج . وحرمان طائراتنا وسفننا من استخدام هذه القاعدة لا يمكن ان يستمر طويلا ؛ لأنه يعنى بدء عدوان يعرض كوبا لهجوم تقليــدى كبير . وفى الواقع ، كانت هناك عدة خطط لاستيلاء حامية جوانتنامو على هذه التلال اذا ما بدأ كاسترو العدوان .

هناك عدة عوامل تزيد من اهمية جيمتو العسكرية . فهى قاعــدة تدريب هامة تستخدمها ســفن الاطلسى من وقت الى آخر للمراجعــة والتدريب . كما انها مركز لمجموعة تدريب اسطول الاطلسى ، التابعــة لقيــادة الاطلسى التى تشرف على تدريب السفن . كما تكملها قاعــدة روزفلت رود Roovelt Road الحديثة فى بورتريكو كقاعدة تدريب . وتستخدم سفن الصواريخ الحديثة ميادين رمى الصواريخ خارج روزفلت

رود . ويمكن تعويض جوانتنامو كقاعدة تدريب ، ولكن روزفلت رود ينقصها كثير من التسهيلات الموجودة بها وانشاء تلك التسهيلات فى بورتريكو يكلف نفقات باهظة .

بالاضافة الى دورها فى التدريب وتدعيم الاسطول ، لقاعدة جوانتنامو أهمية من النواحى الادارية ومن نواحى الامداد. فيه تسهيلات للامداد الجوى والصيانة ، وهى لا تتوفر فى أى قاعدة أخرى فى البحر الكاريبى ، وتعمل كقاعدة متوسطة للمقاتلات وطائرات النقل بين الولايات المتحدة وأمريكا اللاتينية .

تمتاز جوانتنامو بموقع استراتيجى يجعلها قاعدة هامة جدا — ولو انها يمكن الاستغناء عنها — فى أى حرب محدودة ، أو قاعدة للقوة الاحتياطية فى أى أزمة أو حرب مشروعة مشابهة لازمة الدومنيكان وهاييتى سنة ١٩٦٣ . وتختلف أهميتها بالنسبة لمكان الازمة ، ففى أثناء الحرب العالمية الثانية ، كانت مرسى تتجمع فيه قوافل الاطلسى والكاريبى وتخرج منه . كما انها تستخدم الآن كقاعدة لارتكاز الطائرات التى تقوم بأعمال الداوريات لمراقبة نشاط السفن والغواصات فى البحر . وقاعدة جوانتنامو حلقة فى سلسلة قواعد تمتد من فلوريدا وروزفلت رود . وشاجوراموس Chagauramos فى ترنداد ، التى بفضلها تستطيع الولايات المتحدة الامريكية السيطرة على منطقة الكاريبى — خليج المكسيك فى أى حرب محدودة، كما يمكنها مراقبة نشاط السفن فى المنطقة وحماية طرق الاقتراب من الاطلسى الى قناة بنما .

تقل فائدة خليج جوانتنامو فى الحرب النووية ، ولو انه قد يستغل لنشر اسطول الولايات المتحدة الامريكية . وقاعدة جوانتنامو : كقناة بنما ، وكلاهما حلقة فى سلسلة دفاعات الاطلسى ، سوف لا يكون لهما دور فى ظروف التراشق النووى الشامل ، والقناة يمكن غلقها برأس نووية واحدة . ولجيتمو فائدة كبرى كموقع لمحطة انذار مبكر لهجوم الصواريخ اذا ما اقتضت الحاجة انشاء هذه المحطات لمراقبة خطوط الاقتراب الجنوبية الى الولايات المتحدة. ولو أنه يمكن توفير مواقع أخرى أنسب للرادار الضخم . ويمكن أن تستخدم القاعدة للانذار المبكر المضاد للطائرات ، وكحلقة فى شبكة المراقبة تحت سطح البحر ، لتوفير انذار مبكر باقتراب أى غواصات تحمل صواريخ من شواطئنا .

وعلى ذلك فان لجوانتنامو أهمية عظمى فى الحرب المحدودة . وفى أزمات الحرب الباردة ، خصوصا تلك التى تتضمن نزاعا أو خطر قيام نزاع فى أى بلد من بلدان الكاريبى . ونظرا لان الموقف السياسى فى هذه

البلاد غير مستقر ، وكثيرا ما تجد واشنجطن نفسها مضطرة للتدخل المسلح فى هذه المنطقة لذا فان لهذا الاعتبار أهمية ظاهرة .

واخيرا : هناك اهمية اساسية لخليج جوانتنامو للولايات المتحدة الامريكية تفوق أهميته العسكرية . اذ من الملاحظ أن المعاهدة التى تحكم استخدامنا للقاعدة (وقد أعدنا تأكيدها فى عام ١٩٣٤) تماثل المعاهدة التى تدعم حقوقنا فى منطقة القناة . اذ نملك جميع حقوق السلطتين القضائية والادارية ونمارس حقوق السيادة طبقا للامر الواقع على مساحة ٢٩٠٠٠ اكر من البر والبحر . « والسيادة المطلقة » لم يأتى ذكرها فى المعاهدة ، لكوبا ، ولكن سلطتنا القضائية والادارية المطلقة سوف تستمر دون شك الا اذا تركت الولايات المتحدة الامريكية القاعدة، أو اذا أتفق رسميا مع الولايات المتحدة على اعادة النظر فى احكام المعاهدة ، لأن المعاهدة لا يمكن الغاءها من طرف واحد اذ أن ذلك يقتضى رضى الطرفين .

من المؤكد ان اعادة النظر فى أحكام معاهدة جوانتنامو سوف يؤدى الى تشجيع عمل مشابه فى مناطق كثيرة ، فى بنما وفى ترنداد ، وفى جميع انحاء العالم . وما سيحدث فى جوانتنامو سوف يؤثر الى حد كبير على منطقة القناة وعلى قواعدنا فى ترنداد ، وحقيقة فى جميع انحاء العالم ، وعلى الاخص على موقفنا فى أمريكا اللاتينية . أردنا أو لم نرد ، ترتبط هيبة الولايات المتحدة الامريكية بقاعدة جيمتو .

ولكن كوبا تعتبر اكثر من قاعدة بحرية فى خليج جوانتنامو اذ أن « قيام » حكومة صديقة فى الجزيرة ، وتعاونها مع الولايات المتحدة الامريكية يكون له نتائج عسكرية كبرى فى أمريكا اللاتينية . اذ يبدو أن هناك تناقض كبير من قادة دول أمريكا اللاتينية ، فهم ينتقدون كاسترو فى العلن ، ولكنهم فى الواقع يعجبون بالرجل الذى تحدى قوة وعظمة الولايات المتحدة الامريكية ، ويمكن أن تكون كوبا مثالا ، كالكبش الذى يقود القطيع . واهمية كوبا السياسية شىء واضح ، ولكن النتائج العسكرية لقيام حكومة صديقة هناك كثيرا ما اغفلت . فالحكومة الصديقة هناك تعنى حرمان عدونا المحتمل من المزايا السياسية والعسكرية التى منحها له حكم فيدل كاسترو ، وبعض هذه المزايا محتمل وبعضها واقعى . كما أن تعاون حكومة صديقة فى كوبا معنا ، يعنى القضاء على قاعدة معادية . ولكن ما هى أوجه استخدام الاتحاد السوفيتي العسكرى لكوبا ؟ هناك ستة أوجه :

١ — **قاعدة للصواريخ** : اول واهم وجه من اوجه الاستخدام فى

معادلة القوة العالمية ، هو استخدام كوبا كقاعدة للصواريخ والطائرات . ويجب الا نقدر أهميتها فى هذا الواجب لا أكثر ولا اقل مما يجب .

لقد حققت الصواريخ السوفيتية فى كوبا عام ١٩٦٢ عدة أغراض :

لقد وضعت جنوب حدودنا الجنوبية ، حيث كانت محطات رادار الانذار المبكر بهجوم الصواريخ أما ضعيفة أو غير موجودة بتاتا .

لقد أصبحت أغلب قواعد قاذفاتنا الاستراتيجية SAC وكثير من منشآت دفاعنا المضاد للطائرات وكثير من قواعد صواريخنا البرية ، فى مدى نيران العدو . ووجود الصواريخ السوفيتية فى هذه المواقع — حتى دون اطلاق طلقة واحدة — كان سيؤدى الى تعديل ، وليس لتغيير ، توازن القوى الاستراتيجية بابطال عمل بعض قواعدنا المهددة بصواريخهم .

لقد أصبحت المدن الامريكية الكبرى فى مدى سهل من الصواريخ الموضوعة فى قواعد كوبا . وكانت بعض هذه المدن مهددة فعلا من قبل بالصواريخ بين القارات الموضوعة فى روسيا . وعلى ذلك تعرضت بعض مدننا لتهديدين من موسكو ولو أن موسكو نفسها كانت تحت رحمة القوة الامريكية طويلة المدى فقط .

أصبح واجبنا الدفاعى أشد صعوبة نتيجة لوضع الصواريخ الروسية والطائرات المحملة بقنابل ذرية فى قواعد كوبا . بالاضافة الى ما خلقته من شعور جديد بأن التهديد والرعب أصبح فى عقر دارنا ، بعد ان ادرك الرأى العام الخطر النووى بصورة لم تحدث أبدا قبل أزمة صواريخ كوبا .

وماذا عن المستقبل؟

يعتقد رجال المخابرات ، كما يعتقد أغلب العسكريين — ولو أنه لا يمكن اثبات ذلك بصورة قاطعة — ان الصواريخ الروسية متوسطة المدى MRBM والبعيدة المدى IRBM التى وضعت فى كوبا وسببت أزمة الصواريخ قد انتزعت حقيقة من كوبا .

ولكن كهوف الجزيرة مملوءة بالمعدات العسكرية كما هو معروف ، واذا لم تكون الصواريخ مخزنة الان فى جوف الارض ، فلا يستبعد ان تخزن غدا . كانت الصواريخ التى لعبت دورا خاطفا فى أزمة كوبا كلها صواريخ ذات وقود سائل . وهى تحتاج الى عد تنازلى طويل نسبيا ،

وتحتاج لعربات وقود وتسهيلات عديدة أخرى . فالصاروخ ٢٢٠٠ ميل يحتاج الى مبان دائمة وانشاءات تستغرق وقتا طويلا . ولكن الصاروخ الروسى ١٠٠ ميل — كما وصفه مكنمارا وزير الدفاع — قادر على التحرك من موقع الى آخر فى ستة أيام . وقد قدرت بعض الجهات الاخرى حينذاك أن تلك الصواريخ الروسية مشابهة للصاروخ الالمانى ف — ٢ الذى يمكن اطلاقه من أى قاعدة صلبة ومستوية ومسطحة ، ويمكن تحريكه فى ظرف من ١٦ — ١٨ ساعة .

وحتى اذا كانت هناك مبالغة فى بعض هذه التقديرات فمن المحقق أن الصواريخ الروسية الخفيفة التى ستصنع فى المستقبل سوف تستخدم الوقود الصلب أو الوسائل سهلة التخزين ، كما هو الحال فى الصواريخ الامريكية . والوقود الصلب يقلل من وقت العد ويزيل مشاكل عربات الوقود وتبخر السوائل وضخ الوقود . ويجعل الصاروخ خفيف الحركة سهل الاخفاء . واذا ما نقلت مثل هذه الصواريخ الى كوبا واخفيت بها بمهارة ، أمكن نقلها الى مواقعها تحت جنح الظلام ثم نصبها وتجهيزها للاطلاق من المواقع المحددة قبل أول ضوء اليوم التالى أو بعد ذلك بقليل . والارجح أن ذلك لم يتحقق للروس حتى الآن ، ولكنه سوف يكون فى قدرة العلم العسكرى السوفيتى فى خلال بضع سنوات ، وهذا يقتضى الاعداد لمواجهته .

كما توفر كوبا مزايا أخرى من وجهة النظر الروسية ، لأنها تساعد على زيادة التوزيع الجغرافى لقواعد الصواريخ السوفيتية ، وتضطر الولايات المتحدة الامريكية لتخصيص جزء من قواتها الرادعة لموازنتها . كما أن قربها من شواطئنا سوف يعرض البلاد للغبار المشع الناتج من انفجار أسلحتنا المضادة . كما يزيد من دقة صواريخها وتأثيرها على أهدافنا .

قد يؤدى التقدم التكنولوجى فى المستقبل القريب الى زوال هذه المزايا من الناحية العسكرية البحتة . فعندما يمتلك الاتحاد السوفيتى اسطولا كبيرا من الغواصات التى تسير بالمحركات النووية محملة بالصواريخ ، وعندما ينشىء فى أراضيه قواعد مختفية قوية التحصين للصواريخ بين القارات ، فان موازنة التأثير بالنفقات — وخصوصا من النواحى الادارية ونواحى الامداد — قد تقتضى التخلى عن مواقع الصواريخ الروسية فى كوبا . ولكن ذلك لم يتحقق حتى الان . وحتى اذا تحقق ، فان كوبا سوف تبقى مرسى لغواصات الصواريخ الروسية . تسهل من مشاكل الامداد . وتمكن موسكو من الاحتفاظ بعدد أكبر من الغواصات فى الداوريات حول شواطئنا .

وقاذفات القنابل التى تعمل من كوبا ، تسبب تهديدا أقل ، لا يمكن اخفاؤه ، اذ انه حتى لو توفرت حظائر للطائرات تحت الارض ، وهى باهظة التكاليف ، فان الممرات الارضية تكشفها . وقد يكون ممكنا تحقيق هجوم جوى مفاجىء من كوبا ، كما حدث عندما تسربت طائرات كوبية فوق فلوريدا دون أن تكتشف ، ولكن الدفاع الجوى الامريكى الحديث ، والسرعة والارتفاع المحدودين للطائرات التى يقودها افراد ، يجعلان هذا التهديد أقل خطورة من الصواريخ .

كما أن قوة برية ضاربة ، خفيفة ، تقليدية ، مسلحة بالدبابات والمدفعية والصواريخ ، أو مسلحة بالاسلحة النووية التكتيكية ، لا تستطيع تحقيق المفاجاة ، أو حتى التحرك خارج شواطىء كوبا ، لأن أى هجوم يحتاج تجميع الطائرات أو سفن الابرار المائى وسفن الامداد ، مما لا يسهل اخفائه .

يبدو مما تقدم أن كوبا توفر لروسيا مزايا عسكرية هامة كقاعدة للصواريخ وعلى الاخص فى الوقت الحالى . لأن قدرتها من وسائل الحمل والتوصيل على وشك أن تتعادل مع قدرة الولايات المتحدة الامريكية . ولكن الشيوعيين يقدرون ان استغلال هذه المزايا يتضمن مخاطر سياسية وعسكرية لا يمكن قبولها الا اذا كانت موسكو تثق فى امكان نقل الصواريخ فى ظل سرية شديدة لاخفائها فى كوبا ، انتظارا للوقت الذى تستغل فيه لتحقيق هدف سياسى أو سيكلوجى أو عسكرى فى مجال النزاع العالمى .

وهنا نخلص الى أن استخدام اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية لكوبا كقاعدة للصواريخ يتوقف على التقدم التكنولوجى التى سوف تحققه ، وان اقدامها على وضع الصواريخ فى كوبا هو دليل على قبولها مخاطرة قيام حرب عالمية نووية .

٢ — **قاعدة بحرية** : هذا هو الاستخدام الثانى والأكثر احتمالا . ويتضمن استغلال روسيا لكوبا كقاعدة لامداد السفن والغواصات السوفيتية . والمعروف — دون تفصيل — ان روسيا ستعاون كوبا على اقامة ميناء وتسهيلات لاسطول صيد الاسماك . كما أن سفن الصيد الكبرى الروسية ، وكذا سفن الصيد الكوبية تستخدم موانى كوبا . اذ تتردد ١٢ من هذه السفن الروسية على موانى الجزيرة . وفى أثناء أزمة الصواريخ عام ١٩٦٢ ، كانت هناك مجموعة كبيرة من الغواصات الروسية فى المنطقة ، كما بينت بعض التقارير الخاصة انه من المنتظر أن تضم مدمرة أو غواصة أو أكثر من الاسطول الروسى للاسطول الكوبى . كما قامت السفن الروسية بزيارات عديدة للمياه الكوبية .

هناك احتمال كبير بتوفير التسهيلات اللازمة لامداد الغــواصات بالوقود ، وكذا سفن الصيد الكبرى والسفن الصغرى ، واقامة ورش لاجراء الاصلاحات الصغرى . (واحسن الورش بالجزيرة موجودة فى قاعــدة جوانتنامو الامريكية) . وســوف يكون لهذه المنشآت فوائــد اقتصادية وعسكرية للاتحاد السوفيتى وكوبا . وقاعدة كهذه سوف تمكن القطع البحرية وخاصة غواصات الصواريخ السوفيتية من اتخــاذها كمحطات لها فى نصف الكرة الغربى تمكنها من القيام برحلات دورية أطول مما لو اعتمدت على القواعد الروسية أو سفن الامداد بالوقود .

وقد وضع الاتحاد السوفيتى عدد من قوارب التوربيد المســلحة بصواريخ كومار Komar واوصا Osa فى كوبا . ولهذه القــوارب لذعة قاتلة (اثبت ذلك غرق ايلات) . كما أن مدى عملها المحــدود ، وقدرتها على مراقبة البحر تكفى لمراقبة شواطىء كوبا والممرات القريبة منها فى البحر الكاريبى . وتستطيع هذه القوارب التأثير على خطــوط الملاحة التى تسير فيها السفن وقت الازمات ، كما تدعم دبلوماســية موسكو وكاسترو فى المنطقة .

٣ــ **مركز مخابرات** : لكوبا أهمية حيوية للاتحاد السوفيتى كمركز للمخابرات وتجميع المعلومات عن الولايات المتحدة والبحر الكاريبى . اذ أن موقعها يصلح لذلك . فالممرات البحرية تسير بجوار شواطئها ، ومنها يمكن بسهولة تحديد أنواع السفن ونشاطها وحجمها وجنسيتها عن طريق المراقبة بالنظر . وهى قريبة من كيب كيندى Cape Kennedy ، ومن ميدان الاطلسى لاطلاق الصواريخ التى تستخدم فى اجراء التجارب العسكرية والمدنية الخاصة بالاقمار والتوابع الارضية ، وتجارب الفضاء ، وتجارب الصواريخ بولاريس ومنيوتمان والصواريخ العسكرية الاخرى . ومنها يمكن اجراء الاستكشاف الالكترونى ومراقبة محطات اللاســلكى والرادار العديدة التى تســتخدمها الولايات المتحدة الامريكية فى هــذه الميادين . والارجح أن ذلك قد مورس فعلا منذ وقت مضى . ويستطيع الروس وضع رادار كبير فى كوبا يمدهم بمعلومات عن اطلاق الصواريخ ومسارها مثل تلك المعلــومات التى توفرها أجهزة الرادار العمــلاقة الموضوعة فى تركيا والاليوتيان .

وتقوم سفن الصيد الروسية الكثيرة المجهزة بالمعدادت الالكترونية بالملاحة ومراقبة شواطىء فلوريدا منذ مــدة طويلة ، كما تراقب باقى شواطئنا المطلة على الاطلسى . ومعداتها تقوم بتسجيل البيــانات عن

أجهزة الارسال العسكرية الالكترونية الامريكية التى تبث من محطات الرادار والراديو الامريكية ، كما تقوم بتحديد «سرعة نبضاتها» وترددها ومكانها . وترتكز بعض هذه السفن على موانى كوبا . كما تقوم الطائرات المدنية الروسية التى تعمل بين روسيا وكوبا بمراقبة الشواطىء الامريكية . كما تستطيع الطائرات التى تعمل من قواعدها فى كوبا الطيران فوق جنوب شرق الولايات المتحدة الامريكية .

وأخيرا ، تعتبر كوبا قاعدة نموذجية تتسلل منها عناصر المخابرات والجواسيس من مختلف الانشطة (عناصر تختلط باللاجئين مثلا) الى الولايات المتحدة الامريكية ، والى بورتريكو ، والى مناطق أخرى من البحر الكاريبي ، والى أمريكا الوسطى والجنوبية . وهى تستخدم فعلا بنشاط كبير ، كمركز أمامى للمخابرات الروسية . ومن المؤكد أن أهم واجباتها فى مجال الاستخبار استكشاف ومراقبة كل ما يبث من محطات الرادار والراديو التى تعمل فى ميادين اطلاق الصواريخ الامريكية .

٤ — **محطات التتبع** (اقتفاء الاثر) : هناك استخدام محتمل آخر لكوبا بواسطة روسيا ، كقاعدة لوضع اجهزة الادارة والاتصال اللازمة لتجارب الفضاء السوفيتية . وفيما مضى ، كانت كل هذه المحطات داخل نطاق الاتحاد السوفيتى أو فى سفن فى البحار . ويقوم الاتحاد السوفيتى بانشاء محطة متابعة فضائية فى كوبا ، كما ذكرت ، بعض التقارير .

٥ — **قاعدة للتخريب** : لكوبا فائدة عظمى — كقاعدة شيوعية فى قلب نصف الكرة الغربى — كمركز تنشط منه عناصر التخريب والسابوتاج وأعمال العصابات والدعاية . وقد استخدمت الجزيرة فعلا فى هذه الاغراض على نطاق ضيق . اذ يمكن تبين مصدر المتاعب التى حدثت فى فنزويلا ، وفى بوليفيا ولشيلى وبنما الى حد ما ، فى كوبا . وبهذا الوضع ، تعتبر كوبا مصدر تهديد للحكومات غير المستقرة ، والشعوب الفقيرة فى جزر البحر الكاريبى (ومنها بورت ريكو التابعة للولايات المتحدة الامريكية) وامريكا الوسطى بوجه خاص ، وفى أمريكا اللاتينية بوجه عام . ولا تستطيع كوبا أن تهدد بغزو خطير مدبر لاى دولة أخرى فى المنطقة ، لصغر حجم قوتها البحرية ، خصوصا وأنها قريبة من دولة بحرية وجوية عظمى ، هى الولايات المتحدة الامريكية . ولكن تستطيع سفينة تجارية أو غواصة او سفينة صيد أو طائرة أن تنقل منها فصيلة من الرجال . ولا يمكن فرض حصار كامل او توفير نظام تفتيش جيد يحول دون تسلل جماعة صغيرة من الشيوعيين المتمرسين ، والمدربين جيدا على أعمال التخريب وحرب العصابات والدعاية واثارة الثورات وقلب نظام الحكم ، الى دول أمريكا اللاتينية . كذلك لا يمكن منع تهريب الاسلحة

من كوبا الى الدول الاخرى فى نصف الكرة الغربى . وتقوم كوبا بدور نشيط لخدمة أهداف روسيا فى هـذه المنطقة كما انها ميدان لتدريب خبرائها على الثورات واثارة الاضطرابات ، وقاعدة ارتكاز تستغلها فى الوقت المناسب لدعم زحف المد الشيوعى فى نصف الكرة الغربى .

٦ — **تحويل جزء من المجهود العسكرى الامريكى** . لكوبا فائدة كبرى فى هذا المجال ، خصوصا اذا أصبحت قاعدة كبيرة للصواريخ ، مما سيضطر الولايات المتحدة الامريكية الى تخصيص جزء من قواتها الاستراتيجية لتبقى دائما على استعداد لاسكات مواقع الصواريخ فى كوبا قبل بدء اطلاقها . كما انه فى حالة قيام حرب محدودة ، أو عند بدء التعبئة لمقابلة أزمة طارئة فى أى مكان ، فسوف يمكن لكوبا شغل جزء من قواتنا لفترة ، بما يؤثر على برامجنا الزمنية ، وبالتالى على العمليات الاخرى . وحتى بدون ازمات بادية فى الافق ، وبفرض أن كوبا قد اخليت تماما من الصواريخ ، فان كوبا تشغل جزءا من قواتنا ، بل جزءا هاما من قواتنا العسكرية فى نواحى متعددة .

فمراقبة نشاط السفن الذاهبة الى كوبا والقادمة منها بطائرات الداوريات البحرية تقتضى استخدام طائرة أو أكثر من هذه الطائرة بصفة مستمرة . كما تحتاج الى شبكة عالمية يقظة قادرة على تسجيل وتتبع سفن الكتلة الشيوعية التى تقوم بشحن الاحمال الى كوبا ، ومراقبة الموانىء التى تعمل منها .

والاستطلاع بالتصوير الجوى يقوم مقام الاستطلاع الآنى الذى لا يسمح به فيدل كاسترو أو الروس . وهو عنصر هام اكدت أزمة كوبا عام ١٩٦٢ أهميته الحيوية ، ولو أن طلعات التصوير الجوى لها قيود وحدود . لأن مقارنة الصور الجوية التى تؤخذ فى اوقات متعددة تفضح أى نشاط غير عادى ، وتبين أى منشآت جديدة استحدثت فوق الارض ، حتى اذا اخفيت فى كثير من الاحوال ، ولكنها لا تبين ما هو مخزون تحت الارض أو فى داخل المستودعات أو فى المبانى أو داخل الغابات الكثيفة . واذا كانت واشنجطن تريد أن لا تؤخذ على غرة بمفاجأة خسيسة كما حدث فى أزمة ١٩٦٢ ، فان الأمر يقتضى قيام طلعات استطلاع متوالية باستمرار ، لأنه لا يمكن استكشاف كل الجزيرة بطلعة واحدة ، بل يقتضى الأمر اجراء طلعات متكررة ومتواترة بما يكفى لمراقبة الجزيرة ، خصوصا وان الصواريخ الحديثة يمكن اقامتها بسرعة فى قواعدها . وهكذا تشغل كوبا الشيوعية جزءا من مجهود استطلاع القيادة الجوية الاستراتيجية ليقوم بما يسميه البنتاجون « الطلعات الدورية » القريبة فوق الجزيرة . كما ان التصوير من ارتفاع منخفض يقتضى توفير طائرات

سريعة نفاثة للاستطلاع بالصور ضـــمن طائرات الاسطول والقـــوات البحرية والقوات الجوية . ويجرى هذا التصوير لاجراء الاســـتطلاع الدقيق التفصيلى لأى نشاط يعجز الموزيك عن اظهاره . ولو ان هـــذا النوع من الاستطلاع لم يجر فوق كوبا منذ عدة شهور ، مما يضـــعف من قدرة مخابراتنا ، ويزيد من الاخطار التى نتعرض لها .

يؤدى الاستطلاع على ارتفـــاع منخفض الى مضاعفات سياسية واخطار جسيمة . اذ أن طائراتنا ستطير على مـــدى مناسب للمواقع الروسية والكوبية المضادة للطائرات ، وستكون ظاهرة لقوات كاسترو بما يشجعها على العدوان عليها . ورغم ذلك فسوف يكون للاستطلاع الليلى والمنخفض أهمية حيوية فى المستقبل اذا ما بين تقدير الاستخبارات ان روسيا قد أنتجت فعلا صواريخ سريعة الحركة ، ذات وقود صلب أو وقود سائل ممكن تخزينه ، رغم ما لهذا الاستطلاع من نتـــائج سياسية وسيكلوجية .

تجنبا للاثار السياسية والسيكلوجية للاستطلاع التفصيلى ، يجب أن تجهز الولايات المتحدة طائراتها التى تعمل فوق كوبا باحسن ما انتجته من وســـائل المراقبة لاستطلاع أى هدف فيها ، على أن يتم بالوسائل الآتية : استطلاع الكترونى ، ومراقبة ارسال محطات اللاسلكى والرادار الموضوعة فى كوبا ، والقيام باغارات بواسطة اللاجئين أو العمـــلاء ، وعمليات تجسس بواسطة جواسيس أو عملاء من داخل كوبا ، وتسلل جماعات صغيرة مسلحة للقيام بمهام الاستطلاع واعمال التخـــريب ، وعمليات حرب عصـــابات فى كوبا ، على أن تتعاون ادارة المخـــابرات المركزية والقوات المسلحة فى هذا النشاط ، وتســـتغل الاولى مراكب الصيد والقوارب السريعة والطائرات فى هذه الاعمال .

منذ استيلاء فيدل كاسترو على الســـلطة فى كوبا ، ومنذ أن بدأت روسيا فى استغلال كوبا للاغراض العسكرية على وجه التحديد، خصصت الولايات المتحدة مجموعة قتال برمائية لمنطقة الكاريبى تتكون من مجموعة كتيبة ابرار بحرى مدعمة ، من البحرية (١٧٠٠ فرد) . وتبقى بصـــفة دائمة فى منطقة البحر الكاريبى أو قريبة منه ، على السفن التى تســـير على مدى ســـاعات قليلة من كوبا أو فييكيس Vieques ، وهى جزيرة قرب بورت ريكو . وقد اثبت التاريخ المعاصر أن لمثل هذه القوة فوائد عظمى فى المناطق التى تثور فيها المتاعب فى الكاريبى ، اذا كان مصدرها كوبا . كما دعمت أيضا الحامية العســـكرية فى جوانتنامو . ويحتفـــظ الاسطول والبحرية بقوات جاهزة للتحرك بحرا أو جوا الى منطقـــة الكاريبى كدعم يساند وحدات خط الدفاع الاول ســـالفة الذكر . وكان

الموقف يقتضى تدعيم شـــواطىء فلوريدا والقطـــاع من كيى وســـت Key West الى شمال ميامى بوجه خاص بتقوية شـــبكة الرادار ووسائل الدفاع الجوى . وقد خصصت فعلا للمنطقة ، احسن طائرات الاعتراض الامريكية .

على أن تقدير القوة البشرية والنفقات اللازمة لهذه الاحتياطات يعتبر سر من أسرار البنتاجون ، وان كان قدرا لا يستهان به حتى بالنســبة لميزانية الدفاع العملاقة . وكوبا كقاعدة روسيا تكلفنا بضعة ملايين كل عام ، وتحتم تخصيص جزء من صفوة قواتنـــا المدربة المتخصصة لواجب دفاعى ثابت على بعد خطوة من أرض الوطن .

ولهذه المعادلة العســكرية الكئيبة طرف مزعج من وجهة النظـــر الامريكية . اذ تستطيع روســيا — عن طريق مضاعفة أى جهـــود فى المنطقة ، أو حتى التظاهر بذلك — ارغام الولايات المتحدة الامريكية على مضاعفة الجهود لمقابلة التحـــدى . لأن أى زيادة مفاجأة فى الســـفن الروسية التى ترسل الى كوبا ، أو ظهور أى نشاط مضاعف فى جبالها ، وهى دلالات للدعم العسكرى ، وكـــذا أى تهديد بصواريخ جديـــدة أو ازعاج تثيره جمـــاعات المتسللين فى جـــزر البحـــر الكاريبى أو امريكا الوسطى ، سوف يقتضى بالضرورة تخصيص قوة أمريكية عســـكرية اضافية للبحر الكاريبى . وروسيا هى التى تملك زمام المبادأة فى هـــذا المجال . اذ تستطيع موسكو أن تعمل بعنف أو بهدوء ، وترغم جهودنا على النقصان والزيادة طبقا لسلوكها هى . وعلى سبيل المثال ، اعلنت الولايات المتحدة الامريكية ، تعبئة ما يزيد عن نصف مليون من جنـــود الجيش والبحرية والطيران فى عام ١٩٦٢ لمقابلة تهديد ٤٠ صـــاروخ وما يعادل ٤٠٠٠٠ جندى روسى . هذا مما يجعل لكوبا — من ناحيـــة الموقع الجغرافى ، وبعد أن وضعت بها روسيا بعض القوات العسكريةـــ اهمية كبرى وباستمرار فى استراتيجية البحر الكاريبى ، ونصف الكرة ، بل وفى الاستراتيجية العالمية .

ولكن موقف كوبا على حدة ، لا يمـــكن أن يؤدى الى تغيير ميـــزان القوى فى العالم ، حتى اذا استغل بواسطة موسكو الى أقصى حد . لان تفوق القوى الامريكى لا يتوقف على ما يحدث فى كوبا . ولكن تحويلها الى قاعدة سوفيتية يعتبر عاملا هاما فى معادلة القوى فى العالم . لأن الموقع السوفيتى العسكرى فى كوبا يستطيع شـــغل جزء كبير من القوة الامريكية العسكرية ، ويستطيع معادلة جزء من قدرتنا النـــووية على الانتقام ، وبذا يصبح رهينة سياسية فى أى أزمة برلين أخرى على سبيل المثـــال .

وكوبا كقاعدة ليست حيوية لنا . ولكن يتحتم علينا بالضرورة حرمان أى عدو حقيقى منها ، اذا أردنا الا يعانى أمننا سلسلة مستمرة من الحذر والحيرة لا يمكن توقع أبعادها . وقد يبدو غزوها أمر ضرورى فى ظروف خاصة ، اذا اكتشفنا وجود صواريخ موجهة بعيدة المدى روسية عليها. اما اذا اقتصر النشاط المعادى على مضاعفة تصدير الاسلحة والمخربين والفوضيين الى امريكا اللاتينية ، فان الامر يقتضى عمل اقل من الغزو ، على أن يكون عملا حاسما مثل الحصار الجزئى مثلا . وعلى أى حال ، سوف يبقى المخططون الامريكيون ، عسكريون ومدنيون ، تحت كابوس يؤرقهم ، طالما ظلت روسيا السوفيتية تستخدم كوبا لتحقيق أغراضها .

وعلى ذلك فان كوبا تحت السيطرة الشيوعية ، وبالمثل أى بلد شيوعية تساعدها روسيا أو الصين ، هى انتهاك للنطاق الدفاعى القارى يجب مقابلته بمنتهى الحذر (٨) .

أما قناة بنما فلها وضع خاص بالنسبة للاستراتيجية العليا للولايات المتحدة الامريكية . وفى أيام الاسطول الواحد ، كانت أهميتها شديدة بالنسبة لتنقل السفن بين المحيط الاطلسى والهادى (اذ اضطرت السفينة الحربية أوريجون الى الاندفاع حول رأس هورن فى الحرب الاسبانية الامريكية ، مما أبرز أهمية انشاء قناة برزخية فى هذه المنطقة) . ولكن القناة قلت أهميتها بالنسبة للامن الامريكى ، بفضل اسطول يعمل فى محيطات متعددة ومن قواعد على كلا شاطئى القارة . وان لم تفقد أهميتها كطريق للامدادات والشئون الادارية ، فقد نقلت عبرها القوات والكميات الهائلة من الامدادات العسكرية خلال أزمة الصواريخ فى كوبا، واثناء حرب فيتنام ، وكذلك فى ظروف أزمات طارئة اخرى . والقناة توفر أرخص وسيلة للنقل ، خصوصا بالنسبة للاحمال الكبرى .

ومن البديهى أن للقناة عيوبا عسكرية ، ففى حرب نووية يسهل تدميرها وتصبح أهميتها قليلة ، وفى الحرب التقليدية يصعب الدفاع عنها ضد التدمير المدبر . ولكن ما تبقى لها من أهمية عسكرية ، بالاضافة الى اهميتها السياسية والاقتصادية يستحق الدفاع عنها . خصوصا بعد ما أصبحت مركزا للاطماع الشيوعية ، كعقدة فى طرق المواصلات البحرية ومضيق تمر فيه الملاحة العالمية . وليس اعتباطا أن تركز موسكو اهتماما كبيرا على الممرات فى مضيق ملقا Malaca Strait ، والسويس وبنما .

كما ان أهمية قناة بنما السياسية تبدو جلية واضحة فى ان الاحتفاظ بها يفصح عن قوة الولايات المتحدة وسلطانها واعتدالها . الا انها أهمية

سلبية ، مثل أهمية جونتنامو فى كوبا ، لأن سيطرة روسيا أو اشرافها عليها تسبب خسارة كبرى يفوق تأثيرها المزايا التى تجنيهـــا الولايات المتحدة من السيطرة على هذه القنـــاة . واطماع الشيوعية فى بنمـــا واضحة ، كما هى واضحة فى مصر ، وهى تحقيق السيطرة على طـــرق الملاحة العالمية عن طريق دول عميلة تحت ستار التدويل . لأن التدويل له مظهر خداع . وقد يحقق بعض المزايا فى ظروف خاصة ، ولكن أى اشراف جماعى على القناة دون أن تسانده الولايات المتحدة الامريكيـــة بقوة يعنى السيطرة الشيوعية . كما أن عدم الاحتفاظ بموقفنا فى القناة سوف يبدو كعلامة ضعف ، ويؤدى الى مشكلات سياسية ودبلوماسية فى مواقع أخرى فى امريكا اللاتينية ، لأن الشعوب جنوب حدودنا تسبنا وتسخر من « امبريالية اليانكى » ولكنها تحترم قوتنا وصلابتنا .

كما أن القناة لها أهمية خاصة للمواصلات البحرية بين نصف الكرة الغربى وبين باقى قارات العالم . لأن حجم المرور عبورها يتضـــاعف باستمرار ، وبدونها ترتفع تكاليف نقل الاحمال والافراد ، وكذلك ترتفع اثمان اللوازم الضرورية التى نستوردها من جميع انحاء العالم ، ممـــا يجعل لها أهية اقتصادية بارزة .

والقاعدة العسكرية حول القناة ــ سواء كانت قناة بنما أو غيرها ــ لها واجب آخر غير واجب الدفاع عن القناة نفسها . اذ تتمركز فى نطاقها قيادة جيش الجنوب ، كما تحوى فى داخلها مدارس عسكرية عديدة . منها مدارس الدفاع ضد العصيان ، وحرب الغابات التى يتدرب فيهـــا جنود الولايات المتحـــدة الامريكية وأمريكا اللاتينية المعينين للعمـــل فى المناطق الحارة . كما انها مركز للاشراف على المساعدات العســـكرية والجهد الاستشارى الامريكى فى نصف الكرة الغربى . وتحتفظ الولايات المتحدة الامريكية عادة بمجموعة قتال خفيفة قادرة على التحرك جوا الى أى منطقة فى نصف الكرة الغربى تتكون من لواء وكوكبة من القـــوات الخاصة فى قاعدة بنما . والنظرة الفاحصة المجردة الى مستقبل أمريكا اللاتينية توحى بحتمية تدعيمهذه القوة قليلا، لـــا نتوقعه لها من متاعب.

وقد سبب ازدحام المرور فى القنـــاة قيودا فنية ووصل الى درجـــة التشبع . وهناك عدة حلول وضعت فى الاعتبار لمواجهة هذا الموقف ، بينها حفر قناة أخرىفى نفس المنطقة ، أو فى أى مكان آخر فى بنما أو فى كولومبيا . وحفر قناة جديدة هى حاجة اقتصادية ضرورية . بالاضافة الى أن حفر قناة جديدة ــ خصوصا اذا كانت فى منطقة أخرى غير بنما ــ له أهمية سياسية ، اذ يعطى للولايات المتحدة الامريكية فرصة حل بعض المشكلات التى اربكت العلاقة بينها وبين بنما .

وبنما ، فى الواقع ، دولة مصطنعة ، صنعتها الولايات المتحدة الامريكية ، ومازالت تدعمها بطريق مباشر وغير مباشر . ويقوم ساستها وخمسون عائلة غنية فيها بدعاية سوداء لاستثارة الغوغاز من أجل مضاعفة ابتزاز الولايات المتحدة الامريكية . وقد أدت اخطاؤنا ، ونقط الضعف فينا ، مع الاثارة الشيوعية ، الى عدم الاستقرار فى بنما .

ولكن طريق الابتزاز لا يمكن أن يتغير ، لأن العنف يولد الازدراء . وما نستطيع أن نمنحه مهما كان ، لا يمكن أن يوفر استقرارا دائما فى بنما ، حيث يشعر المحكومون بتحلل الحاكمين من المسئولية بشكل خطير ، كما هو الحال فى أغلب دول امريكا اللاتينية .

قد يسبب حفر قناة جديدة خارج بنما ركود اقتصادى — يصل الى كارثة بدون مساعدة الولايات المتحدة الامريكية — لبنما والمدينتين الواقعتين على طرفيها كولون وبنما . تلك نقطة قوية للمساومة . على أن الرأى العام الملتهب ، وخاصية اللا شعور بالمسئولية التى يتصف بها أغلب قادته ، تحتمان شدة الالتزام بالدقة والاحتراس فى مواجهتهم .

على ان انشاء وادارة قناة جديدة — داخل أو خارج بنما — أو تطوير القناة الحالية ، يجب أن يتم تحت اشراف لجنة من المديرين أو الاوصياء الذين يمثلون الدول الاكثر استخداما للقناة ، ومنها الولايات المتحدة الامريكية وبنما أو كولومبيا . اذا ما بقيت القناة الحالية ، يجب الا تمس سيادة بنما ، واذا ما انشئت قناة جديدة ، يجب أن تكون السيادة عليها للدولة المضيفة ، على أن تمنح قوات الولايات المتحدة الامريكية حق الاشراف الفعلى على الدفاع والادارة العسكرية ، وان تتضمن أى معاهدة — بصرف النظر عما يوضع بها من مواد منمقة — حقوقا خاصة بالقاعدة العسكرية من مطارات ومناطق التدريب وغيرها .

وفى مقابل ذلك ، على الولايات المتحدة أن تقبل عن طيب خاطر لائحة تحديد رسوم العبور وتوزيع الارباح التى تضعها الدول الممثلة فى اللجنة سالفة الذكر ، على ان توفر الولايات المتحدة الامريكية المبالغ اللازمة لتطوير القناة الحالية أو لبناء قناة جديدة ، وكذا الخبرة الهندسية اللازمة لذلك . وما هذا الانفاق فى الواقع الا انفاقا ضروريا من اجل أمن الولايات المتحدة الامريكية وأمريكا اللاتينية . والمطالب الاساسية للولايات المتحدة من أى قناة برزخية تتضمن حق المرور السريع لسفنها وسفن الدول الاخرى فى وقت السلم وضمان استخدامها وحرمان العدو منها فى وقت الحرب .

كما أن القواعد البرزخية لها أهمية خاصة . فبالاضافة الى حيويتها

للدفاع عن القناة ، تستغل كقواعد ارتكاز ومناطق للانتشار بين الامريكتين ، مما يجعل لها فائدة كبرى لأى دفاع عن أمريكا اللاتينية اثناء العمليات .

وتوفر جزر الكاريبى ستارا للدفاع الخارجى على خطوط الاقتراب من المحيط الاطلسى الى القناة . كما توفر جزر جلباجوس Galapagos وكوكوس Cocos وموانى المكسيك قواعد مؤقتة فى وقت الحرب ، ومواقع لاجهزة الانذار المبكر .

وفى أمريكا الجنوبية ، تتضمن المواقع ذات الاهمية الاستراتيجية منطقة رسيف — نتال على نتوء البرازيل ، وجزيرة فرناندودى تورينها من شواطئها ، التى تستخدم فعلا كموقع لاجهزة الرصد لميدان رمى الصواريخ فى الاطلسى ، فى اتجاه الجنوب الى جزر فوكلند أو المواقع القارية التى تسيطر على طرق الملاحة البحرية حول راس هورن التى تراقب مسارات رمى الصواريخ عبر الانتراكتا .

ولقارة امريكا الجنوبية الفسيحة الغنية المتخلفة قدرة اقتصادية هائلة ومعطيات استراتيجية غير مباشرة . ولكن اهميتها الحربية سلبية أكثر منها ايجابية . اذ اننا لا نستطيع أن نسمح لأى دولة غير صديقة باحتكار استغلالها أو فرض سيادة سياسية عليها أو غزوها عسكريا ، ولكننا لا نحتاج لاراضيها لدفاعنا الاستراتيجى وقت السلم . ويتحتم منع امتداد عدوى الشيوعية ، أو اى ايديولوجية استبدادية عالمية من اوروبا أو افريقيا الى شواطئها . وهذا يحتم منع واحتواء الغزوات الزاحفة والانقلابات الشيوعية .

والجيش هو القوة المسيطرة فى اغلب دول أمريكا اللاتينية ، أردنا أو لم نرد ، فاذا ما اتجهت جيوش هذه الدول الى الشيوعية خسرناها ، وهذا ما يؤكد أهمية العلاقة الوثيقة بين الولايات المتحدةالامريكية وجيوش دول أمريكا اللاتينية التى نرعاها .

لقد شجب بعض الامريكيين — ومنهم أعضاء فى الكونجرس — هذا التقارب من طرف واحد . وهم يرون فى الحكومات العسكرية والانقلابات المستمرة فى دول امريكا اللاتينية اعداء للديموقراطية « والتقدم » . ولكن الحكومات العسكرية لا تكون بالضرورة عاملا ضد الاستقرار فى دول غير مستقرة سياسيا مثل دول أمريكا اللاتينية ، بقدر ما تكون عاملا لمنع الفوضى والغوغائية (٩) .

ولكن علينا أن ندرك أيضا انالحكومات العسكرية فى بعض دولأمريكا اللاتينية تلعب دورا جديدا . اذ ان الجور فى مجتمعها ، وسريان العدوى

من الايديولوجيات الاجنبية ، خلقا موقفا فى بعض بلدانها — فى بيرو وبوليفيا خاصة — جعل حكوماتها العسكرية لا تمثل غلاة المحافظين ، بل تستمد سلطتها من مساندة مطالب اليسار ورغبات الجماهير ، نظريا على الاقل . وكثيرا ما وجدت الولايات المتحدة نفسها متورطة فى الدهمائية السياسية التى تثور . وقد تفاجأ بالقائد العسكرى الذى كان محافظا فى يوم من الايام يصادر أموالها ، كما حدث فى بوليفيا وبيرو وشيلى .

يجب ألا يدعو ذلك بالضرورة الى اليأس . ومن البديهى ان الامر يقتضى أن تعمل الولايات المتحدة الامريكية على موازنة ذلك . كما يجب أن نواجه حقيقة نشوء قومية جديدة فى أمريكا اللاتينية ، لها سمة اشتراكية . وهى ليست بالضرورة حليفة للشيوعية ، لأن القومية الحقيقية عدوة للشيوعية فى الواقع . يجب أن نلعب دورنا بهدوء ، ونبقى على استعداد للتوجيه والمساعدة والاستثمار اذا توفرت ضمانات كافية ، على أن نضع فى ذاكرتنا ان الحكومة العسكرية هى شىء سىء دائما . والمشكلة الاساسية فى أمريكا اللاتينية ليست الجماهير العسكرية ، ولكنها الجماهير متعددة اللغات التى وصفها جون ريموند John Raymond بانها ثمار فشل الثقافات الاوروبية والهندية فى « الاندماج والتعايش والتكامل المثمر » (١٠) .

وقد بين ريموند تونر Captain Raymond J. Toner, USN (Ret) مشكلة أمريكا اللاتينية بصورة أوضح بقوله :

« ... فى القرن ١٩ ، ارتكزت السلطة السياسية فى أمريكا اللاتينية على ثلاث ركائز بنسبة متغيرة بين الاوليجارشية ، والكنيسة ، والعسكرية ... وفى السنين الاخيرة ، تضاءلت سلطة الاوليجارشية والكنيسه الى حد ما ، وبدانا نسمع صوت أدوات جديدة للسلطة . وعلى الاخص النقابات . وفى بلدان كثيرة تحاول العسكرية ، ثم الكنيسة أخيرا ، أن توائم نفسها مع المطالب والضغوط المتغيرة أكثر مما تفعله الاوليجارشيه .

وقد بقيت العسكرية أقوى أدوات السلطة ، وهى تملك أعظم قدرة على الثبات فى مواجهة الضغوط من الداخل والخارج ...

والعسكرية الامريكية اللاتينية جزء من الكيان الاجتماعى والسياسى لدولها ... تعمل كجزء من الكيان الاجتماعي والسياسى لهذه الدول ، وليس ككيان غريب أو مستقل عنها ....

وسوف تستمر العسكرية الامريكية اللاتينية فى العمل ... كمظهر للسيادة القومية حتى قيام مؤسسات سياسية مستقرة جيدة التنظيم فى هذه الدول .

وسوف يبقى مظهر الثقافات الاسبانية ، والبربرية الاسلامية ، واليهودية والهندية مؤثرا فى أمريكا اللاتينية . كما أن نظرتهم الى الديموقراطية سوف تختلف عن « الديموقراطية » كما نتصورها فى أمريكا الشمالية » (١١) .

يجب أن نوقف محاولاتنا لتصدير الديموقراطية كما نتصورها ونفكر فيها ، الى أمريكا اللاتينية ، وكذلك الى أى مكان آخر فى العالم ، بدلا من المصالح الحيوية ، التى تتضمن — فى أغلب دول أمريكا اللاتينية — علاقة الصداقة ، والتجارة ، واستغلال المواد الخام ، وقبل كل شىء ، منع سيطرة الشيوعية الاجنبية على المنطقة أو اى جزء منها . ومن البديهى أن الشيوعية المحلية قد تصل الى السلطة فى دول مفردة ، كما حدث فعلا ، وقد يصل الشيوعيون الوطنيون الى مراكز السلطة عن طريق صناديق الاقتراع ، وقد هددت شيلى بذلك فعلا . هذا شىء مزعج ، ولكنه لا يجب أن يستأثر باهتمام عميق منا الا اذا كانت الدولة المعنية تشترك فى حدود مع الولايات المتحدة الامريكية ، وتوفر تسهيلات أو قاعدة عسكرية أجنبية فى نفس الوقت .

يبدو واضحا ان مبادىء مونرو لا يمكن تطبيقها ، هذه الايام ، على الثورات الشيوعية فى الداخل ، ولكنها لا تزال حصنا منيعا فى مواجهة أى غزو من الخارج .

تحقيق الصداقة — أو علاقة مقبولة على أقل تقدير — بين الولايات المتحدة الامريكية وامريكا اللاتينية يقتضى تحفظا ، وحكما صائبا ، وصبرا ، اى خليطا من الحصافة السياسية والدقة الدبلوماسية ، ومساعدة اقتصادية محدودة بحذر ، واستثمارا اقتصاديا كريما ، وحسما سياسيا وعسكريا من جانب الولايات المتحدة الامريكية . ويجب الا نتشدد ، أو نضع ثقلنا دون تدبر . لقد فشل التحالف من أجل « التقدم » (١٢) ولكن معاهدة ريو للدفاع المتبادل عن نصف الكرة الغربى لا تزال فعاليتها قائمة ، والامر يقتضى أن تكون نموذجا يتحول الى عمل اقليمى جماعى .

والخطر العسكرى الاعظم فى أمريكا اللاتينية يكمن فى الداخل ، وحركات العصيان التى يصدر بعضها من كوبا الشيوعية واليساريين الوطنيين والقوميين المتطرفين المؤيدين بروسيا أو الصين الشيوعية بطريق غير مباشر هى خطر كامن فى بلدان عديدة ، ربما يكون منها بوليفيا ، حيث مات جيفارا ، والبرازيل .

يجب ألا يكون سلوك الولايات المتحدة دفاعيا بحتا أو سلبيا فى أمريكا اللاتينية . فالحاجة للتغيير ملحة ، والتغيير فى الحكومات ، والنظم الاجتماعية ، والكنيسة ، والنواحى العسكرية لا مفر منه . وليس كل من يطالب بالتغيير هو بالضرورة شيوعى كما يقول الكثيرون ، لمجرد انه يطالب بالتغيير . لقد تخطت امريكا اللاتينية حد التغيير منذ وقت طويل .

والمؤسسات العسكرية فى أمريكا اللاتينية — حوالى ٨٤٠٠٠٠ رجل مسلح فى كل المنطقة بما فى ذلك كوبا — هى مفتاح الأمن الداخلى ، ولكن أى من الدول لا تملك من القوات ما يكفى لصد أى هجوم تشنه دولة كبرى . ولو ان بعضها — البرازيل ، والارجنتين ، وشيلى ، وفنزويلا ودول أخرى — يملك قدرة على المساهمة فى قوة للدومنكن Dominican Force ، أو فى حصار كوبا . اذ أن مدمراتهم وفرقاطاتهم ، وسفن الداوريات وطائرات الاستطلاع البحرى فى بحريتهم لها أهمية كبيرة — رغم صغرها — بالنسبة للبحرية الامريكية ، فى منطقة جنوب الاطلسى الخالية من عناصر البحرية الغربية فى وقت السلم ، لمراقبة نشاط السفن والغواصات ، والتعاون بين بعضهم البعض عند قيام الاضطرابات الداخلية ، اذا مازالت مشاعر الحقد وعدم الثقة التى تسود بينهم .

فالبرازيل ، أقوى وأغنى وأكبر دولة فى أمريكا اللاتينية (على الورق على الاقل) ، تحتفظ بقوات مسلحة تعدادها ٢٠٠٠٠٠ ، و ١٢٠٠٠٠ من البوليس العسكرى وقوات الأمن . تسيطر بها على زوابع التغيير والمتاعب والانشقاقات والعصابات والكاثوليك الراديكاليين والناقمين اليساريين والمحافظين اليمينيين ، الذين أصبحوا من خصائص أغلب مجتمعات أمريكا اللاتينية . ولقد تمكنت من المحافظة على النظام بمشقة حتى الآن ، ولكنها معرضة للانقلاب والاطاحة بنظامها فى أى وقت . وما البرازيل الا مثالا لرياح التغيير التى تهب على أمريكا اللاتينية، وسوف تهب عليها باستمرار . والامريكيون الذين يتوقون للسلام والهدوء والاستقرار سوف لا يجدونه فى أمريكا اللاتينية ، يجب، أن نساير ونحمى مصالحنا الحيوية الحقيقية ونتصرف فى كل موقف حسب ظروفه .

تحتاج السياسة الخارجية والعسكرية الامريكية بدرجة « ملحة وضرورية » الى قاعدة آمنة للدفاع عن نصف الكرة الغربى ، وعن قارة امريكا الشمالية والجزر المحيطةبها وممراتها المائية على وجهالخصوص .

والامر يقتضى الاحتفاظ بالقدر الاكبر من القوات المسلحة الامريكية فى ، أو ارتكازها على ، نصف الكرة الغربى ، بوحدات برية وبحرية وجوية فى الولايات المتحدة الامريكية ، خفيفة الحركة وجاهزة للتحرك الى أى مكان على الكرة الارضية . كما يحتاج الامر عادة الى القيام بزيارات دورية بحرية لجنوب الاطلسى وللشاطىء الغربى لامريكا الجنوبية . اما البحر الكاريبى الهام المضطرب ، فيجب حراسته بواسطة سرية برمائية ، مع بحرية محملة ، وداوريات بحرية ، وطائرات استطلاع ودفاع جوى فى فلوريدا ، ولواء مدعم من قوات الجيش فى بنما .

ولكن التغلب على أمريكا اللاتينية كمشكلة أمن يجب أن يتم بالوسائل السياسية والدبلوماسية الحكيمة ، لان العصيان والاغتيال هما التهديدان الاساسيان القائمان . ويجب أن يستمر العنصر العسكرى من التيـم السياسى ـــ الاقتصادى ـــ السيكلوجى ـــ العسكرى فى اتخاذ الاجراءات المقابلة للوقاية منهما ، وتتضمن التدريب ، والتوعية، والتنظيم، والاعداد، والارشاد .

فاذا لم يستمر هذا البرنامج ويتضاعف ، واذا لم ندفع « بالتيـم الوطنى » للعمل ، فقد تصبح أمريكا اللاتينية حلبة للصراع القادم الكبير ، طبقا لنظرية خروشوف حول الغزو الزاحف « حروب التحرير الوطنية » .

ولكن استراتيجيتنا لنصف الكرة الغربى ـــ الحتمية الضرورية للدفاع عن « الجزيرة العالمية » للولايات المتحدة الامريكية وجيرانها ـــ يجب أن تعتمد أساسا على تفوق بحرى جازم وقوة نووية فذة . اذ بالمحافظـة على قاعدة آمنة فقط يمكننا أن ندفع قواتنا عبر البحار لتحمى مصـــالح الولايات المتحدة الامريكية .

٦

الدفـــاع عن أوروبـــا

« اعتقد ان اوروبا سوف تبلى » ، « وسوف نقول لها طاب مساؤك عندما يموت فولتـــير » (١) ذلك هو التوقع المتشـــائم لهوراس والبول Horace Walpole عـــام ١٧٧٤ . ولقد نقض مرتين عبر التـــاريخ حتى الآن .

لأن أوروبا كقارة «تموت» قد أثبتت حيوية مذهلة فى القرنين الماضيين منذ كتب والبول توقعه . لقد عاشـــت واستعادت نفسها بعد ثـــلاث طوفانات مبيدة ، الثورة الفرنسية وعهد النابليونية ، والحربين العالميتين الأولى والثانية ، بالاضافة الى أزمات أخرى أقل شدة .

لقد أهلكت الحرب والابادة الجماعية والمجاعات وحكم الاســـتبداد الملايين والدول لتى خلقتها اوروبا ، ومستعمراتها السابقة شبت وفاقتها فى القوة . فدولة أوراســـيا ، روسيا السوفيتية ، تفوقت على أراضى الغرب القديمة ، وعلى آسيا . تلك القارة التى كانت فى غفوة طويلة قد صحت ، وتتحرك ببطىء وثبات لتكمل اوروبا ثم تحل محلها كثانى أقوى مركز قوة فى العالم .

وهناك فى اوروبا — حقيقة — مظاهر فساد وانحلال خلقى وتداعى وتدهور وتعفن . وقديما تحول الرومان الى ايطاليين ، وتحول بعض البريطانيين من بناة امبراطورية وغزاة الى « شعب من أصحاب المتاجر » كما وصفهم نابليون بازدراء . هناك مظاهر مقلقة فى اوروبا تسبب تصلب الشرايين . نعاس وتخلف اقتصادى وتجارى وتكنولوجى وصناعى بلد حتى مهارات أصحاب المتاجر . ولم يبق الجنيه الاسترلينى فى مركزه العالى ، كما أن لندن لم تبق عاصمة المال والبنوك فى العالم كما كانت من قبل .

فالسويد والدنيمارك يسودهما عدم الاهتمام بأمن الدولة ، وبهما ثراء يحميه جهد الاخرين ، وتمثلان مجتمعا متقدما الى حد بعيد ، يسوده التساهل واللامبالاة . واليونان المتعبة ، المعقدة ، الحساسة تعانى أزمات حكم دورية ، كما يحدث لكل شعب يمارس الديموقراطية حديثاً .

قد تبدو اوروبا مريضة منحلة اذا نظرنا لها من زاوية واحدة . وقد يستخلص البعض صحة توقع والبول .

ولكن نبضات القومية تضرب بشدة ، والاحصاءات الهامة تشهد على صحة اوروبا .

وفرنسا التى وصفوها بالدولة الساكنة منذ مدة طويلة اثبتت حيوية جديدة تحت حكم ديجول ، والمانيا الغربية هزمت منذ ربع قرن مضى واصبحت من أكبر الدول الصناعية فى العالم . وبريطانيا لا تزال تقوى شرارة العظمة السابقة رغم معوقات الانتاج وتخلف الصناعة وفن التسويق والتداول . وايطاليا وبلجيكا وهولاندا واسكندنافيا اقاليم صناعية متقدمة طموحة . واوروبا ليست سيدة العالم كما كانت منذ عدة قرون ، ولكن العالم لا يمكن أن يسير بدونها . ودول غرب اوروبا فى مجموعها تعتبر ثانى مركز للقوة العظمى فى العالم ، فهى متفوقة فى حجم الانتاج الكلى الصناعى ، وفى الدخل القومى وفى مجموع المتعلمين من السكان ، كما انها متفوقة فى حجم الفنيين على جميع دول العالم ما عدا الولايات المتحدة الامريكية . وهى غنيمة غنية لأى غازى . كما ادرك هتلر . واخضاع شعوبها واستغلال مصادرها بواسطة الاتحاد السوفييتى أو اى دولة عظمى منفردة قد يعنى تسيدا مطلقا على العالم .

ومصلحة الولايات المتحدة الحيوية فى اوروبا اقتصادية وثقافية وجيوبولوتيكية، اذ انها تملك راس مال كبير مستثمر فى اوروبا الغربية(٢)، وتفوق صادراتها ووارداتها مع غرب اوروبا مثيلاتها مع اى منطقة أخرى

فى العالم . وكثير من منتجات اوروبا ـــ التامة أو الجزئية التصنيع ، مثل الجواهر التجارية ـــ ضرورية لاقتصادنا . وباختصار تعتبر غرب اوروبا استثمارا للثروة الامريكية . كما أن مجموع قواتها العسكرية ، واجمالى قدرتها فى هذا المجال يجعل تحالفها معنا عاملا يدعم استقرار العـــالم ، كما ان وقوفها ضدنا أو تحالفها مع الاتحاد السوفييتى أو مع أى دولة غازية يضطرنا الى الانكماش خلف المحيط ، واتباع سياسة دفاع عن نصف الكرة الغربى .

وأوروبا من الناحيـــة الجيوبولوتيكية شبه جزيرة تابعة لآســـيا . والشريط الساحلى لاوروبا الغربية يسيطر على خطوط الاقتراب من قلب الارض الى المحيط الاطلسى ، أكثر المحيطات نشاطا فى العالم . وقد وصف مكنمارا وزير الدفاع السابق القوة الكامنة فى اوروبا الغربية وصفا دقيقا فيما يلى :

« تعتبر اوروبا الغربية أعظم تجمع للقوى الاقتصادية والسياسية والايديولوجية فى العالم بعد الولايات المتحدة الامريكية . اذ أن دول السوق المشتركة الست ، مضـــافا اليهـــا المملكة المتحدة ، تملك تجمعا بشريا عسكريا ومجموع انتاج قومى يزيد عما يملكه الاتحاد السوفيتى » .

وجغرافية اوروبا تملى استراتيجيتها .

يقع البحر الابيض المتوسط على جانب أوروبا الايمن ، كما أن بحر الشمال وبحر النرويج والمحيط الاطلسى تسيطر عليها من الشمال والغرب . فالسيطرة على هذه البحار من دول صديقة شىء حيوى لاستقلال وحرية اوروبا الغربية . واذا سيطر العدو على هذه البحار أو على طرق الاقتراب البحرية فسوف لا يكون لمنظمة حلف شمال الاطلسى أو اى تحالف آخر دفاعى اى أهمية ، لأن الشريط الساحلى لاوروبا الغربية سوف يصـــبح جزءا تابعا لقلب الارض فى اوراسيا .

انحسر الصراع الكلاسيكى ـــ منذ عدة قرون ـــ بين « قلب الأرض »، الدول البرية الكبرى وبين « الشريط الساحلى » ، الدول البحرية الكبرى، أو تدفق عبر وسط اوروبا وبحارها المحيطة ، وارتد مد غزوات الشرق لاوروبا عبر المياه الزرقاء . ولكن دولة اوراسيا البرية الكبرى ، اتحاد الجمهوريات الشعبية السوفيتية ، ستصبح دولة بحرية كبرى ـــ ثانى دولة فى العالم ـــ وتحديها لسيطرة الغرب التقليدية على طرق الاقتراب البحرية الى اوروبا ينمو يوما بعد يوم .

والدفاع عن غرب اوروبا — نتيجة لذلك — يقع بعيدا عن الافريز القارى ، فى مياه المحيط الغربى الصاخبة ، وفى البحر الابيض المتوسط ، وفى الاختناقات ، والمناطق الضيقة على طرق التجارة البحرية ذات الاهمية الاستراتيجية .

أصبحت السيطرة على البحار مشكلة لها أبعاد ثلاثة ، تحتاج لسفن كما تحتاج لقواعد برية . ففى شمال الاطلسى ، تقتضى السيطرة على طرق الاقتراب البحرية الى اوروبا ، السيطرة على مناطق القواعد فى جزر جرينلند وايسلندا ، وفاروس ، وشتلند ، والاوركنز والجزر البريطانية . أما منطقة نورد كاب فى شمال النرويج ، فلا يمكن الدفاع عنها ضد أى هجوم برمائى مدبر من الشرق ، ولكن جزر لوفوتن تعتبر قواعد متقدمة مفيدة ولكن ليست حيوية . وجزر الازور وماديرا ، وكنارى نقط خارجية فى الجنوب ، تحرس طرق الاقتراب البحرية الى جبل طارق .

وبينما يمكن حراسة طرق الاقتراب البحرية من الغرب الى اوروبا بواسطة السفن ، والطائرات التى تعمل من السفن والقواعد الجزيرية ، نجد أن الدفاع عن الاختناقات الضيقة التى تؤدى الى بحار البلطيق ، والابيض المتوسط ، والاسود يعتمد على البر . وجبال البرانس وشبه جزيرة ايبيريا تحميان قبضة بريطانيا القوية على مضيق جبل طارق من اى تهديد برى من مسافات بعيدة . وجبال اليونان وايطاليا الحاجزة مواقع دفاعية جيدة ضد الهجوم البرى . والمضايق التركية يتحتم الدفاع عنها من البر . وعلى ذلك فان الدفاع عن طريق الغزو البحرى التاريخى — البحر الابيض المتوسط — هو مشكلة بحرية جوية — برية من وجهة النظر الاستراتيجى ، تعتمد على عمليات مشتركة . ولكن فى الشمال ، يصل طريق الغزو القديم ، وله من العمر قرن من الزمان — سهل شمال المانيا الممتد الذى تندر فيه الهيئات الطبيعية — من سهول بولندا المنبسطة عبر المانيا ، الى شبه جزيرة جوتلاند والى طرق الاقتراب المتجهة الى بحر البلطيق مباشرة . والدفاع الاساسى عن اوروبا الغربية فى هذه المنطقة — وهى جبهة مركزية بالنسبة لحلف الناتو — دفاع برى ، مدعم بالقوة الجوية كسلاح دعم أساسى ، والقوات البحرية للقيام بواجب ثانوى .

اى أن هناك تهديدين أوليين وتهديدا ثانويا لدول غرب أوروبا البحرية: التهديد البرى غربا من برلين عبر السهل الالمانى الشمالى ، والتهديد البحرى عبر البحر الابيض المتوسط وشواطئه ، وتهديد برمائى أو بر جوى لشمال النرويج .

تأثرت سلسلة القيادة فى منظمة شمال الاطلنطى بهذا التهديد ، كما

تأثرت بالاهمية الفائقة للاحتفاظ بالسيطرة على طرق الاقتراب البحرية الى غرب اوروبا . والقائد الاعلى لقوات الناتو المتحالفة فى منطقةالاطلسى ومركز قيادته فى نورفولك فرجينيا ، مسئول عن المحافظة على المواصلات البحرية الحيوية التى تربطنا بالدول البحرية الاوروبية وتأمينها . والقائد الأعلى للقوات المتحالفة فى منطقة اوروبا ، وقيادته فى بروكسل ، له ثلاثة من القادة المساعدين ، القائد العام للمنطقة الجنوبية فى نابلى ، وهو مسئول عن حراسة منافذ البحر الابيض المتوسط . والقائد العام لمنطقة وسط أوروبا ومركز قيادته فى برنسام فى هولندا ، وتقوم فرقه وأجنحته الجوية بحراسة السهل الالمانى الشمالى . والقائد العام لمنطقة الشمال ومركز قيادته فى اوسلو ، وهو مكلف بحراسة الجناح الايسر .

كانت الجبهة الوسطى مركزا لتجمع أعظم قدرات الناتو ، حتى هدد النمو العظيم للقوة البحرية السوفيتية ، وازدياد النفوذ السوفيتى فى الشرق الاوسط وعلى شواطىء البحر الابيض المتوسط الافريقية ، سيطرة الحلفاء على البحر . وقد كانت هذه الجبهة — ولاتزال من عدة وجوه — تمثل التهديد الاساسى الاستراتيجى لدول الحلف البحرية . ولكن الناتو قد طوق الآن من الجنوب ، وأصبح التهديد من البحر الابيض المتوسط — كما سنعرضه فى الباب التالى — اشد خطورة من أى تهديد فورى على الجبهة الوسطى .

ابرزت نظريات منظمة حلف شمال الاطلسى منذ انشائه فى عام ١٩٤٩ فكرة الدفاع بالقوة التقليدية ، ثم ردع الهجوم بالتهديد بالانتقام النووى الشامل ، ثم الدفاع بأسلحة نووية تكتيكية ، واخيرا بالرد المرن بقوات مناسبة لمقابلة أى درجة من العدوان . وقد ابرز هذه الافكار المتغيرة عاملان أساسيان : تصاعد القوة النووية لروسيا السوفيتية ، وعدم قدرة ولا ميل دول اوروبا الغربية الى دعم وابقاء قوات قوية تقليدية تكفى لصد الهجوم الشيوعى التقليدى على الجبهة الوسطى على وجه الخصوص ، الذى قد يشن عبر أسهل طرق الغزو ، وهو السهل الالمانى الشمالى .

طعن الناتو بتلك المشكلة ذات الحدين مرتين حتى الآن . ولاتزال الطعنة قائمة . فقد صورت فكرة السيف والدرع قوات اوروبا التقليدية كدرع يحمى أوروبا الغربية من الغزو الفعلى ، بينما يقوم سيف الجزاء النووى بتدمير روسيا . ولكن لم تستطع هذه الفكرة الفوز باقتناع كاف فى عقول كثير من الاوروبيين — وخاصة الفرنسيين وجزء كبير من الالمانيين الغربيين عندما أصبح الاتحاد السوفييتى يملك مخزونا كبيرا من الاسلحة النووية الاستراتيجية ووسائل اطلاقها الى الولايات المتحدة الامريكية . وتساءلت اوروبا بحق عما اذا كان محتملا أن يوجه أى رئيس للولايات

المتحدة الامريكية انتقاما نوويا شـاملا ضد هجوم بالقوات التقليـدية السوفيتيةعلىأوروبا الغربية، اذا رأىأن ذلكسوفيؤدىالىتدمير الولايات المتحدة الامريكية ؟ لم يؤد تضاءل الثقة فى نظرية الانتقام الشامل — كعامل ردع — الى اقتناع اوروبا بان الاحتفاظ بفرق وأجنحة جوية مستعدة لصد ودفع أى هجوم شيوعى كبير بدون استخدام الصواريخ النووية « نيوك Nuke » هو عمل ملائم . وعلى عكس ذلك ، فضح الناتو سر الموضوع وتغاضى عن استراتيجيته وبذلك أضعف الاقتناع بالردع . ولم تحتفظ هذه الدول ابدا بقوات قائمة فعلا أو ممكن تعبئتها بسرعة للتغب على اى هجوم سوفيتى كبير بالوسائل التقليدية فقط . ولكنها ركزت اهتمامها عـلى تكنولوجية الاسلحة النووية التكتيكية — يوجد ٧٢٠٠ منها للولاياتالمتحدة الامريكية فى اوروبا ، بالاضافة الى ما يملكه الانجليز والفرنسيين — رغم ان الاراء كانت قد اتفقت على أن اى استخدام حقيقى لمثل هذه الاسلحة سيؤدى الى دمار اغلب وسط وغرب اوروبا ، كما سيؤدى حتما الى تبادل التراشق بالاسلحة النووية الاستراتيجية على نطاق واسع .

وعندما تكون بحار السياسة هادئة نسبيا ، لا تقدم اوروبا الغربية ، مثل أغلب الديموقراطيات ، على تحمل تكاليف عالية للدفاع .

الناتو حلف مستقبله مجهول ، قلة زائدة تحكمها كثرة زائدة . لقد فقد تأثيره بالنسبة لكثير من الاوروبيين وبعض الامريكيين ، وبدأ التحالف متخلفا لا يناسب التاريخ المعاصر ، يواجه عدة مشاكل وتناقضات داخلية، ومشاكل خارجية كبرى تزيد يوما بعد يوم .

تكمن مشاكل الناتو الداخلية فى تحالف خمسة عشر دولة ذات سيادة فى وقت السلم ، كل لها مصالحها الخاصة ، وكل تركز اهتماما للمحافظة على نموها الاقتصادى أكثر من الدفاع ضد تهديد « لا تفكر فيه » .

قال جون فوستر دلاس ان الخوف يقوى التحالف ، ولكن النـاتو يتفتت . اذ أصبح الاتجاه الى القومية — والبعض يستخدم الديجوليـة كبديل للقومية — أقوى منه الى الاندماج .

لقد حطم ديجول بعض روابط الناتو المترابط ، لانه يمس السـيادة الفرنسية — كما كان يشعر — لاشتراك الحليف الامريكى فى السلطة . ووجهة نظره عامل سيكلوجى يكمن فى ذهن كثير من دول الناتو . واساسها ان الولايات المتحدة هى الحليف الاساسى وليس اوروبا ، من ناحية القوة الحقيقية وحجم المجهود ، يوضح ذلك حجم مساهمتها فى هيئة القيادةالعليا للقوات المتحالفة فى اوروبا فى كاستو فى بلجيكا . اذ أن هناك ٦٠٠ من

الامريكيين بين هيئة القيادة التى يبلغ تعدادها ١٤٩٢ ضابط ورتب أخرى من ١١ دولة ، بينهم ٢٥٠ من المملكة المتحدة ، طبقا لاحصاء ١٩٦٩ .

لم يتحول هذا الشعور بعدم الارتياح فى أوروبا نحو « السـيطرة » الامريكية التى تفاقمت نتيجة نمو المصالح الامريكية المستمر فى اوروبا الى كره وعداء للولايات المتحدة بين الجماهير بشكل عام ، بل على العكس ، نجد هناك قدر كبير من المساندة والاحترام والتقدير للمشاركة الامريكية بالتكنولوجيا وبالقوات . على أن المظاهرات المنظمة ضـد الامريكيين أصبحت مظهر من مظاهر الحياة ، ونتيجة ذلك ستتوقف على مدى تأثر القائد بما يواجهه .

يبدو ، فى واقع الامر ، ان الهدف الاساسى لليسار الجديد فى اوروبا هو الناتو ، وتحطيم الحلف هدف أساسى للشيوعية طالما كان التحـالف بين الشعوب الحرة عائقا ضد الغزو . أى أن الناتو هو هدف المعارضة الشيوعية والمنشقين على هذه المنظمة ، وهو شىء بارز فى اوروبا كما هو فى أمريكا فى هذه الايام .

حتى غزو تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ لم يحى النشاط فى الناتو ؛ لأن الرد السياسى الامريكى الهادى أعطى مثلا سارت اوروبا على منواله ، وكان مهدئا للمخاوف . برر كثيرون الغزو بأنه تحرك دفاعى سوفيتى ، ناسيين كل التهديدات التى وجهتها روسيا الى دول أخـرى . وفى عام ١٩٦٨ ، وهو عام تشيكوسلوفاكيا خفضت نفقات الدفاع غير الامريكية للناتو الى ٥ر٤ من مجموع الانتاج القومى المزدهر .

لم يصبح الناتو — فى حقيقة الامر — جزءا من أوروبا كما كان عند انشائه اذ ليس هناك الآن صورة بطولية لايزنهاور تضفى على التحالف مظهرا عظيما ، ويطغى الفتور على الاهتمام عند بحث سياساته وشئون دعمه .

منـذ ان صدق الناتو على النظـرية الاستراتيجية التى ترتكز على الاستعداد الفائق للحرب التقيدية مع ما يسمى بالرد المرن ، وكان ذلك فى ديسمبر ١٩٦٧ ، ضعفت القوات البرية والجوية التكتيكية لحلف شمال الاطلسى فى اوروبا أكثر مما قويت . فقد خفضت مدة الخدمة العسكرية (الى سنة فى النرويج) ، كما أن كندا تسحب جزءا كبيرا من قواتهـا من اوروبا ، واحتياطيات الحرب قليلة وسيئة التوزيع ، وقوات الدعم والامداد غير متوفرة فى أغلب الاحيان .

فبينما لا تحتفظ النرويج الان الا بلواءا واحدا وبعض كتاب مستقلة فى

حالة استعداد ، بالاضافة الى سرية تحرس الحدود مع روسيا فى أقصى الشمال ، تتكون قوات الحراسة السوفيتية فى منطقة شبه جزيرة مورمنسك — كون من خمس فرق .

وفى الجبهة الحيوية الوسطى للناتو فى المانيا ، هناك نظريا ما يعادل من ٢٣٠ — ٢٤٠ فرقة ناتو . ولكنها فرق أسمية فقط . فالفرق الالمانية الاثنى عشر لبست الا صدى خافتا لما كانت عليه الوحدات العسكرية الالمانية فى الماضى ، ولا يزال طيف النازية والرغبة فى احياء العسكرية الالمانية يظلل المانيا لاسباب عدة . ولم يصبح للزى العسكرى جاذبية بين الشباب الالمان ، لأن حكومة المانيا الغربية الديموقراطية — كدرس من دروس التاريخ — تخشى أن يصبح الجيش مرة أخرى « دولة داخل دولة » . وقد دفعها ذلك لان تجعل العسكرية شيئا ثانويا فى البناء الاجتماعى والاقتصادى الالمانى . وكل الفرق الالمانية تقل عن قوتها بنسبة ١٥ الى ٢٠ ٪ ، وثلاثة منها ينقصها لواء ، أى ما يعادل ثلث قوتها من البنادق . وكثير منها لا يملك الا قليلا من المدفعية ، كما أن هناك نقصا فى وحدات الدعم والامداد . قدر أحد الضباط ان الالمان كان لهم ما يعادل ست أو ثمن فرق جيدة ، وان القوة الباقية من هذه الفرق محدودة . كما ان القوة الجوية التكتيكية الالمانية بدىء تطويرها بتسليحها بالطائرات الحديثة ف — ١٠٤ .

فقد الجيش الامريكى السابع فى المانيا جزءا ملموسا من قدرته القتالية منذ قيام حرب فيتنام ، وكان مظهرا لقوة عسكرية عالمية فى يوم من الايام ، ثم وصل الى أضعف مستوى فى عام ١٩٦٧ ، ثم عولج ضعفه علاجا جزئيا . وقدرته الحالية لاتزال محدودة ، اذ به نقط ضعف كبرى .

وباقى فرق الناتو وقواته الجوية التكتيكية ، كلها تقريبا أقل فعالية من وحدات الجيش السابع . والقاعدة الشائعة هى تغيير الافراد باستمرار ، والعجز فى تجنيد متخصصين بأعداد كافية ، والنقص فى المعدات وتخلفها ، وقلة الخبرة ، وقلة الافراد .

هذا ، بالاضافة الى نواح عملية وسيكلوجية أخرى غير مستساغة ، جعلت التفكير فى زيادة عدد الفرق شيئا مستحيلا من الناحية السياسية ، وادت الى اتخاذ قرار فى مجلس حلف الاطلسى بعد مشكلة تشيكوسلوفاكيا يقضى بتوجيه الجهود الى رفع مستوى الوحدات القائمة أكثر من انشاء وحدات جديدة .

فى عام ١٩٦٨ سحب لواءين وعدة سرايا مقاتلة (ما يعادل الثلثين)

من الفرقة ٢٤ من المانيـــا الى الولايات المتحدة . وتركت القوات البرية أسلحتها ومعـــداتها الثقيلة فى اوروبا ، كما عادت الوحدات الجـــوية بطائراتها الى أرض الوطن محتفظة بالوقود والذخيرة فى مخازن مطاراتها فى المـــانيا . وكان ذلك من أجـــل ارضـــاء ســـناتور مايك مانســـفيلد Senator Mike Mansfield الذى كان يعمل على سحب قـــوات الولايات المتحدة الامريكية من اوروبا . ومن أجل تخفيف تسرب الذهب ، وتعويض استنزاف الاحتياطى الاستراتيجى ، ولتوسيع نطاق قاعـــدة التدريب لحرب فيتنام .

استمرت الوحدات التى سحبت تحت طلب الناتو ، وكانت ترتكز على قاعدتين — فى الولايات المتحدة الامريكية والمانيا — وهى مستعدة للعودة جوا الى المانيا فور طلبها .

ولكن فكرة القوات التى ترتكز على قاعدتين — وهى فى الواقع مظهر خداع لتغطية سحب القوات ، كما يراها أغلب الامريكيين والاوربيين — قد ثبت خطؤها .

عندما فوجىء قادة الناتو بانفجار الازمة التشيكية ، وضح لهم ان لواءى الفرقة ٢٤ قد « سحبا بالكامل » الى الولايات المتحدة الامريكية ، كأى وحدات أخرى من الجيش الامريكى لتكملة النقص وكوادر التدريب ، فى مواجهة حرب فيتنام . وقد استغرق اعادة تكوينهما تســـعين يوما ، ونقلت بعد ذلك قوة تتكون من ١٢٠٠ فرد جوا الى المانيا تحت شـــعار المناورات . واستغرقت هذه العملية اسبوعين وتكلفت كثيرا من النفقات .

لم يتفاعل النـــاتو ولا المانيا لهذا الحدث ولو أدت هذه الازمة الى قيام الحرب ، لمـــا تمكنت الولايات المتحدة الامريكية من أداء الا التزامات ضئيلة متأخرة . وقد أعطى سلوكنا هذا نموذجا قلدته كندا ، فاستغلت فكرة القاعدة المزدوجة ، لتبرير سحب قواتها من اوروبا .

لم تجد فكرة القاعدة العســـكرية المزدوجة — وهى فكرة أيـــدها السياسيون الامريكيون كوسيلة لاقتصاد النفقات — رضاء من قادة حلف الاطلسى رغم تبـــاين جنســـياتهم ، وقد أكـــد الجنرال ليمـــان لمنتزن General Lyman L. Lemmintzen ، القائد الاعلى للقوات المتحالفة فى أوروبا ضعف هذه الفكرة فى حديث له فى أكتوبر ١٩٦٨ قائلا :

« ... لا يمكن الاعتماد على نقل القوات جـــوا لتأكيد عـــودة القوات الامريكية الى أوروبا فى وقت الازمات . وقدرتنا على الدعم لا تستطيع أن تعوض وجود القوات فعلا فى أوروبا . وفكرة القاعدة المزدوجة لا تقلل من

التزاماتنا فى الناتو ، ولكنها تقلل من قيمة القوات ودرجة استعدادها لمقابلة هجوم مفاجىء أو بعد الانذار به بفترة قصيرة » (٣) .

والاعتماد على قواعد مزدوجة لا يعوض قوات ملمة بالموقف وجاهزة للقتال الفورى . كما ان حراسة وصيانة المعدات التى تترك فى اوروبا تحتاج لعدد كبير من الافراد ، بالاضافة الى نفقات انشاء مجموعتين من الاسلحة والمعدات لكل وحدة ، مجموعة تبقى فى كل قاعدة من القاعدتين. وفكرة القاعدة الثنائية مشكوك فى فعاليتها ، لأن حرب التراشق اذا بدأت فان القواعد الجوية التى تستخدمها القوات الجوية وطائرات النقل فى المانيا ستكون هدفا للضرب أو الغزو السوفيتى بقوات جنود الجو ، قبل أن تتحرك الطائرات الامريكية من قواعدها فى أمريكا . كما أن نقل قوات جوية كبرى فى وقت الازمات يزيـد من حدة التوتر ، وقد يعجل بقيـام الحرب أكثر مما يردعها . لذلك كله يناهض القادة العسكريون فكـرة القاعدة المزدوجة ، كحل لتوفير مطالب الناتو .

استغلت فكرة « القاعدة المزدوجة » حتى الآن لمقابلة التهديد البرى ضد الناتو عبر سهل المانيا الشمالى ، ولكن هذا التهديد ليس الخطـر الوحيد على مواجهة تمتد لمسافة ٣٦٠٠ ميل على حدود الحلفاء .

يواجه الاتراك من ٧ — ٨ فرق روسية عبر القوقاز ، وكذا أسطول كبير يتزايد فى البحر الاسود . ويجمع اغلب خبراء حلف الناتو على أن الجيش البلغارى الحديث ، قادر على طى المنطقة اليونانية الغير مدافع عنها فى تراس Thrace بمعاونة رومانيا وروسيا ، كذا يمكنه غزو تركيا الاوروبية ، ولكن بصعوبة اشد .

وعلى ذلك فقوات الناتو المخصصة للحرب التقليدية غير ملائمة بالنسبة لعدد الفرق ، ومستوى التدريب ، ومدى توفر الاحتياجات الادارية ، وقوة النيران ، والخبرة ، والمعدات ، والفعالية القتالية بشكل عام .

واذا ما وضعنا قوات الاحتياط على الجانبين — التى تعبأ بعد بـدء الحرب — فى الاعتبار لاصبحت المقارنة مزعجة بدرجة أكبر .

كان الجهاز العسكرى السوفييتى يطبق أسلوبا بطيئا للتعبئة يستغرق عدة شهور . ولكن فرق الاتحاد السوفييتى من الدرجتين الثانية والثالثة ، ويحتفظ فيها بمرتب مخفض وكوادر فقط فى وقت السلم ، تكسى لحمـا وتجهز بالمعدات ، وتصبح جاهزة للقتال فى وقت أقصر من الوقت اللازم لاعداد فرق الغرب — القائمة بالخدمة العاملة — للقتال . وتملك روسيا ما يقرب من مائة فرقة من هذه الفرق غرب الاورال .

تتضمن التزامات الولايات المتحدة الامريكية دعم قوات الناتو بسبعة فرق فى ظرف ثلاثين يوما ، بالاضافة الى ما يعادل أكثر من خمس فرق موجودة لها فعلا فى اوروبا ، ولو ان التزام الدعم مسجل على الورق فقط ، اذ أنها لم تكن قادرة على الوفاء بهذا الالتزام منذ عام ١٩٦٥ .

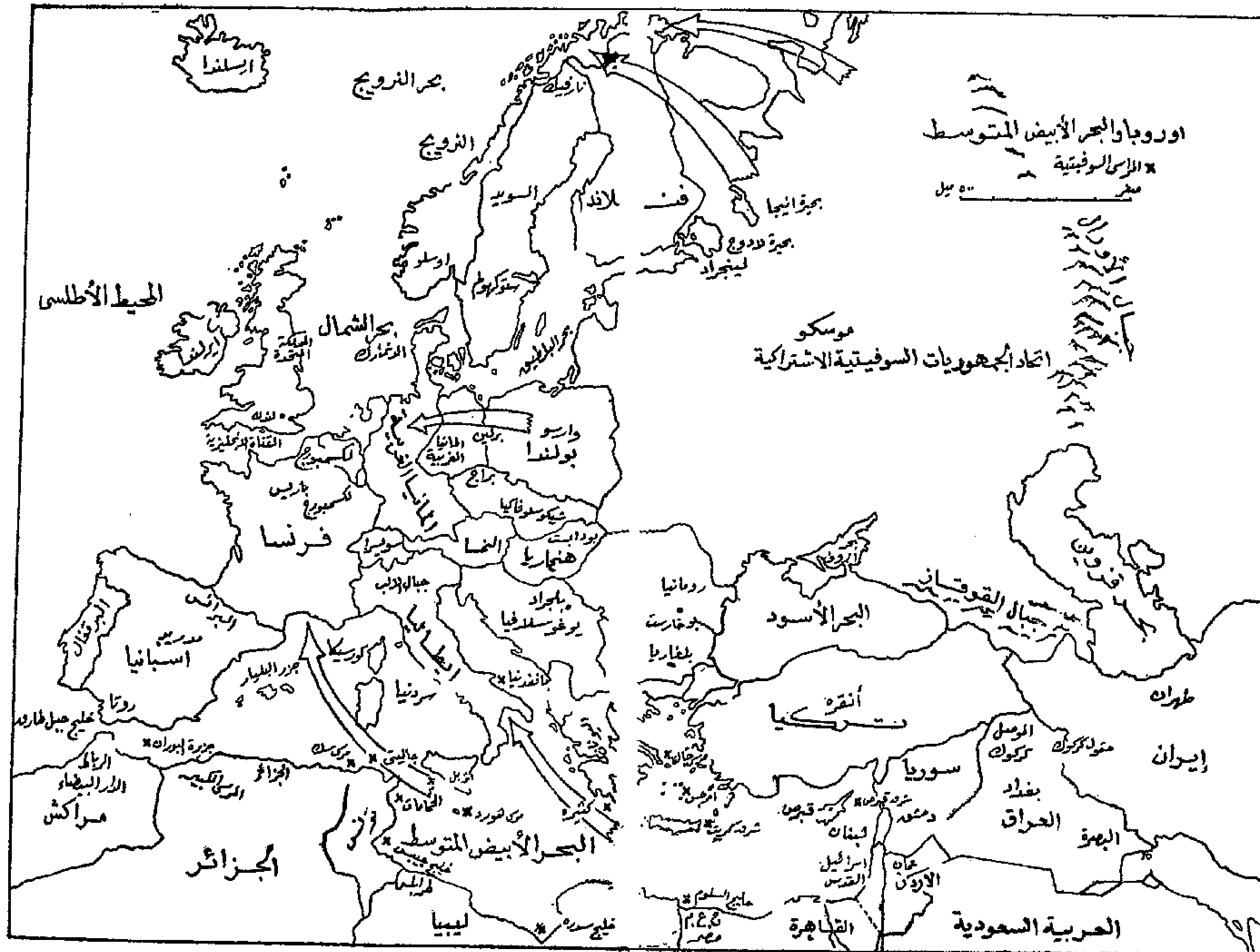
اما احتياطى حلفائنا الاوروبيين فاغلبه غير موجود . لأن الفرق البريطانية الثلاث المخفضة المرتب الموجودة فى المانيا سوف لا يتوفر لها احتياطى حتى اتمام سحب القوات البريطانية من الشرق الاقصى والخليج الفارسى . بالاضافة الى ان قيام الاضطرابات فى ايرلندا الشمالية عام ١٩٦٩ أدى الى تجريد الجزر البريطانية من جزء كبير من القوات ، اذ أن الاحتياطى الذى كان متاحا لا يتعدى « جيش الراين » البريطانى الضعيف . وقد ضعفت قوة الاسد البريطانى — وكانت تسيطر على العالم حتى وقت قريب — فى مواجهة مطالب لا تزيد عن ١٠٠٠٠ من القوات . اما الاحتياطى من القوات الالمانية فهو موجود أساسا على الورق .

والآن يوجد للدول الاوروبية الأعضاء فى الناتو (عدا فرنسا) ما مجموعه ثمانية عشر فرقة أغلبها من ايطاليا وتركيا واليونان .

يميل القادة السياسيون والدبلوماسيون فى الناتو للاعتقاد بأن الفرقة من جيوش الدول الغربية كاملة الاسلحة والمعدات والافراد طبقا لمرتب الحرب تعادل من فرقة ونصف الى ثلاثة فرق من الجيش السوفييتى ، من ناحية القوة والقدرة القتالية . وحتى لو كان هذا الاعتقاد صحيحا ، وهذا ما نشك فيه ، فانه لا يطمئن ، اذ ليس هناك أى فرقة من فرق الناتو ، ما كان منها فى الخدمة العاملة او فى الاحتياطى ، كاملة الافراد والمعدات ووسائل الدعم . ويعتقد القادة العسكريون فى الناتو ان الاتحاد السوفيتى وحلفاءه الشيوعيين يستطيعون حشد عدد أكبر من الفرق وفى فترة زمنية أقصر عما تستطيعه دول الغرب .

لذلك فان المشكلة الاساسية أمام الناتو ، وهى مشكلة لم تحل حتى الآن ، كانت ولا تزال ، وضع نظرية صحيحة قابلة للتطبيق ، أو رادع مقنع للهجوم السوفييتى .

عندما أصبحت روسيا تملك مخزون من الاسلحة النووية ووسائل اطلاقها ، اهتزت ثقة الاوروبيين فى قيمة الردع النووى — استخدام الاسلحة النووية الامريكية ضد أى هجوم سوفيتى كبير على الغرب . اذ ان قدرة الاتحاد السوفييتى على تدمير الولايات المتحدة الامريكية أضعفت


اوروبا والبحر الأبيض المتوسط
× المراسى السوفيتية
مقياس ٥٠٠ ميل
ايسلندا
بحر النرويج
النرويج
السويد
فنلاندا
بحيرة انيجا
بحيرة لادوجا
لينجراد
اوسلو
ستوكهولم
المحيط الأطلسى
بحر الشمال
الدنمارك
المملكة المتحدة
ايرلندا
لندن
القناة الانجليزية
موسكو
اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية
وارسو
بولندا
برلين
ألمانيا الغربية
براغ
تشيكوسلوفاكيا
بودابست
هنغاريا
النمسا
سويسرا
باريس
لكسمبورج
فرنسا
جبال الألب
بلجراد
يوغوسلافيا
رومانيا
بوخارست
بلغاريا
البحر الأسود
جبال القوقاز
طهران
إيران
أنقرة
تركيا
سوريا
الموصل
كركوك
حقول كركوك
بغداد
العراق
البصرة
دمشق
لبنان
قبرص
اسرائيل
القدس
عمان
الأردن
القاهرة
العربية السعودية
مصر
ليبيا
خليج سرت
البحر الأبيض المتوسط
الجزائر
مراكش
الرباط
الدار البيضاء
اسبانيا
مدريد
البرتغال
البرانس
روتا
خليج جبل طارق
جزر البليار
كورسيكا
سردينيا
ايطاليا
ألبانيا

نية الاخيرة فى استخدام القنبلة لانقاذ اوروبا ، مما قلل الثقة فى « الضربة العظمى » كوسيلة للدفاع .

غيرت حكومة كنيدى سياسة الولايات المتحدة الامريكية من الاعتماد على فكرة « الانتقام الشامل » التى سبق ان ابتدعها جون فوستر دلاس ، الى ما يسمى « بالرد المرن » . وتعنى مقابلة العدوان بقدر متفاوت ومتصاعد من القوى حسب درجته ونوعه . ونجح مكنمارا فى اقناع الناتو بهذه النظرية الاستراتيجية .

أصبح الرد على اى عدوان سوفيتى ـــ الاستيلاء على جزء من الجبهة الالمانية أو عدوان على حدود النرويج الشمالية على سبيل المثال ـــ يقتضى طبقا لنظرية الرد المرن الرد بأسلحة تقليدية فى أول الامر ، على أن يعقب ذلك تصعيد باستخدام قوات تقليدية اكبر ، ثم اسلحة نووية صغيرة تكتيكية ، ثم اسلحة نووية كبرى موجهة ضد روسيا نفسها كرادع نهائى للعدوان السوفيتى .

وقد قيل ان استراتيجية الردن المرن Flexible Response ابعدت الحد الذى عنده تبدأ الحرب النووية ، ووضعت فى يد الغرب أنواع من الجزاء لا يتضمن استخداما فوريا للاسلحة النووية .

ولكن هذه الاستراتيجية أثارت مشكلتين ابتلى بهما الناتو فى هذه الايام .

الاولى ، عندما اعتقد الاوروبيون أن التحول الى استراتيجية الرد المرن ما هو الا مظهرا آخر لضعف نوايا واشنجطن ومحاولة للهروب . وكان ديجول ممن يعتقدون بذلك ، وشاركه جوزيف ستراوس وزير خارجية المانيا فى ذلك ، وهو لا يزال ذو نفوذ سياسى فى بلاده حتى الآن . وقد أدى فشل سياسة « التصعيد Gradualation » التى طبقها جونسون فى فيتنام الى تقوية اتهام الفكر الالمانى لنظرية الرد المرن التى تقابلها فى اوروبا .

ساهمت استراتيجية الرد المرن فى دفع فرنسا الى اتخاذ قرارها بالانسحاب من العمل العسكرى الجماعى للناتو ودعمت فكرة ديجول لانشاء قوة نووية ضاربة فرنسية أو امتلاك رادع قوى فرنسى .

ودعمت فكرة الرد المرن شكوك من كانوا يتساءلون حول نية الولايات المتحدة الامريكية لاستبدال بوستون بدل شتوتجارت ، فاكدوا تردد

الولايات المتحدة أمام الكرملين ، ولوحوا بذلك ، مما أضعف الاقتناع بتصميم الامريكيين « والاقتناع Credibility » كما وصفه ضابط خبير ، حصيلة « لما تقول انك سوف تفعله مع قدرتك على أن تفعله ، واقتناع العدو والحلفاء بقدرتك وتصميمك على ذلك » .

لقد أصبحت القدرة ضائعة ، وهناك شك فى تصميمنا ، فلا موسكو ولا حلفاؤنا يثقون فى اننا سنفعل ما نقول اننا سنفعله .

كان ديجول وبعض مستشاريه العسكريين يعتقدون أن قوة رادعة فرنسية صغيرة ولكنها غير معرضة ، تتكون من ٢٧ صاروخ موجه من قواعد أرضية فى ملاجىء عميقة فى أعماق الجبال ، مداها ٣٠٠٠ كم وقوة راسها ٣٠٠ كيلو طن ، ومن خمس الى ثمان غواصات نووية تحمل ١٦ صاروخا موجها ذو مدى ٣٠٠٠ كم براس نووية قوة ميجا طن لكل ، تعتبر قوة فرنسية رادعة ، يمكن أن تحل محل رادع الناتو الامريكى المشكوك فيه . كما أن البعض فى المانيا — وهى دولة محرم عليها ، طبقا لنصوص تعاهدية ، انتاج الاسلحة النووية ، وان كانت قادرة على ذلك خلال شهور قليلة — يوافقون ديجول على رأيه . ومن أجل ازالة أثر المدرسة التى تعتنق هذه الفكرة ، وكذلك من أجل تحقيق فكرة مشاركة الدول الاوربية فى القرارات التى تتخذ فى هذا المجال ، كونت لجنتان لوضع خطة توزيع واستخدام ٧٢٠٠ سلاح نووى تكتيكى فى اوروبا الغربية . وعقدت معاهدة ، باركتها روسيا وأمريكا ، لمنع انتشار الاسلحة النووية فى اوروبا والعالم .

امتص الاتجاه الخاص بتأميم التسلح النووى فى الناتو الى حد ما ، ولكنه لم ينتزع كلية ، وبقيت نظرية الرد المرن الاستراتيجية . والامر يقتضى توفير قوات تقليدية أفضل وأقوى ، مدربة على كلا الوجهين ، قادرة على تكبيد الروس خسائر جسيمة اذا فكروا فى العدوان ، اذا أردنا أن نجعل لهذه القوات فعالية وتأثير . على أن ذلك سوف يكلف نفقات كبيرة جدا .

تلك كانت المشكلة الاساسية للناتو عبر السنين الاخيرة ، وقد تفاقمت بانفصام فرنسا الجزئى عنه ، وتعثر الاقتصاد البريطانى ، والنزاع بين اليونان وتركيا . وتأثرت الدول الاعضاء فى الناتو سياسيا بالانقلاب العسكرى فى اليونان ، وتخفيض القوات الامريكية نتيجة حرب فيتنام ، وعدم رغبة ولا قدرة الدول الغنية على مواجهة المشكلات الداخلية السياسية التى تسببها زيادة نفقات الدفاع ، وعدم رغبة أو قدرة الدول الفقيرة الاعضاء على مواجهة المشكلات الاقتصادية التى فرضها هذا التغيير .

ادت هذه المشكلات المتراكمة ، التى لم تجد لها حلا ، الى استحالة بناء دفاع تقليدى ذو قوة كافية . وقد أضعف هذا الفشل اقتناع اروس باستراتيجية الرد المرن . وهم على علم تام بضعف الناتو . كما أضعف ثقة بعض الاوروبيين فى الناتو ، كما أن محاولة توفير قوة غير نووية ، قوية جدا ؛ اضعفت الثقة فى الردع النووى الى حد ما .

كذلك ادت المحاولات المستمرة لانشاء قوات تقليدية قوية الى زيادة الاحتكاك داخل الحلف ؛ والى اثارة مقارنة منفرة بين الجهود الضئيلة للدول الغنية مثل المانيا الغربية ، وبرنامج الدفاع لدول فقيرة مثل اليونان وتركيا . كما قوت من شكيمة من يدعون الى العزلة فى الولايات المتحدة الامريكية ؛ وأصبحوا ينادون بانه « اذا لم تدافع اوروبا عن نفسها، فلماذا نقوم بهذا العمل » ؟ .

واستراتيجيةالناتو الحقيقية فى هذهالايام تتضمن خطط قتال بالاسلحة التقليدية فقط الى اقصى بعد فى الامام ، والى أطول وقت ممكن . وهو « وقت سوف يكون قصيرا جدا » كا بين أحد الضباط) ، ثم استخدام الاسلحة النووية التكتيكية لتدعيم نيران الاسلحة التقليدية . وهذه سياسة ممقوتة ؛ اذ ان اغلب الدمار سوف يصيب أهداف ومدن ومواطنى الحلفاء من دول اوروبا الغربية ، ثم اشراك لاسلحة النووية الاستراتيجية الامريكية ضد قلب الارض السوفيتى .

قال أحد الرسميين « ان الردع الحقيقى لموسكو الان يكمن فى الشك، لأن هيئة الاركان العامة السوفيتية لا تستطيع أن تحدد للكرملين ما سوف يحدث اذا استخدموا القوة ضد الغرب . قد يستطيع واضعوا الخطط السوفييت أن يعدوا بأشياء كثيرة ولكنالى حد محدود ، برلينعلى الارجح، وربما السيطرة على الدردنيل ، واختراق جبهة غرب اوروبا بعمق كبير ، ولكن ماذا بعد ؟ لا يستطيعون أن يقدروا ما سوف يفعله هؤلاء الامريكيين المخبولين ؛ ولا يستطيعون أن يعدوا بان بلادهم سوف لا تعانى زوبعة نووية » .

يجب أن يدعم هذا الشك ، حتى يتأكد الكرملين من ان اى عدوان سوفييتى على اوروبا الغربية على نطاق كبير سوف يعنى دمار نووى للاتحاد السوفييتى .

« لا نستطيع ، لا فى الولايات المتحدة ولا فى اوروبا ، ان نقتنع بأن نيويورك واستنبول معرضتان لنفس الخطر بدرجة واحدة ، لان الناس سوف لا يصدقون »، وقد علقالبعض « بان الامر يقتضى ان نؤكد بوضوح

مطلق اننا سوف نستخدم الصواريخ ذات الرؤوس النووية « نيـوك » للدفاع عن أوروبا ، ولكن ليس دون بحث هذا الامر مع حلفائنا . وهـو ما نستطيع تحقيقـه عن طريق الانتشار تحت السـيطرة ، أى الادارة المشتركة على أى مستوى ممكن تحقيقها عليه .

لقد اتخذت الخطوة الاولى ، بانشـاء اللجنة النووية فى النـاتو ، واشتراك حلفاؤنا الاوروبيين فى وضع الخطط النووية ، ولكن ذلك عمل غير كاف ولم يتمم بعد .

اننا نحاول أن ندمج بين اشياء متباينة ، تجهيز وتنظيم وتدريب نفس القوات لخوض حروب كبرى نووية وغير نووية . وقد يكون ذلك ممكنا بالنسبة للقوات الجوية التكتيكية ، ولكنه متعذر بالنسبة للقوات البرية فى الغالب . والحروب النووية وغير النووية متباينة — تباين معركة ووترلو مع استخدام مدافع الماكينة وبدونها — الى درجة تجعل تطبيق استراتيجية الرد المرن بواسطة قوة من نوع واحد ، عبثا .

« اما أن تسير أوروبا فى اتجاه نووى أو تتأقلم مع الشيوعيين » .

لا تزال لفكرة القوة النووية — التى رعاها ديجول — حيويتها . حتى بعد مرور مدة طويلة منذ أن ترك الحكم . وهى تزداد قوة لأن اوروبا ترى انها ملزمة بتوفير الدفاع النووى عن نفسها ، كما ترى أن الدفاع الامريكى النووى عن القارة يجب أن يصبح أشد اقناعا بدفاع مشترك اوروبى فى نطاق الناتو أو خارجه . ويبدو واضحا أن اوروبا متجهة الى قوة نووية ترتكز على الاسلحة البريطانية والفرنسية أساسا ، تمشيا مع فكرة أن « الانتشار الجماعى » يدعم الاقناع ولا يضعفه .

واذا اقتنعت روسيا بقدرة ونية الولايات المتحدة الامريكية بالنسبة لاستخدام الاسلحة النووية للدفاع عن الناتو ، فان نظريته الاستراتيجية سوف تكون مقنعة للجميع ، سواء كانت « انتقاما شـاملا » أو « ردا مرنا » .

وهذا لا يعوق التفاوض مع الروس حول الحد من التسلح . ويميل الاوربيون الى ذلك املا فى التعقل . ولكنه يعنى التفاوض من موقع القوة . والترسانة النووية الامريكية ، وهى وسيلة الدفاع الاخير عن أعضاء الناتو ، يجب أن تكون متفوقة . ويجب أن نتسلح لنتفاوض .

والتشدد بالنسـبة للرادع النووى لا ينفى حاجة أوروبا الى قوات تقليدية ، لان هناك أربعة اسباب أساسية تقتضى وجود وحدات بحرية

وقوات جوية تكتيكية معاونة ، مدربة على العمليات التقليدية ، من أجل :

١ — تعطيل ومنع واحباط أى عدوان سوفيتى يهدف الى قضم بعض مئات الياردات من الاراضى داخل حدود المانيا الغربية أو العدوان على شمال النرويج المعرض للعدوان أو على منطقة تريس (*) اليونانية أو التركية (وبرلين لها حالة خاصة ستبقى كذلك ، اذ لا يمكن الدفاع عنها ، وقد يقابل الغرب الهجوم الاولى عليها أو على ما حولها بقوات غير نووية ، واذا ما تمادت روسيا ، فان الغرب ينظر اليها كعلامة انطلاق قد تؤدى الى اشعال الرد النووى ، وهذا معلوم تماما) .

٢ — العمل كزجاج للنافذة ، أو المشعل الذى يبدأ اطلاق النيران لمواجهة المعتدى ، مع تأكيد تصعيد العمليات الى حرب كبرى ومواجهته بطيف متدرج من التدمير النووى .

٣ — تدعيم الوجود العسكرى للناتو الذى تكمله الوحدات الامريكية كتأكيد ملموس لفكرة الناتو ، ومضمونها ان العدوان على غرب أوروبا هو عدوان على الولايات المتحدة الامريكية ، المتكاتفة مع الغرب ، والتى سوف تقحم نفسها للدفاع عن أوروبا ضد أى عدوان .

٤ — مواصلة الضغط السياسى والسيكلوجى على المانيا الغربية اذا يتحتم أن تبقى المانيا الغربية عضوا فى الناتو أو فى أى تجمع دولى لدول أوروبا الغربية حفظا على مستقبل السلام فى أوروبا ومصلحة الغرب . كما يجب الا تتحول الى الحياد أو تقع تحت سيطرة المانيا الشرقية التى تسيطر عليها موسكو .

فى السنوات القادمة ، سوف نحتاج الى فرق الناتو البرية وقوته الجوية التكتيكية ، ولكن الامر يقتضى اعادة النظر فى موازنة الجهود وتوزيع القوات .

والناتو تحالف سياسى بين شعوب لها ثقافات متشابهة وتقاليد واحدة موروثة ، ولا يزال له فوائد سياسية وسيكلوجية كفوائده العسكرية . ولكن الوقت قد حان لابراز ايجابيته فى تأكيد التعاون السياسى والسيكلوجى والاقتصادى فى غرب أوروبا ، واعادة النظر فى موقف القوات حتى يمكنها مواجهة التهديدات الرئيسية والمتغيرة .

(*) منطقة تريس اقليم فى شبه جزيرة البلقان مقسم بين اليونان فى غربه وتركيا فى شرقه .

يجب أن يكون الناتو مرنا قادرا على مقابلة التغير ليكون صـــالحا للمستقبل .

يحتاج الناتو لقوات تقليدية أفضل ــ قوات اقل مما هو موجود الان ولكنها كاملة المرتب ، معدة للقتال ، مجهزة بالمعدات الحديثة ، وموزعة توزيعا مناسبا . والقدر الذى نتمناه من قوات للناتو ، وخاصة بالنسبة للفرق البرية ، غير واقعى ، ولا يمكن توفيره أو اعاشته اذا وجد ، الا اذا كان يتكون من وحدات مخفضة المرتب موجودة على ورق . ومحـــاولة تحقيق المستحيل يسبب شعورا باليأس ويؤدى الى أن يفقد الناتو ماء وجهـــه . وليس من الضرورى ولا من المرغوب فيه أن تحتفظ الولايات المتحدة الامريكية بخمس فرق فى المانيا الغربية على وجه التحديد ؛ لان فرقة أو فرقتين جيدتين تكفيان لتأكيد فكرة ان الولايات المتحدة ســـوف لا تسمح بالعدوان السوفيتى على غرب أوروبا ، على أن يضطلع الالمان أنفسهم بملىء قدر أكبر من الثغرات ، وأن يوجهوا أكبر تركيز من جهودهم للدفاع عن الجبهة الوسطى . ويجب أن يسير تخفيض القوات التقليدية طبقا لمنهاج يؤقت حسب الموقف السياسى فى أوروبا دون تسرع ، ربمـــا يناسب مفاوضات الحد من التسلح ، وقد يستغل هذا المنهج لتشجيع روسيا على تخفيض قواتها . على أن تخفيض القوات ليس اضرارا بالموقف، ومرغوب فيه اذا أدى الى نقص فى حجم القوات وزيادة فى كفاءتها .

وتعويض مشكلة الكم بالكيف لن يحل مشكلة الناتو العسكرية أو اى مشكلات أخرى الا اذا توفر شرط آخر . فتخفيض القوات البرية التقليدية دون تزايد فى عدد القوات الامريكية الاستراتيجية وتحسين فى نوعها قد يؤدى الى كارثة . على أن قدر أوروبا وقدرنا سوف يتوقفان على قدرتنا النووية وكفاءتها للردع ، أردنا أو لم نرد . والتفوق فى قدر الصواريخ والغواصات بولاريس وأسلحتها النووية الاستراتيجية عنصر ضرورى لاى استراتيجية ردع للناتو ، واساس لاى أمل فى الحد من التسلح . والسعى للحد من التسلح دون التسلح لن يؤدى الى الكدر فقط ؛ ولكن أيضا الى كارثة .

قد يؤدى تحول الفكر الاستراتيجى الاساسى للناتو نحو اعتماد اكبر على الاستخدام السريع للاســـلحة النووية فى حالة قيام هجوم كبير على الجبهة الوسطى ، وتخفيض عدد القوات التقليدية مع رفع كفاءتها . وزيادة التعاون السياسى والسيكلوجى والاقتصادى بين دول غرب أوروبا ــ ربما أصبح ذلك ممكنا بعد زوال حكم ديجول ــ قد يؤدى هـــذا التحول الى اطالة عمر الناتو لعدة عقود .

ولكن الجغرافيا لا تتغير . فالسهل الالمانى الشمالى المستوى ، وموقع الاتحاد السوفيتى فى قلب الارض (والمانيا الشرقية أقرب ما يمكن اليه وعلى بعد مائة ميل فقط من بحر الشمال) هو كابوس استراتيجى جاسم فوق رؤوس المخططين الغربيين . والتهديد بهجوم مسلح حقيقى — على سبيل المثال نشاط الفرق السوفيتية فى منطقة الشريط الساحلى المطل على الاطلسى ، ولو أن احتماله ضعيف — يجب مقابلته بالردع النووى ، سواء بقى الناتو أو لم يبق . وان كان هناك عدوان خبيث لا يمكن دحضه بقوة السلاح ، فانسلاخ المانيا الاتحادية من الغرب أو التزام بون بالحياد ، أو اعادة توحيد شطرى المانيا طبقا لشروط موسكو ، يعنى أحد شيئين ، أما حرب عظمى أو تسليم أوروبا للشيوعية ، وهذا يعنى أن موقف ألمانيا الاتحادية السياسى (بما فيها برلين) وعلاقتها بالغرب والشرق سوف يكونان العامل الاساسى الذى يشكل مستقبل تاريخ أوروبا .

كتب جورج بول George Ball « فى السنوات القادمة ، قد تبذل المانيا جهدها لعقد صفقة ثنائية مع الاتحاد السوفيتى من أجل اعادة رتق الجسد الممزق للرايخ القديم » أى أن المانيا الغربية قد تعطى « مصادر مادية ومالية كبرى تساهم فى تقدم وتصنيع الاتحاد السوفيتى (٤) » . فى مقابل توحيد المانيا الشرقية والغربية فى المستقبل .

لقد تقدم الاتحاد السوفيتى والدول الشرقية التى تدور فى فلكه بتدر ملحوظ « فى الصناعة العصرية » منذ كتابة هذا الكلام ، ولكن خوف روسيا من توحيد شطرى المانيا لن يقل ، الا اذا تم هذا التوحيد طبقا لشروطها . كما أن الدول الشرقية التى تدور فى فلكها ترى فى توحيد المانيا شيئا سياسيا مزعجا .

على أن جاذبية « فكرة التحرير الوحدوية » — وتصحيح الحدود الالمانية الشرقية — سوف تبقى فى الغد عاملا سياسيا يحسب له حساب . ولا تزال مدرسة الفكر التى تعتقد منذ وقت طويل أن المانيا المستقبل تقبع فى الشرق ، مدرسة قوية ، كامنة مختفية فى المانيا الغربية (٥) ، ولكنها ظاهرة متسلطة فى المانيا الشرقية . والمانيا الموحدة ، المحايدة فى ظاهرها ، التى تمسك بيدها مقاليد توازن القوى فى أوروبا ، أو ألمانيا الكبرى المتحالفة مع روسيا كلاهما يعنى كارثة لاوروبا والولايات المتحدة الامريكية بنفس الدرجة ، وهذا يعطى لحالة وحجم وقدرة القوات الامريكية وقوات الناتو فى المانيا وفى أوروبا مظهرا أساسيا وسيكلوجيا أكثر منه عسكريا الى حد بعيد ، وخاصة اذا حول الناتو نظريته الدفاعية ليعتمد أساسا على الردع النووى .

سوف تتأثر الحالة السياسية لالمانيا برخائها أو عوزها الاقتصادى وبالقرارات السياسية العسكرية التى يتخذها الناتو والغرب . وزيادة حجم القوات المسلحة لالمانيا الغربية ورفع كفاءتها القتالية يحتاج لجهـود سوف تؤثر قطعا على ميزانيتها . وبقاء المانيا فى المعسكر الغربى يحتم ايجاد حل لمشكلة الاشتراك الالمانى النووى ، وهذا لم يتحقق كاملا حتى الان . فبريطانيا وفرنسا دولتان نوويتان تتمتعان بهذا الحق بصرف النظر عن قلة ما تملكان من أسلحة نووية . ومن المستحيل أن نتوقع أن تسلم المانيا بعدم امتلاك قوة نووية وطنية الى الابد — رغم التزامها بمعاهدة منع الانتشار — الا اذا دخلت فى تنظيم أوروبى للسيطرة على الاسلحة النووية ، وسمح لها باشتراك أكبر فى المسئولية والاشراف على ترسانة الناتو . يجب تدعيم التقارب الفرنسى الالمانى الذى بدأه ديجول — ولكنه ضعف وهدأ — ليصبح رابطة ثلاثية مع بريطانيا ، لتذوب القوات النووية للدول الثلاث فى قوة واحدة كلية .

من المحال أن نعارض وجهة نظر الغالبية العظمى لمجموعة اتحـاد دول أوروبا الغربية — وهو تجمع غير حكومى ولكنه ذو نفوذ كبير — التى ترى أنه من الضرورى وضع تخطيط أوروبى لتكوين قوة نووية أوروبية . ويمكن أن تستغل اللجنة التى تكونت فى الناتو لوضع الخطط المشتركة لاستخدام الاسلحة النووية التكتيكية فى الحرب ، كخطوة فى طريق استخدام جهود أكبر وعدد أوفر من الاوروبيين . واشراك الدول الاوروبية فى وضع أصابعهم معنا على زناد اطلاق الاسلحة النووية شىء حيوى ، لدعم اقتناع الدول الاوروبية بالردع النووى الامريكى ، وارضاء غرورها . على أن تحقيق هذا الاشراك لتحقيق الاستقرار ودعم قوة الردع — وليس لاضعاف ايهما — سوف يكون أحد المهام الكبرى داخل وخارج الناتو فى الغد .

يجب أن ترتكز أى استراتيجية واقعية للدفاع عن غرب أوروبا ضد الغزو البرى على التفوق الجوى فوق الجزر البريطانية وحول سواحل وأراضى الشريط الساحلى لغرب أوروبا ، اذ دون تحقيق هذا التفوق ، لا يمكن الرد بالاسلحة التقليدية ردا محدودا ، ولا القيام بأى عمليـات تعطيلية ناجحة من أى نوع . وقدرة القوات الجوية المتحالفة أو البرية التقليدية على تعطيل القوات البرية السوفيتية ، الى أن تقـوم القوات النووية الامريكية العابرة للاطلسى بتدمير قاعدة ارتكاز القوات السوفيتية ، عامل هام لتحقيق الردع . اذ أنه لو تمكنت القوات السوفيتية التقليدية من الاستيلاء بسرعة على كل أوروبا ، فان موسكو تستطيع أن تستغل الابتزاز النووى بالاحتفاظ بباريس ولندن وبون كرهائن ضد تدمير موسكو .

لا يمكن خوض العمليات التعطيلية الناجحة الا باستغلال التفوق الجوى . والتفوق الجوى طبقا للمفهوم الحديث يعنى شبكة كثيفة من اجهزة الانذار المبكر ورادار الادارة ، والمطارات ، والمقاتلات العمودية التى تقلع وتهبط على مدارج قصيرة ، وحفر ودشم وقاية الطائرات ، والصواريخ الموجهة المضادة للطائرات ، ومطارات الانتشار والتضليل . وتعنى كذلك احتواء القوة البحرية السوفييتية فى بحر البلطيق الى أقصى حد ممكن عن طريق بث الالغام فى سكاجيراك Skagerrack وكاتيجات Kattegat وكذا تخصيص داوريات جوية وبحرية ضد الملاحة البحرية . كما تعنى أيضا الدفاع عن المطارات الحيوية وقواعد الصواريخ الغربية ضد الهجوم البحرى أو الابرار الجوى .

ولاسبانيا اهمية حيوية للدفاع عن البحر الابيض المتوسط ولاستراتيجية الأطلسى البحرية . لانها منطقة جغرافية توفر موقعا خلفيا ومساحة لانتشار القوات الجوية للدفاع عن غرب أوروبا ضد الهجوم السوفيتى البرى الضخم عبر المانيا . ومطاراتها لا تزال صالحة كقواعد صيانة واعادة ملىء لقاذفات القيادة الجوية الاستراتيجية ، كما أن البحرية الامريكية لا تملك بديلا مماثلا لروتا ، كقاعدة للامداد والشئون الادارية . ولكن اهمية مطاراتها فى عصر الصواريخ أصبحت تقتصر على استخدامها كمواقع انتشار للقوات الجوية التكتيكية لغرب أوروبا . واذا بدأت المدرعات السوفيتية عبور سهل المانيا الشمالى ، فقد تصبح الاراضى الاسبانية منطلقا لعمليات تعطيلية تكتيكية ناجحة أو فاشلة للحلفاء .

لقد فاتت فرصة اعادة تقييم موقف اسبانيا السياسى فى أوروبا ، وعلاقاتها مع الغرب والناتو ، لقد مضى وقت طويل وبقيت أسبانيا خارج حظيرة النظام الليبرالى الاشتراكى لاوروبا الغربية كنتيجة لاحداث الحرب الاهلية ودكتاتورية فرانكو . ولكن حكم فرانكو على وشك أن يزول ، وقد يكون من المستطاع فى ظل نظام الحكم الذى يعقبه ، ادخال اسبانيا فى الناتو ، أو ربطها بدرجة أوثق بأوروبا الغربية على الاقل ، وهى قطعا جزء منها ، بصرف النظر عن السياسة أو التحيز أو العاطفة .

والتهديد الثانوى الموجه لغرب أوروبا متوقع على الجناح النرويجى الشمالى المعرض .

لا يعتبر السهل الاجرد فى المحيط المتجمد الشمالى عائقا كبيرا يمنع القوات الروسية المتمركزة فى منطقة مورمانسك — بوليارفى من غزو شمال النرويج عن طريق البر . وقوات النرويج الصغيرة لا يمكنها ، على

أحسن تقدير ، الا القيام بعمليات تعطيلية حتى اذا دعمت بقوات جنود الجو من الجبهة الوسطى للناتو وبقوات جوية متحالفة . والنتائج السياسية لمثل هذه المقامرة السوفيتية التى تتضمن غزوا فعليا لاراضى الحلفاء — اذا لم نضع لها حسابا مسبقا — لا تقل أبدا عن النتائج السياسية لغزو الجبهة الوسطى ، ولو أن نتائجها العسكرية سوف تكون أقل أثرا الى حد بعيد . لذلك يجب أن تتضمن خطط الغرب ردا مبدئيا لا يصل الى بدء التراشق النووى ، كما هو مخطط الان ، وبمعنى آخر ، يجب أن يتوفر الوقت — وهو شىء نفيس فى الحرب الحديثة — لمواجهة الغزو البرى ضد شمال النرويج قبل استخدام السلاح النووى النهائى .

يوفر شمال النرويج رغم أرضه المسطحة مزايا جغرافية للمدافعين . فطرق المواصلات السطحية قليلة ، والاراضى موحلة خلال فترة طويلة من العام ، ولا توجد به اهداف لها اهمية استراتيجية حتى مداخل مدينة نارفيك ، وميناءها والسكك الحديدية التى تصلها بمناجم الحديد السويدية ومطاراتها الهامة تقع فى جزر لوفوتن التى تقع على حافتها .

لهذه المنطقة أهمية استراتيجية ، أكدتها الحرب العالمية الثانية ، رغم أن — وهى تدخل فى نطاق المحيط المتجمد الشمالى — الضباب يغطيها ويسودها المطر والبرد والثلج والرياح الشديدة باستمرار . وهى الممر الشمالى الى بحر النرويج ، والى المخارج التى توصل الى المحيط الاطلسى من بحر بارنتز Barents Sea والمحيط المتجمد الشمالى ، واذا ما وقعت هذه المنطقة فى يد السوفييت ، يمكن استخدامها منطلقا للاختراق الروسى فى اتجاه ترندهايم Trandheim وبرجن Bergen . وسيطرة الروس على نارفيك تؤدى بالتأكيد الى السيطرة السياسية العسكرية على السويد ، أو على الاقل الى اضعاف الحياد الطيع الذى اتصفت به سياسة ستوكهلم عندما كان النازى مسيطرا فى الحرب العالمية الثانية ، والتى يبدو انها تتصف بها الان .

نارفيك هى المجس الذى تختبر به نوايا روسيا فى شمال أوروبا ، والارجح أن موسكو سوف تستخدم عمليات مشتركة لتأمين مثل هذا الهدف ، تتضمن غزو برى وابرار جوى ، وعمليات جوية ، وعمليات ابرار بحرى على وثبات قصيرة .

ولا يستطيع الغرب أن يسمح بالاستيلاء على نارفيك دون الالتجاء الى الانتقام النووى ، اذا أراد البقاء مستقلا دون غزو لاراضيه . ربما يكون انتقام نووى ضد اهداف منتخبة لتدمير بوليارنى Polyarny

أو لتدمير التجمع البحرى السوفيتى بالقرب من مورمانسك مثلا ؛ ولكنه انتقام نووى على كل حال .

فطبقا لما نعلمه عما هو متاح للغرب من قوات ، ولما تنوى الدول الغربية الاحتفاظ به من قدرات عسكرية وقت السلم ، لا يمكن حماية نارفيك ضد اى هجوم سوفيتى مدبر ، واقصى ما يمكن عمله هو التعطيل فقط ؛ كما هو الحال فى الهجوم عبر المانيا .

يلزم لصد الاندفاع السوفيتى الى نارفيك ، كما يلزم لمنع أى غزو روسى اضعف عبر الحدود النرويجية ، تفوقا جويا للحلفاء يماثل تفوقهم فى الجبهة الوسطى . فالدعم السريع بوحدات من جنود الجو حتى اذا كانت صغيرة ؛ واتاحة قدر مناسب من الدعم بالعناصر البحرية والجوية شىء ضرورى للعمليات التكتيكية الحذرة ، وللرد بالاسلحة التقليدية على أى تحرك سوفييتى يرمى الى تحقيق هدف محدود .

يوجد الان قوة تسمى القوة الخفيفة الحركة للقيادة الاوروبية المتحالفة ، وتتكون من وحدات منذرة ، تساهم فى تكوينها الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا والمانيا وخمس دول أوروبية أخرى . وتتكون من سبع كتائب جنود جو مدعمة وطائرات مساعدة . وهى قوة جاهزة لتعزيز الاجناب الشمالية والجنوبية . فاذا تخيلنا ضغطا روسيا على شمال النرويج ، لا يتبعه هجوم كبير على الجبهة الوسطى فان هذه القيادة سوف توفر دعما بجنود الجو التى تكون الحاجة اليه فى شمال نارفيك ماسة وسريعة .

وفى هذه المنطقة القطبية ، يحول الجو وقلة الوسائل الادارية دون نجاح العمليات العسكرية الا عن طريق الامداد البحرى بالمحافظة على خطوط الامداد من البحر . كما أن أسهل طريق لتركيز القوة الجوية المتحالفة فى المنطقة يكون باستخدام حاملات الطائرات . والمحيط المتجمد الشمالى ، وبحر النرويج ومسالكه تعتبر ميادين قنص جيدة لغواصات الحلفاء وقوارب الداوريات السريعة التى تعمل فى الاجواء العاصفة . يجب توفير قوات برمائية ، صغيرة ولكنها مدربة جيدا ، وصالحة للعمل فى جميع الاجواء ، بأسرع ما يمكن .

تبدو أهمية جزر ايسلندا ، وفاروس ، وشتلند ، والاركنيز للسيطرة على بحر النرويج وممراته البحرية واضحة على اية خريطة . والدفاع عن شمال أوروبا يتوقف أساسا على القوة البحرية .

من المعروف أن الضعف العسكرى فى أية منطقة يضعف الردع ، وأن الناتو سوف لا يضاعف من الناحية المادية الدفاع التقليدى فى الجناح الشمالى . وعلى ذلك فان الشمال كالجبهة الوسطى تماما . يجب أن يرتكز ردعه الرئيسى على الاسلحة النووية ، وعلى حجر الاساس الذى يقوم عليه بناء دفاع الناتو الشامخ : « ان الهجوم على العضو يعنى الهجوم على الجميع . والتقدير طبقا لطبائع الامور ، يبين أن القيام بهجوم سوفيتى ضد شمال النرويج أو ضد الدنيمارك ومداخل بحر البلطيق بعيد الاحتمال ، لانه عمل محفوف بالمخاطر والشكوك بالنسبة لموسكو ، كالهجوم على الجبهة الوسطى تماما ، ولو أنه لا يحقق أى احتلال يستحق المخاطرة . وهذا يجعل تخطيط الناتو الحذر يبدو وكأنه أكثر مما يجب . ولمقابلة الهجوم التقليدى الذى يحتمل أن تشنه روسيا بوسائل تقليدية فى هذه المنطقة ، يجب اشتراك الوسائل التى سوف يتيحها كل من الناتو والولايات المتحدة الامريكية فى السنوات القادمة (٦) : بنسب مختلفة . على أن يوفر الشك والجزاء النووى رادعا رئيسيا فى الشمال ، كما هو الحال فى الجبهة الوسطى تماما .

يجب توفير القوات البرية وجزء كبير من القوات الجوية اللازمة للدفاع عن أوروبا بواسطة الدول الاوروبية نفسها ، أما الجزء الاكبر من القوات البحرية والرادع النووى فهو من مسئولية الولايات المتحدة الامريكية .

والتهديد السوفيتى لاوروبا الغربية بالفرق البرية والقوات الجوية المعاونة تهديد كبير ولكن ليس من المستحيل قهره . لان موسكو دعمت قواتها العسكرية فى الشرق الاقصى وفى وسط آسيا لمواجهة التهديد الصينى القائم . ولكنها لا تزال تحتفظ — وستبقى كذلك الى وقت طويل — بما يقرب من مائة فرقة غرب جبال الاورال ، منها اثنان وثلاثين فرقة خارج حدودها ، فى الدول التى تدور فى فلكها . وفرق أوروبا الشرقية تبقى بمرتب كامل من الافراد والمعدات ، ولكن بعض الفرق فى روسيا دون المرتب بقليل ، وتحتاج افراد ومعدات عند التعبئة . ونظام التعبئة السوفيتى نظام جيد ، قادر على تكملة الوحدات بسرعة تفوق تصور الغربيين ، وقد أكدت أزمة تشيكوسلوفاكيا ذلك .

فى حالة قيام عمليات حقيقية ، يجب توقع حجم القوات الروسية المنتظر اشتراكها كما يأتى : من ٣٥ الى ٤٠ فرقة سوفيتية جاهزة للعمل الفورى ضد وسط أوروبا ، ومن فرقتين الى ثلاث فرق ضد شمال النرويج ، وهناك من ٧٠ الى ٧٥ فرقة اخرى قادرة على الفتح خلال فترة تتراوح بين ثلاثين وتسعين يوما منذ بدء التعبئة .

وهناك ٦٠ فرقة تابعــة لدول شرق أوروبا ، بالاضافة الى الفرق السوفتيية . يمكن الاعتماد عليها فى مهام الاحتلال والتطهير ، ولكن يشك فى امكان الاعتماد على بعضها ، مثل فرق تشيكوسلوفاكيا الثلاث عشرة .

هذه القوات البرية تدعمها قوات جوية تكتيكية لا بأس بها ، أحادية وثنائية الواجب (*) منتشرة ومحتمية بالتكسية والهناجر الصغيرة والملاجىء ذات الاسقف . وقد يكون المدى المحدود لبعض الطائرات السوفيتية — بما فيها طائرات الميج — مانعا لتعميق العمليات الهجومية ، ولكن صغر المسافات فى أوروبا يقلل من اثر هذا العائق .

بعد غزو تشيكوسلوفاكيا ، قال جنرال ليمنتزر General Lemnitzer ان تلك القوات هى « أعظم قوات مسلحة تقليدية فى العالم اليوم ..... اكبر القوات ، واكثر القوات استعدادا للقتال ، التى استطاع الكرملين دفعها الى الميدان ، منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية » (٧) .

تلك قوات هائلة ، ولكن ليس من المستحيل مواجهتها اذا كان الواجب الاساسى للقوات البرية الغربية سوف يكون التعطيل ، فاذا ما جد الجد ، فان الجزاء النووى سوف يحطم البناء المساند فى خلف الجبهة الروسية . يجب أن تعد القوات البرية المتحالفة لغاية اساسية : منع الاســتيلاء الخاطف على أوروبا الغربية كرهينة ضد الجزاء النووى .

يوجد ١٢ فرقة من المانيا الغربية فى الجبهة الوسطى الحيوية . وهى كاملة المرتب ، جيدة الاعداد ، تساندها قوة جــوية متحالفة متفوقة . ويمكن أن تكون نواة فعـــالة لقوة الدفاع البرى اللازمة . من المحتمل الا تتمكن روسيا من حشد اكثر من ٤٠ فرقة ضد المانيا الغربية فى مراحل الحرب الاولية ، لانها سوف تحتاج الى وحدات اخــرى فى البلقان وفى منطقة المحيط المتجمد الشمالى ، وفى ايطاليا واليونان وتركيا ، وفى غزو يوجوسلافيا ، ولتأمين خطوط مواصلاتها مع الدول المشكوك فى ولائها من معسكرها .

بالاضافة الى هــذه الفرق الالمــانية الاثنى عشر ، يجب أن يكون الدفاع قادرا على استيعاب ٣ فيالق بريطانية كل من ٣ فرق ، أى ما مجموعه من ٢٠ الى ٢٢ فرقة ، بالاضافة الى فرقة أو فرقتين امريكيتين ، ليصل المجموع الكلى الى ٢١ أو ٢٤ فرقة . واذا كانت هذه القوات جيدة الاعداد والتدريب والتوجيه ، ومدعمة بقوة جوية متفوقة . فانها سوف تكون

(*) تقوم بأكثر من نوع من العمليات الجوية .

قادرة على تعطيل القوات الشيوعية البرية المتفوقة فى العـــدد . وفى الحقيقة ، اذا كانت استراتيجية الناتو ترتبط بدفاع نووى ، فلا يمكن أن يتوقع المرء حاجة الى قوات برية أكبر بصورة دائمة ، وعلى العكس يجب ان يقل مقدار هذه القوات . على أن نجاحها فى عمليات التعطيل يقتضى بالضرورة قوات جوية متفوقة ، لان الدفاع الجوى فى أوروبا الغربية يجب ان يكون قادرا على منع أى غزو ســـوفيتى سريع بقوات جنود الجـــو او القوات المنقولة فى طائرات الهليوكوبتر . كما يجب أن تكون عمليات الاعتراض والمعاونة القريبة قادرة على قطع وعزل خطوط المواصـــلات وتعطيل القوات المدرعة السوفيتية . على أن النسبة الحالية كما وكيفا ، بين القوات الجوية للحلفاء وللشيوعيين لا تكفى لا لنظرية الرد المرن (*) ولا لاى استراتيجية نووية .

يجب أن يكون تنظيم القوات للمعركة فى الجبهة الوسطى مناسبا للعمل التى ستقوم به الولايات المتحدة الامريكية لتحقيق مصالحها فى الدفاع عن غرب أوروبا ، مع تقليل التزاماتها فى العمليات الارضية الى الحـــد الذى تستطيع احتماله .

ويجب ان تخفض الولايات المتحدة الامريكية قواتها البرية فى المانيا بالتدريج الى ربع أو ثلث حجمها الحالى ، الى فرقة أو فرقتين مع الدعم اللازم بدل الخمس فرق الموجودة بها الان ، على أن يجرى هذا التخفيض بتنسيق مع الناتو والحلفاء ، لان التخفيض فجاة لهـــذه القوات له آثار سياسية وسيكلوجية قد تؤدى الى نكبة . واذا نفذ التخفيض ببطىء خلال عدة سنوات طبقا لتوقيت مناسب فقد يؤدى الى تخفيف القوات الروسية فى المانيا الشرقية . وقد يؤدى أيضا الى تقدم مباحثات نزع التسلح .

ويجب أن يصاحب تخفيف القوات البرية ، الامريكية والبريطانية الى حد ما ، بناء قوات جوية تكتيكية للحلفاء ، على أن تعوذ الوحدات الجوية ثنائية القاعدة — وهى قـــوات سحبت تطبيقا لنظرية القـــوات ذات القاعدتين — التى سحبت الى أمريكا ، الى المانيا وتبقى بها بصفة دائمة ، مع اضافة قوات أخرى لتعويض ما سحبته كندا من قوات جوية ، ولزيادة قوة الخلفـــاء حتى يكون لفكرة التعطيل مقترنة بالجزاء النووى السريع تأثير رادع .

(*) هى استراتيجية مرنة قادرة على الرد والتحول الى العمل الايجـــابى تحت كافة الظروف وأمام جميع احتمالات التهديد والنزاع سواء كان حربا شاملة أو محدودة أو تهديد بهما . لتفسير أكثر أنظر للمترجم أثر الطاقة النووية على العلاقات الدولية والاستراتيجية طبعة ١٩٦٧ .

يجب أن تتحمل المانيا الغربية ، وهى على درجة كبيرة من الثراء ، جزءا من نفقات الدفاع عنها أكثر مما تتحمله الان : لان تطوير وتقوية الجيش الالمانى سوف يكلفان كثيرا من الاموال . لقد آن الاوان — بعد مرور ربع قرن منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية — لان تخفض الولايات المتحدة الامريكية ما تنفقه على التزاماتها فى الناتو ، ويصل الى ١٢ مليون دولار . كان مضمون فكرتنا مساعدة حلفائنا حتى يتمكنوا من مساعدة أنفسهم ، ولكنها تحولت بمرور الزمن الى دفاع الولايات المتحدة الامريكية عن أوروبا بمعاونة الحلفاء . تستطيع أوروبا أن تشارك بقدر اكبر فى النفقات ، وليس من المعقول أن تنقل فجأة كل هذه النفقات الى كاهل بون . وهذا يقتضى أن يصاحب تخفيض القوات الامريكية على مراحل زيادة تدريجية فى مساهمة الولايات المتحدة الامريكية والحلفاء لمعاونة بون على مقابلة التزاماتها الجديدة ، أما بالمقايضة أو باتفاقية مساعدة بالاسلحة أو بتخفيض الرسوم ... الخ .

مشكلة الدفاع الجوى على جناحى الجبهة الاوروبية لا تصل فى أهميتها أو ضرورتها الى نفس الدرجة مثل التهديد الموجه لقطاعها الاوسط . فعبر المانيا أو فوقها فقط ، تستطيع القوات السوفيتية أن تصل الى الشواطىء الحيوية والعواصم الهامة لدول أوروبا الغربية .

يجب أن يحافظ الناتو على القدرة على تحريك القوات بسرعة من الجبهة الوسطى الى الجناح الشمالى فى النرويج ، أو الى جبهة تركيا واليونان ، وان يضاعف هذه القدرة بمساعدة وسائل النقل الجوى والبرمائى الامريكية . يجب أن تقوم كتيبة من البحارة الامريكيين المحملة على السفن الحديثة البرمائية بأعمال دورية فى مياه الاطلسى على الساحل الاوروبى ، لمعاونة الكتيبة الموجودة فى البحر الابيض المتوسط . والقوات التركية واليونانية المتاحة لا تكفى لوقف اندفاع سريع شيوعى عبر منطقة التريس اليونانية فى اتجاه بحر ايجه ، ولكن مساندة هذه القوات بالاسطول السادس والقوة الجوية التكتيكية المتحالفة يجعلها قادرة على التعطيل والاحتفاظ بالدردنيل واثينا وروما ، على سبيل المثال ، لعدة أسابيع على الاقل ، فى مواجهة قوات شيوعية برية متفوقة .

وعلى نفس المنوال ، يجب أن يكون الدفاع فى النرويج شمالا ، دفاعا جيدا مبتكرا قادرا على ممارسة الاساليب التكتيكية الحذرة الغابية .

الدفاع الناجح عن غرب أوروبا لا يمكن أن يتحقق بالعمليات البرية لان هذه النظرية اصبحت متخلفة منذ وقت طويل ، فى عصر الصواريخ والطائرات الاسرع من الصوت والاسلحة النووية .

من اجل مصلحة أوروبا العظمى ومصلحتنا أيضـــا ، على الولايات المتحـــدة الامريكية ، بل لا يمكنها ، ويتحتم عليها عـــدم الاحتفاظ بخمس أو ست فرق فى المانيا الغربية على وجه التحديد ، لقد وصلت هذه السياسة الى نقطة اللاعودة منذ وقت طويل .

فى اثناء السنوات الثمان لحكم الرئيس ايزنهـــاور فى البيت الابيض أعتقد ايزنهاور واعلن لمســاعديه « أن تخفيض القوات الامريـــكية فى أوروبا يجب أن يبدأ بمجرد أن يستعيد الاقتصاد الاوروبى حيويته » . وكتب فى سنة ١٩٦٣ ، « ان الوقت قد حان لبدء سحب بعض هذه القوات ... وفرقة امريكية واحدة تستطيع أن تثبت الوجود الامريكى فى أوروبا بدل فرق عديدة » (٨) .

والعودة الصريحة للردع النووى ، توفر نظرية حقيقية للدفاع عن اوروبا الغربية عبر العقود الزمنية فى المستقبل القريب .

يجب أن يكون تفوق هذا الردع علىالقوة النووية الشيوعية واضحا كما وكيفا حتى يحقق الردع هدفه . لان العوامل المؤثرة — وقد وضحت فى باب سابق — معقدة ومتداخلة فى بعضها الى درجة تحتم أن يحسب لاحتمال الاخطاء بسخاء . فالردع اما أن يكون مقنعا أو عديم الفائدة . ويجب أن يعتمد على غواصات وســـفن سطح صاروخية وأوروبية فى البحر ، وعلى قاذفات قنابل وقواعد محصنة للصـــواريخ على البر ، فى الولايات المتحدة الامريكية وفرنسا ودول اخرى .

يجب توفير مطلبان آخران ، قدرة الحلفاء على استخدام البحـــار ، وحرمان العدو من استخدامها أو تعويقه فى هذا المجال ، تلك ضرورة لتنفيذ الحصار التى يطبقها تحالف عبر البحار مثل حلف الناتو . وفى هذه الحالة يكون من المستطاع قبول قوات بحرية متحالفة اصـــغر حجما ، لو دعمت نظرية الردع النووى بقوات جوية متحالفة متفوقة .

وهذا التغيير فى النظرية يعنى تحول فى نواحى الاهتمام ، وتغير فى نظام التسليح الذى توفره الولايات المتحدة الامريكية ، تغييرا ليس عاجلا ولكنه يرتبط بالظروف ارتباطا كاملا ، وتخفيض فى مساهمتنا فى نفقـــات الدفاع الاوروبى ، وتزايد بطىء فيما تتحمله المانيا الغربية من نفقات . واذا كانت السياسة ناجحة ، فقطعا ، سوف نحصل جميعا على دفاع أفضل بنفقات أقل .

مثل هذه السياسة ، اذا صاحبها تقارب سياسى وسيكلوجى وثقافى بين شرق وغرب أوروبا ، سـوف « تؤدى الى التئام التفتت الاوروبى بالتدريج » . ويعقب ذلك أحياء الناتو « ليجعل للاوروبيين صوتا أقوى من خلال تجمع أوروبى ... ربما بتعيين قائد للناتو من الاوروبيين ... وتشجيع نشاطه فى مجالات التعليم وميـادين العلم والتكنولوجيا ... وموقف عام ايجابى يدعم العلاقة بين الشرق والغرب » (٩) .

سوف لا يكون هناك جدوى من تطبيق استراتيجية جوية — فضائية — بحرية فى أوروبا الغربية بدون تفوق الولايات المتحدة الامريكية والناتو فى وسائل اطلاق وتوصيل الاسلحة النووية ، مع تفوقهما فى البحـار . واذا لم تتوفر هذه المطالب الاساسية فسوف لا تكون هناك استراتيجية ناجحة ، ليس هناك بديلا لذلك .

٧

البحر الأبيض المتوسط والشرق الأوسط

كان البحر الابيض المتوسط مسرحا لنشاط الانسان فى سبيل التجارة والتوسع منذ أيام الفينيقيين . وحول شواطئه ــ حيث ولــدت المدنية الغربية ــ نمت وازدهرت أعظم سلالات الحكام والممالك فى التــاريخ . وعلى مياهه تقرر مصير الشعوب .

كانت الاهمية الاستراتيجية للبحر الابيض المتوسط واضحة منــذ قرون عديدة . فهو ممر بحرى يؤدى الى أعماق قلب الأرض ، فى جنوب اوراسيا ، عن طــريق البحر الاسود . ويقع على جانب شــبه جزيرة اوروبا ، ويؤدى الى أقصر طريق بحرى يصل الى كنوز المحيط الهندى عبر قناة السويس ، ويسيطر على طرق الاقتراب الى الشرق الاوسط . كما أنه معبر الى قارات ثلاثة ، ويغذى شرايين التجارة بين شمال أفريقيا وشواطىء اوروبا .

« البحر الابيض المتوسط هو أعظم ممر بحرى فى العالم ، اذ لا يقل عدد السفن التجارية فيه ، فى أى وقت ، عن ٢٦٠٠ قطعة فى المتوسط ، ١٥٠٠ منها فى البحر ، و ١١٠٠ منها فى موانيه ، تلك هى الاهمية الرئيسية لهذا البحر » (١) .

تعاقب الغزاة قرنا بعد قرن ، عبر هذا البحر ، فى السفن الشراعية وذات المجاديف ، والفرقاطات ، والسفن الحربية ، والناقلات والطائرات، وقوارب الصواريخ ، التى تطورت بتطور عصور التاريخ ، وكانت السيطرة على البحر تدين لاقوى أسطول فيه ، فتحقق النصر للقوة البحرية الرومانية باضمحلال قرطاجنة . ولكن هذه السيطرة — وخاصة على البحر الابيض المتوسط الضيق ، وكل مياهه فى مدى الطائرات التى تعمل من شواطئه — أصبحت تعنى التفوق الجوى بالاضافة الى التفوق فوق وتحت سطح الماء، منذ عصر الطائرة والصاروخ . وقد أصبحت الطائرات المسلحة بالتوربيد والقنابل والصواريخ الموجهة طويلة المدى التى تعمل من قواعد بحرية ، بالاضافة الى الغواصات النووية والقوارب السريعة المسلحة بالصواريخ، والمدمرات ، أصبحت كلها تمثل تحديا لحاملات الطائرات فى مجال السيطرة على البحار .

والحرب العالمية ابرزت — حقيقة — مشكلات اليوم : عندما أغلقت الالغام البحرية قناة السويس . وعانى الاسطول البريطانى من عبور ممر ضيق من جبل طارق الى الاسكندرية ، معرضا لهجوم الغواصات والطائرات التى تعمل من قواعد بحرية . وحوصرت جزيرة مالطة . وخلال عدة شهور عصيبة تمكن الالمان من منع الحلفاء من استخدام البحر الابيض بحرية ، بواسطة مجهود محدود ، عندما كانوا يسيطرون على أقل من نصف شواطئه . وأثناء هذه الفترة لم تكن تجارة الحلفاء وعملياتهم البحرية ممكنة الا بجهود باهظة وخسائر جسيمة .

يبدو واضحا أن السيطرة على هذا الطريق العظيم ، طريق التجارة والغزو ، لا يمكن تحقيقها بواسطة السفن التى تعمل فوق سطح الماء فقط ، اذ أن النصر فى هذا الميدان يقتضى عمليات مشتركة من الغواصات قبل كل شىء ، والمطارات البرية ، والقوات البرمائية ، والقوات البرية . وأى استراتيجية لحماية القطاع الاسفل من اوروبا ضد الهجوم من الجنوب ، تؤمن استخدام البحر الابيض المتوسط كطريق لشمال أفريقيا والشرق والاوسط والهند ، يجب أن ترتكز على السيطرة على شواطىء البحر الابيض المتوسط أو على الجزر المتناثرة فيه .

يتضح مما سبق ضخامة المشكلة التى تواجه الناتو والاسطول السادس الامريكى والغرب فى البحر الابيض المتوسط ، والخطر الاكبر على اوروبا يكمن حول حوض البحر الابيض المتوسط ، الذى تسيطر الشيوعية فعلا على بعض اجزائه بسيطرة فعالة .

لا توجد مواجهة مباشرة ولا مشعلا للانفجار السياسى بين الشرق والغرب فى حوض البحر الابيض المتوسط ، كما هو الحال فى برلين حيث يعنى العدوان الشيوعى أزمة فورية ، ولو أن النزاع العربى الاسرائيلى له آثار خطيرة . والمشكلة الاساسية هى ضعف المركز السياسى للغرب الذى كان فيما قبل موقفا قويا فى هذه المنطقة ، وزوال نفوذ الغرب والولايات المتحدة والناتو من مناطق لها أهمية جيوبولوتيكية عظمى ، يوما بعد يوم .

من الناحية الجغرافية ، تنقسم هذه السيطرة الى السيطرة على شرق البحر الابيض المتوسط ، والسيطرة على غربه ، وترتكز أساسا على المناطق الساحلية المحيطة به . والمضيق بين صقلية ومالطة ، ورأس بون فى تونس هو حلقة الاتصال الهامة بين المنطقة الشرقية والغربية ، وقد يكون خط حياة أو مكمن قتل ، يتوقف ذلك على من يسيطر على شواطئه . فعبر هذا الممر الضيق فقط ، الذى لا يزيد اتساعه عن ٨٠ ميلا ، يمكن تدفق التجارة والمعونة الى أعضاء الناتو فى الجنوب الشرقى ، اليونان وتركيا . وتعتمد دول شرق البحر الابيض المتوسط — اسرائيل وأغلب الدول العربية فى الشرق الاوسط — على هذا الممر للخروج الى المحيط الاطلسى عبر البحر الابيض المتوسط .

لصقلية ومالطة وتونس — بموانيها الكبيرة فى بنزرت ، ومطاراتها — اهمية عظمى فى استراتيجية البحر الابيض المتوسط . فالطائرات والسفن والغواصات التى ترتكز عليها تستطيع مراقبة واستكشاف السفن التى تمر فى هذا المضيق ، كما تستطيع تعقبها وازعاجها . واذا نشرت بقدر كاف يمكنها قفل المضيق ومنع الملاحة البحرية فيه . والسيطرة على هذه المناطق عند الازمات تعطى للمعتدى مزايا اكيدة فى العمليات التى تسبق الحروب عادة وتحدد احتمال قيامها من عدمه . فقد يقابل تحرك الاسطول السادس مثلا من الغرب الى الشرق بعمليات ازعاج واحتجاجات دبلوماسية ، هذا ليس شيئا جديدا ولكن يكون له تأثير وقوة أكبر لو كانت صقلية ومالطة وتونس فى يد العدو .

هناك ثلاثة ممرات مائية أو طرق ملاحة لها اهمية اساسية فى استراتيجية البحر الابيض المتوسط ، بالاضافة الى اثنين لهما اهمية ثانوية .

مضيق جبل طارق العميق واتساعه ثمانية أميال ونصف . والمضايق التركية البوسفور وبحر مرمرة والدردنيل ، وهى ممرات الى البحر

الاسود ، وقناة السويس التى حفرها الانسان هى الطريق القصير المباشر إلى الثروة البترولية فى شبه الجزيرة العربية السعودية والبحر الاحمر والمحيط الهندى والشرق الاقصى .

يؤدى مضيق اوترانتو الى بحر الادرياتيك وشاطىء يوجوسلافيا وطريق الغزو من تريستا عبر الجبال الى السهل بين النمسا وهنجاريا . وآلاف الجزر المنتشرة فى بحر ايجه شمال كريت تصلح كقواعد للطائرات الخفيفة تسيطر على الممرات التى تصل البحر الابيض المتوسط بالمضايق التركية .

لقد تركز صراع الانسان الذى لا ينتهى من اجل السلطة حول هذه الممرات البحرية الحيوية . ومركز السوفييت فى مصر واليمن وعدن يسيطر على قناة السويس والبحر الاحمر ، كما أن تحسن العلاقات التركية السوفيتية . والجيش البلغارى الذى تسانده روسيا بالقرب من منطقة تريس التركية ، كلها عوامل تعطى لروسيا بعض النفوذ فى منطقة المضايق التركية . كذلك ضعفت سيطرة الغرب على مضيق جبل طارق نتيجة لقومية اليسار الخبيث فى الجزائر العربية ، وضعف مراكش ، والنزاع بين اسبانيا وبريطانيا على هذه القاعدة .

تبدأ السيطرة على غرب البحر الابيض المتوسط — بالنسبة لوجهة النظر الاستراتيجية — فى المحيط الاطلسى . وقد لوحظ هذا الاعتبار عند تنظيم قيادة حلف الاطلسى ابرلانت IBERLANT أى القيادة الايبيرية الاطلسية ، وهى تابعة للقيادة العليا للحلف ورئاستها فى نور فلك فرجينيا . والقيادة الفرعية الايبيرية الاطلسية رئاستها فى لشبونة البرتغال ، وهى مسئولة عن الدفاع عن طريق الاقتراب من الاطلسى الى البحر الابيض المتوسط ، ويتبعها قائد جزيرة ماديرا وقائد بحرية جبل طارق وقت الحرب . ويبدو ضعف هذا التنظيم واضحا ، لأن الناتو لا يضم اسبانيا بين أعضائه ، وقاعدة الامداد والشئون الادارية فى روتا على الشاطىء الاطلسى الجنوبى لاسبانيا تحت السيطرة المشتركة بين أمريكا واسبانيا ، وليست تحت سيطرة الناتو ، ومستقبلها غير مستقر . كما ان مطالبة اسبانيا بجبل طارق وما توجهه من ضغط ضد هذه السيطرة ، والتعقيد السياسى المنتظر حدوثه بعد موت فرانكو ، كلها عوامل تجعل المستقبل السياسى والاستراتيجى للمداخل الغربية للبحر الابيض المتوسط مظلما .

كذلك الحال بالنسبة لمستقبل مراكش الذى لا يبشر بالاستقرار ، وعلاقتها بطنجة ، الدعامة الجنوبية « لمضيق هيرقل » . وطنجة والدار

البيضاء مع مطارات مراكش ، هى عناصر اساسية مدعمة لبناء أى قاعدة قادرة على حماية الممرات الغربية . ومازالت الولايات المتحدة الامريكية محتفظة بمحطات كبرى ووسائل للاتصال والمراقبة فى سيدى يحيى فى مراكش ، تغطى منطقة البحر الابيض المتوسط . وفى حرب محدودة ، تبدو اهمية مراكش كقاعدة لطائرات الداوريات البحرية واضحة .

قد يكون الدفاع عن هذه الممرات عملا اسهل اذا حصلنا على حق استخدام قواعد فى اسبانيا والبرتغال ومراكش وجزر المحيط الاطلسى ، بالاضافة الى موقع ارتكاز دائم فى جبل طارق . وتساعد الوسائل الالكترونية الحديثة على تحقيق ذلك . والدفاع يعنى من الناحية الاستراتيجية القدرة على استخدام ممرات جبل طارق من جانبنا، وحرمان العدو من الملاحة عبرها فى وقت الحرب ، مع القدرة على المراقبة ، أو فرض الحصار بطريقة ايجابية على المنطقة من الدار البيضاء الى لشبونة فى الحرب الباردة أو عند قيام الازمات . ويبدو واضحا أن تلك أعمال تقوم بها قوة جوية بحرية ، ويكون الواجب الوحيد للقوة البرية فى هذا المجال تأمين القواعد البحرية والجوية .

اصبحت مراقبة طرق الاقتراب من الاطلسى الى البحر الابيض المتوسط عملا اسهل بعد استخدام الاجهزة الالكترونية الحديثة . فالرادار فى القواعد البرية وعلى السفن ، وعلى الطائرات فى الجو ، تكمله كابلات توضع فى قاع البحر عبر مضيق جبل طارق ، لمراقبة الغواصات وسفن السطح التى تمر فيه . وبمساعدة هذه الوسيلة يمكن احصاء عدد السفن التى تمر واتجاهها لتحديد عدد الغواصات الروسية التى تمر من والى البحر الابيض المتوسط ، خصوصا وأن معاهدة مونترو تلزم الغواصات السوفيتية بالمرور طافية على السطح عبر المضايق التركية . ولكن الغواصات السوفيتية الآتية من الشمال تمر تحت الماء عبر مضيق جبل طارق .

فى غرب البحر الابيض المتوسط ، اصبحت سيطرة الغرب — وقد كانت قائمة من قبل — مهددة بسبب القومية المتعصبة فى الجزائر . والنشاط المتزايد للاسطول الروسى . اذ تتكرر زيارة الرجال العسكريين السوفييت للجزائر ، والصواريخ الروسية المضادة للطائرات سام تحمى قاعدة المرسى الكبير الجوية ، وكانت فرنسية فيما مضى ، كما أن الميناء بها سلطات سوفيتية ومستشارون بحريون كما أن الجزائريين يشغلون عددا صغيرا من قوارب الداوريات المسلحة بالصواريخ .

ولمطارات الجزائر الاثنى عشر اهمية حيوية لاستراتيجية غرب البحر الابيض المتوسط . وقد مهدت ومدت مدارجها لتكون صالحة للنفاثات بمساعدة الروس ، ونشرت فيها الطائرات المصرية TU-16 بعد حرب الايام الستة الاسرائيلية العربية . كما كان بضعة آلاف من الخبراء السوفييت يعملون فى مشروعات مساعدة اقتصادية ، وفى تدريب القوات المسلحة الجزائرية على استخدام الدبابات الروسية ، وطائرات الميج ٢١ والاسلحة الروسية الاخرى .

ومطارات الجزائر — كقاعدة جيدة للقاذفات السوفيتية — تسبب تهديدا أكيدا للاسطول الامريكى السادس وحلف الناتو . فاذا ما وضعت فيها طائرات معادية ، فلن غرب البحر الابيض المتوسط سوف يصبح ميدانا للنزاع . ولتكون خطط الحرب واقعية ، يجب أن تتواءم مع هذا الاحتمال ، وذلك بتدعيم قوة الاسطول السادس . وفى الواقع ، قد يكون الاحتفاظ بسفن السطح فى اسطول البحر الابيض المتوسط عملا باهظ التكاليف لا تتناسب مزاياه مع تكاليفه .

وفى حرب طويلة غير نووية ، سوف تزداد بالتدريج صعوبة الامداد الادارى السوفيتى لهذه القواعد ، وقد تصبح مستحيلة ، طالما احتفظ الغرب بالسيطرة على ايطاليا وفرنسا واسبانيا ومراكش . ولكن مثل هذه الحرب غير محتملة . والأرجح حدوثه أزمة عربية اسرائيلية ؛ أو أزمة فى مراكش أو فى اى مكان آخر فى افريقيا ، أو حرب عصابات على نطاق ضيق أو حرب عصيان فى افريقيا . ولا يستبعد حدوث أزمة عالمية قد تصل الى التهديد بالاسلحة النووية، كما حدث فى ازمتى كوبا والسويس، عندما هدد خروشوف باستخدام الصواريخ . وفى جميع الاحوال : تعتبر المطارات الجزائرية قواعد جيدة للطائرات السوفيتية ، ذات أهمية استراتيجية عظمى. فهى تسبب تهديدا عاجلا للاسطول السادس وخطوط المواصلات البحرية فى غرب البحر الابيض المتوسط ، كما تمثل خطرا جديدا على جناح الناتو الايمن . ولما كان الدفاع الجوى لفرنسا وايطاليا موجهين الى الشرق والشمال ، فقد أصبح الجنوب والغرب معرضين لهجوم مفاجىء من الجزائر . وقد يرى البعض أن ذلك لن يحدث أبدا ، وقد يكون هذا الرأى صحيحا لان هذا الهجوم مخاطرة بحرب نووية ، ولكن الجيوبوليتيكا تعنى الاوراق الهامة والمواقع والقوة . والتهديد الحقيقى من الجزائر يضع الاتحاد السوفيتى فى موقف سياسى قوى لم يكن له من قبل فى غرب البحر الابيض المتوسط ، يدعم دبلوماسيته بقوة حقيقية .

هذا تهديد حقيقى ، يمكن — الى حد كبير — احتواءه ومقابلته بطريقتين : عودة فرنسا تدريجيا للمشاركة العسكرية فى الناتو ، وقد أصبح ذلك ممكنا منذ زوال حكم ديجول ، واشتراك اسبانيا — كعضو فى الناتو أو ضمن تنظيم تعاونى يتضمن داخله جبل طارق تحت السيطرة البريطانية — فى استراتيجية البحر الابيض المتوسط ، وربما يكون ذلك ممكنا فى المستقبل بعد عودة دون كارلوس Don Carlos الى السلطة .

ولكن هناك احتمال مضاد ، اذ ابدت اسبانيا قلقها من نوايا الولايات المتحدة الامريكية فى البحر الابيض المتوسط ، كما لوحظ أن هناك تقاربا اسبانيا روسيا قد بدأ . فقد أوضح تقرير أخير أن مدريد وموسكو تهتمان بانشاء محطة جغرافية محيطية مشتركة فى جزيرةالبوزان الاسبانية، التى تقع فى الجزء الغربى الضيق من البحر الابيض المتوسط، القريب من فم مضيق جبل طارق . والاهمية العسكرية لمثل موقع الارتكاز هذا لا تخفى على أحد .

لم يقتصر امتداد النفوذ السوفيتى على الجزائر فقط، إذ تلقت مراكش بعض المعدات العسكرية السوفيتية ، كما تحاول الشيوعية استثارة القومية العربية من أجل تحقيق أهدافها . ويقوم الاسطول السوفيتى بزيارة الدار البيضاء والجزائر لدعم الوجود القائم المستمر للسفن السوفيتية فى غرب ابحر الابيض المتوسط . وتلقى هذه السفن مراسيها عادة بعيدا عن الشواطىء ، فى البحار المفتوحة خارج المياه الاقليمية وبالقرب من جزيرة البوران ، وبانك لوسك ، وجاليت خارج الجزائر وتونس ، وفى الحمامات وخليج جابيز خارج تونس ، وجنوب صقلية ، وجنوب مالطة .

والاسطول السوفيتى فى البحر الابيض المتوسط يتكون من ٣٥ قطعة عادة ، وتصل الى ٦٠ قطعة فى بعض الاحوال . وهو خليط من القطع القديمة والحديثة ، كما هو فى أى مكان آخر . ولكن القطع المتخلفة تستبدل بسرعة بالسفن والاسلحة والتكنولوجيا والنظريات الحديثة . وان كان لا يزال متخلفا فى النواحى الادارية ، اذ ان امداده بالمياه يأتى فى سفن تجارية من البحر الاسود . وأغلب سفنه تعيد الملىء وهى راسيةأو بطريقة الامداد البطىء من الخلف . ويبدو النقص فى الصيانة ظاهرا فى بعض السفن الى حد كبير ، كما تنقصه الوسائل اللازمة للدفاع ضد الغواصات وللعمليات البرمائية . وأيضا لا يملك أى حاملات طائرات حتى الآن . ورغم ذلك فان هذا الاسطول ، وقد كان اسطولا من الدرجة الثانية منذ عشر اعوام ، أصبح يملك قوارب الصواريخ الحديثة السريعة المسلحة

بصواريخ بحر — بحر تفوق مثيلتها عندنا ، وتدعمه طائرات تعمل من مطارات بحرية ، وصواريخ جو — أرض ، وغواصات نووية حديثة ، وحاملات طائرات الهليوكوبتر وكلها عناصر هامة اضافت قوة عظمى متعددة الاشكال الى قوته ، مما جعلها موضع تقدير لكل من دراستها ، وان كانت لا نعادل قوة اسطولنا حتى الآن . والاسطول السوفيتى فى البحر الابيض المتوسط هو « اسطول قائم » له وزن سياسى لا يمكن تجاهله ، وقوة حقيقية يحسب حسابها فى السلم والحرب ، وصورة مرئية تشهد على تزايد قوة السوفييت .

ابلغت الجمعية العامة لاتحاد دول غرب اوروبا فى اوائل عام ١٩٦٧ ان البحر الابيض المتوسط لم يعد « بحيرة غربية » كما كان من قبل . « وأصبح من الخطأ الكلام عن خطر التفاف الاتحاد السوفيتى على الجناح الايمن للناتو » لأن « هذا الخطر أصبح حقيقة جعلت أعضاء الحلف يواجهون مشكلة مقابلة هذا التطويق وليس منعه » (٢) .

الى هنا تبدو مشكلة غرب البحر الابيض المتوسط الاستراتيجية مشكلة كامنة حتى الان الى حد كبير . ولكن مشكلة شرق البحر الابيض المتوسط حقيقية لأن خطورة الشرق الاوسط المتفجر تبدو ظاهرة .

وفى شرق البحر الابيض المتوسط ، تستغل سفن الاسطول السوفييتى المياه المفتوحة ، وتضع مراسيها فى مانفريدونيا Manfredonia فى بحر الادرياتيك خارج ايطاليا ، وفى خليج سيدرا وخليج السلوم خارج ليبيا ، وفى كيثيرا جنوب اليونان مباشرة ، وفى ساحل جاليتا وامور جوس فى بحر ايجه ، وفى مراسى المياه الضحلة شرق كريت وشرق قبرص وبالقرب من اللاذقية فى سوريا . ولكن الميزة الكبرى للسوفييت هى مركزهم الذى يزداد قوة باستمرار فى دول المنطقة .

والسفن الروسية تقابل بالترحاب فى كثير من الموانى الرئيسية فى شرق البحر الابيض المتوسط . ويوجوسلافيا ، دولة شيوعية ولو انها ليست تابعة ، ترحب بالزيارات الدورية لهذه السفن وتشجع المساعدات السوفيتية ، وتشايع كثيرا من المغامرات السياسية الخارجية لروسيا وليست جميعها . وفى مجال المقارنة الواقعية ، نجد أن هناك دولتين فقط يمكن للاسطول السادس ان يجرى لهما زيارات هادئة هما ايطاليا واليونان ، وحتى ايطاليا تبدو غير مستقرة من الناحيتين السياسية والاقتصادية . وقد أغلقت موانى المنطقة بالتدريج فى وجه الاسطول الامريكى السادس .

مصر

يفوق اعتماد مصر السياسى والاقتصادى والعسكرى على روسيا اعتماد أى دولة عربية كبيرة أخرى عليها ، كما يفوق اعتماد اى دولة أخرى حول حوض البحر الابيض المتوسط عليها .

تشترى روسيا أغلب القطن المصرى . وقد بنى السد العالى بالمساعدة السوفيتية ، وهناك عدة مشروعات أخرى للمعونة السوفييتية .

فى عام ١٩٦٩ ، كان هناك ٢٠٠٠ مستشار عسكرى روسى على الاقل فى مصر ، ومن عدة مئات الى ١٠٠٠ خبير من الفنيين المدنيين . كما أرسل فى أوائل عام ١٩٧٠ عدد آخر من العسكريين السوفييت الى مصر برفقة المعدات العسكرية ، وتتكون من صواريخ سام ٣ وصواريخ ضد الطيران الواطى ، وأجهزة رادار ، ومعدات اتصال لدعم جهاز الدفاع المضاد للطائرات الضعيف . كما ابلغ عن وجود طيارين وأطقم ادارة أرضية من السوفييت فى مصر . ومن المعتقد أن السوفييت يقومون بأعمال التوجيه والادارة فى مواقع سام ، وفى جهاز الانذار والادارة الجوية فى مصر . والقوات المسلحة المصرية تستخدم اسلحة أغلبها اسلحة روسية . كما يقوم الطيارين السوفييت بتدريب الطيارين المصريين . والطائرات TU-16 وعليها العلامات المصرية تعمل من مطار غرب القاهرة ؛ وتطير فوق الاسطول السادس بانتظام .

والوجود الروسى فى مصر ، ولو انه يسبب احتكاكا دون شك ؛ أصبح شيئا معروفا ، كما أن المصريين يعتمدون على مساعدة السوفييت الى درجة تستطيع معها موسكو استخدام الاراضى المصرية كقواعد بحرية وجوية طبقا للامر الواقع ان لم يكن طبقا للقانون (*) . والروس يشغلون ورشة سفن فى الاسكندرية ، وسفنهم تستخدم موانى الاسكندرية وبورسعيد للصيانة واعادة الملىء باستمرار . ويبدو أن هناك سياسة روسية تستدعى بقاء بعض من وحدات اسطول البحر الابيض المتوسط السوفيتى فى أى من الميناءين او كلاهما باستمرار لمنع الهجوم الاسرائيلى . والخط الجوى السوفيتى ايروفلوت يسير بانتظام الى القاهرة . ويمد خدماته الى اسوان والى أمكنة أخرى فى افريقيا .

(*) أكد الرئيس أنور السادات فى حديثه الى رئيس تحرير مجلة نيوزويك الامريكية فى ٧١/١٢/٧ أن مصر لم تمنح قواعد وانما منحت تسهيلات .

تساعد العداوة العربية الاسرائيلية المثيرة للعواطف روسيا على امتطاء الريح السائد . ولكن استثمار مصادر البترول فى الصحراء الغربية بواسطة شركات من الغرب ، واستثمار رؤوس الاموال الامريكية فى مصر ، وعودة العلاقات بين القاهرة وواشنجطن ، كلها عوامل تساعد على اضعاف النفوذ السوفيتى القوى الحالى ، ولو انها لا تستأصله، حتى لو حل النزاع العربى الاسرائيلى ، الذى لايبدو له فى الافق حلا . وقد جاء الروس الى النيل وقناة السويس املا فى البقاء هناك .

ليبيا

فى عام ١٩٦٩ ، امتد التعصب العربى ، والنفوذ المصرى ، وكذا النفوذ الشيوعى المتداخل ، الى شاطىء افريقيا الشمالى ، عندما نجح انقلاب عسكرى عربى فى ازاحة الملك ادريس ذو الثمانين عاما ، ووضع ثروة البترول التى عثر عليها قريبا فى جانب القوميين العرب النشطاء .

وهذا الانقلاب — كالحرب الاهلية الصغيرة التى قامت فى لبنان — مؤشر آخر يؤكد أن الحكومات العربية المعتدلة فى طريقها الى الزوال . وقد عرض هذا الانقلاب الرئيس بورقيبة ، وهو صديق للغرب ، لضغط متزايد من ليبيا والجزائر ، ولم يبقى من هؤلاء المعتدلين الا مراكش ، ولبنان التى لا تاثير لها والتى تمزقها القلاقل الداخلية ، والاردن والعربية السعودية . وقدر المعتدلين — وخاصة من كان منهم يسير مع الغرب من الدول العربية — محتوم طالما بقى النزاع المستقطب بين العرب واسرائيل دون حل .

عندما حدث الانقلاب ، كانت ليبيا — مثل كثير من الدول العربية الاخرى — قد بدات التحول عن ظلام الاقطاع والقبلية . وقد عرضت الثروة الهائلة الجديدة — وتقدر بما يزيد عن بليون دولار دخلت خزائن ليبيا الجديدة فى عام ١٩٦٩ — شعب ليبيا ذو المليونين نسمة الى ثورة اجتماعية واقتصادية وسياسية . لقد فتحت أبواب الثروة على دولة صحراوية نائمة ، بما يصل بمعدل الدخل الى ١٧٠٠ دولار لكل فرد فى عام ١٩٧٣ ، وهو يزيد عن المعدل فى بريطانيا نفسها . مع كل ما يؤدى اليه ذلك من تغييرات .

وامتيازات استغلال البترول اغلبها للولايات المتحدة ، وتحصل المانيا الغربية على ٤٠٪ من بترول ليبيا ، اذ تستثمر شركات كلها أو جزء منها أمريكى اكثر من بليون دولار فيها . ويشكل ذلك عونا ومشكلة للولايات

المتحدة فى نفس الوقت . اذ تعتمد ليبيا على وسائل التسويق التى توفرها هذه الشركات ، ولا يمكنها استبدال هذه الشركات بغيرها دون حدوث هزات اقتصادية وهبوط فى قدر العائد . ومن ناحية أخرى ، يتوقف الاستثمار الامريكى والعائد منه على نوايا الحكومة الليبية ، التى تتأثر قطعا بالنزاع العربى الاسرائيلى .

وقد تركزت أهمية ليبيا للولايات المتحدة الامريكية من الناحية العسكرية فى مطار هويلس الكبير لاغراض التدريب واستقبال الطائرات، وله أهمية كبيرة فى السيطرة على البحر الابيض المتوسط ؛ وان كان استخدامه فى الايام الاخيرة قد اقتصر على أغراض التدريب . وكان آخر مطار متاح للولايات المتحدة استخدامه فى شمال افريقيا ولكن الانقلاب أنهى ذلك .

الاردن

كانت الاردن ، وعلى رأسها بالضرورة الملك حسين ، مع العربية السعودية وتونس ولبنان أكثر الدول تعاطفا مع الغرب . ولكنها مرغمة على الاشتراك فى النزاع العربى الاسرائيلى لحدودها الطويلة المشتركة مع اسرائيل ، ولكبر تعداد سكانها من اللاجئين الفلسطينيين ، وما بها من عصابات الفدائيين . وهناك ضغوط متزايدة عنيفة تتنازعه . وقد قال فى مواجهة أخيرة « من المحال الوقوف فى وجه الفدائيين ضد تحرير فلسطين كما هو محال على رئيس الولايات المتحدة الوقوف أمام السود » .

ولا يزال النفوذ السوفيتى ضئيلا حتى الآن ، عدا بعض جماعات متناثرة من الفدائيين الفلسطينيين بحماسهم الايديولوجى . ولكن نفوذ موسكو يتزايد فى الاردن ببطء ، يؤكد ذلك الخطة الجديدة لمد خط الطيران ايروفلوت من موسكو الى عمان .

وموقف الملك حسين فى الاردن يزداد خطورة يوما بعد يوم كلما طال أمد النزاع العربى الاسرائيلى ، كموقف الملك فيصل فى السعودية ، وابو رقيبة فى تونس ، وموقف باقى المعتدلين من العرب . وقد يستطيع الجيش الاردنى السيطرة على الفدائيين الآن — ليس دون مساومة — ، ولكن ميزان القوى قد يصبح فى جانب المتعصبين الفلسطينيين مثيرى القلاقل . وهكذا تلغم الانقسامات فى العالم العربى مراكز المعتدلين ببطء .

لبنـــان

توازن لبنان سياستها بين الاديان والاجناس ، وسكانها نصفهم من المسلمين ونصفهم من المسيحيين . ومن تقاليد هذا البلد الصغير الغنى ان تبقى مفتوحة ومحايدة فى النزاع الذى يسود منطقة الشرق الاوسط ، ولكنها لم تبق منيعة ضد رياح التغيير . والنفوذ الشيوعى لم يســيطر حتى الآن . والروس مثل الغربيين يجدون فى لبنان مركز مفيــد للتسمع ونقطة انطلاق الى منطقة الشرق الاوسط . والاموال الشيوعية تنفــق فيها على بعض الصحف اليسارية فى المنطقة ، وعلى بعض وسائل الدعاية الاخرى . ويستخدم بعض عملاء الاستخبارات الروس لبنان كقــاعدة لجمع المعلومات . وجس النبض والقيــام بنشــاط خفى ، واعدادهم ملموسة الى حد كبير . ولبنان يمكن أن تصبح فى المستقبل مجالا خصبا لانتشار الشيوعية ، لانها كبلــد تجارة وبنوك ، تتأثر بالنزاع العــربى الاسرائيلى ، كما تتأثر بانشاء مراكز للبنوك والسمسرة فى مناطق أخرى.

لقد جذبت الحرب الاهلية الصغيرة عام ١٩٦٩ — التى أوقفت وعلى الارجح لم تنته بعد — لبنان من موقف الاعتدال الدقيق الى موقف أقرب الى جانب العرب والروس . لقد وقفت عصابات الفدائيين المتعاطفين مع العرب واللاجئين الفلسطينيين فى لبنان ، والتى ترتكز على سوريا ، ضد قوات الامن الضعيفة فى لبنان ، فى مواجهة حكومة منقسمة ، مما أدى الى نسف فكرة الاعتدال . كما حدث فى جميع البلاد العربية التى ارتبطت بالنزاع العربى الاسرائيلى .

تركيــا

كان تعفن العلاقات التركية الامريكية حقيقة مفزعة فى حياة الشرق الاوسط منذ بدء الستينيات . اذ دفعــت تجمعات الطلبة اليســاريين الغوغائيين . بحارة الاسطول الامريكى الى البوسفور ، واغلقت الموانى التركية فى وجهه .

والسياسة الرسمية للحكومة التركية سياسة صــداقة للولايات المتحدة الامريكية وارتباط بالناتو . ولكن الانقسام بين جماعات اليســار وطلبة اليمين المتطرف « الفدائيين » انقسامات عميقة جدا ، وقد وصل نفوذ الشيوعية الى درجة جعلت الحكومة عاجزة عن المحافظة على النظام والاستقرار . بدأت مظاهر الفوضى ومعاداة الامريكيين نتيجة لانتخابات عام ١٩٦٩ ، التى أدت الى عودة الحكومة ، والى خسران لحزب العمال

اليسارى . ويجب على الساسة الاتراك أن يوفروا استقرارا أكثر فى المستقبل القريب رغم هذه الظروف . ولكن المسرح السياسى التركى شديد الحساسية ، والمنشقين واليساريين أقليات لها صوت مسموع وجيدة التنظيم ، وليس من المنتظر ان تختفى من هذا المسرح .

يضاف الى ذلك أن تركيا تسلك رسميا سياسة تحسين العلاقة مع جيرانها . وقد عملت على توثيق صلاتها وتحسين علاقتها مع روسيا . وكانت المساندة السوفيتية الرقيقة لموقف تركيا فى قبرص — وقد فسرت كسياسة مضادة للموقف الذى اتخذته الولايات المتحدة ضد تركيا فى هذا المجال — كانت من العوامل القوية التى اثرت على الرأى العام التركى . ولا يزال خطاب جونسون الذى كتب بأسلوب فظ — وربما كان عاملا مناهضا للغزو التركى لقبرص منذ عدة سنين — موضع اهتمام وتركيز تشير اليه الصحافة التركية وتستغله لاثارة المشاعر ضد الامريكيين . لقد ساء موقف الولايات المتحدة الامريكية نتيجة الوجود الامريكى الذى طال أمده ، وعدم امكان امداد الجيش التركى بالاسلحة التى يريدها الاتراك ، وتصاعد قوة البحرية السوفيتية فى البحر الابيض المتوسط التى تبدو واضحة للعيان عند مرورها من البسفور ، يضاف الى ذلك الصورة السيئة التى صورت بها الشيوعية فى فيتنام ، الولايات المتحدة الامريكية كقوة مستأسدة .

استغل الروس هذه الفرص وبدؤا فى القيام بنشاط خاص . فعملوا على مضاعفة تجارتهم مع تركيا ، كما تبذل روسيا جهدا لتشجيع الخلاف بين تركيا واليونان ، وكلتاهما دولتان هامتان فى جناح الناتو الايمن . كما تعاون على تطور الصناعة التركية بدعم مشروعاتها الصناعية بمعونة سوفيتية .

وتوجه الاذاعة الشيوعية المعادية تحريضا الى جماعات اليسار فى تركيا . ولا تقل صحافة اليسار التى تدعمها أموال الشيوعية عبثا عن أعنف الصحف العربية .

لتركيا أهمية عظمى من الناحية الجيوبولوتيكية فى شرق البحرالابيض المتوسط ، بالنسبة لموقعها الاستراتيجى الهام على جانبى الطرق البحرية التى تصل بين البحرين الاسود والابيض المتوسط ، بالاضافة الى انها احدى دول الرباط الشمالى التى تجاور روسيا ، وهى تركيا واليونان وايران وافغانستان . والمضايق التركية تشرف على التجارة السوفيتية البحرية المتدفقة من والى البحر الاسود . كما أن الغواصات وسفن البحرية السوفيتية تعبر مضيقى البوسفور والدردنيل لتخرج الى البحر

الابيض المتوسط . ولا تزال موسكو تلتزم بأحكام معاهدة مونترو ، التى تحدد وتقيد مرور سفن الاسطول عبر المضايق . ولكن الاتراك وافقوا على تفسير أكثر سخاء للاحكام التى تطالب بمرور القطع البحرية نهارا ، اذعانا للضغط السوفيتى . ولما كانت التجارة البحرية السوفيتية وحجم الاسطول فى تزايد مستمر ، فمن المؤكد أن الضغوط ستتزايد من أجل تعديل المعاهدة .

والقواعد الجوية فى تركيا ، وأجهزة الرادار التى تراقب الصواريخ ومنشآت المواصلات والاستخبارات الالكترونية لها اهمية كبرى للولايات المتحدة وتركيا والناتو . ومن أجل المحافظة عليها فى جانبنا ، يجب تحسين صورة الولايات المتحدة الامريكية بجعل الوجود الامريكى أقل ظهورا ، وتخفيض عدد الامريكيين بها من العسكريين والمدنيين ، وذلك بنقل وظائفهم الى الاتراك بالتدريج . كما يجب اعادة تجهيز وتجديد معدات القوات المسلحة التركية ، لأنها أكبر قوة فى الناتو — تزيد عن ١٦ فرقة يدعمها ٤٥٠٫٠٠٠ من الاحتياطى المدرب . ومع ذلك فأسلحة الجيش والبحرية والقوة الجوية قديمة ومتخلفة رغم اهميتها فى منطقة البحر الاسود . وتركيا أهم من أن تهمل ، وعلى الولايات المتحدة أن تحسن علاقاتها وتزيدها ارتباطا .

والشيوعيون فى تركيا ليسوا أقوياء ، والاتجاهات التى سادت منذ مدة تبدو انها تشير الى حياد مستقل ، بسبب الصراع المستمر فى تاريخها ، والاحتكاك بجارتها الكبرى فى الشمال . والحذر الطبيعى من اطماع روسيا يمنع تركيا من أن تصبح تابعا أو اداة لها . ولكن هناك خطورة حقيقية فى تحولها الى حليف لا يوثق به من وجهة نظر الغرب والناتو .

سوريا والعراق

هما أثبت دول الشرق الاوسط فى الفلك السوفيتى ، من نواحى عديدة ، الا أن سياستهم المتقلبة ، وخلافاتهم العنيفة ، وعاطفية شعوبهم ، والسلطة المفتتة فى البلاد ، كلها عوامل يستحيل معها توفر قيادة رشيدة . وكلتاهما تعتمد على موسكو فى التسليح ، والمعدات العسكرية والامداد والتدريب ، ولقد ازداد التغلغل الاقتصادى السوفيتى فيهما . وفى العراق ، توفر للروس أول راس كوبرى اقتصادى على الخليج الفارسى ، بانشاء أول موطىء قدم بين مصادر البترول الغنية فى الشرق الاوسط . وقد دارت فى عام ١٩٦٩ مباحثات حول منح السوفييت حق استغلال بترول البصرة ، ومنح معونة سوفيتية للعراق لاستغلال حقول لم تستغل بعد ،

وايجاد سوق سوفيتية لبترول العراق ، وادت الى عقد عدة اتفـاقات اقتصادية متوالية جاءت نتيجة لاتفاق سابق تم من قبـل عام ١٩٦٧ . وتقدر المعونة السوفيتية ، بما فيها المعونة العسكرية بما يزيد عن ٧٠٠ مليون دولار لكل دولة فى هذا العام . وفى سوريا يوجد عدد من الخبراء العسكريين الروس يتراوح بين ٨٠٠ ، ١٠٠٠ خبير ، بالاضافة الى بعض الخبراء المدنيين ، ولكن عددهم اقل فى العراق . والقادة الشـيوعيون يتنقلون بين بغداد ودمشق وموسكو ومناطق أخرى فى الشرق الاوسط . وتمنح مبالغ طائلة لدعم الصحافة المتطرفة والشيوعيون العراقيون المدربون جيدا ، وهم أعنف وأخبث شيوعيين فى منطقة الشرق الاوسط ، يظهرون فى بعض الاوقات على السطح ، كقادة متطرفين للعمال فى حقول البترول فى الكويت أو فى المواقع الاخرى ، لبث المتاعب . وتستغل روسيا القومية العنيفة والكره الشديد للصهيونية والثورة الكردية والخلافات بين العراق وايران حول الحدود والملاحة وحقوق السيادة على شط العرب ، وهـو المصب الرئيسى على الطرف الشمالى للخليج ، لمضاعفة اعتماد العراق عليها عسكريا .

للعراق مصالح اقتصادية متبادلة مع الغرب تفوق كثـيرا مصالح سوريا فى هذا المجال . فشركات الغرب أول من استغل حقول بتـرول العراق ، ولا يزال خط أنابيب البترول من كركوك والموصل عبر سوريا الى البحر الابيض المتوسط شريان هام للحياة الاقتصادية لبغداد . ورغم موقف بغداد المعارض للغرب بشدة فان مكاسبها الاقتصادية لو تعاملت معه تكون أكثر من مكاسبها مع روسيا . ولكن القصة قد تتغير فى الغد . لأن الاتحاد السوفيتى يمول مشروعا لمصنع منسوجات له أهمية حيـوية لاقتصاد العراق . وحزب بغداد الشيوعى يطوق المدينة بحزام أحمر من الاحياء الفقيرة التى تحيط بها . وهو من أقوى الاحزاب الشيوعية فى الشرق الاوسط ، ويمكنه عند قيام أزمة ، السيطرة على غوغاء الشوارع ، وهى كثيرا ما اسقطت حكومة أو آتت بها للحكم .

تقوم السفن الروسية بزيارة اللاذقية بصفة دورية ، وهى ميـناء سورى ، انشىء جزء منه بالاموال الشيوعية . كما قامت روسيا بتمويل مشروع سد الفرات الذى كلف ١٥٠ مليون دولار ، وقد يغير هذا السـد الاقتصاد السورى فى وقت من الاوقات . وهناك أمل فى سوريا — كما هو الحال فى مناطق أخرى — فى مزيد من الاسلحة والمعدات التى تمدها بها روسيا . ولكن الحزب الشيوعى فى سوريا لا يزال قويا .

يتوقع استمرار عدم الاستقرار السياسى ، والفاشية ، ونمو التغلغل الاقتصادى السوفيتى ببطء — فى حقول بترول العراق على الأخص —

والتعصب العنيف الخبيث لليسار واليمين فى كلا البلدين سوريا والعراق ، وهى بيئة خصبة تستغلها الشيوعية لبث مكايدها ، وليس من الممكن السيطرة عليها أو تقدير مداها .

يرجع النفوذ السوفيتى الكبير المتزايد ، حول الشواطىء الشرقية للبحر الابيض المتوسط الى سبب واحد ، وهو النزاع العربى الاسرائيلى . فقد كانت الاسلحة السوفيتية والمعونة الاقتصادية والمساندة السياسية والسيكلوجية للعالم العربى سببا فى فتح الباب لتسلل الروسى . واتجهت واشنجطن ، حتى ١٩٦٩ ، فى أغلب الاحوال لمساعدة اسرائيل ، متأثرة باصوات اليهود فى الولايات المتحدة وخاصة فى نيويورك ، وجعلت نفسها نذلة ساذجة فى عيون العرب . واستقطب النزاع العربى الاسرائيلى فى الشرق الاوسط الى نزاع بين الشرق والغرب .

قد يكون ذلك فى صالح اسرائيل ، ولكنه ليس لصالح الولايات المتحدة الامريكية ، اذ قد يؤدى هذا الاستقطاب الى تحول النزاع الاقليمى الى مواجهة بين القوى العظمى ، ويعطى روسيا مزايا سياسية وسيكلوجية فى أغلب دول شرق البحر الابيض المتوسط . والثروة البترولية الكبرى فى المنطقة توجد فى البلاد العربية والبلاد الاسلامية (خاصة فى شبه الجزيرة العربية والسعودية وايران التى سنناقشها فيما بعد) ولا توجد فى اسرائيل . وبترول هذه المنطقة أرخص بترول فى العالم . ويدخل فى خزائن الولايات المتحدة الامريكية منه بليون ونصف بليون من الدولارات سنويا ، كما يمد غرب اوروبا واليابان بالوقود . وضياع هذا البترول سوف يجمد اقتصاد العالم الحر . وكسبه لروسيا يعنى دعما لحقول البترول المستنزفة فى باكو ، ولبترولها الاحتياطى الذى لم يستغل بعد . وليس فى اسرائيل ولكن فى الدول العربية والاسلامية — فى العربية السعودية ، وتركيا ، وايران ، والعراق ، وليبيا ، ومصر سوف نجد مطارات الارتكاز الهامة اللازمة للخطوط الجوية التجارية وللنقل الجوى من أوروبا الى جناب آسيا ، وكذا نجد الطرق البرية التى تربط القارات الثلاث .

وهذا يعنى أن المصالح المتشابكة للولايات المتحدة فى الشرق الاوسط توجد فى الاراضى العربية والاسلامية وليست فى اسرائيل . ولكن الارتباطات العاطفية لكثير من الامريكيين ، والركائز المشتركة بين الديانة اليهودية والمسيحية واثر ضغوط السياسة الداخلية كلها عوامل تربطنا باسرائيل . هذه مشكلة مستعصية ، على انها اذا لم تنته أو اذا لم تحل، فانها سوف تؤدى الى كارثة ليس فقط لاسرائيل ، ولكن للولايات المتحدة أيضا .

وفى الواقع ، تجد الولايات المتحدة الامريكية نفسها فى منطقة الشرق الاوسط بين خطرين ، لا يمكن منع احدهما الا بالتضحية بالاخر . فسياستنا الغير متوازنة التى تميل الى اسرائيل تناقض مصالحنا فى البلاد العربية والاسلامية . والعالم الاسلامى والعرب عامة يمثلون ثقافة متوافقة مع المجتمع الامريكى الى حد كبير ، باستثناء الاتجاه الجديد للمسلمين السود المتطرفين . والولايات المتحدة تدفع للتدخل فى اى أزمة تهدد وجود اسرائيل نتيجة للتعاطف الطبيعى بين قطاع كبير من الرأى العام الامريكى نحو اسرائيل ، والأثر السياسى لنفوذ اليهود فى الولايات المتحدة . تلك مشكلة متفجرة تقتضى عملا ايجابيا لمنع انفجارها قبل فوات الاوان .

لقد اصبح الشرق الاوسط مخزن بارود كما كان البلقان فى أوروبا قبل عام ١٩١٤ . ولكن ليس هناك حلا سريعا يبدو فى الافق . اذ أدى قيام اسرائيل كدولة حديثة يهودية ، من أجل هجرة اليهود العالمية اليها ، ومن أجل ايجاد وطن قومى لليهود ، بسكان يتضاعفون واقتصاد يتزايد وسط بحر من العرب المتقلبين المتخلفين تكنولوجيا ، الذين يعيشون فى نظم اقتصادية واجتماعية متخلفة ، وبحكومات واهنة ، كل ذلك أدى الى خلق نزاع بين المتناقضات ، وتسوية النزاع العربى الاسرائيلى لا يبدو ممكنا ، ليس فقط لانه لا يتوافق مع مصالح روسيا ، ولكن التسوية تقلل نفوذها وان كانت لا تنهيه . فاستمرار النزاع الحالى ، وتبادل التراشق بالمدفعية ، والغارات الجوية ، واغارات الازعاج وعمليات العصابات عبر الحدود ، يبدو انه من المحال وقفها . وقد يزداد معدلها أكثر مما ينقص . ولكن والجولة الرابعة وقيام حرب عامة أو قصيرة غير محتمل فى المستقبل القريب ، فقط ، لان أسلحة اسرائيل لا تزال متفوقة على أعدائها العرب .

وعدد العرب يزيد على عدد الاسرائيليين وان لم يكن لذلك اعتبار من ناحية الكفاءة القتالية . فاسرائيل تستطيع أن تجند ما يقرب من ٣٠٠٠٠٠ رجل وامرأة بكامل قوتها . والقوات المسلحة للمصريين والاردنيين والسوريين والعراقين تصل الى ٤٠٠٠٠٠ رجل ، يمكن اضافة ١٠٠٠٠٠ رجال آخرين اليهما . كذا يمكن اضافة ٦٠٠٠٠٠ من الجزائر — ٣٥٠٠ على قناة السويس — وما يقرب مجموعه من ٢٠٠٠٠ من الفدائيين ومنظمة التحرير الفلسطينية ، ٣٥٠٠ رجل باللواء السعودى فى جنوب الاردن ، بالاضافة الى جماعات من الجيش السودانى بما يصل بالمجموع الكلى الى ٦٠٠،٠٠٠ لا يمكن اشراك أكثر من نصفهم ضد اسرائيل مباشرة .

والقوة العربية الكبرى هى مصر ، وتملك ١٢ فرقة فى تنظيم المعركة ،

منها من سبعة الى ثمان فرق مجهزة ومستعدة للعميات ، والفرق الباقية منظمة ومدربة . وهى مسلحة جيدا بالاسلحة السوفيتية الحديثة ، تساندها ٨٠٠ طائرة وهليوكوبتر ، نصفها مقاتلة . وعلى سبيل المقارنة ، يمكن لاسرائيل ادخال من ثلاثين الى خمس وثلاثين لواء ، اى ما يعادل من تسعة الى اثنى عشر فرقة تقريبا — على أقصى تقدير — مجهزة ومدربة جيدا . وقواتها الجوية تستطيع أن تشرك ما يزيد عن ٣٠٠ طائرة فى القتال ، منها طائرات امريكية حديثة ، مثل الطائرات الهجومية الفانتوم F-4 ، A4E ، يضاف الى ذلك من ٨٠ الى ١٠٠ طائرة نقل عدا طائرات ادارية اخرى .

تبين الاحصاءات العددية والتنظيم للمعركة تفوقا عدديا للعرب مجتمعين ولكن المظهر يخالف الحقيقة فى واقع الامر . اذ ليس هناك اتحاد بين العرب ، وفى تفرق العرب تكمن احدى المخاطر فى الشرق الاوسط ، الذى يظهر فى تبادل الكلمات والاعمال العنيفة بين الدول العربية . وتحتل اسرائيل موقعا متوسطا مسيطرا بينهم ، يمكنها من تجميع قواتها الجوية والبرية ضد جيرانها الاعداء اكثر مما يمكنهم من تجميع قواتهم ضدها (*) . وهى تملك قدرة كبيرة على التعبئة ومن احتياط الحرب والمهارة المهنية والتدريب على مستوى عال فى اسرائيل . وعلى الاخص فى مجال القوات الجوية . وقد أوضحت غارات عام ١٩٦٩ .

تتحسن القوات المسلحة المصرية نتيجة المساعدات العسكرية الضخمة والتوجيهات السوفيتية . وقد أصبح تكرار الضربة الجوية الخاطفة الاسرائيلية التى حدثت فى حرب الايام الستة شيئا من الصعب توقعه ، ولو أنه غير مستحيل ، بعد نشر الطائرات وتوفير الحماية لها وتحسن نظام الدفاع الجوى فى مصر . ولكن الضعف فى الدول العربية يبدو فى المجال التكنولوجى ، وفى نواحى القيادة والتنظيم الحكومى . والعرب يستطيعون أن يقاتلوا معركة ثانية مؤثرة خلف المواقع . وبالنسبة لدعم القوات العربية بعدد كبير من المتطوعين السوفييت أو بوحدات مقاتلة منهم ، يعتقد الاسرائيليون أن هذا الدعم لا يمكن أن يكون مؤثرا على ميزان القوى الا اذا كان كبيرا ظاهرا يمكن تبينه . لان اشتراك بعض الطيارين فى عمليات صغيرة غير معلنة لا يغير هذا الميزان . وقد ركزت واشنجطن وبعض عواصم الدول الغربية الاخرى اهتماما أكثر مما يلزم بالاسلحة والمعدات الروسية فى معادلة القوة فى منطقة الشرق الاوسط .

(*) من البديهى أن وجود الجيوش العربية حول اسرائيل سوف يؤدى حتما الى تفتيت قوتها اذا عملت هذه الجيوش طبقا لخطط منسقة .

ومن ناحية أخرى ، أصبحت القوات الجوية العربية — فى واقـع الامر — محمية ومحصنة أكثر ضد التدمير ، كما لم يحدث فيما مضى : ولكن الطائرات اذا لم تستخدم فعلا للحصول على التفوق الجوى تصـبح رمزا للقوة فقط ، وقدرة العرب على الارض والمعاونة الجوية وعزل ميدان المعركة والهجوم المؤثر لا تزال ضعيفة رغم تقدمها المحسوس . وقـد يساعد استخدام عدد من الطيارين المهرة السوفييت فى طائرات عربية على تحسين التوازن . لأن القوة الجوية تعنى أطقم أرضية ، وميكانيكية؛ وعمال يعملون على الرادار ، ونظام قوى للانذار والادارة الجوية ومجموعة معقدة من الوسائل التكنولوجية .

وطالما كانت الولايات المتحدة الامريكية تحتفظ بعلاقات ومواقف طيبة مع الدول العربية المعتدلة ، وباسطولها السادس فى البحر الابيض المتوسط ، فان التدخل الروسى السافر لايبدو متوقعا فى المستقبل القريب . والمواجهة العسكرية بين القوى العظمى شىء كبير من وجهة نظر الكرملين لا يمكن المخاطرة به . ولكن لا يستبعد نوع من المشاركة السوفيتية على نطاق ضـيق يتضمن اقحـام قوة روسـية تكفى لدفع اسرائيل الى الخلف كخطر محقق وقوعه غدا . ولا يسـتطيع المرء ان ينسى أن الطيـارين السوفييت تدخلوا فى الحرب الاهلية فى اليمن ، ولكن كل شىء معـرض للتغيير .

وكانت هناك دلائل مزعجة فى أوائل عام ١٩٧٠ . تبين ان الـروس سائرين فى مخاطرتهم ، وانهم قرروا تدعيم قدرات مصر بافراد من روسيا. هذا لا يعنى بالضرورة مواجهة سافرة ، لان العسكريين السوفييت الذين دعموا هوشى منه فى شمال فيتنام جرحوا وقتلوا بقنابل الولايات المتحدة دون كلمة واحدة بدرت منموسكو ، وان كان ذلك ادىالى زيادة المخاطر. قامت موسكو بهذا العمل ردا على الغارات الاسرائيلية على العمق فى مصر ، عندما ضربت اهدافا فى القاهرة وكشفت ضعف دفاع مصر الجوى . ومما يؤسف له ان اغلب غارات العمـق الاسرائيلية تمت باسـتخدام طائرات الفانتوم F 4 التى أمدت الولايات المتحدة بها اسرائيل . وقد أدى ذلك الى اتساع الهوة بين واشنطن والعواصم العربية . ودفعت هـذه الغارات الاسرائيلية العدوانية روسيا الى مساندة العرب وتوفير الحماية لهم أكثر من موازنة ما امدت أمريكا اسرائيل به من طائرات ، رغم أن تلك الغارات لم يكون لهـا الا أهمية عسكرية محدوده . لقـد تضخم ارتباط موسكو بالشرق الاوسط الى درجة لا تسمح لها بالبقاء بعيدا عن العرب الذين تحميهماذا ما واجهوا هزيمة أخرى. وبذلك ادت سياسة الولايات المتحدة ، وسياسة اسرائيل خاصة ؛ كسياسة روسـيا الى استقطاب أكبر فى الشرق الاوسط .

لا يستطيع المرء ان يتوقع سياسات حكومة سوفيتية مستقبلة ، وان كان تعاظم القوة الروسية سوف يؤدى بالضرورة الى جراة اكثر ، والاتحاد السوفيتى يريد اضطرابات محدودة فى الشرق الاوسط اليوم وحتى المستقبل القريب .

وأهم عناصر المعادلة : هو الاحتكاك المحدود . لان الاتحاد السوفيتى قلق مثل الولايات المتحدة على تصاعد الموقف فى الشرق الاوسط ، ولكن ليس الى الحد الذى يجعله يغير من سياسته . فرد اسرائيل على أعمال العرب أو الفدائيين لا يمكن السيطرة عليه ، واسرائيل وهى تعانى من استنزاف عمليات الفدائيين وما تسببه من خسائر اقتصادية ، تعلم أن التفكير فى الاستيلاء على أى عاصمة عربية يؤدى الى أزمة سياسية عظمى ولا يحقق الا القليل . كما يعرض جيشها لخسائر كبيرة فى قتال المدن ، يضاف الى ذلك انها لا تستطيع الاحتفاظ بما وصلت اليه . لانها تسيطر بمليونين ونصف من اليهود على أرض يسكنها مليون ونصف من العرب داخل حدودها الممتدة ؛ وهى تحاول أن تبتلع مالا تستطيع ابتلاعه ، وأى غزو آخر سوف يؤدى قطعا الى عسر هضم حاد .

وعلى ذلك ، ورغم انه لا يظهر فى الافق حل لهذه المشكلة التى لن يستطيع حلها الا التاريخ ، يبدو من الضرورى تخفيف التوتر فى المنطقة ، اذا أردنا منع أو تأخير وصول الشرار الى مخزن البارود ، واذا أردنا وقف تردى موقف الولايات المتحدة على وجه الخصوص فى منطقة الشرق الاوسط . ليس هناك شك فى أن الشرق الاوسط مخزن للبارود ، وان مصالح الولايات المتحدة فى المنطقة مصالح كبرى ، وان اسرائيل أصبحت الدولة النووية الخامسة فى العالم ، لانها تملك أسلحة نووية ، أو تملك القدرة على تجميعها بسرعة كبيرة ، وتملك صواريخ ذات مدى يصل الى العواصم العربية الكبرى ، وشعبها وحكومتها لا يتورعان — الى أقصى حد — عن استخدام أى أو كل وسيلة فى سبيل البقاء .

والمشكلة الاساسية لاسرائيل ليست مشكلة عاجلة ، ولكنها طويلة المدى وهى اشد خطورة من المشكلة العسكرية للبقاء . وهى مشكلة ديموجرافية مكدرة لا يبدو فى الافق لها نهاية . وكما كتب ميخائيل هوارد دروبرت هنتر :

« تواجه اسرائيل ... كل مشكلات المجتمع المتعدد الاجناس ،

الذى فيه الاقلية عدوة ، تمدها بالحياة عناصر قوية خارج حدودها تربطها بها رباط الاصل والدم » .

وعلى ذلك فهى تواجه ورطة لا يجد موهوبوها العسكريون لها حلا ، وحتى الاسلحة النووية ليس لها بها علاقة . فالحدود الامنة من وجهة النظر الاستراتيجية فى الجنوب والشرق سوف تعطيها سكان غير آمنين استراتيجيا ... ويستطيع الاسرائيليون أن يهنئوا أنفسهم لنجاحهم فى مصالحة السكان القلائل العرب داخل حدودهم على امتداد عشرين عاما . ولكن التغيير الذى حدث منذ حرب الايام الستة فى أبعاد المشكلة سوف يؤدى الى تغيير جذرى فى طبيعة الموقف . ومن الصعب — حقيقة — ان نتصور امكان مقابلة هذا التغيير الا اذا ترك الاسرائيليون بعض مثلهم الصهيونية وعادوا الى فكرة فلسطين القديمة التى يشارك فيها العرب واليهود فى ظل الســـلام » (٣) .

يبدو واضحا ان اسرائيل لا يمكنها البقاء لمدة طويلة وسط بحر من العرب تسيطر عليه روسيا وأتباعها سيطرة كاملة . اذ بدون قوة أمريكية توازن النفوذ السوفيتى ، وبدون الاسطول الامريكى السادس فى البحر الابيض المتوسط ، ستواجه اسرائيل قدرها . لكن كبح جماح النفـــوذ الســـوفييتى يقتضى كبح جمـــاح اسرائيل نفسها ، كمـــا يقتضى وقف الاستقطاب فى المنطقة ، وتحقيق توازن بين المتزعمين . كثيرا ما كانت الصهيونية واسرائيل الذيل الذى حرك كلب سياسة الولايات المتحدة فى الشرق الاوسط ، ولا يمكن تخفيف التوتر على أساس المواقت التى تجمدت فى الماضى واصـــبحت أخـــيرا أكثر مرونة . ان أول ما يجب عمـــله ، هو أن تستخدم الولايات المتحدة نفوذها وتلتزم بمسؤليتها ، وتمارس الضغط ضد اسرائيل وضد روسيا وعملائها العرب لتخفيف التوتر وليس لفرض الحل . وثانى ما يجب عمله هو تقوية الحكومات المعتدلة الباقيه فى المنطقة ، تونس والاردن ولبنان والعربية السعودية ، وبعض الدويلات التعاهدية فى الخليج الفارسى ، وايران ، لموازنة قوة وعنف المتطرفين العرب التى تساندهم روسيا . لقد كانت دبلوماسيتنا خجولة غير عاقلة ، تطابق قالبا قديما فى عصر حديث ، على أن الوقت أصبح متأخرا فى الشرق الاوسط ، ووقع أقدام قواتنا المسلحة قد يكون له اثر كبير هناك .

لا يمكن أن تكون السياسة أقوى من القوة التى تساندها . وعلى الولايات المتحـــدة أن تعدل من اسلوب سياســـتها شرق البحر الابيض المتوسط .

الامر يقتضى تقوية الاســـطول السادس اولا . لانه هيبتـــه واثره السياسى يفوقان أهميته العسكرية . والروس مصممون على ارغامه

على الانسحاب من شرق البحر الابيض المتوسط ، ومن البحر كله اذا استطاعوا ذلك . ومثل هذا الانسحاب له آثار خطيرة ، اذ يفسر بأنه قبول للهزيمة وتسليم بان البحر الابيض المتوسط أصبح منطقة نفوذ سوفيتى . وبقاء الاسطول السادس يعنى بقاء الوجود الامريكى والمصالح الامريكية فيه ، وهو يعمل « كأسطول قائم » يمثل قوة مقيدة ومانعة لحرية العمل السياسى الروسى ، كالاسطول السوفيتى فى البحر الابيض المتوسط.

لقد ضعفت قدرة الاسطول السادس القتالية ، مثل اغلب القوات الامريكية عبر البحار ، منذ أن وجهت الولايات المتحدة جهودها الى فيتنام. لقد كانت السفن القديمة والافراد قليلى الخبرة ، والطائرات القديمة ، والنقص فى قطع الغيار ، كلها عوامل انتقصت من قوته . ومن المؤسف ان حاملتى الطائرات شانجرى لا وفورستال المخصصتان للبحر الابيض المتوسط كانت عليهما طائرات مقاتلة F7 ' F4 فى عام ١٩٦٩ ، وهى أقدم من الطائرات التى كانت تمد بها واشنجطن اسرائيل . يجب تخصيص أحدث السفن ، وأحدث الطائرات ، وقدر كبير من قطع الغيار وأعلى أفراد البحرية كفاءة للبحر الابيض المتوسط ، يجب أن يخصص للاسطول السادس نفس الاسبقية للاسطول السابع فى غرب المحيط الهادى وهى أسبقية أولى ، رئيسية .

والتدعيم النوعى للاسطول يجب أن يصاحبه تغيير فى النظريات . يجب أن يبقى الاسطول السادس فى البحر الابيض المتوسط ، على الا يبقى تشكيله ثابتا كما كان يتبع فى الماضى ، ولكن يخصص جزء صغير منه للبقاء فى البحر الابيض المتوسط ، ويغير تشكيله من وقت لاخر كما يفعل الروس ، وذلك بأن تقوم وحدات كبرى بزيارة المنطقة لمضاعفة القوة الثابتة من وقت لاخر . والأرجح انها سوفتقابل بترحيب أكثر من الشعوب التى فتر شعورها نحو تواجد الاسطول الدائم . ولا يبدو هناك حاجة لزيادة فى قوة الاسطول السادس الحالية — وتعادل ٥٠ سفينة — ولكن الحاجة تدعو الى اضافة حاملة طائرات (هناك حاملتى طائرات هجومية عادة) وحاملة أخرى للحرب المضادة للغواصات بصفة دائمة . مع مضاعفة مجموعة العمليات البرمائية لتكون كتيبتين فى بعض الاوقات . وكذا تحسين الدفاع المضاد للصواريخ ونظام الصواريخ المضادة للسفن البحرية .

والاسطول السادس شديد الاحتياج لوسائل استطلاع أفضل : ففى وقت الازمات ، يجب أن يكون قائد الاسطول السادس ملما على الدوام بمكان سفن الاسطول الروسى وسفن الدول التى تسير فى فلكه . وبحرية الولايات المتحدة لا تملك من هذه العناصر فى البحر الابيض المتوسط الا عددا قليلا من طائرات الداوريات موضوعة فى روتا ، ومجموعة جناح

آخر فى صقلية ، تدعمهما بعض عناصر صغيرة بريطانية وايطالية . والموقف الحالى يحتاج بالضروره الى جناحين ، من ١٨ الى ٢٤ طائرة داوريات بحريه تعمل من قواعد برية ، اى ضعف الموجود حاليا . ووسائل الحرب ضد الغواصات التى ستدعم بهذه الزيادات تحتاج الى تخصيص سفن أحدث لها ، مجهزة بمعدات احدث ، وغواصات امريكية تعمل بالطاقة الدرية لمواجهة قوة الغواصات السوفيتية المتزايدة (هناك غواصتين أو ثلاثة غواصات أمريكية مخصصة عادة للبحر الابيض المتوسط ، بينما يتواجد فى المنطقة ٨ غواصات سوفيتية يصل عددها فى بعض الاوقات الى ١٤ غواصة) . كما يجب توزيع الوسائل التكنولوجية الحديثة — سونار الاعماق المختلفة ، واجهزة التسمع فى الاعماق ، الخفيفة الحركة ، وأجهزه الرقابة بالاشعة تحت الحمراء — فى البحر الابيض بأسرع ما يمكن . ولكن القواعد البرية هى أهم الركائز اللازمة للسيطرة على البحار الضيقة المحدد فيها المسارات كالبحر الابيض المتوسط . وكلما قل عدد القواعد الارضية التى تحتفظ بها الولايات المتحدة كلما زادت القيود التى تحد حرية العمل للاسطول السادس .

والقواعد اللازمة للولايات المتحدة الامريكة فى المنطقة من وسط البحر الابيض المتوسط الى شرقه تتضمن شبه جزيرة ايطاليا ، وصقلية ، ومالطة — والاخيرة أصبحت مستقلة عن بريطانيا ، ويسودها عدم الاستقرار الاقتصادى ، وتحاول روسيا التودد لها — واليونان وكريت وقبرص . كما أن المنشآت المتواضعة فى أثينا التى تستخدمها طائرات الداوريات البحرية ، ضرورية جدا ولا يمكن الاستغناء عنها اذا كنا نريد مراقبة مخارج البحر الاسود . ويجب الاحتفاظ بجزر بحر ايجه ، وجزر شرق البحر الابيض المتوسط المتعددة . وقواعد بريطانيا فى قبرص هى كل ما تبقى لها فى شرق البحر الابيض المتوسط من الموقف القوى الذى كانت تحتفظ به . ويجب الاحتفاظ بهذه القواعد حيث انها ضرورية وحيوية للناتو والولايات المتحدة الامريكية .

ينظر الى تركيا كمحور ارتكاز استراتيجى فى منطقة الشرق الاوسط . وموقعها الجغرافى حول مخارج البحر الاسود ، فى مواجهة روسيا عبر البحر الاسود والقوقاز ، يسيطر على الشواطىء الشمالية لشرق البحر الابيض المتوسط ، وهى عضو فى الناتو والسنتو (الحلف المركزى) تربط أوروبا بآسيا ، تلك كلها عوامل تضفى على انقرة أهمية جيوبوليتيكية تفوق قوة البلاد الحقيقية . وهى توفر قواعد برية هامة للولايات المتحدة الامريكية ، للسيطرة على شرق البحر الابيض المتوسط ، وقاعدة متوسطة الى الشرق الاوسط والاقصى ، كما توفر مركزا هاما لجمع المعلومات التكنولوجية ، بها محطات الرادار الكبرى التى ترصد انطلاق الصواريخ

السوفيتية الموجهة وسفن الفضاء التى تطلق من مواقع التجارب الروسية، وبها أيضا محطات الاتصال ومحطات استرقاق السمع الالكترونية التى تسجل نبضات الرادار السوفيتى واجهزة الاتصـــال الداخلية . وتملك تركيا أقوى جيش فى دول الجنـــاح الايمن للناتو ، وهو جيش يعانى من مشكلات الشعب المتخلف الى حد ما ، ولكنه يملك مقومات التقـــدم فى المستقبل ، كما يملك قلوب محاربة . وتركيا حليف يستحق المحافظة عليه، لذا يجب استغلال كل جهد سياسى ودبلوماسى واقتصادى وعسكرى لتحسين العلاقة بين الولايات المتحدة الامريكية وتركيا .

ولكن علاقات تركيا باليونان — وهى علاقات سيئة بالنسبة لمشكلة قبرص — تضعف الناتو . ويجب على أى تقييم حقيقى أن يضع فى اعتباره احتمال حيـــاد تركيا فى أى نزاع يقوم بين الولايات المتحدة والاتحـــاد السوفيتى ، الا اذا تضمن غزوا حقيقيا للاراضى التركية . والاتراك سوف يقاتلون ، ولكن ليس من أجل الاخرين . لقد ولت أيام كوريا ، ورفضت الولايات المتحدة الامريكية عرض تركيا بارسال فرقة الى جنوب فيتنام فى مقابل اعداد الجيش التركى بالمعدات الحديثة . وكان ثمنا غاليا جدا . وكان ذلك يشير الى نهاية مرحلة والى عودة تركيا الى سياسة التوازن الصـــعبة .

يجب على واشـــنجطن الاحتفاظ بتركيا كعنصر فعـــال فى التحالف الغـــربى ، وأن كانت لا تســـتطيع أن تعتمد بثقـــة كبيرة على الاراضى والتسهيلات التركية فى أى أزمة فى الشرق الاوســـط ، أو بين الدولتين العظمتين .

وهذا يحتم بالضرورة الاحتفاظ بالمطارات البرية فى ايطاليا وصقلية ومالطة واليونان وكريت وقبرص . كمـــا يحتم أيضا استخدام النفـــوذ الاقتصادى والدبلوماسى الامريكى لفتح بيروت فى لبنان لزيارات ســـفن الاسطول السادس .

بالاضافة الى تحسين نوعية الاسطول السادس ودعمه دعما طفيفا ، يجب تطوير القواعد البرية للقوات الجوية التكتيكية التابعة للناتو وأمريكا فى حوض البحر الابيض المتوسط . كما يجب تدعيمها ، ليس فقط فى مواجهة اســـتغلال السوفييت لمطارات الجـــزائر ، ولكن كرد على اســـتخدام موسكو قواعد فى مصر وسوريا . كذا يجب تدعيم الدفاع الجوى فى ايطاليا خصوصا فى صقلية وتعديله حسب المقتضـــيات الحالية ، على أن يركز الاهتمام فى اليونان وتركيا على انشاء قوة جوية تكتيكية وطيران للداوريات

البحرية بحجم معقول . تحتوى القوة الجوية الامريكية التى تعمل كجزء من الناتو ، على ثلاثة مجموعات أجنحة (من ٢٠ الى ٣٠ طائرة) ، تنتقل بين القواعد البرية من ايطاليا الى تركيا . وهذا الموقف المتداعى يحتاج الى زيادة بطيئة وبالتدريج تصل الى مجموعتى جناحين أو أكثر بحد أقصى من ٥٠ الى ٧٥ طائرة ، توضع فى ايطاليا وصقلية واليونان ، وربما تركيا أيضا ، ومعها تسهيلات الصيانة اللازمة لها .

التهديد بغزو حقيقى حول الشريط الساحلى فى منطقة البحر الابيض المتوسط قليل الاحتمال ، بالنسبة لمصالح دول الناتو والولايات المتحدة الامريكية المرتبطة بهذه المنطقة . والغزو المباشر لها بجيوش كبيرة قد يؤدى الى حرب عامة ، اذ لا يستطيع الناتو أو الولايات المتحدة الا يلقى بالا اذا تحركت القوات السوفيتية عبر هنجاريا أو النمسا فى اتجاه ايطاليا . ولكن الحالة لا تقتضى زيادة كبرى فى القوات البرية المخصصة للناتو ، بالاضافة الى أن ذلك غير مرغوب ، بل تقتضى أن تكسى الوحدات الموجودة لحما لتصبح قوتها كاملة ، أو أن تطور الى الاحدث اعدادا وتسليحا وتدريبا .

ليس هناك حاجة لتخصيص قوات برية أمريكية بصفة دائمة فى منطقة البحر الابيض المتوسط ، غير كتيبة البحرية التى تعمل مع الاسطول السادس ، وقوة الواجب الخاص لجنوب أوروبا ، فى ايطاليا . ولكن الموقف يقتضى أن تكون هناك قوة قتال متحالفة خفيفة الحركة ، احتياطية وفى متناول اليد ، تابعة للناتو ، فى أوروبا ، وفى الولايات المتحدة الامريكية ، جاهزة للتحرك بسرعة الى منطقة المناورة أو منطقة الخطر .

وشواطىء البحر الابيض الشمالية الممتدة من اسبانيا الى تركيا تؤمنها قوات برية متحالفة أو صديقة ، مدعمة بالمساعدة الامريكية . ولكن يوجوسلافيا والبانيا الشيوعيتين جيب خطير داخل شريط الناتو ، ولكن خطرهم ليس عاجل لاسباب ايديولوجية . بعد غزو تشيكوسلوفاكيا نشأ اعتقاد ضمنى بأن المصابين بجنون العظمة فى الكرملين قد يفكرون فى ارغام يوجوسلافيا على الخضوع باستخدام القوة السافرة ، ومثل هذا العمل سوف يواجه الناتو والغرب بأزمة كبرى ، لان تدخل الناتو من أجل دولة شيوعية مستقلة ، قد يسبب فيه انقساما ، والسلبية فى هذا المجال لها تأثير سيىء على جبهة البحر الابيض المتوسط .

مثل هذه الازمة ستكون حادة لان اليوجوسلافيين لا يرضخوا بسهولة للقوة السافرة ، وعصاباتهم فى التلال والجبال سوف تطلب قطعا مساعدة الغرب .

هناك أزمة أخرى أخف وطأة ، قد تصاحب موت تيتو الذى قارب سنه الثمانين عام ١٩٧٠ . وقد تقفز العناصر المناوئة لتيتو التى تساندها روسيا الى السلطة ، كما أن المطامع الاقليمية لجيران يوجوسلافيا فى البلقان — الذين تشجعهم روسيا قد تؤدى الى أزمة خارجية . واقتران الضغط من الداخل والخارج قد يؤدى الى حدوث انقسام فى يوجوسلافيا يؤدى الى نتائج غير متوقعة .

ليس للولايات المتحدة وحدات مقاتلة فى المنطقة الا عناصر القيادة والاركان وقوة الواجب الخاصة فى جنوب أوروبا SETAF وهى فى ايطاليا فى مدينة فينيسيا . ومن المفروض أنها ستدعم الفرق الايطالية — التى تزيد عن سبع فرق — المخصصة للناتو ، بالمدفعية والصواريخ والدعم النووى . وهذه القوة قائمة الان بمرتب مخفض يصل الى ٣٠٠٠ فرد ، ومن المزعوم أنه من الممكن رفع قواتها فورا فى وقت الحرب . والجيش الايطالى يزيد عدد أفراده عن ٣٠٠٠٠٠ تدعمها قوة جوية تتكون من ٤٥٠ طائرة متخلفة، وقوة بحرية لا بأس بهـا وحديثه الى حد ما . وهو يوفر حمـاية كافية لايطاليا ضد الهجوم البرى ، الا فى حالة الهجوم الشامل . ولكن الامر يقتضى تطوير وتدعيم الاسطول والقوات الجوية لمواجهة التهديد السوفيتى فى البحر الابيض المتوسط والمحافظة على بقائه مفتوحا لخطوط الملاحة الايطالية .

واليونان تحتفظ بما يعادل أربع فرق كاملة المرتب ، أما باقى الفرق الاثنى عشر ، فمخفضة المرتب أو تشمل الكوادر فقط ، مجموعها كلهـا ١٦٠٠٠٠ فرد . والقوة الجوية لا بأس بها وتتكون من ٢٠٠ طائرة قتال ، ولكن البحرية هى أضعف عناصر القوات المسلحة لانها تستخدم سـفن قديمة ، والجيش فى مسيس الحاجة الى معدات حديثة ، ولكن المعونة العسكرية أوقفت أو خفضت بعد الانقلاب العسكرى ، كما ضعفت القوات المسلحة الثلاث نتيجة لحركات التطهير السياسى التى واجهها الضباط .

وتركيا تملك قوات أفضل تتكون من ٥٠٠ر٠٠٠ فرد تحت السلاح ، ولكنها تحتاج الى معدات حديثة مثل باقى القوات المسلحة لدول الجناح الايمن للناتو . ومع ذلك ، لا يبـدو فى الافق بوجه عام ، تهديد خطـير أو وشيك ، بهجوم برى على الشواطىء الشمالية للبحر الابيض المتوسط.

ولكن هناك جبهة برية فى المنطقة ، حساسة وتحتـاج الى تقوية متوسطة . الشريط الطويل الضيق فى منطقة التريس اليونانية ، والتى يبلغ اتساعها من حدود بلغاريا الى بحر ايجـه ثلاثين ميلا فقط . وهى بالذات معرضة للغزو عبر سهول نهرى الفاردار واستروما الى سالونيكا

والى الشرق منها . ويمكن قطع الاقليم الى جزئين ، ولا تملك اليونان ما يكفى لمنع ذلك حاليا . ولو أن الغزو بالجيش البلغارى كله (٤ فرق مدرعة ومن ٦ الى ٨ فرق ميكانيكية) وقد يكون مدعما بقوات رومانية أو سوفيتية يحقق نصرا سريعا ، الا أنه بعيد الاحتمال لان نتائجه السياسية لا يمكن تقديرها . ولكن التهديد الحقيقى عن طريق التسرب والاثارة والتحريض السياسى ، والتحريض على الثورة بواسطة عناصر صغيرة من الجيش البلغارى فى الوقت المناسب ، هو الاكثر احتمالا فى منطقة التريس . وهذا يحقق لروسيا مزايا كبيرة تتضمن تحييد تركيا وتثبيتها ، وتطويق منافذ البحر الاسود ، وتأمين مدخل الى بحر ايجه . ويبدو ذلك غير محتمل ، ولو أن أحد سفراء الناتو أخيرا اعتبره احتمالا بين الاشكال المختلفة للصدام المحتمل أن يواجهه الناتو . ولكن يتحتم ازالة الاغراء . وتقوية الجيش اليونانى ، بتقوية لواء المدرعات الى فرقة مدرعة كاملة القوة على الاقل ، وتجديد أسلحته ، وزيادة قوة المشاه بقدر معقول ، سيكون سهلا نسبيا وممكن تنفيذه ، عندما نقرر مواصلة اعطاء المعونة العسكرية للحكومة اليونانية .

بذلك يكون المطلب الاساسى فى حوض البحر الابيض المتوسط هو مراجعة جذرية لسياساتنا فى المجال الاقتصادى والسياسى والسيكلوجى. أما من الناحيتين الاستراتيجية والجيوبولوتيكية ، فالناتو والولايات المتحدة الامريكية يمكنهما الاعتماد أساسا على قوة مشتركة بحرية جوية حديثة التسليح والمعدات ، تستند الى قوة جوية قوية تعمل من قواعد فى الشريط الساحلى حول البحر الابيض المتوسط . ويتحتم منع تفاقم موقف الغرب والولايات المتحدة على وجه الخصوص فى المنطقة كلها ، وفى شرق البحر الابيض المتوسط على وجه الخصوص . لقد اصبحنا على وشك الوصول الى نقطة اللاعودة .

لقد فقدنا الشواطىء الجنوبية للبحر الابيض المتوسط ، التى وفرت حماية للجناح اليمين للناتو فى يوم ما ، أو أصبحت سلبية الى حد كبير فى هذا المجال . كما أن الشواطىء الشمالية الممتدة من اسبانيا الى تركيا أصبحت مهددة . وقد لخص الدكتور كوترل Alvin J. Cottrell خلاصة مؤتمر عقد فى جامعة جورج تون فيما يأتى : « يبدو بوضوح أن هناك اتجاه للابتعاد عن الارتباط بغرب أوروبا (فى البحر الابيض المتوسط) .. ودول غرب أوروبا تتجه أكثر فأكثر الى عدم ربط أنفسهم أو أمنهم باليونان ولا بتركيا » (٤) .

ايطاليا لا تزال مرتبطة بالغرب ، ولكن الضربات العنيفة والاضطرابات السياسية التى حدثت عام ١٩٦٩ أوضحت قوة اليسار ، كما أوضحت

استقطاب السياسات الايطالية ، وحتى ايطاليا ليست مستقرة ، وكما قال د. كورتل « يتلاشى نفوذ الولايات المتحدة فى البحر الابيض المتوسط بالتدريج » .

اذا لم يتوفر للغرب قواعد برية فى البحر الابيض المتوسط ، فليس هناك بديل لاستراتيجية جوية — بحرية معدلة فى هذه المنطقة . وضياع القواعد البرية حول حوض البحر الابيض المتوسط يعنى شل الاسطول السادس وزوال تأثيره السياسى ، كما أن انسحاب هذا الاسطول يعتبر دليل انتصار سوفيتى له آثار هائلة فى المستقبل .

لقد أصبح الوقت متأخرا .

متأخرا هنا الان عما هو فى شبه الجزيرة العربية ، وحول سواحل الخليج الفارسى ، « قلب الارض » بالنسبة لمخزون البترول فى الشرق الاوسط ، وبؤرة مطامع روسيا .

٨

شرق السويس

هناك مثال للحد الفاصــل بين الخير والشر الذى وضعه كيبلنج فى الصراع الذى يجرى على بترول الشرق الاوسط وعلى الشاطىء الطويل الممتد عرضا من رأس الرجاء الصالح حتى بوروما ، بين الخيرين والاشرار .

حوض المحيط الهنــدى أصبح أحدث المشاهد فى درامة الســياسة الحديثة ، وقد ينافس بمرور الزمن المحيطين الهادى والاطلسى فى اهميته .

تلك منطقة لا تنفصل فيها الافعال عن ردود الافعال ، وقد تبــدو السويس ــ خصوصا منذ قفل القناة بعد حرب الايام الستة عام ١٩٦٧ ــ حدا فاصلا مناسبا ، ولكن ما يحدث فى البحر الابيض المتوسط يؤثر قطعا على ما يحدث فى البحر الاحمر ، وفى الجزيرة العربية والخليــج الفارسى . والنزاع العربى الاسرائيلى تصل ظلاله حتى الباكستان على أقل تقــدير .

وعلى ذلك يجب ان ينظر الى السياسة والاستراتيجية العسكرية ككل ، فالشرق الاوسط ــ كما ذكرنا من قبل ــ من الناحيــة الجيوبولوتيكية

يشمل كل العالم العربى ، ومعظم العالم الاسلامى ، وأهم من ذلك ، السعودية واليمن ، والدويلات والسلطنات حول خليج فارس ، وايران، والباكستان الى حد ما .

ولكن منطقة المحيط الهندى تضع لنا مشكلتين استراتيجيين متشابكين: مشكلة الوصول الى مصادر الثروة فى أفريقيا واستغلالها وتأمين التجارة البحرية حول رأس الرجاء الصالح ، ومشكلة الهند — بورما .

والمعادلة السياسية ـ العسكرية فى المنطقة كلها ، تزداد تعقيدا لبعد المسافات وعمق الخلافات ، نتيجة للصراع من أجل البقاء ، والانسحاب البريطـــانى من الخليج الفارسى ، المحـــدد له عام ١٩٧١ ، والانظمة الاقتصادية والسياسية المتخلفة ، والامال العظيمة مع القدرة الضعيفة ، والعداء ضد الاستعمار ، وفى أحوال كثيرة ، ضد الغرب ، والمشاحنات الاقليمية والاقتصادية والدينية ، والتقاليد والعادات العتيقة ، والاطماع التوسعية الشيوعية فى كل مكان .

وقد تأثر الموقف فى هذه المنطقة أكثـــر من اوروبا أو البحر الابيض المتوسط بالنزاع الصينى ـ السوفيتى ، وبالاطماع المتباينة لموســـكو وبكين .

ويبدو أن السياسة السوفيتية فى المنطقة حتى افغانستان وباكستان شرقا أى حتى نهر السند ، موجهة الى الثروة البترولية فى الشرق الاوسط أساسا ، ثم الى النزاع العربى الاسرائيلى والناتو والبحر الابيض المتوسط وافريقيا . وأما فى منطقة الهند ـ بورما ، فيبدو ان هذه السياسة موجهة أساسا الى بكين ، ثم الى الولايات المتحدة الامريكية فى المقام الثانى . ومن ناحية أخرى ، لا يزال الصينيون الشيوعيون ضعفاء . وقد لعبوا دورا صغيرا فى السياسة الثورية فى افريقيا وشبه جزيرة العرب ، ولكنهم لا يستطيعون دفع قوة كبيرة عبر البحار . بل يمكنهم اســـتغلال قربهم وضخامة قوة جيوشهم البرية ، وعصاباتهم ودعايتهم ، والتهديد بالاسلحة النووية لبسط نفوذ عميق ومستتر فى بعض الاوقات ، فى الهنـــد وبورما وباكستان .

والولايات المتحدة وهى لا تملك خبرة سابقة أو طويلة عبر التاريخ فى منطقة المحيط الهندى تواجه مشكلة عريضة : كيف تكون سياساتنا أو سياساتنا فى هذه المنطقة ؟

فلنبدأ بالجزيرة العربية والخليج الفارسى أولا .

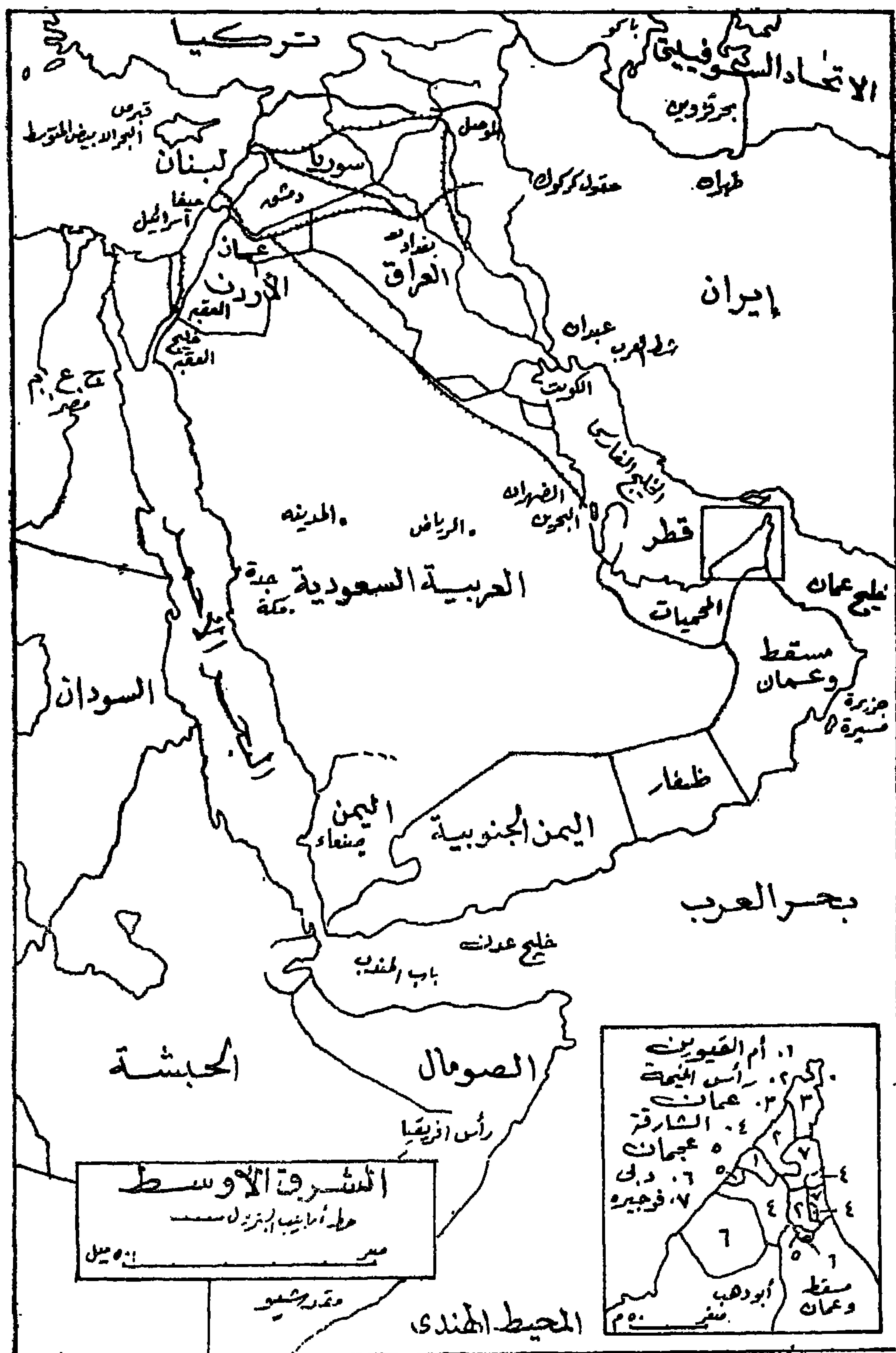
مصالح الولايات المتحدة كبيرة فى هذه المنطقة ، اذ تملك الشركات الامريكية ٤٧٪ من استثمارات البترول فى المنطقة . وفى منطقة الشرق الاوسط ، يوجد أعظم احتياطى معروف للبترول فى العالم (محتمل اكتشاف مقادير جديدة فى شمال الاسكا أو فى اوروبا) وحقول البترول فى هذه المنطقة أسهل الحقول وأرخصها انتاجا حتى الان (١) . وتستورد غرب أوروبا ، واليابان واستراليا وافريقيا أغلب بترولها من هذه المنطقة . وتمون قوات الاولايات المتحدة الامريكية فى فيتنام من وقود الشرق الاوسط . ويبلغ دخل الشركات الامريكية من استثماراتها فى هذا البترول ما بين ٢ر١ ، ٦ر١ بليون دولار كل عام . وتعتمد خمس دول هى ايران والعراق والكويت وقطر والعربية السعودية فى الغالب على ثلاثة بلايين دولار (طبقا لمعدل ١٩٦٧) تربحها سنويا من عائدات البترول . وقد بدأت الدول المتخلفة فى المنطقة تنشط بسرعة ، مع ما يصاحب ذلك من تغييرات اجتماعية واقتصادية نتيجة التحول من مجتمعات اقطاعية الى حياة القرن العشرين ، ويعتمد تقدمها على البترول الى حد كبير . ولكن هناك ضمور فى المصدر . فبينما تزداد الحاجة الى عائد أكبر من أجل التنمية ، كما هو الحال فى ايران ، تبدأ المنافسة لبترول الشرق الاوسط من مصادر أخرى .استغلت حديثا فى اليابان ، وفى شمال افريقيا على وجه الخصوص (ليبيا والجزائر أساسا) ، وهى أشد قربا الى اسواق اوروبا . وقد تجد أيضا منافسة من بترول الأسكا .

ولكن لا تميل شركات البترول الى مضاعفة انتاجها من الشرق الاوسط بمعدل سريع طبقا لما تتمناه كثير من دول هذه المنطقة ، مما يسببه تعارضا أوليا مع مصالح الغرب فى هذه المرحلة .

هذا يضيف الى النزاع العربى الاسرائيلى — وهو عامل حساس شديد الاثارة يؤدى الى عدم الاستقرار — عاملا قويا آخرا هو الاحتكاك الاقتصادى .

بالاضافة الى البترول ، هناك طريق الملاحة القصير المباشر ، ذو الاهمية السياسية والعسكرية والاقتصادية الكبيرة ، من قناة السويس الى البحر الاحمر ومضيق باب المندب ، وهو أقصر طريق بحرى من اوروبا الى المحيط الهندى ، كما انه يؤدى الى شرق أفريقيا ، مما يجعل له اهمية استراتيجية عظمى .

والخليج العربى (الفارسى) المحاط بدول ضعيفة ، ورثت المنافسات القديمة والاطماع المتضاربة ، هو صفقة أخرى غالية . اذ تخرج منه أو تدخل فيه ثمانية وخمسون سفينة فى المتوسط كل يوم ، أغلبها من ناقلات



تركيا
الاتحاد السوفيتي
باكو
بحر قزوين
طهران
قبرص
البحر الابيض المتوسط
لبنان
سوريا
دمشق
الموصل
حقول كركوك
حيفا
اسرائيل
عمان
الأردن
العقبة
خليج العقبة
بغداد
العراق
إيران
عبدان
شط العرب
الكويت
ج.ع.م
مصر
الخليج الفارسي
الظهران
البحرين
قطر
المدينة
الرياض
جدة
مكة
العربية السعودية
خليج عمان
المحميات
مسقط وعمان
جزيرة مسيرة
السودان
البحر الأحمر
ظفار
اليمن
صنعاء
اليمن الجنوبية
بحر العرب
خليج عدن
باب المندب
الحبشة
الصومال
رأس افريقيا
مقديشو
المحيط الهندى
الشرق الأوسط
٥٠٠ ميل
١. أم القيوين
٢. رأس الخيمة
٣. عمان
٤. الشارقة
٥ عجمان
٦. دبى
٧. فوجيرة
أبو ظبي
مسقط وعمان

البترول من مختلف دول العالم ، فى طريقها الى مصافى البترول الكبرى، ونقط تحميل البترول فى جزيرة الخارج وعيدان والكويت والبحرين وفى مناطق أخرى .

تتجمع الخطوط الجوية التجارية والعسكرية فى منطقة الشرق الاوسط فى طريقها بين اوروبا وأمريكا وبين شبه القارة الهندية وجنوب شرق آسيا ، وقد اضطربت هذه الخطوط العالمية فوق منطقة الشرق الاوسط الضيقة فى وقت الازمات . ومن ناحية أخرى ، تمر الخطوط الجوية السوفيتية فوق الدول التى تتعامل معها — سوريا والجمهورية العربية المتحدة والسودان — فى طريقها الى قلب أفريقيا .

ومطارى الظهران فى العربية السعودية ، وطهران فى ايران ، بالاضافة الى حقوق الطيران فوقهما ، جميعها ضرورية لاى عملية نقل جوى سريعة ، تجارية أو عسكرية . بالنسبة لاهمية موقعهما الاستراتيجى .

للولايات المتحدة الامريكية مصالح عظمى فى هذه المنطقة خاصة فى النطاق الاستراتيجى على المدى البعيد ، وهى مصالح بالتأكيد مهددة .

شبه الجزيرة العربية

الثروة البترولية الهائلة والموقع الجغرافى لشبه الجزيرة العربية ، الذى يسيطر على البحر الاحمر والخليج الفارسى ، يجعلان المملكة العربية السعودية الصحراوية والدويلات التى تجاورها أهدافا طبيعية للأطماع السوفيتية . والمملكة العربية السعودية تحت حكم الملك فيصل ، وبها أرامكو (شركة البترول العربية الامريكية Aramco) صاحبة الامتياز الاول ، دولة محافظة تلتزم بصلابة بالتعاليم القديمة للقرآن . (تقطع يد السارق اليمنى ، ويرجم الزناة حتى الموت) . ومكة ، وهى مركز اسلامى للمسلمين فى العالم تجذب مليون وأكثر من الحجاج كل عام ، وهم أكثر شعوب العالم تأثرا بالاثارة . والشيوعية ممقوتة على الصعيد الرسمى ، ولكن الصهيونية أيضا كذلك . وقد انعكس الشغب الذى صاحب النزاع العربى الاسرائيلى بمهاجمة ثكنات بعثة التدريب العسكرى الامريكية فى الظهران وتحطيم اثاثها ، أثناء هياج جماهير العرب بعد حرب الستة أيام .

والعربية السعودية مملكة غنية محافظة وسط بحر من المتطرفين العرب ، وكل نزاع عربى اسرائيلى ينعكس تأثيره فى الرياض وجدة .

وفيصل ليس له مصلحة فى الشيوعية ، ولكن الشيوعية السوفيتية تساند العرب ، وفيصل مثل حسين فى الاردن يحاول امتطاء جوادين ، كلاهما شرس . وفى الغالب سوف يحافظ فيصل على العربية السعودية مستقرة الى حد كبير ، بعيدة عن الشيوعية طالما بقى حيا . وبعد وفاته ، يتوقف الاستقرار على قوة وسلوك من يخلفه ، الذى سوف تختاره اسرة سعود الكبيرة العـــدد .

هناك زمرتان تتنافسان على السلطة ، كلاهما تواجه الاخرى بعنف، هما الامير خالد ، وهو لطيف ولكنه غير ذو تأثير ، ويعرف بأنه خليفـــة فيصل ، والامير فهد ، وهو قـــوى وقادر ، وهو نائب رئيس الوزراء . ومن المسلم به ان هذا التنافس له أثر على الجيش السعودى النظـــامى الذى يقوده منافس خالد على السلطة — الامير عبد الله يقـــود المليشيا القبلية والحرس الملكى الذى يسمى بالجيش الابيض . والجيشـان — وهما صورة صادقة لعملية التوازن المعقدة التى هى جزء من سياسة العربية السعودية منذ عدة سنوات — متعادلان فى العدد الذى يبلغ من ٢٠٫٠٠٠ الى ٣٠٫٠٠٠ لكل ، والتسليح، ولو أن المليشيا ، أى الجيش الابيـــض ، متفوقة فى روحها المعنوية وتصميمها على القتال . وعلى ذلك ، فقـــد يتوقع حدوث أزمة سياسية أو نوع من الحرب الاهلية بعد وفاة فيصل ، تضيف مشكلة أخرى الى مشاكل العربية السعودية . ومن المؤكد أن المتنافسين سيوفران لروسيا فرصة تمارس فيها سياسة فرق تسد . ومن المعلوم أن مشكلات الخلافة — وهى مشكلة كبرى فى البلاد العربية دائما — وتحول العربية السعودية من اقتصاد صحراوى قبلى الى اقتصاد القرن العشرين سوف تؤدى بالتأكيد الى الاحتكاك والانشقاق .

والتسلل الشيوعى الخطير للعربية السعودية نفسها لا يبـــدو له وجود ، ولو أن هنـــاك متعاطفين معه فى الخفاء ، وشعور دفين ضـــد الامريكيين . ومثل جبل الثلوج — يختفى الجزء الاكبر منه تحت السطح — قد يكون هناك فى السعودية عصيان جزؤه المختفى أكبر بكثير مما تســـمح الادارة الصلبة والبوليس القوى بظهوره فوق السطح . وقد وافقـــت العربية السعودية على تصدير البترول الى رومانيا . وفى سنة ١٩٦٩ ، قامت قوات الامن السعودية باعتقالات واسعة متوالية ، شملت بعـــض الطلبة وقليل من ضباط الجيش والبوليس وخفر السواحل ، ودعمـــت الحراسات حول محلات اقامة العائلة الملكية ، وفى نفس الوقت ، تفاقم غضب الملك فيصل ضد السياسة الامريكية « الموالية تماما » لاسرائيل . كما وصلت خيبة أمل السعودية فى الجهود التى تبذلها واشنجطن للوصول الى حل المشكلة العربية الاسرائيلية ، الى الذورة . والحدثان مرتبطان ببعضهما الى حد كبير . فسياسة روسيا تعمل على توسيع الجـــروح

العميقة فى نفوس العرب ، وسيطرة اليهود على قبة الصخرة والمزارات الاسلامية الدينية الاخرى شرق القدس تعتبر اهانة مستمرة . وعلى الذين يعتقدون أن العربية السعودية فى المعسكر الغربى أن يتذكروا دائما انها كشريك فى الصراع العربى ضد اسرائيل قد وضعت لــواء يتكون من ٥٠٠٠ رجل فى جنوب الاردن مدة طويلة .

والعربية السعودية اشد البلاد الاسلامية تمسكا بالدين ، والنزاع الدينى تزداد أهميته شيئا فشيئا فى صدام الشرق الاوسط العميــق . وبالرغم من أن العالم الاسلامى منقسم على نفسه ، ومتخلف الى حــد لا يسمح له بالقيام بعمل موحــد مؤثر ، وبالرغم من أنه يحتاج لقــائد دولى ملهم ذو قدرات سياسية وعسكرية فائقة ، فان الدعوة للجهــاد والحرب المقدسة ضد اسرائيل ، التى نادى بها عاليا فيصل وناصر عام ١٩٦٩ ، بعد حريق المسجد الاقصى فى شرق القدس ، لها أثر يتزايد .

وهدف الشيوعية النهائى فى المملكة واضح ، ويرمى الى التأثير على الارتباطات الدينية للجماهير ، وحجب قيمهم الروحية ، واثارة ازمات القيم التى هزت الغرب وساعدت على تمهيد الطريق لنشر الايديولوجية الشيوعية .

وتركزت اطماع روسيا حتى الآن فى المناطق الهامة من شبه الجزيرة، فى الدول الساحلية الغنية ، الضعيفة البدائية ، التى كان يسيطر عليها البريطانيون . وهى الان اما مستقلة أو على وشك الاستقلال . فقد بدأت عدوى الشيوعية فى مملكة اليمن البدائية على البحر الاحمر منذ عــدة سنين ، حيث شـــنت الحرب الاهلية بعنف بين الحكومة الجمهـــورية ، تساندها مصر وروسيا ، والحكومة الملكية تساندها العربية السعودية .

لقد انتهت الحرب ولكن النزاع مستمر ، ولو أن الصلح تم بين الجانبين . وقد ضعف النفوذ الروسى الذى كان مسيطرا فى المنطقة منذ عدة سنوات، ولكن الروس لا يزال لهم وجود فى اليمن ، اذ يوجد بها ٢٠٠ سوفيتى منهم بعض الطيارين ، يديرون القاعدة والمينـــاء والمطار المجددة حديثـــا فى الحديدة على البحر الاحمر . هناك حوالى خمسين طائرة سوفيتية تشكل تهديدا حقيقيا للعربية السعودية جارتها ، ويبدو أن هناك اتفاقا تم مع موسكو أخيرا على المعونة العسكرية بالاسلحة . ومازال عدم الاستقرار وعدم النظام يسودان اليمن ، ولم تتخل روسيا عن اطماعها فيها .

ومع ذلك ، يبدو ان مركز النشاط السوفييتى انتقل الى عدن وجنوب اليمن منذ انسحاب البريطانيين فى عام ١٩٦٧ وقيام حكومة متطــرفة

ومتعصبة ضد الامريكيين . ولروسيا سفارة فى عدن بها خمسون فردا . وقد قام العسكريون الروس بزيارة الميناء فى أوائل عام ١٩٦٩ ، ونقلت اليها الطائرات السوفيتية جناح مقاتلات ميج ١٧ ودبابات وصواريخ ومدافع مضادة للطائرات ، ومدفعية وأسلحة أخرى . كما بدأت بعثة عسكرية العمل على تدعيم القدرة القتالية العسكرية لليمن الجنوبية ، وعزز المطار القريب من ميناء عدن — وموقعه منتخب جيدا من الوجهة الاستراتيجية — بالرادار والمعدات الاخرى لزيادة كفاءته . وقد أدى السلوك العدوانى المتطرف للحكومة الى وقوع صدامات مع العربية السعودية على حدود حضرموت ، وهى حدود لم تعين بعد ، وكانت تعرف أيام الاحتلال البريطانى بمحمية عدن الشرقية .

ولكن جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ، وتشمل عدن ، تبدو معرضة ، مثل جارتها اليمن ، الى نزاع مستمر على الحدود ، ونزاع آخر داخلى ، وعدم استقرار اقتصادى أو سياسى ، ربما يصل الى حرب أهلية . العداء القبلى هو مصدر البلاء فى شبه الجزيرة العربية ، ويبدو انه يضعف الجهود التى تبذلها روسيا للمحافظة على حكومة صنيعة فى جنوب اليمن ، وقبائل العصاة من العوالق وغيرهم قد يوحدون صفوفهم مع الجيش الصغير ضد أقصى اليسار فى حكومة عدن . كذلك التخلف الاقتصادى فى اليمن لا يبدو له علاج سريع . فقد تضاءل سكان المدينة بما يعادل الثلث منذ انسحاب البريطانيون فى عام ١٩٦٧ . وكانت الميناء مركزا هاما للتموين بالوقود واصلاح السفن عندما كانت ميناء السويس مفتوحة ، ولكنها أصبحت الآن خالية تقريبا . والمعونة السوفيتية الاقتصادية تبدو طارئة غير مستقرة فى سياستها لأن موسكو ، كما يبدو ، تنظر الى مستقبل الجمهورية بحذر شديد . وبالرغم من ذلك فان عدن تعتمد على الاتحاد السوفيتى الى أقصى حد ، وليس هناك بديل لجمهورية اليمن الجنوبية الشعبية أو جبهة التحرير الوطنية المتمركزة هناك .

هذه السيطرة السوفيتية على مضيق باب المندب والمدخل الجنوبى للبحر الاحمر يدعمها اكثر التسلل الروسى الشيوعى الخفى — السياسى والاقتصادى والسيكلوجى — فى الصومال والحبشة والسودان التى تسيطر عليها حكومة يسارية . وقد انشأ الروس فى بربرا — احسن مرفأ فى الصومال — ميناء حديثة ، يزورها كثير من السفن الحربية السوفيتية ، وهى متصلة بموسكو باجهزة لاسلكية قوية جدا . وهذه الميناء القريبة من « قرن افريقيا » تسيطر مع عدن على خليج عدن وتوفر قاعدة للتسرب الى شواطىء أفريقيا الشرقية والى المحيط الهندى .

يصعد السوفييت الهجوم ضد واحدة من أكثر الدويلات العربية تخلفا — سلطنة مسقط وعمان — وهى فى منطقة وعرة شاسعة غير معروفة فى جنوب شرق شبه الجزيرة العربية . ويواجه السلطان سعد بن تيمور — الذى حافظ على سلطنته منعزلة ومعزولة عن العالم الخارجى الى أبعد حد ممكن فى القرن العشرين — ثورة نشطة ، وهى حرب عصابات صغيرة تباركها جبهة تحرير عمان التى اندمجت فيما يسمى بالجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربى المحتل .

الاهداف العاجلة لهذه العصابات المقاتلة هى قوات السلطناة التى يقودها ضباط بريطانيون وتتكون فى أغلبها من قبائل البلاوس Baluchis وقد حدثت فعلا عدة خسائر فى بعض الانجليز وأفراد من هذه القبائل فى الحرب الصغيرة التى لم تعلن ، والتى زادت حدتها بفضل الصينيين الشيوعيين الذين يدربون مالا يقل عن خمسين من الثوار الظفارين والذين كانوا يساندون ما سميت بجبهة تحرير ظفار — وهى جزء من السلطنة — بقدر قليل من الاسلحة الصغيرة والاتوماتيكية . والحرب الصغيرة فى مسقط وعمان لها أهمية كبيرة بالنسبة للغرب ، لأن البريطانيين وهم ملتزمين بترك اجزاء أخرى من الخليج الفارسى فى نهاية عام ١٩٧١ ، يخططون للاحتفاظ بموضع قدم فى مسقط وعمان ، ومطار على جزيرة مسيرة المجاورة لها .

يتسرب العملاء بالمراكب الشراعية من عدن الى مسقط ثم الى مشيخات الخليج الصغيرة . وقد ساعد تخلف المنطقة وعدم استقرارها على تسرب الشيوعية الى الشاطىء الشرقى لشبه الجزيرة العربية الذى يطل على الخليج العربى ، كما أدى اكتشاف الثروة البترولية الجغرافية حديثا الى زيادة الأمور تعقيدا .

وعلى امتداد الشاطىء الغربى للخليج الفارسى ، شمال مسقط وعمان ، هناك تسع دويلات صغيرة — محميات صغيرة بريطانية أو امارات أو مشيخات — تصل فى الشمال الى الكويت الغنية بالبترول على رأس الخليج . وبعضها اكتشفت حديثا ثروات بترولية لم تكن متوقعة ، مثل أبو ظبى — وتعدادها ١٦٠٠ نسمة — التى سوف يصل مستوى دخل الفرد فيها الى أعلى مستوى فى العالم بفضل ما سوف تحصل عليه من دخل من البترول فى عامه الاول . ومنذ اعلان الانسحاب البريطانى من الخليج تحاول هذه الامارات التسع تكوين اتحاد الامارات العربية لتصبح لها قوة جماعية أكبر مما تملك أى منها منفردة . ولكن لهذه الامارات مطالب اقليمية متعارضة ، وحدودها غير معينة ، وبينها خلافات واحقاد ونزاع دفين . وقد احرز الاتحاد تقدما حثيثا حتى الان . ولكن المتطرفين

فى هذه الدويلات يخططون سلوكهم وينظمون الخلايا لاثارة الاضطرابات والثورات بمساعدة الروس .

ومنذ انسحاب البريطانيين من عدن ، وضعوا القيادة البريطانية للمنطقة كلها فى جزيرة البحرين ، وموقعها الاستراتيجى فى الخليج قريب من مطار الظهران السعودى . وقد استخدمها الاسطول الامريكى خلال العشرين سنة الاخيرة مركزا لقيادة قوة الشرق الاوسط الصغيرة التى تتكون من ثلاثة سفن . وهذه القوة ، بقيادة ادميرال ، هى قوة سياسية سيكلوجية اكثر منها عسكرية ، تتكون من مدمرتين وطائرة بحرية حاملة العلم ، وتزور سفنها موانىء فى بعض مناطق من المحيط الهندى لاظهار العلم الامريكى واثبات الوجود وجس النبض ، وليس لهذه القوة قاعدة محددة ، اذ كانت تستخدم المبانى والموانىء والثكنات ومنشآت العلاج والنقاهة البريطانية فى البحرين منذ عدة سنين . والسفن البريطانية فى الخليج — وتتكون من كاسحات الغام وقوارب داوريات أساسا — سوف تنسحب أو تعود الى البحرين أو الى الامارات الاخرى ، وكانت الولايات المتحدة الامريكية تتفاوض مع بريطانيا للاستيلاء على بعض التسهيلات الارضية فى البحرين . وقد ازدادت أهمية هذه التسهيلات — ولو انها تسهيلات متواضعة — منذ تقفل قناة السويس وتأثر خطوط امداد قوة الشرق الاوسط تأثرا شديدا . واذا اريد الاحتفاظ بهذه القوة قادرة على العمليات ، يتحتم تخزين بعض الاجزاء الاحتياطية وقطع الغيار للسفن .

والعائلة الحاكمة فى البحرين — وعلى رأسها الشيخ عيسى بن سلمان الخليفة — تميل بشدة الى الامريكيين والغربيين ، وهى تتوق كثيرا الى الاحتفاظ بالامريكيين . ولكن رياح التغيير تهب حتى هناك على الخليج ذى المياه الهادئة . وتحاول البحرين كباقى دويلات الخليج الاخرى تكوين وتدريب مليشيا أو حرس وطنى بسرعة ليحل محل القوةالبريطانية التى تفرض الاستقرار . اذ تشعر العائلات الحاكمة بأن المزايا الملكية التى يتمتعون بها مفارقة تاريخية فى القرن العشرين .

للكويت منزلة خاصة بين دويلات الخليج الفارسى الصغيرة ، وكذلك فى خطط الغزو السوفيتى . فهى احدى الدول الغنية بالبترول فى الشرق الاوسط ، وتكاليف استخراج البترول فيها قليلة الى حد خيالى . وقد استبعدتها جبهة تحرير الاجزاء المحتلة من دول الخليج من خططها حتى الآن ، كما يبدو ، ربما لانها دولة مستقلة ممثلة فى الامم المتحدة ، والأرجح لأن روسيا تحتفظ فيها بسفارة نشطة . وكان البريطانيون يسيطرون عليها حتى عام ١٩٦١ . وفى عام ١٩٦٣ ، دفعت ثمنا غاليا لعضوية الامم المتحدة . بعد أن سحب الروس اعتراضهم على عضويتها فى مقابل

الاعتراف بهم . وبعد الاعتراف لم يكن هناك من الدبلوماسيين فى السفارة الروسية فى الكويت الا سبعة ، كلهم من المخابرات وقد بدؤا — بمساعدات جبهات التحرير الوطنية — فى انشاء جماعات اليسار فى حركة التحرير الوطنى العربية . والتسلل الرئيسى لمنطقة الخليج يأتى أغلبه ، وليس كله من عدن .

وسكان الكويت ٦٠٠,٠٠٠ نسمة ، ٦٠ ٪ منهم من الاجانب ، نسبة كبيرة منهم من الفلسطينيين . وهى اشد الدول العربية دعوة الى العروبة . وهى تعادى الصهيونية بصلابة ، لم تقبل وقف اطلاق النار مع اسرائيل ، وسوف لا تقبل أى تسوية سلمية ، كما يقول دبلوماسيون عالمون ببواطن الامور . والكويت هى أحدى موارد المال الكبرى للشئون العربية . فهى تمد مصر والاردن بدعم مالى منذ حرب الايام الستة وقفل قناة السويس . كما مولت مشروعات صحية وتعليمية للدول العربية الاخرى ، وأعطت قروضا للعراق تبلغ ٨٤ مليون جنيه . وكانت قد هددتها بالغزو أثناء نزاع قام بينهما حول السيادة والحدود ، وقد هدأ ولكنه لم يسو بعد .

ورغم كل ذلك ، ورغم التطرف السياسى ، يعمل مثيرى القلاقل من شيوعيى العراق ، ويبدو أنهم يعملون بتشجيع من السوفييت ، على تنظيم العمال فى اتحادات راديكالية تحت النفوذ الشيوعى ، ويبدو خطر العصيان الداخلى شيئا متوقعا خصوصا من الجزء الغير كويتى وهو الغالبية من السكان . والسفارة السوفيتية فى الكويت لا تزال نشطة ، وعلى راسها سفير مدرب على جمع المعلومات واثارة أعمال العصيان . وتقوم السفارة بجهود تنظيمية فى الخفاء ، بينما تنشط فى العلانية لرعاية وتنمية الاتفاقات التجارية . واجتذبت الكويت اليها لثرائها الصينيين والبلغار والهنجار والبولنديين والتشيك واليوجسلاف ولكن باعداد قليلة وذلك للحصول على جزء من تجارة الكويت الدولية مثل روسيا .

فكرة الغرب ، والنظرية الاقليمية لملىء الفراغ الذى سينتج من انسحاب بريطانيا من شبه الجزيرة العربية ، كلاهما بسيط : فى الاتحاد قوة ، ولكن النزاع بين دويلات المنطقة ، والمطالب الاقليمية المتعارضة ، والشك ، والحقد ، وعوامل الاثارة السياسية والشخصية والاقتصادية تبدو وكأنها اقوى من المصالح المشتركة .

استورد سفير الولايات المتحدة فى الكويت هوارد كوتام منذ ست سنوات ، كرة أرضية لمكتبة مبينا عليها دول العالم ، وقد بقيت فى جمرك الكويت لمدة أكثر من ستة اسابيع ، لأن الرسميين طلبوا بأدب وتصميم مسح دولة اسرائيل وتغيير اسم الخليج الفارسى الى الخليج العربى .

وخلاصة القول ان التسلل الشيوعى فى شبه الجزيرة العربية يعتمد على المشاحنات المحلية ، وله منهاج مدبر طويل كما قال أحد الدبلوماسيين « للروس سياسة توسعية ايجابية فى الخليج وفى شبه الجزيرة العربية ، بينما الانجليز يقتلعون انفسهم ، ولا يفعل الامريكيون شيئا » .

ايــران

منذ قرون مضت ، كانت ايران الدولة الكبرى فى الشرق الاوسط . وهى لا تزال تزهو بماضيها ، وهى مسلمة وليست عربية ، بمعزل عن النزاع العربى الاسرائيلى ، عــدا صلتها الدينية به . ولكن تغمـــرها الصراعات الاقليمية . وهى تطالب بالبحرين ، ولكن بتحفظ ، وقد اتفقت مع السعودية على خط حدود متوسط فى الخليج . ولكنها فى نزاع شديد مع العراق ، وعلاقتها بالعرب عامة وناصر خاصة شديدة الحساسية . ولكن الشاه مصمم على أن يكون هناك تسوية للمشكلات الاقليمية ، وهو يرى ان ايران وجيرانها ، خصوصا العراق والعربية السعودية ، يمكنها ان تحل محل بريطانيا فى الخليج .

ولكن قدرة ايران العسكرية محدودة جدا . فقوتها الجوية صغيرة ولكنها فعالة ، وتتكون من ١٥٠ الى ٢٠٠ طائرة قتال بينها طائرات F 4 الامريكية . وهى أحسن قوة جوية فى الشرق الاوســـط اذا ما قورنت طائراتها وطياريها بما تملكه القوات الجوية للدول الاخرى فى هذه المنطقة. وهى — كباقى القوات الجوية لهذه الدول — قوة ضربة واحدة ، وليس لديها قدرة كافية لعمليات جوية مستمرة . أما القوات البرية والبحرية الايرانية فضعيفة . وقد عملت البحرية على انشاء جناح صغير ولكن حديثا نسبيا من الفرقاطات للعمل كداوريات فى الخليج . ويتكون الجيش البرى من سبع فرق ولواء مظلات ، وجميعها دون المرتب ، وفى مرحلة اعادة التنظيم ، وبعضها قائم فى حجم لواء فقط . هــذا بالاضافة الى ٥٠٫٠٠٠ من الجندرمة جيدة التدريب موالين للشاه تدعم الامن الداخلى على وجه الخصوص ، وتصل بالقوات العسكرية الى ٢٠٠٫٠٠٠ . يتوق الشاه بشدة الى تقوية وزيادة حجم قواته المسلحة ، والقوات الجوية على وجه الخصوص بأسرع ما يمكن ، ويصرح بانه سوف يحصل على السلاح والمعدات من اى مصدر ، من روسيا اذا لم تكن الولايات المتحدة قادرة أو راغبة فى امداده به . وفى رأيه ان العمل المشترك لدول الشرق الاوسط ، خصوصا العربية السعودية وايران سوف يمكنها من حــل مشكلة أمن بلادها دون حاجة الى قوات كبرى من خارج المنطقة ، على أساس حسن العلاقة القائمة بين ايران والاتحاد السوفيتى . ويعنى هذا

سياسة متفق عليها بين روسيا وايران التى تعمل على تحسين علاقاتها بجارتها العظمى تركيا .

تتضاعف تجارة روسيا مع ايران ، ومنها الى دول شرق اوروبا التى تدور فى فلكها والى دول غرب اوروبا أيضا . فيما عدا البترول الذى يذهب أغلبه الى الاسواق الغربية ، ولا يذهب منه الى الاسواق الشرقية الا ما يعادل ٢٧٪ من صادراته . وينشأ حاليا خط انابيب لغاز البترول يصل من منطقة الابار فى ايران الى داخل روسيا . وقد وافقت على مد روسيا بكمية من هذا الغاز تعادل الكمية التى تصدرها روسيا من آبارها الى غرب اوروبا ، وروسيا تقايض على ما تأخذ وتحصل ثمن ما تصدره بالعملة الصعبة . وقد بلغ قدر المعونات الروسية لايران حتى الآن بليون دولار ترد خلال خمسة عشر سنة قادمة من ثمن الغاز الايرانى . ومشروعات المعونة تتضمن قيام الروس ببناء مصنع للحديد بالقرب من اصفهان ، ومصنع ماكينات . كما تتضمن الامداد بمعدات عسكريةحديثة قيمتها ١٠٠ مليون دولار ، تتكون أساسا من عربات حربية ، وحاملات جند مدرعة ، وعربات جيب ومدافع خفيفة مضادة للطائرات . ويعتقد الايرانيون انهم هم الرابحون فى هذه الصفقة ، لأن الغاز المصدر كان يحرق فى الماضى للتخلص منه ، ومن جهة أخرى يعتقد بعض المراقبين ان الصفقة هى منفذ لروسيا ، ومسمار فى نعش مستقبل ايران . كما يعتقد كثيرون آخرون ، انه حيثما مد خط انابيب غاز ، يمد عقبة خط انابيب بترول ، وفى خلال عشر أو خمسة عشر عام من الآن سوف تصل روسيا الى ابواب الثروة البترولية فى ايران وربما فى بعض الدول الأخرى فى الشرق الأوسط .

وحقيقة ، هناك أسباب قوية تؤيد تلك الاراء : فقد طلبت موسكو من الدول الشرقية فى أوروبا محاولة البحث عن مصادر بترول اخرى غير المصادر الروسية . ويبدو أن حقول بترول البحر الاسود — بحر قزوين فى باكو — قد استنزفت ، مما يجعل بترول ايران والشرق الاوسط ، خصوصا اذا استورد عن طريق المقايضة ، أرخص الى حد بعيد ، اذا استغل فى المناطق الصناعية جنوب روسيا ، أو اذا صدر للدول الشرقية التابعة ، بدل نقله اليهم من سيبيريا أو من أى احتياط آخر . على أن ما تحصله روسيا من عملة صعبة يوفرها لها خط أنابيب الغاز تتضاعف أهميتها اذا ما أنشىء خط أنابيب بترول من ايران الى روسيا ، ومد فرع من « خط الصداقة » السوفيتى الذى يصل الى الدول الشرقية التابعة (المتصل بآبار الفلجا — الاورال) الى المانيا الغربية . والمرحلة الأولى من انجاز هذا المشروع جارية ، ويقوم الألمان الغربيون بنشاط كبير فى

المانيا الغربية وايران من أجل انهائه ، وهم يقومون بتوفير الانابيب اللازمة لهذا المشروع .

كما أن هناك صفقة أخرى مشابهة ولكنها اكثر أهمية بين الروس والايطاليين ، تتضمن مقايضة الغاز الطبيعى من اوكرانيا وسيبيريا الى ايطاليا فى مقابل أنابيب ومحطات ضخ ومعدت أخرى . وقد خطط هذا المشروع لمدة ٢٠ عاما تبدأ من عام ١٩٧٢ . وسوف يمر الغاز عبر براتيسلافا فى تشيكوسلوفاكيا فى خط انابيب موجود حاليا ، وسوف يمد هذا الخط الى شمال ايطاليا عبر النمسا . كما أن هناك مشروع خط انابيب آخر من ايران الى البحر الابيض المتوسط عبر تركيا . وقد اتفقت ايران فعلا على تصدير البترول الى رومانيا وبلغاريا ، وعلى صفقة أخرى طويلة المدى مع تشيكوسلوفاكيا ، تقضى بامدادها بعشرين مليون طن من بترول ايران . من المحتمل ان تحل مخزونات البترول الكبرى فى سيبيريا محل منطقة الفولجا الاورال — وهى المصدر الرئيسى لانتاج البترول حاليا — فى الثمانينيات . ولكن تكاليف خطوط المواسير الممتدة سوف تجعل بترول الشرق الاوسط أرخص بالنسبة للدول التى تدور فى فلكها . وليس هناك أدنى شك فى أن روسيا تخطط لاستخدام وتسويق غاز وبترول الشرق الاوسط . والظاهر ان « وجهة النظر » المطمئنة السائدة ، بان العالم الشيوعى لا يستطيع ايجاد أسواق لبترول الشرق الاوسط ستصبح خرافة فى المستقبل .

وموسكو حذرة لا تخطىء فى سياستها مع طهران بل تحافظ على علاقات طيبة معها . فقد حل حزب توده فى ايران ، ولا تبدو هناك الا جهودا علنية ضئيلة لاحيائه ، تتضمن بعض الاذاعات الشيوعية التى توجه طعناتها للشاه فى ايران . ولكن لاتزال هناك خلايا فى ايران — وهى « جماعات جدل » لا تفصح بأنها تابعة لاية ايديولوجية سياسية ، وان كانت ، فى الواقع ، استمرار لبعض نشاط حزب توده منذ كان قائما .

وتؤكد السفارة الروسية وجودا نشطا فى ايران ، فتجمع البيانات الاقتصادية والاحصائية ، وتدعم التبادل الثقافى — هناك سيرك روسى وبعض الموسيقيين ، وتشرف على نشاط من ١٣٠٠ الى ٢٠٠٠ خبير فنى مدنى يعملون فى البلاد .

والأهم من هذا كله ، على المدى الطويل ، ربما يكون النمو المستمر فى المواصلات بين ايران وروسيا السوفيتية ، فقد عجل بمد عدد متزايد من خطوط السكك الحديدية الى الحدود ، حيث تستبدل هناك المحاور والعجلات للعربات والسكك الحديدية بدل نقل محتوياتها بالسفن . كما أن الطرق تعبد وتمد وحركة المواصلات البرية تتضاعف .

ويبدو أن الشاه محمد رضا بهلوى ، وقد فعل الكثير لتطوير بلاده فى وقت قصير ، وكبار مستشاريه لا تخدعهم الشيوعية ، ويعلمون ان تاريخ بلادهم الطويل تميز بالنزاع المتعاقب مع جارتهم الكبرى فى الشمال. ولكن الشاه مثل الملك حسين والملك فيصل يحاول أن يركب عدة جياد شرسة فى نفس الوقت لحض المستثمرين الغربيين على مضاعفة انتاج البترول لتوفير عائد أكبر فى ظل منافسة مصادره الاخرى فى شمال افريقيا ومناطق أخرى ، وللمحافظة على علاقته مع روسيا السوفيتية وقبول معونتها ، ولمقاومة النشاط الشيوعى المستتر ، ولدعم علاقته مع الغرب ، ولتحقيق التقدم لشعبه دون المقامرة بمستقبل عرشه، وللبقاء بعيدا عن النزاع بين الشرق والغرب ، ولمحاولة تسوية الخلافات الاقليمية بوسائل اقليمية ، ولمقابلة تهديد العرب وارضاء مطالب المسلمين ، ولتسليح بلاده بمعاونة كل أو أى دولة بما فيها روسيا ، دون مساس بسيادتها . هذا عمل كبير خصوصا منذ بدى واضحا أن روسيا تنوى المحافظة على بقاء نشط فى ايران .

والمشكلة كما صرح بها أحد الرسميين « انه ليس هناك الا الشاه . ولا يبدو أن هناك بناء تحته يسانده » .

والخلاصة ان الاخطار ضخمة فى منطقة شبه جزيرة العرب — الخليج الفارسى ، والخلافات عديدة . وقد اتخذ الشاه وفيصل أول خطوة لتسوية خلافاتهم القديمة ، وكلاهما يثق فى حلول اقليمية ، ويصمم على عدم احتفاظ البريطانيين بقوة صغيرة فى البحرين أو فى أى منطقة أخرى من الخليج بعد انتهاء التاريخ المحدد للانسحاب فى عام ١٩٧١ . ولكن التنافس من أجل أسواق البترول يسبب الخلاف ، كما أن الأمر يقتضى انهاء منافسة استمرت لعدة قرون خلال عام واحد . والظاهر ان الانسحاب البريطانى سوف يخلق فراغا يشجع تسلل السوفييت الى منطقة الخليج عام ١٩٧٢ .

افغانستان — باكستان

يكون هذان البلدان حلقتى الاتصال الجغرافى والسياسى بين المشكلتين المتأزمتين شرق السويس ، الشيوعية الروسية والشيوعية الصينية . وافغانستان بلد لها أهمية استراتيجية اذ تسيطر على ممر خيبر من كابول عبر سهول غرب الباكستان ، ثم الى منطقة البنجاب الهندية . وهى مخففة للصدمة وتحت سيطرة روسيا الى حد كبير ، ولكن باكستان رحبت بمعاونة روسيا والصين والولايات المتحدة الامريكية ، وتأمل ان توازن بين موسكو وبكين . وباكستان دولة اسلامية لها اتصال هام بالشرق

الاوسط ، ويقع جزء من اقليمها على طريق الاقتراب الى الخليج الفارسى . ويعاون الطيارون الباكستانيون فى انشاء قوة جوية صغيرة فى العربية السعودية ، وتعطى الباكستان معونة عسكرية للاردن .

قامت روسيا بتحسين طرق المواصلات ووسائل الامداد فى أفغانستان فى مقابل ٧٥٠ مليون دولار من المعونة السوفييتية . ويقدر ضباط الاستخبارات ان روسيا يمكنها وضع ٢٢ فرقة فى هذه المنطقة ، وكان عددها يتراوح بين خمس أو ست فرق طبقا لتقدير ١٩٥١ . وتشغل أفغانستان موقعا جغرافيا هاما على جانب باكستان ، بالقرب من منطقة جامو وكشمير ، وهى موضع نزاع بين الهند وباكستان . كما انها ملاصقة لاقليم سينكيانج الصينى القحل الغير آهل بالسكان ، ويتوفر بهذا الاقليم تسهيلات لاجراء التجارب النووية ، كما يتوفر به البترول واليورانيوم .

وقد انشئت الطرق البرية من وسط آسيا الى جنوبها والى سواحل المحيط الهندى بواسطة روسيا والصين ، رغم وعورة الارض . اذ تم رصف وتحسين جزء من طريق الاقتراب القديم المتجه الى وادى نهر كابول وممر خيبر الى طريق القوافل الكبير من بشاور الى كلتكا ، وهو يخترق جبال هندوكوش ، المانع الهائل ، عبر نفق حفر فيها ، الى شبكة صغيرة من الطرق تربطه بشبكة المواصلات النهرية فى روسيا التى تكملها القنوات . والحدود الشمالية الغربية وكانت أسطورة عند البريطانيين ، مهدت الآن ، وأصبحت طريقا تعبره عربات النقل السوفيتية حاملة حديد الكبارى وعوارضها فى طريقها الى الجنوب .

قام الصينيون والباكستانيون ببناء طريق لعربات الجيب على « طريق الحرير » وهو طريق القوافل القديم ، ويستخدم هذا الطريق بواسطة عربات النقل فى الاحوال الجوية الجيدة ، بين سينكيانج (من لبجاز عبر ممر مينتاكا الى ميسجار وجلجيت) وراوالبندى ، يوازيه طريق آخر من لهاسا فى التبت الى كاتماندو فى نيبال ، وهى الدولة التى تقع بين حدود الصين والهند .

وتحسين طرق المواصلات المتجهة من الشمال الى الجنوب ، التى توازيها الخطوط الجوية فى كثير من الاحوال، هى أبرز التطورات فى جنوب آسيا ، لأنها تعكس وتحقق امتداد النفوذ الشيوعى .

وبينما نجد افغانستان شبه محمية روسية ، نجد أن الباكستان لا تزال جزءا من العالم الثالث، وهى ليست منحازة لامع الشيوعية ولاضدها،

فهى تحاول الالتزام بالحياد . وهذا تحول ظهر منذ الحرب القصيرة التى قامت بين الهند والباكستان فى عام ١٩٦٥ . وكان وقف المعونة العسكرية الامريكية نتيجة هذه الحرب قد اثار المتاعب . والدين الاسلامى لا يقبل الالحاد الشيوعى ، ويندر أن يكون بين الباكستانيين من هو مخدوع فى حسن نية الصينيين . ولكن الخلاف بين الباكستان والهند على كشمير الذى لم يسو بعد . وشعورها بان الغرب تخلى عنها ، كلها عوامل كان لها تأثير شديد . ويبدو بوضوح انها ستأخذ معـونة بالاسلحة من اى مصدر . ويبدو أن نظامها السياسى الدكتاتورى ، وانتشار الامية بـين سكانها . واقتصادها المرتبك ومصادرها المحدودة ، كلها تعنى انه لا تبدو فى الافق نهاية لعدم الاستقرار . كما ادى انفصال شرق‌الباكستان جغرافيا عن غربها الى قيام خلاف له أثر كبير ، لأن الباكستان الشرقية هى مصدر أغلب العملة الصعبة ، ولكنها أكثر ازدحاما وتخلفا من باكستان الغربية . والشعور بالاهمال فى الشرق ، يصاحبه تعاطف طبيعى بين البنغـــال الشرقية (باكستان) والبنغال الغربية (الهند) بالنسبة للجوار ووحدة اللغة . وحكومة بنغــال الغربية شيوعية يسارية ، واقعة تحت التأثير القوى‌من الصينيين والروس . ولذلك فهم يملكون‌ورقة سياسية يلوحون‌بها عند التعامل مع راولبندى أو نيودلهى لأنهم يستطيعون اثارة أو تخفيف الاتجاه الى الانفصال .

باتجاه باكستان الى الحياد ، اصبحت عديمة الفائدة — ان كان لهـا فائدة من قبل — كعضو فى منظمة جنوب شرق آسيا ، وهى منظمة كانت قوية على الورق أكثر منها فى الميدان . وكانت باكستان عضوا مصطنعا فى هذا الحلف بالنسبة لموقعها الجغرافى ، وديانتها . وترتبط مصالحها بالشرق الاوسط أكثر منها بجنوب شرق آسيا . وقد انتهى المركز الممتاز للولايات المتحدة فى باكستان ، الذى بلغ ذروته فى‌أوائل أيام حكم ايوب خان الطويل . وقد اضطرت الولايات المتحدة فى عام ١٩٦٩ الى اخلاء مطار بشاور من المعدات ومحطات الاتصال أمام تصـميم الباكستان . ذلك المطار الذى بدأ منه جارى باورز رحلته المشئومة بالطائرة U 2 فوق الاتحاد السوفيتى . وترك بشاور يجب أن يقدر حق قدره دون زيادة أو نقصان . فهو مؤشر يبين مرحلة اخرى من المد الشـيوعى المتزايد فى الشرق الاوسط وجنوب شرق آسيا ، ولكنه لا يعنى اننا فقدنا الباكستان على أى حال . ومطارات باكستان ليست ضرورية بالنسبة للطرق الجوية الامريكية التجارية والحربية ، ولو انها مفيدة .

بلغت العلاقة بين الباكستان والولايات المتحدة الامريكية اسوأ مرحلة عندما أدت الثورة فى الباكستان عام ١٩٦٩ الى قيام حكم عسكرى فيها . وقد كان لزيارة نيكسون القصيرة ما يبررها ، ويبدو أن العلاقات تتحسن

باطراد وببطء ، لأن الباكستانيين واقعيين ويحاولون الموازنة بين نفوذ الدول العظمى المتنافسة فى بلادهم بمواجهة بعضها ببعض ، وهم يقبلون الاسلحة من أى مصدر كباقى دول العالم الثالث . فبينما أوقفت الولايات المتحدة معونة الاسلحة اليها — عدا بعض قطع الغيار — بعد حربهـا القصيرة مع الهند ، ملأت الصين الشيوعية هـذه الثغرة ، وتضاعفت التجارة بين الدولتين خلال خمس سنوات (من ١٩٦٢ — ٦٣ الى ١٩٦٧ — ١٩٦٨) أربعة اضعاف ، كما تمدها روسيا بالأسلحة وتزيد حجم تجارتها معها .

وقوة الباكستان المسلحة أصغر من قوة الهند . وهى تبلغ — كما هو معروف — ١٢ فرقة دون المرتب ، كلها من المشاه ، عدا فرقة مدرعة واحدة فى حجم اللواء . ومعدات الجيش ، والبحرية المتخلفة ، والقـوة الجـوية الصـغيرة (من ٢٠٠ — ٣٠٠ طائرة) قديمـة ، ليس لهـا ما يكفى من قطع الغيار ، ولا يتوفر لها قاعدة ادارية تكفى لاستمرار القتال لفترة . ويبلغ عدد القوات المسلحة ٣٠٠٫٠٠٠ فرد وتدعمها قوات أخرى من ٢٠٠٫٠٠٠ فرد هى قوات الحدود والبوليس شبه العسكرية . وهى أساس الامن الداخلى ، وتملك القدرة على منع أى هجوم هندى بينمـا لا تستطيع الا القيام بأعمال التعطيل وحرب العصابات فى حالة قيـام نزاع مع الصين أو روسيا . وستبقى الباكسـتان مشغولة لزمن طويل بعدم الاستقرار فى الداخل ، والمجتمع المضطرب ، والمشكلات السياسية والاقتصادية ، والخلاف مع الهند ، الى أقصى حد .

ولباكستان أهمية استراتيجية وسـياسية بوجه خاص . فميناءها الكبير كراتشى يسيطر — مع بومباى الهند — على خليج عمان وبحـر العرب . وأرضها توفر طرق الاقتراب البرية من روسيا الى جنوب آسيا . كما ان الفوضى وعدم الاستقرار فى باكستان ، وهى أكبر دولة اسلامية فى العالم لها تأثير على ايران والشرق الأوسط كله . واستيلاء الشيوعية على السلطة أو محاولتها للاستيلاء عليها سوف يؤدى غالبا الى انقسام فى البلاد . واذا تحقق ذلك فانه سوف يؤثر على مستقبل ايران والهند وكل جنوب آسيا .

والشيوعية لم تصل حتى الآن الى باكستان على البحر ، ولكنها نفذت فى جبال الهندوكوش ، المانع الجبلى الكبير الذى حمى الخليج من الغزوات فى يوم ما .

الهنــد ــ بورما ــ ســيلان

عدد سكان الهند ٥٣٥ مليون نسمة ، ومشكلاتها ضخمة . وهناك عدة عوامل ساعدت روسيا على تمهيد منافذ عميقة لها فى الهنــد . اذ يسيطر حزب المؤتمر المنقسم ، على السياسة فى الهند ، منذ أيام غاندى ونهرو ، وتهددها الشيوعية الصينية، بالاضافة الى رؤوس أموال وثروات كبرى وولع بشعارات الاشتراكية الكاذبة .

واجهت الهند فى السنتين أو الثلاث سنين الاخــيرة أزمة سياسية أخرى بانحلال السلطة المركزية . اذ أن أغلب الولايات الهندية ، وخاصة فى شمال قلب الارض الهندية (بما فيها البنجاب الغنى) يسودها عــدم الاستقرار السياسي كما يسود بعضها الكساد الاقتصادى والفوضى وتحلل القيم الاجتماعية القديمة . وهناك ولايتان هامتان تسيطر عليهما حكومات تحت النفوذ الشيوعى ، هى خيرالله والبنجاب الغربية ، وتدخل فيهمــا مدينة كلكتا . فالصحف فيهما تمول بالاموال السوفيتية. كما أن المؤسسات العسكرية ــ والقوات الجوية والبحرية على وجه الخصوص ــ يزداد اعتمادها على المساعدة السوفيتية شيئا فشيئا . ويوجد ٣٠٠ خبــير عسكرى روسى وأكثر فى الهند ، بالاضافة الى من ١٥٠ ــ ٢٠٠ تكنولوجى مدنى . ويقدر ما منحته روسيا لكل المشروعات بمبلغ يتراوح بين اثنين واثنين ونصف بليون دولار بما فى ذلك ٧٥٠ مليون دولار معونة عسكرية .

أمدت روســيا الهند بمصانع حديــد ، ومصنع طائرات ميج ٢١ ، وما يزيد عن مائة طائرة ميج ، وما لا يقل عن ١٢٧ طائرة SU - 7 ، وطائرات هليوكوبتر وطائرات نقل . كما ان الطيارين الهنود يدربون فى المدارس السوفيتية . وقد مدت روسيا الجيش الهندى بصواريخ مضادة للطائرات ومدفعية ودبابات ، وبعض وسائل النقل الجوى اللازمة لامداد القوات الموزعة على خط النقط الخارجية على جبال الهملايا . ويبــدو أن الجيش الهندى يزداد اعتماده يوما بعد يوم على الامدادات الروسية من الذخيرة وقطع الغيار . والبحرية الهندية بها حاملة طائرات بريطانية حمولتها ١٦٠٠٠ طن ، وهى الوحيدة فى كل أساطيل الدول الاسيوية . وقد تلقت هــذه البحرية أول قدر من المعونة الروسية تضمن أربعــة غواصات ، وأحد عشر قارب داوريات ، وقاربى انزال وبعض الطائرات الهليوكوبتر البحرية وسفينتى تمــوين غواصات . والمعونة البحــرية السوفيتية تبدو ضخمة الى درجة مكنت الهند من انشاء اســطولين . وترسو السفن التى جهزت بها بحرية الهند من روسيا فى ميناء فيزاجاباتام على خليج البنغال على شاطىء شبه الجزيرة الشرقى ، حيث يعمل من ٢٠ الى ٣٠ من الخبراء الروس .

تؤكد حكومة الهنـــد انها توفر مثل هذه التسهيلات لجميع ســـفن الاسـاطيل الزائرة من جميع الدول . ولكن هنـــاك شك فى ذلك . اذ أن الهنود ينشئون تحت ظل ستار من السرية بعض التسهيلات البحـرية بالقرب من ميناء بلير فى جـــزر اندمان التى تسيطر على طـــريق الملاحة الرئيسى من المحيط الهادى ، الذى يمر الى المحيط الهندى عبر مضيق ملقا. ويعتقد ان الروس لهم حق الرسو واستخدام وسائل الامداد والاصلاح فى فيزاجاباتام ، الذى تحول الى قاعدة للغواصات وورش اصلاح السفن.

وسيلان ، وللشيوعية تأثير قوى فى حياتها السياسية ، اربكها عدم الاستقرار الاقتصادى والاغتيالات والاضطرابات الداخلية منذ حصولها على الاستقلال . وموانى سيلان الهـــامة كولومبو وترنيكو مالى تبارك زيارات سفن الحرب الروسية لها . ولكن اقتصاد البلاد لا يزال مرتبطا ببريطانيا والغرب حتى الآن ، كما ان أهميتها الاستراتيجية تتأثر بشبه القارة الهندية ، التى كانت دائما مرتبطة معها بقدر واحد .

تزداد التجارة السوفيتية الهندية باضطراد ، وقد اتفقت موســـكو على سبيل المثال ، على انجاز بما قيمته ٧٥٠ مليـــون دولار من عربات النقل يتم صناعتها فى الهند فى العشر سنين القادمة . ووقعت الهند تحت ضغط لشراء الطائرات التجارية السوفيتية ، وبذا وضعت على كاهلها « دينا ثقيلا لروسيا » كما ذكر أحد الخبراء .

لم يستطيع كل هذا المجهود السوفيتى اقناع الهند بالتخلى عن سياسة عدم الانحياز التى تعتنقها ، على الأقل فى تصريحاتها السياسية . ولكن الخطوات الاولى فى هذا الاتجاه بدأت فعلا عن طريق ارتباط الاقتصـــاد الهندى والمؤسسة العسكرية فى الهند مع روسيا . وقد عرضت روسيا صراحة انشاء منظمة لأمن آسيا واقترحت على نيودلهى تحقيق تكامل بين التخطيط الاستراتيجى السوفيتى الهندى .

مصلحة روسيا فى الهند لها وجهان : الأول هدفه دفاعى ضد الصين ، ولكن الضغط الاســـاسى لدعايتها موجه للهجوم على الولايات المتحـــدة الامريكية (٢) . والموقف المعادى لامريكا بشده هو مظهر هندى لخطوة من خطوات الشيوعية العالمية من ناحية ، ومن ناحية أخرى تأكيد لحقيقة السياسة الهندية . وتأثير ماو أقوى فى الشيوعية الهندية ، بالرغم من ، وربما لقرب خطر الصين الشيوعية منها ، وخصوصا فى ولاية مثل البنغال الغربية . وقد كانت الصدامات فى أقصى اليسار المتطرف بين الشيوعيين وغير الشيوعيين عاملا هاما لبقاء النظم الشيوعية فى مركز الســـلطة . وبالاضافة الى ذلك ، تشعر روسيا أن هناك اتجاه ايديولوجى معـــادى

للغرب ومشايع للماركسية ، يكمن فى حياة الهند السياسية . وقليلون من قادة المؤسسة الهندية شيوعيون أو مع روسيا باستمرار ، ولكن الطبقات من الدرجة الثانية والثالثة فى الحكومة يوجد بينهم كثير من الشيوعيين أو ذوو اتجاهات شيوعية ، من الموظفين المدنيين ، ويبدو أن بعض من صغار الضباط فى الخدمة العسكرية قد فتنوا بالمعدات والتدريب والنظريات السوفيتية .

والاهم من ذلك ، ما هو واضح فى سياسة نيودلهى منذ حدوث العدوان الصينى على حدود الهند الجبلية عام ١٩٦٢ ، عندما أصبحت الهند ترى فى موسكو « الأخر الأكبر » الخاص لها . وما كانت تنظر اليه نيودلهى كمحور موسكو — دلهى — واشنجطن تحول فى أذهان الهنود الى محور موسكو — نيودلهى، خصوصا بعد حربها القصيرة مع الباكستان فى عام ١٩٦٥ وما نتج عنها من انهاء المعونة العسكرية .

وفى هذه الايام ، أصبح شبح التقارب الامريكى الصينى كابوسا يقلق سياسة الهند الخارجية ، واقل ميل أو عمل تبديه واشنجطن لتحسين علاقتها ببكين ينعكس بأثر سيىء جدا فى دلهى .

وسياسة الهند سياسة تعايش بين نقيضين من نواحى عديدة . فهى متخوفة من الباكستان رغم تفوق جيشها حجما وتسليحا . وتواجه تسعة فرق من جيشها الباكستان على الحدود بينهما ، منها ثلاث فرق فى كشمير (٣) . وقد دعمت حدودها مع الصين منذ عام ١٩٦٢ ، وتضاعف حجم الجيش ، وتأقلمت القوات وتحسنت أنواع الاسلحة ووسائل الاتصال والشئون الادارية . وهناك تسعة عشرة فرق بأسلحة التدعيم موزعة بالقرب من حدود الهند الشمالية مع الصين ، وما يعادل فرقتان من أسام قرب حدودها مع بورما ، التى تهدد جناح الهند . على أن قوة الجيش الهندى تبلغ ٢٩ فرقة فى مجموعها .

لا يبدو أن هناك تهديدا كبيرا موجها للهند من حدود الصين الان ، ولكن الامر قد يختلف فى الغد ، فهضاب التبت العالية تبعد ١٠٠٠ ميل او اكثر عن اقرب رأس سكة حديدية صينية ، وجبال الهملايا مانع هائل يعوق تجميع وتحريك القوات الكبرى . وتقدر قوات الصين فى التبت بما يتراوح بين ٨٠٫٠٠٠ فرد طبقا للتقدير الامريكى ، ١٢٠٫٠٠٠ فرد طبقا لتقدير الهند . وتتكون من أربعة فرق قوية ، ووحدات مستقلة . ويعتقد الاداريون ان ١٢ فرقة هى أكبر حجم من القوات يمكن امدادها اداريا فى التبت الى أن يتم انشاء شبكة الطرق والمطارات والمخازن وغيرها ، التى تفتقر اليها حتى الان .

بالاضافة الى الموقف الذى يتعذر وجود حل له على حـدود جامو وكشمير ؛ هناك مواقع حساسة على حدود الهند .

فهناك نفوذ صينى شيوعى ملحوظ فى مملكة نيبال الهندية المستقلة على طول الطريق الجبلى الوعر من التبت الى كتمندو . كان الهنود يحتفظون حتى وقت قريب جدا بمراقبين وجماعات استخبارات على الحدود بين نيبال والتبت ، وكان ذلك أحد أسباب الاحتكاك بالنباليين . والاضطرابات تنتاب العلاقة بين دلهى ونيبال بين وقت وآخر ، ولا يوجد للجيش الهندى احتياط ولا خط دفاعى على حدود نيبال الجنوبية ، كما أن جيش نيبال ليس له اعتبار . والارض متعرجة وصعبة ، ويستطيع الصينيون الاستيلاء بسرعة على كتمندو باقتحامها من الجو ، ولكن من الصعب امداد أكثر من فرقتين أو ثلاثة على الطريق بين التبت وكتمندو .

ربما يكون وادى تشومبى هو أخطر منطقة على طول الحدود الصينية الهندية وأشدها حساسية . حيث يمتد جزء ضيق من التبت جنوبا بين محميات امارتى سيكيم وبهوتان فى اتجاه شرق باكستان . ويرتفع الطريق فى هذه المنطقة من ١٠٫٠٠٠ الى ١٥٫٠٠٠ قدم ، والارض العالية يسيطر عليها الهنود . وبمجرد انتهاء المنطقة الجبلية يبدأ الانحدار الى أسفل وتظهر دار جيلنج ومناطق الشاى فى اسام ، والطريق المنحدر الى سهل جانج وبراهمبترا الغنية فى اتجاه كلكتا . ونجاح أى اندفاع صينى فى هذه المنطقة سوف يؤدى الى عزل الجبهة الشرقية عن الهند .

وعلى الوادى حراسة شديدة وكذلك منطقة بهوتان — بها فريق تدريب وخبراء عسكريين من الهنود — وحدودها الجنوبية . وبالنسبة للمصاعب الادارية ، أصبح من المشكوك فيه أن يملك الصينيون قدرة على الاختراق العميق فى الهند . ولكن اذا ما تيسر لهم مثل هذه القدرة ، فالارجح أن الجيش الهندى سوف لا يستطيع القتال بنجاح لفترة تزيد عن ثلاثة أسابيع الى شهر على الاكثر ، لانه يفتقر الى الاحتياط وقوات الاستعواض وامدادات الذخيرة وقطع الغيار والامدادات الادارية ، بدرجة تجعل من المتعذر على الهند خوض حرب طويلة .

كذلك يجب اتخاذ الحيطة لمقابلة التهديد بالتطويق عبر اسام وبورما . ويعتقد الهنود أن ذلك يفوق فى خطورته الهجوم من التبت فى اتجاه الجنوب . ويقدر العسكريون الهنود أن طريق بورما القديم (الليدو) يمكن تمهيده وتجهيزه للتحركات العسكرية الثقيلة على الاقل بواسطة المهندسين الصينيين فى مدة حوالى ثلاثة شهور .

واستمرار وجود الثوار فى بورما منذ وقت طويل ، وحركات العصابات فيها وفى المناطق المجاورة الهندية ، كلها تزيد احتمال التهديد منها تعقيداً . فقد قامت الصين ، ومن قبلها باكستان الشرقية حتى عام ١٩٦٦ ، بتدريب وتسليح ومعاونة الناجاس فى تلال الناجا فى الهند ، الى الجنوب حتى امفال ، وكذلك الميزوس الى أقصى الجنوب . وقد اضطر الهنـود الى الاحتفاظ بقوات عسكرية وشبه عسكرية فى منطقة الناجا بلغت قوتهـا حوالى ٨٠٫٠٠٠ فرد ، منها الفرقة الثامنة الجبلية ، وكذلك الاحتفاظ بقوة أخرى قدرها ٣٠٫٠٠٠ فى منطقة ميزو لمواجهة قوات العصابات التى لم يزيد حجمها عن ٦٫٠٠٠ الى ١٠٫٠٠٠ رجل على أكثر تقدير . وفى عـام ١٩٦٩ ، حققت الحملة الهندية بمعاونة قوات من بورما وباتباع سياسة فرق تسد بين مختلف القبائل ، وباعادة التوطين ، وبتطبيق برامج كبرى للتنمية ، بفضل ذلك حققت نجاحا جارفا . فتفتت العصابات وقل عددها الى حد كبير نتيجة الاسر والتقتيل . لقد وصل تهديد الفاجا — الميزو الى نهايته ، ولكنها نهاية مؤقتة . لان نزعة العصيان فى بورما تدعمها الصين حتى الان ، عبر الحدود التى لم تحدد بدقة ، كما أن سيطرة رانجون على شمال بورما لا تزال ضعيفة .

وبورما نفسها ، منخفض آسيا العظيم الثراء بزراعة الارز ، تحاول أن تحافظ على حياد تام دقيق ، واقتصادها راكد ، ونظامها الحكومى ليس له نظير حتى بين الدول الاسيوية ، بالبروقراطية ، والشريط الاحمر ، والمحسوبية ، وقلة الكفاءة والشقاق الحزبى بين طائفتين من الشيوعيين ، وحركة الصين الوثنية (مع الكاشان ، والشان وبورما) ومركز رئاستها فى بامو ، وحركة استقلال كاشان بين سكان تباب الشمال ، بالاضافة الى نشاط الناجاس والميزوس عبر الحدود ، وكلها مائعة أو غير معروفة . ويقدر جيش بورما بما يعادل ١٢٥٫٠٠٠ ، وهو مقيد لا يستطيع القيام الا بواجبات الامن الداخلى فقط . ولا ينتظر حـدوث تغير فى بورما فى المستقبل . وقد يستمر التقدم البطىء الذى بدأ فى عام ١٩٦٩ ، ولكنهـا ستبقى صفر على الشمال ، بمناطقها الشمالية والجبلية على الاقل ، بؤرة للصراع ، لتقع تحت النفوذ الصينى شيئا فشيئا .

هناك تهديد شيوعى صينى ، جدى ومستمر لشبه القارة الهندية ولهذا التهديد ثلاث نتائج هامة : اضطرار الهند الى تحويل جزء كبير من مصادرها الاقتصادية الى النفقات العسكرية ، وتشجيع قيام القلاقل الصغيرة ، السائدة فى اسام وبورما ، واعتماد الهند المتزايد على الاتحاد السوفيتى .

ويرى الكثيرون فى الهند أن تهديد الهجوم الجوى من المطارات الصينية

فى التبت ومن الباكستان أشد خطورة ، يضاعف الحمل على كاهل ميزانية الهند ويؤكد الاعتماد على المعونة السوفيتية . والهند تنشىء قوة جوية صغيرة ولكنها حديثة ، على قدر ما يتيسر من الطيارات والطيارين . ولكن هناك نقط ضعف كبرى . فعناصر الانذار المبكر ، وشبكة الادارة الجوية والمواصلات التى تربطها ضعيفة ولكن جارى تحسينها ببطىء . ولكن لا توجد شبكة حقيقية فعالة للدفاع الجوى . ويعتقد الخبراء الامريكيون أن القوات الجوية الهندية لا تستطيع الاستمرار فى حرب جوية لمدة تزيد عن ثلاثة ايام الى أسبوع وبعدها تصبح أغلب طائراتها عاطلة فى حاجة الى قطع الغيـــار .

ولكن سحب عيش الغراب التى نتجت من تجارب الصين النووية فى منطقة لوب نور فى اقليم سينكيانج ترمى ظلالها على نيودلهى وتثـير أسئلة كبرى حول مستقبل السياسة العسكرية للهند ، لا يمكن الاجابة عليها . وكل تجربة نووية فى الصين تثير صدى سياسيا دفينا فى الهند . وشبح الصواريخ الصينية برؤوسها النووية موجهة الى كلكتا وبومباى ونيودلهى يشغل بال الاستراتيجيين الهنود على الدوام . واذا ما أطلقت الصواريخ النووية القارية الصينية عبر الهند الى مناطق سقوطها فى المحيط الهندى ، فان موجات الصدمة الناتجة قد تحطم الى الابد خليط الفلسفة الماركسية ، ونداءات السلام ، وعدم الانحياز وعصيان غاندى المدنى ، التى عوقت الفكر الهندى . والهند تقترب من التسلح النووى كلما أجرت الصين تجربة نووية فى لوب نور ، ويعتقد أغلب الخبراء أن نيودلهى تستطيع انتاج سلاح نووى خلال عام واحد .

ولكن الانضمام الى النادى النووى لا يزيل شعور الهند بالضعف الذى تضاعف نتيجة الغطرسة . فقد ربطت نيودلهى ورجالها العسكريون — كما يبدو بوضوح — أمن الهند النووى بروسيا أولا ثم بالولايات المتحدة مرغمين . وتعارض نيودلهى توزيع غواصات بولاريس والقوات البحرية الامريكية فى المحيط الهندى ، على الصعيد الرسمى . ولكن اى حديث حول تحسن العلاقات بين واشنجطن وبكين يسبب قشعريرة تسرى فى وزارة الدفاع الهندية ، ويأمل كثير من الهنود أن تقوم روسيا والولايات المتحدة بتوفير الامن النووى مشتركتين للهند اذا حل الدمار .

ومستقبل الهند سوف يتأثر بالتناقضات الداخلية أكثر من التهديدات الخارجية . وهى تمثال ضخم ، بالنسبة لعدد سكانها ، ولكن قدمه من صلصال . فهى دولة تتكون من خليط من جماهير من اجناس ولغـــات وديانات مختلفة ، فى حرب مستمرة بين بعضهم البعض ، ليس لهم مصادر كافية ولا ما يكفيهم من الغذاء . وقد أمكن التغلب على المجاعة المستعصية

فى الهند الى حد كبير ، بمساعدة الولايات المتحدة الامريكية بالاضافة الى معونات أخرى . صاحب ذلك التنمية الهامة لاقليم البنجاب ومناطق زراعة الحبوب ، ولكن النمو السكانى مستمر (٤) ، رغم الاجراءات التى تتخذ لتحديد النسل . والاقتصاد بعيد عن التحسن ، والاستقرار السياسى مهدد . وأحسن أمل أن تبقى حكومة الهند رغم ترنحها أزمة بعد أزمة ، ولكن هناك احتمال اتجاه مستمر الى اليسار ، وتفتت فى السلطة المركزية، وما يصاحب ذلك من أمور أخرى . كقيام اليمين بحركة معارضة وقيام حكومة عسكرية .

ومستقبل الهند لا يبدو فى الحقيقة ناصعا ، وقد كان من العبث ، ولا يزال من العبث أن نربط الامال فى آسيا بها — كما كان معتقدا حتى العقد الاخير — أو نعتمد عليها فى أى سياسة جيوبولوتيكية أمريكية . والهند مرتكز ضعيف ، ومن الخطأ أن ترتكز عليها الولايات المتحدة الامريكية .

أفريقيا

زاد الاهتمام الاستراتيجى بأفريقيا جنوب الصحراء ، وخاصة جنوب افريقيا التى تسيطر على طريق رأس الرجاء الصالح البحرى ، نتيجة لقفل قناة السويس مدة طويلة ، وبالنسبة لاهمية بترول الشرق الاوسط ، وقيام الصين الشيوعية ، واهتمام السوفييت بالمحيط الهندى أخيرا .

وافريقيا الوسطى — جنوب دول البحر الابيض المتوسط والجزء الشمالى من جنوب أفريقيا وروديسيا — أقليم غنى بالمواد الخام ولكنه قليل السكان . وهو منطقة شاسعة غير مسكونة ، بها حوالى ٣٢ مما يسمى بالدول وحوالى ٢١٠٠ قبيلة وأربعة آلاف لغة ولهجة (٥) . وقد اندفع هذا الاقليم الشاسع الى اضعاف روابطه الاستعمارية السابقة بتهور ، رغم افتقاره الى قوة سياسية أو عسكرية وطنية ، ويتضمن دولا اقتصادها ضعيف ، وشعوبها متخلفة من الناحية الفنية ، ومن ناحية التعليم ، تفتقر الى القيادات ، وحكوماتها مرتشية ، ويربطها شعور ضعيف بالوحدة الوطنية .

هى « فراغ جزئى من السلطة ، قليلة السكان الى حد كبير ، متخلفة من النواحى الاقتصادية والسياسية والتعليمية ، تجذب ثروتها الاقتصادية الكامنة انتباه الدول الصناعية الاكثر تقدما . كما أن عدم الاستقرار والفوضى يدفعانها الى ايادى عناصر عسكرية مستوردة تحاول توجيه

القادة السياسيين الافريقيين بعيدا عن ارتباطاتهم السابقة بالغرب » (٦). كما قال أرنست ليفيفر .

تمنح الولايات المتحدة معونة عسكرية محدودة ومساعدات اخرى فى نواحى التدريب والشئون الصحية والمالية لكثير من هذه الدول ، لمواجهة هذا الاتجاه وتدعيم الاستقرار الداخلى . وقد منحت أغلب المساعدات للحبشة ، وفيها تضع الولايات المتحدة الامريكية محطات اتصال فى كاجنيو . وليس لوسط افريقيا الا أهمية استراتيجية ضئيلة للولايات المتحدة بالاضافة الى أهمية مصادر المواد الخام فى هذه المنطقة .

ولافريقيا الجنوبية (اتحاد جنوب افريقيا وروديسيا) أهمية أكبر من الناحية الجيوبولوتيكية ، وهى عامل هام فى معادلة القوة العالمية ، اذ أن سيطرة موقعها الجغرافى على طريق راس الرجاء الصالح البحرى « تؤكدها بشدة حقيقة أن ما يمر حول هذه الراس كل يوم يقدر بمليون ونصف طن من حمولات السفن كل يوم ، أكثر من نصفها بترول لاوروبا » (٧) .

تملك جمهورية جنوب أفريقيا الاقتصاد الاكثر تقدما فى القارة ، فهى تنتج ٤٣ ٪ من معادن افريقيا ، ٧٣٪ من الذهب الذى ينتج فى العالم غير الشيوعى . وحكومتها أقوى الحكومات واكثرها استقرارا فى القارة . وسياستها قائمة على التفرقة العنصرية وسيادة الجنس الابيض .

تتركز أغلب القوات العسكرية فى المنطقة الافريقية جنوب الصحراء، فى جنوب أفريقيا . ويبلغ تعداد قواتها النظامية ٤٠,٠٠٠ فرد . وهى تنتج أغلب أسلحتها الخفيفة ولكنها تستورد الدبابات والاسلحة الثقيلة . والقوة الاساسية لبحريتها تتكون من مدمرتين ASW اساسا ، وهى صغيرة ولكنها فعالة . والقوة الجوية مجهزة أساسا بطائرات ميراج الفرنسية ، وبها ٢٠٠ طائرة مقاتلة . كما تملك قوة شرطة فعالة تعمل بخشونة تماثل فى حجمها حجم القوات المسلحة ، وهى مجهزة ومدربة للسيطرة على أعمال الشغب والقيام بالاعمال شبه العسكرية . كما أنها تملك قوة مليشيا أوروبية وان كانت لا تزال ضعيفة التدريب .

لروديسيا ٣٠,٠٠٠ فرد فى القوات العسكرية وشبه العسكرية ، بما فيها قوات الشرطة . واقتصادها جيد ومستمر رغم مقاطعة أغلب الدول الغربية . والمستعمرات البرتغالية فى انجولا وموزنبيق متخلفة وقليلة السكان ، وثروتها الكامنة لا بأس بها . ويسود كلاهما عصيان مدعم من

الخارج ضد حــكم لشبونة ، وتحتفظ البرتغــال بقوة من ٥٥,٠٠٠ من البرتغاليين والافريقيين فى انجولا ، ٤٠,٠٠٠ فى موزنبيق . ويبدو مستقبل المستعمرات البرتغالية مظلما بانتهاء حكم سالازار وسياسة الغد الغير معروفة . ولكن لروديسيا وجنوب افريقيا أهمية استراتيجية واقتصادية عظمى . والحصار الاقتصادى ضد روديسيا — وهى دولة أكثر اعتدالا من جنوب أفريقيا فى سياستها العنصرية — لم يضرها ولكنه أضر الولايات المتحدة الامريكية ، لان روديسيا مصدر هام للكروم الجيد ، وقد أصبحنا نعتمــد فى حاجتنا من هــذا المعدن — منذ تحريم التعامل مع روديسيا — على الاتحاد السوفيتى ، الذى انتهز هــذه الفرصة ورفع الاثمــان . وتلك السياسة التى طبقناها على روديسيا لا يمكن التراجع عنها من النواحى الاستراتيجية أو السياسية أو الاقتصادية .

وكما قال هنرى وولف Henry C. Wolf ، قارة افريقيــا « غنيمة اقتصادية كبرى تستحق النضال من أجلها ... لثراءها بالمواد الخام ... حوالى ٢٥٪ من منجنيز العالم ، وما يزيد عن ٥٠٪ من الذهب، ٧٠٪ من زيت النخيل ، ٧٥٪ من السيزال ، ٨٠٪ من الكولومبيوم » ، وخاماتها بما فيها الماس ، والانتيمون والذهب فى جنوب أفريقيا ، والبريل (حجر كريم) فى الكونغو ، والكروميت فى جنــوب أفريقيا وزامبيــا ، والكولومبيوم فى نيجيريا ، والبترول فى انجولا ونيجيريا ، والمطاط والمنجنيز واليورانيوم ، كلها لها أهمية خاصة للولايات المتحدة والعالم الغربى ، كمخزون من الخامات .

ولكن السياسة والاقتصاد الافريقيين — فيما عدا الدول التى تسود فيها الشعوب البيضاء فى جنوب أفريقيا وروديسيا — تقوم على أسس قبلية ومتباينة ، تسودها المشاحنات والشقاق ، وتتكون من خليط من دول ولكنها ليست دول طبقا للمفهوم الحديث للدولة ، وسيبقى تخلفها ، كما ستبقى مشكلاتها عوائق تمنع الوصول لاى حل لعدة أجيال قادمة . ومصــالحنا الاستراتيجية العظمى جنوب الصــحراء الافريقية تتضمن الحصول على المواد الخام من افريقيا — وهى مخزن كبير لثروة لم تمس بعد — واستخدام الطريق البحرى حول رأس الرجاء الصالح . وتستطيع الولايات المتحدة الاستغناء عن المصادر الافريقية مدة طويلة عن طريق التخزين واستخدام المواد البديلة ، ولكن فى مقابل أثمان عالية . والخطر فى افريقيا ليس عاجلا ولكن مداه بعيد . خطر اتحاد أغلب دول القارة بالتدريج اقتصاديا وايديولوجيا طبقا لنظريات ومبادىء مســتوردة من خارج القارة .

والدول الحديثة فى أفريقيا ، على أى حال ، تميل الى الشيوعية والاشتراكية . والعناصر الموالية للاتحاد السوفيتى وللصين الشعبية تعمل بنشاط فى مناطق عديدة من أفريقيا ، عن طريق الدعاية والمعونة المحدودة، الاقتصادية والعسكرية . وقد أنشأت الصين نقطة ارتكاز لها فى زانزيبار (تانزانيا) ذات الموقع الاستراتيجى الهام ، وهى تساعد زامبيا لبناء خط حديدى الى دار السلام . كما ظهرت الاسلحة الصينية والجماعات الصغيرة من مثيرى الفتن فى قلب افريقيا . ولكن الوصول الى جنوب الصحراء فى أفريقيا لا يزال عملا صعبا على الدولتين الشيوعيتين ، خصوصا بالنسبة للصين التى لا تملك أسطولا للبحار العالية ، مما يجعل دعم الحركات الثورية فى هذه المناطق عملا صعبا بالنسبة لها حتى الان . والروابط الثقافية بالاستعمار السابق — وخاصة فى المستعمرات الفرنسية — لا يزال لها أثر هام يقف فى مواجهة الشيوعية ، وأهم من كل ذلك الشقاق المستمر وعدم الاستقرار فى القارة ، والتفرقة بين الالوان فالاسود هو الافضل ، ولكن الاصفر يأتى بعده ، والابيض يثير الشكوك .

قد تصبح أفريقيا مشكلة عظمى فى المستقبل البعيد . ولكن الخطر الحالى يكمن فى الخوف من منع المواد الخام أو احتكارها وقصر الامداد بها على دول معينة ، وحتى هذا غير محتمل الحدوث عاجلا . اذ أن أفريقيا تحتاج الى الغرب فى هذه الايام ، أكثر مما يحتاج الغرب الى أفريقيا . والانفصالية المتطرفة ، والاقليمية والتخلف كلها عوامل تحول دون ازالة الانقسام القبلى .

لا تحتفظ الولايات المتحدة بأى منشآت عسكرية فى أفريقيا جنوب الصحراء ، عدا محطة الاتصال الهامة فى أثيوبيا ، التى سوف تستمر أهميتها الكبرى لعدة سنين ، وربما تحل محلها منطقة أخرى عندما تنتهى الاتفاقية مع أثيوبيا سنة ١٩٧٨ . كما أن محطات متابعة الفضاء موزعة فى مناطق أخرى . والموقف الان لا يقتضى أن يكون للولايات المتحدة مثل هذه القواعد فى أفريقيا ، وكذلك ليس لها مصالح حيوية هناك تحتم وجود هذه القواعد . ومصالحها هناك ، عدا الحصول على المواد الخام ، تتعلق بالبلاد الافريقية نفسها — مطارات متوسطة ، حقوق الطيران فى اجوائها تسهيلات للسفن البحرية ، وقواعد للداوريات البحرية فى وقت الحرب — وهى مصالح مفيدة ولكن ليست حتمية . وليس هناك ما يبرر دفع ثمن سياسى أو اقتصادى أو عسكرى غالى فى مقابل الحصول عليها .

انه لشىء مخزى وشاذ أن تكون أكثر المناطق استقرارا وأعظمها أهمية استراتيجية فى أفريقيا جنوب الصحراء ، هى المناطق فى أقصى الجنوب ، حيث يسيطر الجزء الجنوبى البارز من أفريقيا على الطريق

البحرى بين المحيطين الاطلسى والهندى . « يمخر ما يقرب من ٢٠٠٠ سفينة عباب البحر مجيئا وذهابا عبر الطرق البحرية المجاورة لشواطىء جنوب افريقيا (٨) » والمؤسف فى الموضوع حقا أن يسيطر على هذه المنطقة — التى تتركز فيها الاهمية الاستراتيجية — دول يسود فيها حكم الرجل الابيض ، فيما عدا زامبيا . وجنوب أفريقيا وروديسيا ، وهما أكثر الدول تقدما وأشدها ارتباطا بالغرب ليست منيعة ضد قيام صراع بين السود والبيض ، ذلك الصراع الذى أقلق أغلب المستعمرات السابقة فى أفريقيا ، والذى لا زال يسبب القلق للولايات المتحدة الامريكية نفسها . ولكنها خالية من الحروب القبلية العنيفة والمشاعر العدوانية بين السود بعضهم البعض التى أهلكت جهود الدول الافريقية الاخرى حديثة الاستقلال . وحتى المستعمرات البرتغالية ، انجولا ومزنبيق ، لم يصبها ما أصاب نيجيريا أو جمهورية الكنغو ، ولو أن حروب العصابات تقوم فى بعض أجزائها من وقت لاخر .

يعتبر الثوار مصدر خطر أولى فى مستعمرات البرتغال ، ومن المعروف أن الصين الشيوعية وبعض دول شرق أوروبا تمدهم بالاسلحة وتعاونهم بالتدريب . ويسيطر الثوار فى موزنبيق على مقاطعتين ، فى المناطق الريفية أثناء الليل فقط ، وليس فى المدن ولا اثناء النهار . وهذه الحرب الصغيرة المتقطعة لا تزال مستمرة منذ خمس سنوات . ولكن البرتغاليين يسيطرون على المراكز السياسية أو الاقتصادية الهامة ، وعقد المواصلات ، ولا يبدو فى الافق حل سريع لهذه المشكلات .

ولكن لا « الحرب » فى البرتغال ولا « الجبهة » التى قامت حديثا للعمل ضد روديسيا ، لا يمكن أن يكون أيهما أو كلاهما بادىء لاشعال أفريقيا ، الا اذا خاطرت الدولتان الشيوعيتان وضاعفتا مساعداتهما لافريقيا ، وحتى اذا تم ذلك فان القبلية الافريقية تعوق الوحدة ، مما يجعل اتحاد الشعوب السوداء لطرد الرجل الابيض من افريقيا حلما بعيدا جدا حتى الان .

هناك حقائق جغرافية تجعل سيمونزتون وديربان وميناء خليج ريتشار الجديدة ، على رأس قائمة الموانى والقواعد الجوية الهامة . والطريق البحرى حول رأس الرجاء الصالح أفضل بكثير من الطريق البحرى حول رأس هورن من ناحية الطقس الجوى والمسافة . وحتى عندما تفتح قناة السويس فى يوم من الايام فان حاملات البترول الضخمة سوف لا تستطيع المرور منها ، مما يحتم بقاء ميناء بجوار رأس الرجاء الصالح باستمرار فى المستقبل ، وفى ذلك أهمية خاصة للغرب .

وبناءا على خطابات متبادلة بين بريطانيا وجنوب أفريقيا فى عام ١٩٥٥ ، منحت بريطانيا الحق فى استمرار استخدام سيمونزتون بواسطة الاسطول البريطانى فى وقت السلم ، وبواسطة بريطانيا وحلفاءها فى وقت الحرب ، مما يتيح طريق بحرى هام للغرب طالما بقيت حكومة جنوب أفريقيا ، التى تقع تحت ضغوط من الغرب معادية لسياسة التفرقة العنصرية التى تنتهجها .

لاستخدام هذه القاعدة اهمية لبريطانيا والولايات المتحدة الامريكية فى نفس الوقت ، خصوصا اذا دعمنا قواتنا فى المحيط الهندى وفى جنوب أفريقيا (٩) . وفى جنوب افريقيا ، هناك دواع استراتيجية ملحة وحقائق جغرافية تبدو بوضوح أنها متعارضة مع سياسة العطف والحساسية .

ستقف الحساسيات والانقسامات التى تعقب المشاكل العنصرية فى الولايات المتحدة وجنوب أفريقيا ، ستقف حائلا يعوق اتخاذ الاجراءات الاستراتيجية اللازمة بالقرب من رأس الرجاء الصالح . ولكن واشنجطن تستطيع أن توقف ازدياد تفاقم المشكلة الذى يحدث نتيجة ضغوطها التى تثير الشعور وتسىء العلاقات ، كذلك نتيجة التصرفات التى تنم عن قلة الحيلة ، والتى لا فائدة منها ، مثل الغاء زيارة الاسطول الامريكى لموانى جنوب أفريقيا ، ومنع التعاون معها فى مجال التسليح .

كتب جورج بول George Ball قائلا « لا أستطيع أن أتبين أى دليل على أن السياسات التى نسلكها تجاه جنوب أفريقيا تؤدى الى تغير أفضل ولكن ، يبدو أنها تؤدى الى عكس ذلك » (١٠) .

المحيــط الهنــدى

من المحقق أن المحيط الهنــدى الفسيح تلك المساحة المائية الكبرى الممتدة من رأس الرجاء الصالح الى البحر الاحمر والخليج الفارسى وخليج ملقا — هو مسرح لاحدث دراما فى السياسة العالمية . لقد حل فيه ممثلون جدد على متن التاريخ : روسيا السوفيتية ، والصين الشيوعية الى حد ما ، والولايات المتحدة الامريكية لا تزال نصف مختفية خلف الستار تتردد فى وضع قرارها .

لقد أصبح للمحيط الهندى اهمية استراتيجية جديدة فى عصر الصواريخ الموجهة ورحلات الفضاء . وساعد استخدام مياهه الفسيحة بواسطة القواعد البحرية لشبكة اطلاق الصواريخ الموجهة الامريكية على دعم قوة

الردع النووى الامريكى الى حد كبير . والغواصات وسفن السطح الصاروخية التى تمخر عباب المحيط الهندى تضيف أبعادا جديدة الى الانتشار ، وهو عامل هام دائم يؤثر على درجة تعرض شبكة الصواريخ ، كما أن خفة حركة هذه القواعد سوف تزيد من مصاعب تحديد مواقعها الى درجة تقلل الثقة فى القدرة على تدميرها الى حد كبير ، وسفن الصواريخ التى تتحرك فى هذه المياه تستطيع أن تلقى مراسيها فى أقل مناطق العالم ازدحاما بالسكان . بعيدا عن طرق الملاحة التجارية اذا تطلب الموقف ذلك . ومن هذه المواقع يتعرض قلب أرض آسيا — أقليم سينكيانج ، والمنشآت النووية فى الصين ، ومراكز الصناعات العسكرية السوفيتية فى وسط آسيا ، الى الهجوم من اتجاه جديد من الجنوب . كما أن الصواريخ الاستراتيجية المضادة للصواريخ التى تسير جنوب الشواطىء الهندية تستطيع أن توفر وقاية معنوية عسكرية وسياسية هامة ، لحماية شبه القارة الهندية من استغلال الاسلحة النووية الصينية فى حملات الدعاية .

بالاضافة الى الاهمية الكبرى للمحيط الهندى كوسادة هائلة غير معرضة للصواريخ فان القوات البحرية التى تمخر عباب مياهه يكون لها تأثير سياسى ومعنوى يفوق قدرتها الحقيقية « كما أوضحت زيارات السفن السوفيتية » على المناطق الغير مستقرة فى أفريقيا والشرق الاوسط وشبه القارة الهندية .

لقد أكدت التكنولوجيا الحديثة أهمية الوصول الى المحيط الهندى ، ابعد محيطات العالم عن معرفة الامريكيين . اذ أصبح البحر الابيض المتوسط بحيرة ، بعد ظهور الصواريخ والطائرات القوية ذات مدى العمل الطويل ، وفى وقت الحرب والازمات ، لا يمكن أن يكون هذا البحر الا ممرا مائيا لا يعتمد عليه . وقد أصبح الطريق البحرى حول رأس الرجاء الصالح أقصر الطرق ، منذ قفل قناة السويس ، وهى خليج مائى ضيق لا يمكن الاعتماد عليه عند قيام العدوان أو التهديد به ، وقد أصبح الدفاع عن الخليج الفارسى وشبه الجزيرة العربية والشرق الاوسط يحتم وضع استراتيجية خاصة للمحيط الهندى ، اذ لا يمكن أن يعتمد على البحر الابيض المتوسط فقط .

لقد أظهرت روسيا اهتماما كبيرا بالمحيط الهندى ، وكانت فى هذا المجال أكثر فطنة من الدولة التى انجبت الفريد ثايرماهان رائد نظرية « أثر القوة البحرية على التاريخ » .

وصف أحد الخبراء النشاط البحرى والاقيانوغرافى الروسى فى المحيط الهندى بانه نشاط « تتزايد اثارته للاعجاب » . وقد اتضح أن ظهور

الاسطول الروسى الذى بدأ حديثا فى المنطقة ليس ظاهرة عابرة ولكنها مستديمة . فالفرقاطات السوفيتية تحمل الماشية والاغنام للعربية السعودية من موانى شرق افريقيا من أجل « الضحية » فى مكة ، ومن أجل التجارة فى الخضروات والخيــار والكوكولا على امتداد الشــاطىء الافريقى . واساطيل الصيد الروسية ترســو شرق السويس ، ورجال الحــرب السوفييت ـــ فى سفن السطح والغواصات والسفن المساعدة وســفن استكشاف الفضاء ـــ يمخرون عباب البحار من سيلان الى ممباسا . وقد تواجدت السفن الحربية الروسية فى المحيط الهندى منذ عام ١٩٦٨ وتزايد عددها الى ثلاثين سفينة فى بعض الاوقات . وقد قام الاسطول السوفيتى بزيارة الخليج الفارسى فى اواخر الستينيات ، وكانت الزيارة الاولى لهذه المنطقة منــذ قرن من الزمان . كما ان الســفن الروسية تتنقــل بين فلاديفوستوك ـــ من اسطول المحيط المتجمد الشمالى وبحر البلطيق ـــ وبين المحيط الهندى ، ولكن الاسطول السوفيتى بقى دائما ممثلا فى المحيط الهندى منذ عام ١٩٦٨ بسفن يتغير عددها من وقت لاخر . وقد نعت أحد قادة البحرية السوفيتية القوات البحرية الروسية بانها « أسطول المحيط الهندى الروسى الاستراتيجى » .

وقد زادت أهمية هذا التفكير الاستراتيجى وتضاعفت اثارته لانه طبق فى نطاق شاسع حول رأس الرجاء الصالح حتى مضيق ملقا دون الاعتماد على قواعد ثابتة فى المنطقة .

وقناة السويس هى أقصر طريق بحرى يصــل بين أوروبا والمحيط الهندى ، وقد ظل معدل استخدام الروس لهذا الطريق فى تزايد حتى غلقه عام ١٩٦٧ ، وكانت تعبره ناقلات البترول القادمة من البحر الاسود ، كما كانت تستخدمه السفن الروسية التجارية والحربية بمعدل يتزايد يوما بعد يوم (١١) . وكانت ـــ عند غلقها ـــ على وشك أن تصبح شريانا يغذى اطماع روسيا فى المحيط الهندى . ولا شك فى أن المستفيد الاكبر ـــ بعد مصر ـــ من اعادة فتح هــذا الطريق هى روسيا فى نواحى الشــئون الادارية والسياسية والاقتصادية والعسكرية . كما ان فتح القناة سوف يسهل معاونة الشيوعية لجبهات التحرير حول الجزيرة العربية ، ويزيد فرص زرع الحــركات الثورية التى يشــجعها الشيوعيون فى القــارة الافريقية .

ومن المحتمل الوصول الى تسوية فى منطقة الشرق الاوسط بــين العرب واسرائيل والولايات المتحدة الامريكية وروسيا ، تسمح باعادة فتح قناة السويس . ولكن اسرائيل تطلب ثمنا عاليا ، ولا يمكن تقبله فى اذهان

العرب — ان لم يكن ذلك مستحيلا — الا بمضاعفة المعونة السوفيتية الى حد كبير . ومثل هذه التسوية سوف تكون تسوية مؤقتة وليست نهائية . والتسوية المؤقتة من مصلحة روسيا ، ولكن التسوية النهائية ليست كذلك ، واعادة فتح قناة السويس سوف يسهل التوسع الشيوعى فى منطقة الشرق الاوسط — افريقيا — المحيط الهندى ويشجعه . ولو ان الروس ظهروا فى شرق القناة رغم قفلها منذ مدة طويلة . ويبدو انهم ظهروا هناك ليبقوا وان التوسع الشيوعى عمل مخطط وموجه لتحقيق هدف معين وليس شيئا مؤقتا أو عابرا .

واذا ما كان مخطط التوسع قائما ، كيف نقابله ؟

كل من يزور هذه المنطقة — منطقة الشرق الاوسط ، افريقيا ، المحيط الهندى — يشعر بان الولايات المتحدة الامريكية فى حاجة ماسة الى سياسة شاملة مترابطة فى المنطقة . ولكن نظرة السفراء الى الدول التى يعملون فيها فى هذه المنطقة غالبا ما تكون باهتة ، لأن غمامة القومية التى تطغى على مشكلات هذه البلاد تحد من أفق تلك النظرة . وهذا خطر قائم فى المجال الدبلوماسى منذ قديم الزمان . يضاف الى ذلك ان بعض السفراء ينسون التزاماتهم تجاه الولايات المتحدة الامريكية فى غمار نشاطهم للتقرب من الشعوب التى يعملون معها . تلك اخطار بدت واضحة فى الشرق الاوسط على وجه الخصوص ، حيث اتسم الحكم على الامور بالظاهرية دون الموضوعية نتيجة لعزل وانعزال كثير من السفارات عن البلاد التى تعمل فيها ، وتعاقب أسباب التوتر وتفاقمها فى هذه البلاد ، وتشبع جوها بالدعايات ، وتأثير العوامل الداخلية فى الولايات المتحدة الامريكية وانعكاسها عليها .

لقد اصبحت سياستنا مفتتة غير مترابطة . لأن تنظيم المؤسسات الحكومية فى الولايات المتحدة الامريكية يساعد على ذلك . ونظام وزارة الخارجية بصفة خاصة ، الذى يقوم على فصل وتمييز مناطق شمال افريقيا ، والشرق الاوسط ، وجنوب شرق آسيا ، بالاضافة الى نظام القيادة العسكرية فى البنتاجون ، كلها عوامل تساهم فى اتخاذ قرارات والقيام باجراءات متابية ومتضاربة . وهذا يقتضى تعديل هذين النظامين .

يمكن تخصيص سفير متجول ، أو سفير فوق العادة مفوض لكل البلاد العربية واسرائيل ، وكذلك لباكستان وافغانستان وتركيا وايران . ويشترط فيه أن يكون ذو شخصية ومكانة رفيعة — فى الداخل والخارج — تعوض اقدميته وكياسته وسمعته مشاعر الغضب التى تصاحب مثل

هذا الاجراء فى سفاراتنا فى هذه البـلاد . على أن يكون مركز عمله فى واشنجطن — ليعمـل كذراع أيمن لوزير الخارجية — ويتنقل بين وقت وآخر من المغرب والطرف الغربى للبحر الابيض المتوسط، الى الباكستان. كما يجب تغيير نظام المحفوظات ، وكذا تغيير نظام سكرتارية رئاسـة وزارة الخارجية حتى يمكن وضع سياسة اكثر توحيدا .

تحتاج سياستنا فى افريقيا أيضا الى توضيح لان « السياسة الامريكية تجاه افريقيا السوداء تميزت بالغموض والالتباس نتيجة لانعكاس آثار التفرقة العنصرية فى الداخل والخارج عليها . وتحاول الولايات المتحدة الامريكية — نتيجة لذلك — أن تكون أكثر صداقة تجاه الدول التى يحكمها سود من تلك التى يحـكمها بيض دون أن تضـع فى اعتبارها المـزايا الاستراتيجية الهـامة للدول المعنية ، كما يقضى به المنطق فى أغلـب الاحـوال » (١٢) .

ومع أن جمهورية جنوب افريقيا هى أكثر الدول الافريقيع أهمية لنا من الناحيتين الاستراتيجية والاقتصادية ، فهى أيضا تملك جزءا أساسيا من مصادر امداد العالم الحر بالذهب ، الذى يتوقف عليه استقرار عملائه الى حد كبير .

على أن نظام القيادة العسكرية شرق السويس ، جاء احيانا نتيجة للتنافس بين أفرع القوات المسلحة ، ولكنه أصبح نظاما متخلفا فى ظروف التوسع الشيوعى الجديد المتزايد .

قال محمد رضى بهلوى شاه ايران ، وهو يجيد الانجليزية ولغتهـا الدارجة اجادة تامة ، فى مقابلة له « من المعلوم لكم ان فى نظام الحـكم الحالى — فى حكومة كنيدى ، جونسون — رجال صغار يحدثون طنينا عاليا ، يعتقدون ان فى استطاعتهم ادارة شئون العالم بفرقتين من جنود الجو » . وقد ابدى هذه التعليق بصفة خاصة ، عندما كان قائد القـوة الضاربة الامريكية — وهو مسـئول عن ايران واغلب باقى المنـاطق المضطربة حتى الهند ، ومركزه فى الولايات المتحـدة الامريكية — يزور طهـران .

يقسم نظام القيادة العسكرية الحالية مياه المحيط الهندى (عـدا البحر الاحمر والخليج الفارسى) بين القائد العام فى المحيط الهادى ومركزه فى هاواى ، والقائد العام فى المحيط الاطلنطى ومركزه فى نورفولك فى ولاية

فرجينيا . ويتبع قائد الاسطول الامريكى السادس فى البحر الابيض المتوسط للقائد العام للقوات البحرية الامريكية لاوروبا فى لندن ، وهذا بدوره يتبع لقائد القوات الامريكية لاوروبا فى المانيا . ولكن المناطق البرية كلها — افريقيا والشرق الاوسط وشبه القارة الهندية — وكذلك قوة اسطول الشرق الاوسط الصغيرة فى البحرين ، تتبع لقائد القوة الامريكية الضاربة ، ومركزه فى فلوريدا . وهذا يعنى أن هناك منطقة من أهم مناطق العالم تدخل فى نطاق « مسئول غائب » ، اذ لا يوجد بها قوات امريكية — عدا قيادة الشرق الاوسط — ويعتمد التخطيط لها على « زوج من فرق جنود الجو » من أجل « ادارة شئون العالم » .

أصبحت قدرة جنود الجو على التحرك الخاطف الى المناطق المهددة لمقابلة أزمة طارئة ، عنصرا أساسيا وفعالا فى خفة الحركة فى العصر الحديث . وتزداد أهمية خفة حركة جنود الجو — على وجه الخصوص — فى المناطق التى يستحيل أو لا يحتمل فيها مواجهة مباشرة مع القوات السوفيتية أو الصينية ، وايضا فى المناطق التى يتضمن التهديد الرئيسى فيها حرب عصابات على نطاق ضيق . ولكن خفة الحركة الجوية تتوقف على مدى توفر المطارات وحقوق الطيران على طرق الاقتراب الجوية الى المنطقة ، ولا يمكنها مواجهة المساحات الشاسعة فى المحيط الهندى ، كما لا يمكنها مواجهة احتمال حدوث صدام مباشر بين الدول العظمى فى الشرق الاوسط . وشبكة القيادة المجزاة هـذه لا تتناسب مع أهمية المنطقة فى الوقت الذى تبدو فيه حيويتها بالنسبة الينا واضحة . يجب الاهتمام بانشاء قيادة للمحيط الهندى ، يدخل فى نطاقها كل المناطق البرية والبحرية فى منطقته ، بما فى ذلك الشاطىء الشرقى لافريقيا ، وشرق السويس ، الى حدود بورما وتايلاند مع احتفاظ القيادة الضاربة باختصاصاتها فى نطاق غرب افريقيا وجنوب الصحراء بالاضافة الى مهام التدريب العام المشترك فى الولايات المتحدة الأمريكية .

بالاضافة الى تجديد نظام القيادتين الامريكيتين ، الدبلوماسية والعسكرية ، يجب أن تستمر منظمة السنتو فى مباشرة مهامها الدولية طالما وجدت الدول أعضائها — الباكستان ، وايران ، وتركيا ، والمملكة المتحدة — فى ذلك فائدة لها . والسنتو منظمة عسكرية وان تبدو فائدتها غير أكيدة فى هذا المجال الا على الورق . ولكنها ترعى خدمات اقتصادية وادارية فى كل الدول الأعضاء ، خصوصا بالنسبة لتحسين طرق المواصلات .

كلما ضعف الدور الذى تلعبه الولايات المتحدة فى فيتنام ، وكلما تصاعد التحدى الروسى — الصينى ، كلما زادت أهمية اتخاذ القرار فى

مسألة الوجود العسكرى الامريكى شرق السويس . وهذا يقتضى بحث احتمالين عاجلين .

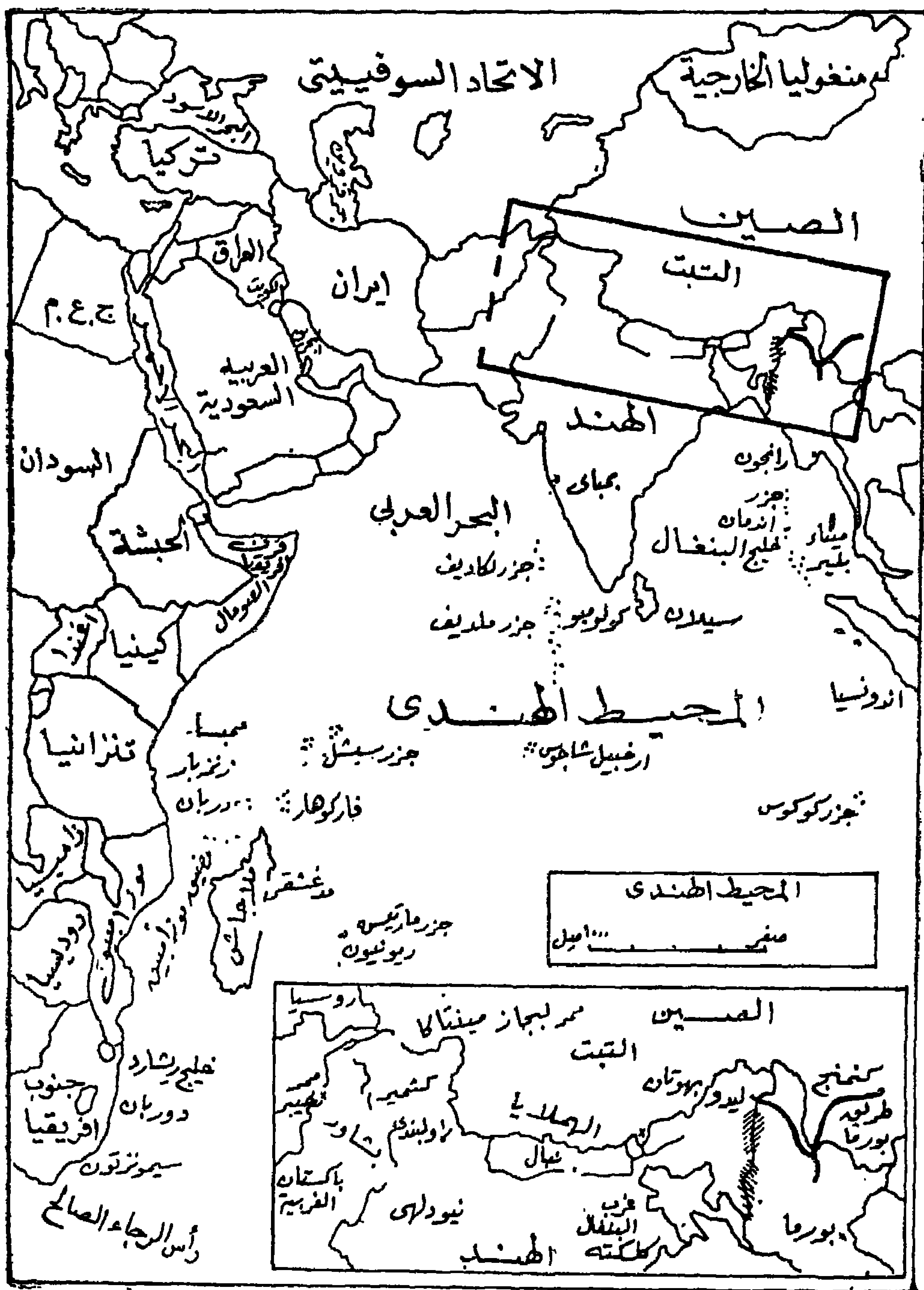
قوة الشرق الاوسط البحرية ، هى وحدة ترفع علم الولايات المتحدة وتجمع المعلومات فى المنطقة . مركزها البحرين وعمرها الآن يزيد عن العشرين عاما ، ولا تحتاج لزيادة عاجلة أكثر من زيادة قوتها الحالية التى تتكون من ثلاث سفن الى الخمس سفن المخصصة لهـا ، مع استمرار الزيارات المتعاقبة للسفن الحديثة الكبرى لها ، بالاضافة الى اتخاذ الاجراءات اللازمة لاستخدام التسهيلات الموجودة فى البحرين دون قيود، وتوفير طائرة نقل حديثة ليستخدمها قائد قوة الشرق الاوسط ليتنقل بها عبر آلاف الاميال التى يقطعها خلال العام ، تلك حاجة ملحة .

يعتقد بعض الخبراء الامريكيين ان بقاء هذه التسهيلات فى البحرين بعد انسحاب القوات البريطانية سيكون له أثر سياسى سىء ، ويجعل قوة الشرق الاوسط هدفا يستغله الشيوعيون فى الاثارة . ويرجح هؤلاء الخبراء تطبيق الحلول الاقليمية التى يراها الشاه للمشكلات الاقليمية ، على ان تستبدل القاعدة الدائمة فى الخليج بزيارات دورية تقوم بها قوات بحرية امريكية ذات واجب خاص ، طبقا لنظام معين .

هذا اجراء بديل لمـا كان يأخذه التاج البريطانى على عاتقه ، وقد يبدو أنه سوف لا يكون بديلا فعالا . من الضرورى أن يكون الوجود باهتا غير ظاهر من ناحية ، ولكن من الناحية الاخرى يتحتم وجود قوة مستعدة على علم بمجريات الامور أولا بأول فى المنـاطق المضطربة حول الخليج العربى ، حيث توجد مصالح كبرى فى البترول للولايات المتحدة الامريكية .

تحتفظ بريطانيا بجزيرة مسيرة امام شاطىء مسقط وعمان — ومجاملة منها للبحرين — كقاعدة للطائرات . وهذا اجراء هام بالنسبة لأى سياسة يضعها الغرب لمنطقة المحيط الهندى . لأن القواعد التى توضع فى الجزر لا تسبب اثارة للشـعور السياسى خلافا لتلك التى توضـع فى الارض الاساسية فى اقليم الدولة .

بالاضافة الى نقط الخليج ، وموانى جنوب افريقيا ، يجب توفـير مطار صغير ومراكز امداد بالوقود لطائرات الغرب ، فى جزيرة جان ، مجموعة جزر ملديف ، رغم حساسية المنطقة . كما ان جزر كوكوس ، وهى على بعد ٨٠٠ ميل جنوب غرب سنغافورة ، وهى تابعـة لادارة استراليا ، توفر محطة كوابل ، ومراكز لاعادة الملىء ومطار صغير فى الشرق .


الاتحاد السوفييتي
منغوليا الخارجية
تركيا
الصين
التبت
العراق
ايران
ج.ع.م
العربية السعودية
الهند
السودان
الحبشة
بمباى
البحر العربي
خليج البنغال
جزر اندمان
رانجون
جزر لكاديف
سيلان
كولومبو
جزر ملديف
كينيا
اندونيسيا
المحيط الهندى
تنزانيا
جزر سيشل
ارخبيل شاجوس
جزر كوكوس
ممباسا
زنزبار
دربان
فاركوهار
مدغشقر
جزر ماريشيوس
ريونيون
المحيط الهندى
روسيا
الصين
التبت
كشمير
بهوتان
نيبال
باكستان الغربية
نيودلهى
بورما
الهند
كلكتة
خليج رشارد
دوربان
جنوب افريقيا
سيمونزتون
رأس الرجاء الصالح

لا تزال الدراسة مستمرة حول اقامة تسهيلات بحرية وجوية صغيرة في ديجو جارسيا — وهي جزء من مستعمرة بريطانية جديدة انشئت عام ١٩٦٥ تحت اسم اقليم المحيط الهندي البريطاني — لا ستكمال التسهيلات الحالية الغير كافية ، ولتوفير المساعدة اللازمة لدعم الوجود الغربي في مساحات المحيط الهندي الفسيحة .

يتكون اقليم المحيط الهندي البريطاني B.I.O.T من ارخبيل تشاجس ، في وسط المحيط الهادى ، شمال شرق ماريتوس بمسافة ١٢٠٠ ميل ، ومن جزر فاركها — الدابرا دي روش التي تقع شمال مدغشقر . وقد ابدت القوات الجوية البريطانية الملكية اهتمامها بهذه المجموعة — ضد معارضة الطبيعيين — كمحطات جوية متوسطة ومراكز لاعادة الملىء . ويعتقد بعض الاستراتيجيين — وهم يستبعدون امكان استخدام موانى جنوب افريقيا أو مطارات افريقيا السوداء كخطوط جوية بحرية الى المحيط الهندى — ان هذه الجزر القريبة من مدغشقر ، بالاضافة الى تسهيلات لاعادة الملىء للسفن والطائرات توضع على جزر اسنسيون وجزر سانت هيلانة في المحيط الاطلسي ، كلاهما أو أيهما ، تعتبر طرق عسكرية بديلة يمكن استخدامها في حالة الطوارىء حول راس الرجاء الصالح .

ولجزيرة دياجوجارسيا — ولو انها جزيرة متخلفة تتعرض لطقس ردىء ولامواج صاخبة في شمال غرب المونسون — مزايا طبيعية وسياسية .

وهي توفر مرسى طبيعي وتسهيلات قاعدة صغيرة متقدمة مثل جزر اوليثي في المحيط الهادى ، التي استخدمتها البحرية الامريكية في الحرب العالمية الثانية . ولا يزيد عدد سكانها عن ٩٠٠ فرد ، مما يمكن من انشاء قواعد أجنبية بها دون قيام المشاكل التي يتعرض لها انشاء هذه القواعد وسط حشود من السكان المواطنين . ويوجد بها منطقة رسو جيدة طولها ١٠ ميل واتساعها ٧ ميل ومتوسط عمقها ٨٠ قدم كما ان بها منطقة جافة تصلح كمطار وتسهيلات محدودة للمواصلات ، ومحل لخزانات الوقود ، ومكان لايواء من ٢٠٠ الى ٣٠٠ رجل . وقد طلبت المبالغ اللازمة لاعدادها — للتجفيف والتمهيد وانشاء مدارج جوية صغير — كقاعدة متقدمة صغيرة يمكن استخدامها في حالة الطوارىء . وسوف يكون لهذه القاعدة أهمية كبرى عندما تقتضي التطورات السياسية والاقتصادية تخصيص قوات امريكية مستديمة أو شبه مستديمة في المستقبل لمنطقة المحيط الهندى .

وبديهي أن نضع في اعتبارنا ان الانشاءات العسكرية المتواضعة تتجه أحيانا الى تضخم لا لزوم له ، وان واشنجطن يجب أن تعي جيدا —

وخاصة بالنسبة للموقف الحالى حيث الالتزامات لا تزال قليلة — مزايا وعيوب اقحام نفسها سياسيا وعسكريا فى منطقة المحيط الهندى . ولو انه من الواضح استراتيجيا انه اذا خصصت وحدة أمريكية برية أو جوية للمحيط الهندى بصفة مستديمة ، سوف يكون توفير محطة جوية ومرسى بحرى ومركز لاعادة الملىء فى جزيرة مثل دياجو مارسيا ، شيئا ضروريا لها . ولما كانت البحرين بعيدة جدا ومشغولة بالمشكلات الاقليمية فى منطقة الخليج ، فان دياجو جارسيا سوف توفر مع جزيرة مسيرة أمام شواطىء مسقط وعمان ، مطارات وقواعد متوسطة هامة عندما يقتضى الامر تخصيص قوة غربية مستديمة فى المنطقة .

قد تبين التطورات المستقبلة ان انشاء قيادة عسكرية دائما فى منطقة المحيط الهندى غير قيادة الشرق الاوسط شىء غير مرغوب فيه . وقد يكون المطلوب لا يتعدى انشاء قيادة للتخطيط مع قيام وحدات وأجنحة من قوات المحيط الاطلسى وقوات المحيط الهادىء بزيارات دورية للمنطقة حسب الظروف . ووضع اسطول بحرى أو قوة جوية تكتيكية فى المنطقة بصفة دائمة له عيوب كثيرة بسبب طول خطوط المواصلات وكثرة المشاكل الادارية وضخامة التكاليف . وقد يكون له نتائج سيئة — وقطعا سوف يكون له هذه النتائج بالنسبة لوجود الاحزاب السياسية المتطرفة — فى الهند . كما ان الجو الحار الرطب فى هذه المنطقة يحتاج لسفن حديثة جيدة التكييف ، مجهزة للعمل فى المناطق الحارة ، بالاضافة الى ضرورة توفير حوض جاف . كما ان الروح المعنوية ستكون مشكلة يتفاقم أثرها بالتدريج . لأن المناطق الصالحة لتدريب القوات البرمائية قليلة فى المنطقة ، كما ان اطقم السفن وافراد القوة الجوية التكتيكية الموجودة فى مسيرة أو دياجو جراسيا أو البحرين سوف تبقى حبيسة بين حوائط من الصلب أو فى قواعد صغيرة خالية من وسائل الترفيه والنقاهة التى يعتبرها الامريكيون أساس المدنية .

ولكن الجدل حول قوة رادعة من الغواصات والسفن المسلحة بالصواريخ شىء مقنع ، لاننا اذا أردنا بقاء ردعنا مقنع ، وخاصة اذا أردنا أن نوجه هذا الردع الى الصين ، فيجب وضع مثل هذه القوة فى المحيط الهندى ان عاجلا أو آجلا .

لقد أصبح المحيط الهندى أحدث مسرح لتنافس القوى الكبرى ، والدولة التى تسيطر عليه ، تسيطر على الشريط الساحلى الافريقى ، وعلى الشرق الاوسط ، وعلى شبه القارة الهندية . كما قال ادميرال جون ماكيان وبعض الضباط البحرين الاخرين .

ولا يمكن السيطرة عليه الا باستراتيجية بحرية ، استراتيجية سفن .

٩

آسيا والمحيط الهادى الفسيح

كتب لينين ان الطريق الى باريس يتجه من بكين .

وقد عبر بذلك عن ادراكه الفطرى للاهمية الجيوبوليتكية لقلب الارض الاسيوية للسيطرة على العالم ، بأسلوب ايديولوجى .

ونادى ماوتسى تونج بنفس الفكرة الاساسية بتعبير آخر عندما تكلم عن « ريف العـــالم Countryside of the World » والمد فى ثـــورة الفلاحين ـــ بدأت فى الصين ـــ التى سوف تعزل وتغرق وتفوق بالتدريج مراكز القوة الصناعية فى « جزيرة » العالم المتحضرة .

كما اكد ادميرال البحرية الامريكية آرثر رادفورد ، الذى عمل رئيسا لهيئة الاركان المشتركة فيما بعد ، ان الصين الموحدة سوف تكون خطرا حقيقيا يهدد الولايات المتحدة أيا كان نوع حكومتها .

الصين الان هى المركز الحقيقى لاسيا ومنطقة غرب المحيط الهادى . ذلك المارد الضخم الذى كان نائما ولكنه بدأ يستيقظ من لامبالاة استمرت لعدة قرون . لقد أدى تحولها الى دولة صناعية نووية تحت قيادة حكومة شيوعية مركزية الى تغير فى مجرى التاريخ .

وتقدم الصين ليس هو العامل الوحيد المؤثر على السياسات الآسيوية فى الغد . لكن هناك عوامل كبرى تؤثر على مستقبل التاريخ : القوة الآسيوية الكبرى الاخرى فى المحيط الهادى — روسيا السوفيتية — والتنافس القائم بين هذه القوة والصين من أجل السيطرة على وسط آسيا وسيبيريا ، كما ان الصدامات المسلحة ورواسب الحرب التى لم تعلن بين روسيا واليابان قبل الحرب العالمية الثانية ، تتفاقم يوما بعد يوم .

واليابان أمة جزيرية قوية ، وكانت امبراطورية قبل الحرب العالمية الثانية ، تضاعفت قوتها الاقتصادية والصناعية الى حد كبير . وطوكيو تمسك الآن بشدة بميزان القوى فى الشرق ، لتوازن بين الشرق والغرب ، وبين روسيا والصين ، وبين اليسار واليمين .

ولا يمكن أن تتجاهل الولايات المتحدةالامريكية قيام مراكز قوى عظمى هائلة جديدة فى أعظم قارات العالم ازدحاما بالسكان حتى الآن . وقد لا يكون للامريكيين رغبة فى الحرب على بعد آلاف الاميال من بلادهم ، ولكن ما يحدث فى آسيا يقرر حياة أو موت أجيال امريكية لم تولد بعد .

والمحيط الهادى أكبر محيطات العالم قاطبة ، وهو طريق شاسع طويل ، ومانع واقى لكل شرق آسيا ونصف الكرة الغربى واستراليا ونيوزيلندا ، وتحيط به الدول التكنولوجية والصناعية الرائدة فى العالم ، وتواجهه أكثر دول العالم ازدحاما بالسكان . توفر جزره المتناثرة تسهيلات وقواعد للدفاع والهجوم . والقارات التى تحيط به ، والجزر العديدة المنتشرة فيه، وبحاره العميقة، تحتوى على ثروات الامبراطوريات وعناصر القوة . وخطوط الاقتراب البحرية فى هذا المحيط تؤدى الى المحيط الهندى والمحيط المتجمد الشمالى ، والى المحيط الاطلسى حول كاب هورن وعبر قناة بنما .

لقد أصبح الدفاع عن المحيط الهادى شيئا ضروريا بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية ، بعد ازدياد التزاماتها السياسية فى العشر سنوات الماضية — خاصة بعد ضم هاواى وآلاسكا الى ولايات الاتحاد — اذ أصبحت مصالحها الحيوية والدفاع عن أراضيها تمتد الى مسافة ميلين من الاتحاد السوفيتى ، وهى عرض خليج بيرنج بين جزيرة الماس الصغيرة

التى تملكها الولايات المتحدة الامريكية وجزيرة الماس الكبيرة التى يملكها الاتحاد . ويمتد أيضا الى الخارج حتى وسط المحيط الهادى على بعد ٢٠٠٠ ميل من قارتنا . يضاف الى ذلك ان العلم الامريكى يرفرف فوق ساماو الامريكية فى أقصى جنوب المحيط الهادى ، وعلى بعد ٢٧٧١ ميل جنوب غرب هونولولو ، وعلى عديد من جزر صغيرة تقع بين خط طول ١٥٠° غربا ، الى خط طول ١٦٥° شرقا ، حتى جوام وهى شرق مانيلا بمسافة ١٥٠٠ ميل ، حتى الجزر الصغيرة المشمسة التى تحت الوصاية فى المحيط الهادى — وكانت تسمى جزر الانتداب اليابانى فيما مضى — وفى الواقع ، لا ترتبط الولايات المتحدة الامريكية بارتباطات حتمية سياسية وجغرافية ودفاعية بمنطقة بعيدة عن شواطىء قارتنا فى أى محيط آخر قدر ارتباطها بالمحيط الهادى .

وهناك أيضا فى المنطقة الاسيوية من المحيط الهادى مصلحة حيوية أخرى وهى اقامة دفاع ضد المعتدين ، وضد الاطماع التوسعية للصين الشيوعية التى يحكمها ماوتسى تونج ، لأن مصالحنا الحيوية ستتعرض ، اردنا أو لم نرد ، طالما كانت بكين خاضعة لمبادىء ماو ، كما كتب كارول بل :

> « ... يندر أن يكون هناك اصرار على المناداة المستمرة بالعالمية مثل تلك التى تضمنتها أفكار ماوتسى تونج . فالنظرية الاستراتيجية (لريف العالم) ليست نظرية للتوسع الصينى فى آسيا ، ولكنها نظرية حول استعباد عواصم العالم — الدول الصناعية بما فيها دول غرب أوروبا وامريكا الشمالية — ونسفها بواسطة فلاحين آسيا وأفريقيا وامريكا الشمالية ، وهى ترمى الى هدم نظام المجتمع الدولى القائم من أساسه .. وبذا تجد الدول المسيطرة على مراكز القوة نفسها متورطة أوتوماتيكيا » (١) .

وقد يحدث التورط فى مبدئه على امتداد الشريط الساحلى لآسيا ، اذ ان القوات الوطنية فى جنوب شرق آسيا وفى بعض الجزر الارخبيلية الممتدة على الساحل صغيرة ، ولا تستطيع مقابلة الضغط الخارجى الموجه من « ريف العالم » .

طرق الملاحة البحرية فى المحيط الهادى شرايين هامة للصناعة والاقتصاد فى الولايات المتحدة الامريكية . لان البريل (يستعمل البربليوم فى السبائك وفى الكيمياء والفيزياء النووية) يستورد من استراليا ، والكولومبيوم والتنتولام من ماليزيا ، والنحاس من شيلى وبيرو ، والالياف (القنب والسيزال) من الفلبين ، والرصاص من استراليا ، والمطاط من جنوب شرق آسيا (٢) ، والسكر والثوريوم (وقود يستخدم فى المفاعلات

النووية) من استراليا وماليزيا ، والقصدير والصفيح من ماليزيا والتونجستين من كوريا الجنوبية ، والزركون zircon وهى مادة مضادة للتآكل لها أهمية كبيرة فى الصناعات النووية (٢) — وكل هذه المواد وخامات أخرى غيرها لازمة بالضرورة للتقدم التكنولوجى ، تستورد من الدول حول المحيط الهادى أو بالقرب منه عبر الطرق البحرية .

كما أن الاموال الامريكية المستثمرة فى آسيا وفى بلاد المحيط الهادى مهمة جدا وتتضاعف بمعدل سريع ، ولو انها لا تعادل الاستثمارات فى اوروبا وكندا .

هذه هى مصالح الولايات المتحدة الامريكية فى آسيا والمحيط الهادى ، بعضها حيوى ، والبعض الاخر هام فقط ، بعضها عاجل الى حد خطير والبعض الاخر ممتد الى وقت طويل .

استراتيجية المحيط الهادى هى استراتيجية المسافات الطويلة والممرات الضيقة وليس هناك مثل هذه المسافات فى أى محيط آخر ، ولا يوجد محيط آخر تطوق فيه الاراضى القارية بجزر ساحلية كثيرة مثله، اذ أن شواطىء شرق آسيا ، والبحار الشاطئية على امتدادها تحجبها عن المحيط الهادى سلسلة من الجزر تمتد من جزر الوتيان فىآلاسكا الى اندونيسيا .

منذ عدة قرون ، ظهر الصراع الطويل بين قلب الارض وشريط الارض الساحلى بصورة أوضح فى منطقة شرق آسيا — غرب المحيط الهادى — منها فى أى منطقة أخرى من العالم ، وتعاقب الصدام بين قوة البر وضراوة البحر عبر التاريخ .

وسلسلة الجزر هذه ، تعتبرها واشنجطن — منذ مدة طويلة — وبحق مفتاحا للمصالح الامريكية فى آسيا وفى غرب المحيط الهادى ، كما أكد الجنرال دوجلاس ماك آرثر . وحرمان أى عدو حقيقى أو عدو منتظر فى القارة الاسيوية من هذه الجزر ، أو استخدام بعضهم فى الاغراض العسكرية بواسطة الولايات المتحدة الامريكية ، ركنان اساسيان لسياسة الولايات المتحدة الامريكية ، اذ انها تعتبر جبهة امريكية فى المحيط الهادى ، وخط النقط الخارجية للدفاع الامريكى .

لقد أدى التورط الامريكى فى كوريا عام ١٩٥٠ ، وبعده فى فيتنام عام ١٩٦٥ الى امتداد « النتوءات » الى الكتلة البرية القارية فى آسيا .

ولاهمية سلسلة الجزر وجهان : للسيطرة على المضايق والممرات البحرية التى تخرج من البحار الساحلية الى المحيط الهادى الشاسع ، وللارتكاز عليها كمناطق انطلاق للعمل ضد الكتل القارية البرية .

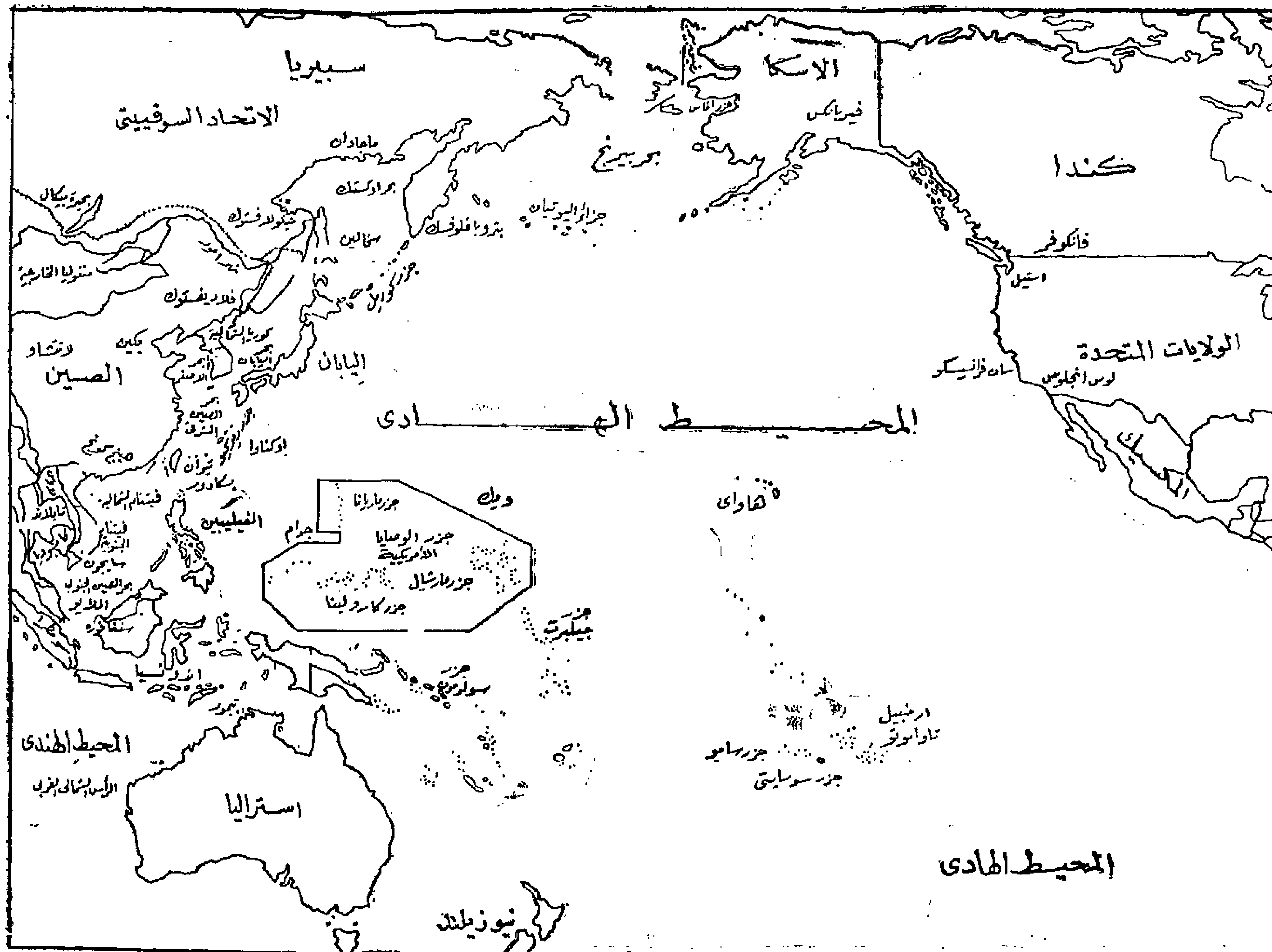
من البديهى أن السلسلة ليست أقوى من أى حلقة فيها ، أى خلل فى سلسلة الجزر يضعف خط النقط الخارجية كله . وهناك رغم ذلك عوامل جغرافية واقتصادية تجعل لبعض اجزاء السلسلة الجزيرية أهمية أكثر من الاجزاء الاخرى . وتساعد هذه العوامل على تقسيم المشكلات الاستراتيجية فى منطقة آسيا — المحيط الهادى الى مجموعات تجمعها عناوين فرعية عديدة . وكل هذه المشكلات مرتبطة ببعضها ، تتأثر ببعضها البعض ، ليس بينها مشكلة معزولة أو منفصلة .

والاسس الجيوبولوتيكية تؤكد العلاقة بين المناطق الاتية بعضها البعض : مضيق بيرنج — بحر بيرنج — جزر الوتيان — شبه جزيرة كمتشتكا — جزر كوريل — اليابان — كوريا — جزر ريوكيوس — تايوان — الفلبين — اندونيسيا — جنوب شرق آسيا — استراليا — نيوزيلندا — ميكرونيسيا ، النزاع الصينى — السوفيتى ، وقلب الارض الاسيوى .

القطاع الشمالى

منطقة الاسكا — الوتيان ضرورية للدفاع القارى ، ولها أهمية اقتصادية كبرى وكذلك لها أهمية عظمى لاستراتيجية المحيط الهادى ، بالنسبة لقربها منه . لان خطوط المواصلات الدائرية الكبرى ، الجوية والبحرية ، تمر عبر شمال المحيط الهادى أو قريبة من شواطىء الولايات المتحدة الامريكية . وارضها القارية تسيطر على مضيق وبحر بيرنج ، وهو الممر الذى تستخدمه موسكو الى المحيط المتجمد الشمالى فى الصيف لتدعيم اسطولها فى المحيط الهادى ، وامداد قواعدها ومنشئاتها فى المحيط المتجمد الشمالى . وبالرغم من أن هذا المضيق غير مضياف ويغلق بالثلوج وسوء الاحوال الجوية فى أغلب أيام السنة ، الا أن أهميته كبيرة لكلا الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى . اذ أنه طريق بحرى تعبره حاملات البترول الامريكية الى حقول البترول التى تكتشف حديثا فى شمال آلاسكا ، كما انه طريق بحرى أيضا للقوافل التجارية والحربية الى المحيط الهادى .

وجزر الوتيان تستخدم كنقط خارجية للولايات المتحدة الامريكية للاستطلاع والاستخبارات ، وتعمل منها عناصر أساسية من ادوات مراقبة الكرة الأرضية التى تملكها الولايات المتحدة الامريكية مثل وسائل


سيبريا
الاتحاد السوفييتى
الاسكا
فيربانكس
بحر بيرنغ
جزائر اليوتيان
بتروبافلوفسك
ماجادان
بحر اوخوتسك
سخالين
جزر كوريل
كندا
فانكوفر
الولايات المتحدة
سان فرانسيسكو
لوس انجلوس
فلاديفستوك
منغوليا الخارجية
بكين
الصين
كوريا الشمالية
اليابان
اوكيناوا
تيوان
فيتنام الشمالية
تايلاند
الفيليبين
سنغافورة
اندونيسيا
المحيط الهادى
جزر ماريانا
جوام
جزر الوصايا الامريكية
جزر مارشال
جزر كارولينا
ويك
هاواى
جزر جيلبرت
جزر سولومون
ارخبيل تاواموتو
جزر ساموا
جزر سوسايتى
المحيط الهندى
استراليا
نيوزيلند
المحيط الهادى

الاستخبارات التى تراقب تحركات السوفييت ، واجهزة الرادار الكبرى التى تسجل خطوط سير المقذوفات المسيرة السوفيتية ذات المدى الطويل، التى تسقط فى ميدان الصواريخ فى شبه جزيرة كمتشتكا او فى المحيط الهادى ، وطائرات الداوريات البحرية التى تمسح شواطىء الاسكا وتراقب قاعدة الغواصات السوفيتية فى كمتشتكا .

وميناء بتروبافلوفسك هو قاعدة الغواصات السوفيتية الوحيدة التى تطل على محيطات مفتوحة ، ويؤدى مخرج غواصاتها الى المحيط الهادى الشاسع . ومرفأها يتجمد فى بعض الاوقات من السنة ولكن قنواتها تظل مفتوحة طوال العام ، وفور الابتعاد عن شواطئها ، تستطيع وحدات الغواصات الاختفاء فى آفاق البحار الواسعة ، دون ان تحدد حركتها مضايق ضيقة أو مناطق جليدية خانقة . وهذا يجعل لبتروبافلوفسك القاعدة الوحيدة للغواصات أهمية عظمى دون منازع ، وهى التى ترفع العلم السوفيتى ، وذلك رغم بعدها عن مراكز الشئون الادارية الرئيسية السوفيتية فى سيبيريا . وهذا يجعل لمواقع المراقبة الامريكية فى جزر الاليوتيان أهمية كبرى .

ولجزر كوريل أهمية استرتايجية بوجه خاص ، ولو أنها تبدو كنقطة جرداء فى بحر متجمد يغطيها الضباب . وهذه الجزر كانت تابعة لليابان حتى بدء الحرب العالمية الثانية ، ثم استولت عليها روسيا بعد الحرب ؛ ورفعت فوقها العلم السوفيتى . وتسيطر روسيا بمساعدتها على ممرات بحر اختسك الى حقول البترول فى سخالين ، والى قواعد الصناعة العسكرية السوفيتية فى ماجادان ونيكولايفسك ، وسوفتسكايا جافان ، وفلاديفستك فى سيبيريا . والسفن التجارية السوفيتية ، والناقلات وسفن الاسطول البحرى السوفيتى فى الشرق الاقصى والمحيط الهادى تلتزم بالممرات بين جزر كوريل ، أو كبديل لذلك ، تلتزم بمسارات بحرية أطول عبر بحر اليابان ومضايق أخرى صعبة . عند الخروج الى المحيط الهادى.

واهتمام روسيا بجزر كوريل — وقد تأكد يوما بعد يوم منذ اتخذت موسكو قرارها بانجاز قوات بحرية على نطاق عالمى — يعنى انه لا يبدو فى الافق أمل لاسترجاع اليابان بعض أو كل هذه الجزر . ولو انها قد تكون عنصر مساومة سياسية فى يد روسيا فى أى مفاوضات سياسية اقتصادية بين البلدين . كما انها نقطة فى صالح الشيوعيين فى صراعهم السيكلوجى والسياسى ، الداخلى ، ستحاول موسكو استغلالها فى دعم الشيوعية الروسية فى اليابان .

ورغم الاهمية الجغرافية للجزء الشمالى من المحيط الهادى ، فاهميته

ثانوية من النواحى السياسية والاقتصادية فى نطاق الاطار العـريض لاستراتيجية المحيط الهادى ــ آسيا .

والولايات المتحدة وروسيا هما البطلان الاساسيان على هذا المسرح ولا يحتمل أن يطأ أيهما مباشرة فوق قدم الآخر . كما ان المنطقة لا تعكرها المشكلات القومية ولا الاقليمية ، ولا عدم الاستقرار ، التى توفر منطلقا للشيوعية فى مناطق أخرى . فيما عدا مطالبة اليابان بجزر الكوريل .

اليــابان

اليابان المانية الشرق ، اذا ولت اليابان فان جزءا كبيرا من آســيا سوف يولى أيضا .

وجزر اليابان الرئيسية مع جزر ريوكيو فى الجنوب تقفل بحر اليابان وبحر الصين الشرقى والبحر الاصفر عن المحيط الهادى المفتوح ، وتسيطر على طرق الاقتراب الجوية والبحرية الى كوريا ، التى اعتبرها كثير من اليابانيين فى وقت ما « خنجرا موجها الى قلب اليابان » . وقد حولت الطاقة المذهلة والتكنولوجية المتقدمة لمائة مليون يابانى ، هزيمة اليابان فى الحرب العالمية الثانية الى نصر ، وفى ربع قرن ، تحول شعب جثى على ركبتيــه الى شعب يملك اكتفاءا ذاتيا فى المواد الغذائية ، واكبر شعب يبنى السفن ، وثالث أقوى دولة صناعية واقتصادية رائدة فى مجال التجارة العــالمية ولها صادرات ضخمة . وموقعها الجغرافى المتوسط يؤكد أهميتها ومستقبل قدرها . واجهت الدول الكبرى فى المحيــط الهادى على شريط آســيا الساحلى ، وقد ارتبطت بهم فى ماضيها ، وتواجه ماردى الشيوعية فى هذه الايام ومستقبلها مختلط معهما دون شك .

تكمن قوة اليابان الكبرى فى تجانس شعبها وسمو روح هذا الشعب . ويكمن ضعفها فى حساسية الشعب وشدة تأثره ، وفى الصراع القائم بين ماضيه وحاضره ــ تضارب الافكار الجديدة ، الديموقراطية والماركسية ، الارهاب ، واللاشيئية مع المبادى الفاشية القديمة . وهى تفتقر الى بعض الخامات الاساسية ، وتعتمد على البترول المستورد من الشرق الاوسط (٩٠٪ منه) وخام الحديد المستورد من استراليا ، وكثيرا من المــواد الاستراتيجية الهامة . كما كانت قبل الحرب العالمية الثانية .

وقفت اليابان بين مفترق الطرق فى عام ١٩٧٠ . وكان يسيطر عليها غزاتها منذ ٢٥ سنة ، الولايات المتحدة الإمريكية ، التى بمساعدتها خطت

خطوات اقتصادية رفعتها الى حد الثراء الهائل ، بعد أن بسطت فوقها ستار الدفاع الامريكى . وكانت تصرف فى السنوات الاخيرة ١ ٪ فقط من جملة دخلها القومى على الدفاع . أى ما يعادل ١١ دولار لكل فرد فى عام ١٩٦٧ ، فى مقابل ١٠٩ دولار لكل فرد فى استراليا لنفس العام . وتأثرت علاقة اليابان بالولايات المتحدة الامريكية ، وفى الحقيقة ، علاقاتها بباقى دول العالم بمشكلات عديدة : اوكناوا ، امتداد معاهدة الامن المتبادل بينها وبين الولايات المتحدة الامريكية ، القيود الموضوعة على قوات الدفاع عن النفس اليابانية ، والضرائب الجمركية المثيرة التى فرضتها اليابان لحماية صناعاتها ، ورغبة اليابان فى الاحتفاظ بثرائها والمحافظة على تفوقها الاقتصادى دون تحمل عبء المسئوليات السياسية والعسكرية التى تصاحبه . لقد تغيرت سيكلوجية رعاية العميل التى تميزت بها العلاقة الامريكية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية . كلما اصبحت اليابان اكثر التزاما بمستلزمات القوة ، كلما قل اعتمادها على قوة ونفوذ الولايات المتحدة الامريكية ، وكلما أصبحت اكثر استقلالا .

واليابان أهم حلقة استراتيجية فى سلسلة الجزر التى تحيط بالقارة الاسيوية . وسياستها سوف تحدد مستقبل كوريا الى حد كبير ، والتحول من سياسة «فعل ما نتراضى عليه» الى سياسة «عدم الرضى على ما سوف نفعله أو لا نفعله » يحمل فى طياته مشاكل لواشنجطن ومخاطر جسيمة لكلا البلدين ، بل لآسيا والمحيط الهادى .

ومشكلات اليابان الداخلية ، مشكلات سياسية عسكرية متداخلة .

كان دخول اليابان بقوات الاحتلال بقيادة جنرال ماك آرثر ، وقد جاءت اساسا من اتحادات عمالية حرة ، مع تجميد نشاط المؤسسات السياسية اليابانية بما فى ذلك فكرة الوهية الامبراطور ، بالاضافة الى الديموقراطية وايديولوجية صوت واحد لكل فرد ، تلك كلها عوامل شجعت على تخمر الافكار فى اليابان وقيام الشقاق بين اليمين واليسار . والجناح المتطرف أو اليسار فى الفكر اليابانى — ويتكون من تنظيمات الطلبة واتحادات العمال . . . . السخ — جيد التنظيم وله جذور عميقة وثابتة . وقوته السياسية صغيرة ونامية ، تمزقها الخلافات التى تطبع اليسار المتطرف فى كل مكان . واليساريون اليابانيون يمنحون ولاءهم لآلهة غرباء كما يفعل كل المتطرفين ، يمنحونه لماوتسى تونج ، ولبريجنييف ، ولستالين ، وللماركسية الفوضوية . ولكن الخلاف الذى يبدو انه يتسع ليحدث صدعا فى المظهر الكاذب لوحدة الشيوعية سوف يضعف اليسار فى اليابان .

وفى الجانب الاخر ، يستند فكر اليمين فى اليابان الى تقاليد وظروف

بيئية تمتد الى عدة قرون مضت . كما أن النفوذ الغربى له تأثير ظاهرى على الأقل على عقول اليابانيين — اللبان ، والعرى ، واضواء النيون — ولكن مبادىء الفروسية وروح الاستماتة فى سبيل الامبراطور ، وتقاليد المحاربين اليابانيين الارستقراط لا تزال باقية وضاءة متوهجة متطرفة . وكثير من هذه الصفات تكمن وراء القوة الدافعة والافكار المتطرفة التى سماها كاى داكيازومى « المثيرات الغير متجانسة » (٤) . والجناح اليمين العسكرى مزيج من التصوف الدينى والعمل السياسى . يتكون أساسا من الطلبة واجيال الشباب — وهم ٧٥ ٪ ممن لهم حق التصـــويت بين سكان اليابان — وهى سلبية « ترغض النظام الحالى وتعمل على هدمه » كما قال داكيازومى . وهذا الهـــدف يشابه ما يرمى اليســـار الامريكى المتطرف الى تحقيقه . وجيل الشباب الذى له الان حق التصويت سوف يصل الى السلطة فى اواخر السبعينيات ، ونضج تفكيرهم سوف يقـــرر مستقبل اليابان .

يبدو واضحا ان الفكر السياسى فى الولايات المتحدة الامريكية كالفكر السياسى فى اليابان ، يتجه الى التطرف يمينا ويسارا ، وتتوقف قـــدرة الوسط الفعال على مقاومة وعكس هذا الاستقطاب على مقدرة ومثـــل قادة المستقبل الى حد كبير ، كما تتوقف على الضغوط الخارجية .

والدور الذى يجب أن تلعبه اليابان فى مسرح السياسة العالمية ، وفى منطقة غرب المحيط الهادى — آسيا على وجه الخصوص ، هو عنصر أساسى فى الفكر السياسى الذى يتخمر فى اذهان اليابانيين .

لقد انكر الدستور الذى فرضه ماك آرثر على اليابان قواتها المسلحة الى الأبد ، ولكنها خرجت على هذا التحريم بتشجيع من الولايات المتحدة الامريكية بخلق ما سمى بقوات الدفاع عن النفس ، مقيدة بالدفاع عن اراضى اليابان دون الاشتراك فى العمليات العسكرية فى أى مكان آخر . وكانت هذه القوات فى الواقع صغيرة ولا تستطيع حماية اليابان حتى وقت قريب جدا . ويعتمد دفاع اليابان ضد العدوان من الخارج حتى الآن على المظلة النووية الامريكية ، وعلى الدفاع الجوى الامريكى ، وعلى الحماية البحرية الامريكية ، وكذلك على درع كوريا الجنوبية الذى تسانده الولايات المتحدة الامريكية . وقوات الدفاع اليابانية لا تملك القدرة على تأمين طريق ناقلات البترول الحيوى من الشرق الاوسط الى اليابان عبر خليج ملقـــا ، ولا على مواجهة أى تهديد خارجى من البحر ، كما بين بعض اليابانيين أخـــيرا .

وقوات اليابان فى مرحلة الانتقال مثل البلاد كلها، يبلغ تعدادها حوالى

ربع مليون فرد ، منهم ١٧٥٠٠٠ فى الجيش ، كهيكل أساسى يتضمن ١٢ فرقة مشاه صغيرة (من ٧٠٠٠ الى ٩٠٠٠ فرد) ، فرقة ميكانيكية ، ولواء من جنود الجو ، وتدعمه مدفعية متوسطة ودبابات قديمة وقليل من الطائرات والهليوكوبتر . وتبلغ القوات الجوية ٤٠٠٠٠ فرد وبها من ٥٠ الى ٦٠ طائرة قتال أغلبها من النوع ف — ١٠٤ أو ف — ٨٦ ، وهى متخلفة عن النوع الحديث . ومجموع طائراتها تعادل مجموع ما لدى القوة الجوية لكوريا الشمالية من ناحية العدد وليست من ناحية القدرة القتالية . وهى فى مرحلة التحول الى طائرات فانتوم ف — ٤ أى ، ويمكن استخدامها كطائرات مقاتلة ، وقاذفة قنابل ، لتحل محل ف — ٨٦ فى عام ١٩٧٦ ، (لا يمكن لليابان تحقيق تعادل تكنولوجى مع الطائرات السوفيتية المقاتلة الحديثة) وقوات اليابان البحرية حوالى ٤٠٠٠ فرد ، ٨ غواصات ، ٤٠ مدمرة وفرقاطة وسفينة حماية ، وما يقرب من ١٦٥ سفينة صغيرة ومعاونة ، يصل مجموع حمولتها الكلى ١٣٠٠٠٠ طن . وللبحرية اليابانية ٢٠٠ طائرة داوريات ASW تعمل من قواعد برية .

ويبدأ تنفيذ خطة دفاع لخمس سنوات فى عام ١٩٧٢ . وقد وضع فى برنامجها مضاعفة نفقات الدفاع والاهتمام بالبحرية . وتتضمن توفير ١٠٠٠٠٠ فرد كاحتياطى للبحرية والطيران (ليس لها احتياطى الان ، بينما للجيش ٣٠٠٠٠ فرد) .

سوف تتأثر سياسات اليابان الخارجية ، وسياسة أمنها القومى ، وكذا علاقتها بالولايات المتحدة الى حد كبير ، بالقرارات التى ستتخذها حكوماتها المستقبلة حول انتاج الاسلحة النووية . اذ لا يزال لجراح هيروشيما تأثير على الراى العام فى اليابان الى حد كبير ، وستبقى هذه الجراح — لعدة سنين — وراء الصراع المستتر بين « التقدم » و « الاشمئزاز » ، بين هؤلاء القلائل الذين يساندون انشاء قوة نووية ، وبين الكثرة الذين يرفضون كل ما هو نووى . واليابان تملك الآن قدرة تكنولوجية على انتاج الاسلحة النووية فى ظرف سنة أو أقل . والتطور الحتمى للمفاعلات النووية من أجل الاستخدام الاقتصادى للطاقة النووية فى اليابان سوف يجعلها تتحول من الاستغلال الاقتصادى الى الاستغلال العسكرى للذرة . ولكن لا يزال ذلك بعيدا ، وسوف يستمر اعتمادها على الدفاع النووى الذى توفره الولايات المتحدة خلال السبعينيات . ولكن هناك قوى دافعة تعمل على توفير رادع نووى وطنى — تهديد الصواريخ الصينية الموجهة وأسلحتها النووية وتفاقم العلاقة بينها وبين الولايات المتحدة نتيجة التعارض بين حاجة واشنجطن لتسهيلات عسكرية وحقوق استخدام اكناوا كقاعدة ، وتصميم اليابان على السيادة المطلقة واستقلال الادارة .

بقى موضوع اوكناوا بعيدا عن الجدل خلال الستينيات فى مقابل تسوية صعبة ، ولكنه بقى مظهر حاد من مظاهر التغير ، له تأثيرات سياسية على سياسة الولايات المتحدة الاستراتيجية فى غرب المحيط الهادى ، وحل هذه المشكلة يقتضى الاسراع فى ايجاد بدائل لها . لقد أصبحت جزيرة اوكناوا عملا عسكريا فيه اسراف من وجهة نظر الولايات المتحدة الامريكية نتيجة لعوامل سياسية وسيكلوجية سائدة فى جزر ريوكيو وفى اليابان ، بالاضافة للسياسات الامريكية المائعة حول اوكناوا اثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها .

وترغب حكومة اليابان أن تفرض على اوكناوا نفس القيود التى تفرضها على مائة منشأة (٥) أمريكية عسكرية صغيرة مقامة على أرض اليابان ، وهذا يعنى تحول اوكناوا الى نقطة خارجية أو موقع متقدم ، له اهمية خاصة للدفاع عن اليابان ، ولكن اهميته محدودة بالنسبة لاستراتيجية آسيا — المحيط الهادى .

لا يمكن نقل أو تخزين أسلحة نووية فى المنشآت العسكرية المقامة على الجزر الرئيسية اليابانية، وقد تضاءلت فائدة هذهالمنشآت فى مواجهة القومية التى تستعيد نشاطها بالتدريج . كما أصبحت اليابان أقل أهمية من الناحية الاستراتيجية كحلقة فى سلسلة الجزر التى تجاور الشاطىء الآسيوى من وجهة النظر الامريكية لرغبة طوكيو للجمع بين نقيضين — التمتع بحماية أمريكا مع تقييد وادارة القواعد اللازمة لهذه الحماية ؛ وتحريم استخدام وسائلها فى أى عمل عسكرى الا بموافقة اليابنيين . لهذه القواعد مقدرة هامة — وستبقى لها هذه المقدرة طالما استمر الاحتفاظ بها — على حماية اليابان وجزر ريوكيو من الدول القارية المعادية . ولكن دورها الايجابى سوف يكون أثره ضئيلا فى تخفيف حدة الحرب أو معاونة عمليات الولايات المتحدة العسكرية فى أى مكان آخر فى المحيط الهادى . ولكن هذه القواعد تلعب دورا اداريا يمكن أن يستمر ؛ فيكون له أهمية كبرى — لاصلاح السفن والآليات والطائرات ، وتوفير المنشآت الطبية ، وصناعة المنتجات غير الحربية ، كالعربات ، فى نطاق عقود امريكية . ولهذا الدور اهمية اقتصادية لليابان لانه يعنى « أموال فى البنوك » دون تورط حقيقى ، وكان ذلك فى الواقع هو الدور الاساسى الذى قامت به القواعد اليابانية فى حرب فيتنام .

منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ، كان لجزر ريوكيو تحت الادارة الامريكية أهمية عسكرية أشمل . وكانت القوات الامريكية تستخدم اوكناوا بحرية ، ولكن ليس دون احتجاج عنيف متزايد واضطرابات سياسية ، كما كانت قاعدة هامة للشئون الادارية أثناء حرب فيتنام ،

وقاعدة جوية متوسطة للطائرات بـ ـ ٥٢ ، كما استغلت كمنطقة تخزين وقاعدة للاسلحة النووية . وتحتوى المنشآت الامريكية فى اوكناوا على صواريخ مجنحة ذات رؤوس نووية موضوعة فى مواقع اطلاق تتوفر لها وقاية ثقيلة ، وبها أيضا أكبر مطارات الشرق الاقصى ، ومرسى بحرى ممتاز ، ومعسكرات ومنشآت امداد واصلاح وتدريب هائلة . وكانت اوكناوا القاعدة الرئيسية فى غرب المحيط الهادى منذ الحرب العالمية الثانية ، واستخدمت دون قيود لمعاونة حرب فيتنام ، ولمساعدة قواتنا فى كوريا وتايوان ، وكمحور استراتيجى للموقع الامريكى كله فى غرب الباسفيكى . وموقعها بين اليابان وتايوان موقع مثالى ولكن جوها سيىء لانها تقع فى مسار اعصار التيفون . وهى تبعد عن الجزر الرئيسية بمسافة تكفى لتدعيم دفاعها ضد الصين التى لا تملك قوات بحرية أو جوية قوية . كما انها قريبة بما يمكنها من السيطرة على طرق الاقتراب الى ونشو ، وشنغهاى والى كل شمال الصين .

ساهم الاتفاق بين الولايات المتحدة واليابان عام ١٩٦٩ ، الذى مد المعاهدة تلقائيا وقضى بعودة اوكناوا الى ادارة اليابان ، ساهم فى حل المشاكل العاجلة ، ولكنه أجل المشاكل ذات المدى الطويل . والامتداد التلقائى للمعاهدة قلل الاخطار السياسية التى كان قد يسببها اعادة المفاوضات لعقد معاهدة جديدة . ولن يتحقق ذلك الا خلال فترة محدودة، تنتهى بحلول النصف الاخير من السبعينيات ، عندما يصل جيل الشباب الحالى الى السلطة السياسية فى اليابان ، ويشتد عنف المطالبة السياسية بالسيادة التامة على كل القواعد الموجودة فى الجزر الرئيسية وجزر ريوكيو الى درجة يستحيل مقاومتها .

واذا رأت الولايات المتحدة ابقاء الوضع الراهن فى اوكناوا ، فعليها تقدير تأثير ذلك على حرب فيتنام . واتفاق عام ١٩٦٩ ، قد يستطيع الاحتفاظ بحقوق السيادة ولكن ذلك سوف يكون على حساب توتر العلاقات مع طوكيو ، وتشجيع قيام حكومة يمينية أو يسارية معادية للولايات المتحدة الامريكية . والخلاصة الحتمية ان التسهيلات العسكرية الامريكية فى جزر اليابان الرئيسية وجزر ريوكيو سوف تفرض عليها القيود شيئا فشيئا ، وسوف تقل فائدتها بالتدريج بالنسبة لاستخدام القوة فى غرب المحيط الهادى . وحقيقة ، يبدو متوقعا ان القوات المسلحة الامريكية سوف تنسحب من اليابان واوكناوا معا فى المستقبل القريب .

ورغم ذلك سوف تستمر قوات الولايات المتحدة الامريكية فى استخدام بعض القواعد على الجزر الرئيسية واوكناوا أثناء مرحلة الانتقال القصيرة فى اوائل السبعينيات ، مع تمتع اليابان بسيادتها ، وتزايد

مسئوليتها عن حماية اراضيها ضد اى عدوان تقليدى ، بالتدريج . وفى هذا الاطار ، سوف تستخدم اوكناوا لعدة سنين كعنصر عسكرى سلبى وايجابى فى الدفاع عن اليابان ، وقاعدة عسكرية معاونة للعمليات العسكرية فى غرب المحيط الهادى ، ولو ان ذلك يقتضى موافقة اليابان صراحة او ضمنيا . على أن تمارس طوكيو الادارة المدنية لريوكيو .

وتأثير هذه التغييرات على سلامة اى استراتيجية ترتكز على سلسلة الجزر الاسيوية الممتدة بجوار الشاطىء ، وتأثيرها على مستقبل كوريا على وجه الخصوص من أهم الموضوعات التى يثور الجدل حولها فى هذه الأيام .

اذا ارادت الولايات المتحدة الامريكية أن تفرض نفوذها بتأثير فى غرب المحيط الهادى ، فعليها أن تنشىء بالتدريج قواعد بديلة للقواعد التى سوف تنسحب منها من اليابان واوكناوا .

ولكن هناك مشكلة عاجلة أكثر صعوبة ، هى مشكلة كوريا . وهى بالضرورة شديدة الارتباط بمستقبل معاهدة الامن المتبادل بين الولايات المتحدة واليابان وكذلك بالقواعد اليابانية .

كوريا الجنوبية بروز قارى ، وهو ضرورة حتمية بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية لأى استراتيجية للمحيط الهادى . ومنذ الحرب العالمية الثانية ، ومنذ غزو كوريا الجنوبية فى سنة ١٩٥٠ على وجه الخصوص ، التزمنا عمليا بالدفاع عنها . وقد أصبح هذا الالتزام التزاما شرعيا منذ أن عقدنا معاهدة ثنائية مع سيول عام ٥٣ اعتبرنا فيها ان « الهجوم على أى الطرفين .. سوف يكون شيئا خطيرا » يهدد « امننا وسلامتنا » . واسلوب مباشرة هذا الالتزام طبقا « لنظامنا الدستورى » قد يكون غامض ولكنه قاطع . وقد وفيناه خلال عقدين زمنيين بوضع قوات امريكية فى كوريا الجنوبية .

والقوات الجوية الامريكية ، والقوات البحرية الامريكية ، وبعض عناصر من القوات البرية ، وكذلك الامدادات والشئون الادارية ، تعمل من اليابان واوكناوا لمساعدة قواتنا فى كوريا وكذا مساعدة قوات كوريا الجنوبية هناك .

يرجع العداء والكره المتبادل بين الكوريين واليابانيين الى تاريخ بعيد ، مما يعوق أى حل سليم للمشكلات الاستراتيجية لكوريا . ولكن علماء الاستراتيجية اليابانيين — منذ وقت طويل — يعتبرون كوريا

« خنجرا موجها الى قلب اليابان » ومن المؤكد ان وقوعها تحت سيطرة الشيوعية يسبب ازعاجا سياسيا واقتصاديا وعسكريا لطوكيو . وطالما بقيت قوات الولايات المتحدة الامريكية فى كوريا ، فالامر يقتضى حتما أن تمنح القوات الامريكية فى اليابان واوكناوا حرية العمل ، لمساعدتها وتعزيزها فى وقت الازمات . ويجب أن يكون هناك تفاهما ضمنيا مع الحكومة اليابانية — عند دراسة مستقبل معاهدة الامن المتبادل بين امريكا واليابان — على انه من الضرورى المحافظة على العلاقة الثلاثية بين الولايات المتحدة — اليابان — كوريا ، فى المرحلة الفاصلة ، عندما تنشىء الولايات المتحدة الامريكية أساسا جديدا لهيكل الدفاع فى غرب المحيط الهادى . وحتى بعد انتقال الولايات المتحدة من اليابان واوكناوا ، يجب الوصول الى اتفاق يسمح — على الاقل — باستخدام الموانى والمطارات اليابانية فى حالة الطوارىء لمساعدة كوريا فى وقت الازمات ، تحقيقا للمصلحة المتبادلة بين الاطراف الثلاثة ، اذ لا يوجد قواعد قريبة لكوريا مثل هذه القواعد . واذا ما أريد للمعاونة العسكرية لكوريا وقت الحرب أن تكون فورية وفعالة وخصوصا اذا كانت معاونة تقليدية ، فان الوضع الجغرافى يحتم بالتأكيد الاجراء السابق ذكره . قد يكون الاقناع النووى اشد تأثيرا على طوكيو فى واقع الامر ، اذا لم تسمح اليابان باستخدام أرضها بمعاونة كوريا ، فان الولايات المتحدة ستضطر قطعا للتحول الى الردع النووى ، كما هو الموقف فى أوروبا . ومن الاهمية العظمى بمكان أن تفهم الحكومات والشعوب المعنية هذه المسائل بوضوح ، والا ستجد الولايات المتحدة نفسها — واليابان بديهيا مثلها — مرتبطة بالتزامات فى القارة الآسيوية دون أن يكون لديهما الوسائل اللازمة للوفاء بها بفعالية .

والالتزام الكورى هو على أى حال أصعب المشكلات التى يقابلها الاستراتيجيون الامريكيون . فنحن نمسك ذيل الثور ولا نستطيع قيادته. فكوريا الجنوبية مصدر للنصر والقنوط — النصر فى خلق شعب قوى ثرى نشط مستقر سياسيا بعد حرب ضروس دامية ، والقنوط لأنه لا تبدو فى الأفق نهاية : لأن حساسية الشعب تؤدى الى اهتزاز سياسى من وقت لآخر ، وحرب لم تسو الى نهاية ، مع حدود تقع على جانبيها التحصينات وتحرسها جيوش يقظة تعنى تهديد قائم .

وكوريا الشمالية اكثر الدول الشيوعية شراسة وقسوة وتخلف . كرست نفسها علنا لغزو كوريا الجنوبية ، تساندها الشيوعية الصينية والروسية دون توافق بينهما . « كانت كوريا الشمالية تعد شعبها لاستئناف الحرب . وقد اتضح تصميم كيم ال سونجر على المخاطرة بالحرب مع الولايات المتحدة لتحقيق غاياته فى الازمات التى حدثت

أخيرا » (٦) . وكوريا دولة أخرى مقسمة ، واحدى مشكلات الحرب العالمية الثانية التى لم تحل بعد ، تهدد تاريخ الغد .

واذا كنا لا نريد أن ندير ظهرنا لعقدين من الجهد الهائل والتضحيات العظمى فيجب أن نبقى كوريا فى اعتبارنا . لقد قتل ٣٥٠٠٠ أمريكى فى حرب كوريا لصد عدوان علنى صفيق ، وتوقفت الشيوعية . وانبياء التشاؤم انفسهم كانوا مشهورين كما هم الآن ، والتعبيرات التى تستخدم لوصف فيتنام الآن ، هى نفسها التى استخدمت أثناء حرب كوريا : الكوريون الجنوبيون « لا يقاتلون » ، انهم « يجرون أكثر ما يفعلون أى شىء آخر » ولا يمكنهم « حكم أنفسم » ولا يمكنهم « الاعتماد على أنفسهم » انهم « خليط مرتش لا أمل فيه » .

ولكن كوريا الجنوبية دولة كائنة ، فداها الوفاء من البعض وبلايين الدولارات الامريكية . وقد عاونت نفسها ، وساهمت بفيلق مدعم — فرقتين وثالثة — فى حرب فيتنام . اقامت صناعات بعد أن تركتها الحرب خالية ، وأصبح لها تجارة خارجية . وهى أكثر رخاء وتحرر من كوريا الشمالية ، فشغب الطلبة والاحتجاجات فى البرلمان لا يسمح بها فى الشمال . ولكن لا يزال هناك بعض الفساد ، كما أن سيول لم تصبح مجتمع ديموقراطى كما هو مفهوم الغرب ، ولا يمكن أن تكون كذلك . وهى هدف أساسى للشيوعية لانها تقف موقفا صلبا من معظم القارة الآسيوية، ولكن « المجتمع الفاضل » للماركسية الشرقية لا يمكن قبوله .

كوريا الجنوبية تستحق الاحتفاظ بها ، ولكن كيف نحقق ذلك ؟

هناك تهديدان لكوريا الجنوبية : عصيان داخلى وعدوان من الخارج ، وكلاهما يرتكز على كوريا الشمالية .

وخطر العصيان الداخلى تهديد ثانوى فى الوقت الحالى ، ويبدو انه سوف يبقى كذلك ما بقيت كوريا الجنوبية غنية اقتصاديا ، تحكمها حكومة قوية نسبيا . من المؤكد أن هناك شيوعيون أو من يميلون للشيوعية بين شعب كوريا الجنوبية ، بعضهم منظم وبعضهم غير منظم . وهم ليسوا كثيرو العدد . ولكنهم قد يتضاعفون نتيجة للمشكلات السياسية والنكسات الاقتصادية . كما ان المستقبل ينذر بمحاولات بينوجيانج لاغتيال الرجال الرسميين فى كوريا الجنوبية ولانشاء كوادر لحرب العصابات فى الجنوب، كما ينذر باستمرار أعمال التسلل والازعاج عبر خطوط الهدنة . ستتعاقب هذه المحاولات وهذا يقتضى مواجهتها بجهود من سيول ، لانه اذا امكن

تنظيم عصابات من القرى والحضر بنجاح فى كوريا الجنوبية فسوف يكون لها أثر يضعف الحكومة الى حد كبير .

سيظل التهديد بالعصيان الداخلى مستمرا فى كوريا الجنوبية بالنسبة لحساسية شعبها ، وتشجيع الشيوعية المستميت للانقلاب او الثورة . ولكن هذا التهديد يمكن مواجهته باليقظة والتقدم الاقتصادى والتطور الاجتماعى والاستقرار السياسى .

دور الامريكيين فى مواجهة العصيان الداخلى هو دور معاون واستشارى فقط . ولكنه يحتاج لأحسن المهارات فى السياسة الخارجية . وسيول يجب أن تكون مكانا لاقوى سفرائنا وأعظمهم قدرة . وسياستهم هناك يجب أن تكون سياسة رشيدة ترمى الى تحقيق النضج والاستقرار السياسى والرخاء الاقتصادى وتشجيع التقارب بين اليابان وكوريا الجنوبية .

تحتفظ الولايات المتحدة الامريكية فى كوريا الجنوبية بقيادة عامة يقودها جنرال أمريكى يمثل كلتا القيادتين — الامريكية والامم المتحدة — على رأس فرقتين امريكيتين ، وجزء من القوة الخامسة الجوية (اغلبها موضوعة فى اليابان واوكناوا) ومجموع هذه القوات اقل من ٦٠٠٠٠ رجل اغلبهم من الجيش . وقد تأثرت كفاءة هذه القوات القتالية بعد سحب عناصر منها اثناء حرب فيتنام ، ونتيجة لوضعها فى اسبقية تالية لها فى مجال امدادها بالاسلحة والفنيين والرجال . وكانت حادثةالباخرةبويبلو Pueblo بالاضافة الى تفاقم الروح العدوانية للكوريين الشماليين ، سببا فى تعزيز القوات البرية والعناصر الجوية الامريكية فى كوريا الجنوبية خلال عام ١٩٦٥ — ١٩٦٦ .

تحتفظ جمهورية كوريا الجنوبية بقوات مسلحة كبيرة الحجم لها نواحى قوة كبرى ونواحى ضعف هامة . يتكون الجيش من ٥٥٠٠٠٠ رجل ، والفيلق البحرى من ٣٠٠٠٠ ، والاسطول من ١٧٠٠٠ ، والقوة الجوية من ٢٣٠٠٠ بالاضافة الى ١٠ فرق احتياط منتظمة فى كادرات فقط ؛ بالاضافة الى ٢٠٠٠٠٠٠ رجل من الميليشيا شبه العسكرية للعمل ضد العصابات ولاغراض الدفاع المحلى . والمجموع الكلى لهذه القوات يزيد عن ٦٢٠٠٠٠ رجل تصل الى ٢٦٢٠٠٠٠ رجل اذا اضيفت لها الميليشيا ؛ من مجموع السكان وقدره ٣١ مليون نسمة . ولكوريا الجنوبية ٢٢ فرقة أو ما يعادلها بما فى ذلك قواتها فى فيتنام . واغلبها من المشاه ، عدا ثلاث فرق مدرعة ، وهى مدعمة بالمدفعية والصواريخ والصواريخ أرض جو الموجهة .

ويمكن مقارنة القوات البرية فى كوريا الجنوبية بمثيلتهـا فى كوريا الشمالية ، التى تضم ٣٤٥٠٠٠ رجل ، منظمين فى فرقة مدرعة وعدد من فرق المشاه يتراوح بين ١٨ ، ١٩ فرقة ، بالاضافة الى وحدات مستقلة (وكلها أصغر حجما من فرق كوريا الجنوبية) . والكوريين الشماليون مسلحون جيدا بمدفعية سوفيتية خفيفة ومتوسطة ، ودبابات متوسطة وثقيلة ، وصواريخ ، وتدعمها قوات كبيرة من الاحتياطى .

يتكون اسطول كوريا الشمالية من ١٠٠٠٠ رجل وبه عنصر واحـد تفتقده كوريا الجنوبية ـ ٤ غواصات روسية طويلة المدى من النوع W . وعدد من قوارب الداوريات المسريعة المجهزة بالصواريخ . ولكنها لا تملك قطعا بحرية تبلغ فى حجمها أو قوة نيرانها ، حجم أو قوة نيران احدى عشر مدمرة وفرقاطة تملكها كوريا الجنوبية .

وعنصر القوات الجوية هو ناحية التفوق الهام لكوريا الشمالية . وقد تأكد هذا التفوق فى حادثة بويبلو . وتتكون من حوالى ٦٠٠ طائرة قتال ـ جميعها سوفيتية ـ يعمل عليها ٣٠٠٠٠ رجل فى الجـو وعلى الارض . بها قاذفات نفاثة خفيفة الـ ـ ٢٨ ، ليست حديثة ولكن مداها يصل الى كوريا الجنوبية ، وبها ما يقرب من ١٠٠ ميج ٢١ ، وميج ١٩ مقاتلة اعتراضية ، وما يزيد عن ٤٠٠ طائرة ميج من النوع القديم . وفى كوريا الشمالية شبكة انذار وجهاز اعتراض جوى لادارة الطائرات من الارض ، ظهر أثرها بوضوح بعد أسر بويبلو مباشرة عندما بين رادار الولايات المتحدة مسارات ما يقرب من مائة طائرة ميج شمال خط العرض ٣٧ ، مندفعة لاعتراض طائرة امريكية تطير فوق كوريا الجنوبية . كما كان اكتشاف واسقاط طائرة من طائرات استطلاع الاسطول بعيدا عن شواطىء كوريا الشمالية فى عام ١٩٦٩ ، دليلا آخر على كفاءة وفعالية دفاع كوريا الشمالية الجوى ، الذى يمتد الى الخارج .

لا تملك كوريا الجنوبية قوة جوية وطنية مماثلة ، وهذا يقتضى دعمهـا بقوات جوية كافية من الولايات المتحدة الامريكية لموازنتها بقوات كوريا الشمالية . وتملك سيول ٢٠٠ طائرة قتال أغلبها من نوع ف ـ ٨٦ ، وهى من طائرات القتال والاستطلاع القديمة ، وقد بدأت الولايات المتحـدة الامريكية بامدادها بطائرات مقاتلة ف ـ ٤ فى عام ١٩٦٩ ولكن التعـادل بين الجنوب والشمال لا يزال بعيدا فى هذا المجال ، ويحتاج لعدة سنوات لموازنته .

سوف يستمر العدوان الخارجى من كوريا الشمالية فى صورة حوادث الحدود وعمليات الطابور الخامس ، وتسلل جماعات التجسس والاغتيال، وهذا يقتضى مواجهته بمناطق محروسة جيدا على الجبهة وعلى الشاطىء، وكذا بتكوين مليشـسيا للامن الداخلى ضد أعمال العصـــابات ، بأسرع ما يمكن .

ولا يحتمل أن تقوم كوريا الشمالية بغزو كوريا الجنوبية وحدها على نطاق واسع طالمـــا : (أ) بقيت القوات الامريكية فى كوريا الجنوبية ، و ، أو (ب) استمر التقدم السياسى والاقتصادى والاجتمـــاعى فى كوريا الجنوبية . ولكن اذا حدث انشقاق داخلى كبير أو ترنحت سيول ، فسوف يكون فى ذلك اغراء بالغزو عند بيونجيانج .

وأقصى تهديد ما كان مدعما من الصين أو روسيا ضد الجنوب ، وهذا غير محتمل طالما بقيت الصين مفككة بالشقاق والانقسام الذى اتسم به أغلب حكم ماو ، وطالما بقى الخلاف الصينى ـــ السوفيتى قائما . ولكنه تهديد لا يمكن تجاهله . وحكومة سيول لا يمكنها أن تتجاهل ان الحشود الشيوعية يمكنها أن تتجمع فى ظلام ليلة واحدة على طريق الغزو الساحلى السهل ، على بعد أميال قليلة شمال نهرهان .

وطريق الغزو من كاى سونج الى سيول ، بالاضافة الى ممر ثانوى فى شمال شبه الجزيرة ، هى مشكلة استراتيجية يجب أن تواجهها ســـيول وواشنجطن لمستقبل غير محدود ، وهى أيضا مشكلة تواجه اليـــابان النامية .

وحراسة الجبهة عن كثب ، واقامة التحصينات وتمهيد ميـــادين النيران وتسجيلها جيدا ، ووضع الموانع والمواد الناسفة ، كلها عوامل ردع مناسب ضد غزو بيونجيانج . ولكن الوجـــود الامريكى فى كوريا الجنوبية ، والالتزامات الامريكية تجاه سيول هى الرادع النهائى لهـــذا الغزو .

لا تبدو فى الافق نهاية لهذه الالتزامات ، أردنا أو لم نرد ، ليس هناك مخرج سهل من تورط الولايات المتحدة فى القارة الآسيوية . والالتزامات السياسية والعسكرية والمعنوية جميعها متداخلة ، وانتزاع القـــوات الامريكية كلها فجأة قد يشجع محاولة الغزو الشيوعى ، ويؤدى الى نسف حكومة كوريا الجنوبية . وأى دليل تبديه الولايات المتحدة الامريكية يبين نيتها فى نكث ما تعهدت به ، أو انها سوف تسلك سياسة جديدة لا ترتبط بكوريا الجنوبية فى المستقبل قد تؤدى الى كارثة . وحياة الولايات المتحدة

الامريكية لا تعتمد على كوريا الجنوبية المستقلة ، ولكن استقلال كوريا الجنوبية يعتمد على الولايات المتحدة . كما ان ترك كوريا الجنوبية لقدرها — وهو يتعارض مع وجهة نظر واشنجطن — يؤثر على مستقبل اليابان . وفن السياسة وفن استراتيجية هما فن المعقول ، والتحلل من التزاماتنا فى كوريا لا يدخل فى نطاق المعقول .

من الممكن ، ومن المرغوب فيه ايضا تقليل هذه الالتزامات ونقلها بالتدريج من على كاهلنا الى كاهل اليابان وسيول نفسها . ويمكن تخفيض قوات الولايات المتحدة البرية الى النصف — فرقة واحدة كحد أقصى بدل فرقتين — بعد انتهاء حرب فيتنام وعودة الفرق التى تخدم فى فيتنام الى كوريا . ولكن التسهيلات والامدادات الادارية اللازمة لمواجهة أية زيادة سريعة فى القوات الامريكية فى أحوال الطوارىء ، يجب أن تبقى فى كوريا الجنوبية . والى أن تصل القوات الجوية لكوريا الجنوبية الى حد التعادل مع القوات الجوية لكوريا الشمالية ، يجب أن تضع الولايات المتحدة وحدات جوية مستعدة للعمل الفورى فى كوريا الجنوبية . على أن يضاعف حجمها اذا ما وضعت فى المستقبل قيود تمنع استخدام قواعد اليابان واوكناوا . وعلى اليابان أن تشارك فى تحمل عبىء توفير معونة جوية وبحرية لكوريا الجنوبية فى حالة وقوع غزو مفاجىء ، ومن مصلحة اليابان نفسها أن تفعل ذلك .

تستطيع الولايات المتحدة أن تبدأ بتقليل التزاماتها فى كوريا بقدر محدود على أن تضع فى اعتبارها دائما انه ليس هناك تحلل كامل من هذه الالتزامات ، يبدو فى الافق . وعلى خلاف الموقف فى اوروبا ، حيث لم يوفر حلفاؤنا القوة البرية الكافية لصد الهجمات البرية الكبرى ، انشئت كوريا الجنوبية جيشا قادرا على مقابلة جيش الشمال مقابلة الند للند . ولكن تهديد روسيا ، أو الصين له حجم آخر مختلف . والرادع لتلك التهديدات الكبرى يتكون من قوة جنوب كوريا واليابان ، بالاضافة الى الوجود الامريكى الصغير المستمر فى كوريا الجنوبية ، تساندها القوات الجوية والبحرية التى تعمل من قواعدها فى غرب المحيط الهادى، بالاضافة الى برنامج معونة عسكرية ينفذ لتجديد القوة الجوية لكوريا الجنوبية وزيادة حجمها . وعلى عكس الحال فى أوروبا . لا يمكن أن يكون الردع النووى حقيقيا مقنعا اذا ما استخدم للدفاع عن كوريا الجنوبية . اذ أن أخطار وتكاليف استخدام الاسلحة النووية — على اليابان والولايات المتحدة الامريكية — ستكون أكبر من المصالح الحيوية التى يحققها هذا الاستخدام بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية . وعلى عكس الحال فى أوروبا هناك حل آخر متاح ، لان القوات البرية الوطنية تكفى لمواجهة اقصى تهديد تقليدى بوسائل تقليدية .

تايـــوان

تايوان هى اقليم حكومة الصين الوطنية ، وأساس الموقف الصينى المزدوج فى غرب المحيط الهادى . وهى حلقـــة هامة فى سلسلة الجزر الاستراتيجية التى تطوق الاطار الاسيوى . وحكومة شيانج كاى شيك ، وتايوان نفسها كانتا موضعا للنقد الشديد ، ونعتت مساندتنا لها بأنها عمل خبيث . على أن المزايا السياسية والاستراتيجية للتحالف القـوى للولايات المتحدة فى تايواى هى مزايا عظمى .

والولايات المتحدة غير محتاجة لحقوق القاعدة الدائمة فى تايوان فى الاوقات العادية . اذ أن طائرات الداوريات والاستطلاع تعمـل على فترات متقطعة من تايوان وجزيرة بسكادور القريبة منها . وقد قدمت تايوان مساعدات من انواع متعددة أثناء حرب فيتنام ، مطارات لطائرات النقل الجوى ، وورش لصيانة وتصليح الطائرات . كما أن لها اهمية فى جمع المعلومات ، اذ تساعد سفن وطائرات استطلاع الصين الوطنية ، وطائرات الاســتطلاع الامريكية التى تعمل بدون طيارين وتطـير على ارتفاعات عالية للتجسس ، ومحطات المراقبة الالكترونية ، ومحطـات التسمع ، وعملاء تايوان الذين يتسللون الى الاراضى الصينية ، تساعد كل هذه العناصر على جمع قدر هائل من المعلومات العسكرية والاقتصادية والسياسية المتعلقة بمستقبل الشيوعية فى الصين . وتايوان مع جزرها بالاضافة الى هنج كونج ، من أهم نقط المخابرات الخارجية فى الشرق الاقصى . ولا يمكن أن نقلل من أهميـــة البيانات التى يجمعها رجـــال المخابرات فى الصين الوطنية ، كما كان يحدث دائما فى الماضى ، عندما كان الخبراء الامريكيون يستبعدون تقارير تايبيه لانها محرفة من أجل خدمة مصالحها . وقد تكون بعض هذه التقارير كذلك ، ولكن علينا أن نتذكر أن تنظيم المعركة لقوات الصين الشيوعية فى كوريا الشمالية وفى منشوريا قد استمدتها الولايات المتحدة من تايبيه مبكرا ، وفى تفصيل مختصر ، قبل أن تواجه القوات المسلحة الامريكية وقوات كوريا الجنوبية قوات الصين الشيوعية فى الميدان عام ١٩٥٠ . والامر لا يستدعى أن تكون تسهيلات تايوان قواعد للولايات المتحدة الامريكية ، ولكن توفر هـــذه التسهيلات وامكان استخدام موانيها ومطاراتها واقليمها شىء مفيد ومريح ويدعـــو الى الاطمئنان . مما يحتم حرمان أى عدو من الاستيلاء عليها ، خصوصا وان تايوان فى يد الصين الشيوعية ، تعنى كسر سلسلة الجزر ؛ كما انها تهدد جزر ريوكيو فى الشمال والفلبين فى الجنوب . ولفقدها تأثير سياسى عميق على بقية آسيا يضر مصالحنا بقدر يفوق اى مزايا يمكن أن نجنيها من علاقتنا بالصين الشيوعية نفسها .

يجب الا يكون الاعتـراف بدولتين صـينيتين ، وبدء العـلاقات الدبلوماسية مع بكين ، ودخول الصين الشيوعية فى الامم المتحدة على حساب تايوان . لان الكسب ليس أكيدا ، والثمن الاستراتيجى والسياسى والاقتصادى والمعنوى ، سوف يكون كارثة ، وأطماع الصين الشيوعية الموجهة الى « ريف العالم » لا تشبع بالاستيلاء على تايوان .

يهـدد موقف تايوان جنب أقليم الصين الشيوعية ، من الناحيـة الاستراتيجية . وتسيطر تايوان ، بالاضافة الى جزيرتى كويموى وماتسو — وتحتلهما الصين الشيوعية — على الشاطىء الصينى من سواتاو عبر أموى الى فوتشو ، وتشرف على مضيق تايوان — عرضـه ١٠٠ ميل وتجتاحه الرياح الشديدة — الذى يصل بين بحر الصين الشرقى وبحر الصين الجنوبى . وحرية بكين فى مجال العمل العسكرى يقيدها الوضع الجغرافى فى تايوان ، ورغبة الصينيين الوطنيين فى « العـودة الى أرض الوطن » ، والقوة العسكرية للصين الوطنية ، وقد تأكد أثر هذه العوامل حتى فى حربى كوريا وفيتنام . لقد اضطرت الصين الشيوعية الى فتح قوات تقدر بحوالى من ٦٠٠ر٠٠٠ الى ٨٠٠ر٠٠٠ باستمرار فى مواجهة تايوان ، ومجموع قوات الصين الشيوعية ٢٥٠٠ر٠٠٠ فرد وحتى عند تفاقم الخلاف الصينى الروسى وتحوله الى اشتباك بالنيران على حدود منشوريا وسينكيانج ، قامت الصين بتخفيف قواتها القريبة من فيتنـام الشمالية لارسالها الى الشمال ، دون أن تسحب أى عناصر من قواتها فى مواجهة تايوان . وتايوان خطر استراتيجى مميت على بكين ، وهو خطر يبدو صغيرا ولكنه له أثر سيكلوجى وسياسى أكيد على المظهر الكاذب للوحدة الشيوعية فى أقليم الصين ، هذا بالاضافة الى خطره العسكرى الكبير .

تتكون القوات الوطنية فى تايوان من حوالى نصف مليون فرد فى جميع أفرع القوات المسلحة ، بالاضافة الى مليون آخر من المليشيا والاحتياط ، ضعيفة التدريب والاعداد والتنظيم . وبها ٢٤ فرقة ، منها ١٦ فقط كاملة القوة جيدة التسليح الى حـد كبير ، واغلبها مسلحة بأسـلحة الحرب العالمية الثانية فى وحدات المشاه ، بالاضافة الى قدر محدود من صواريخ سطح سطح ، وصواريخ مضـادة للطائرات Nike Hercules التى يمكنها حمل رأس نووية ، وقد أمدتها الولايات المتحدة بها لتدعيم مقدرتها الدفاعية . وأسطولها به ٣٥٠٠٠ فرد ، ويتكون من خمس مدمرات ، وستة فرقاطات ، وعدة قوارب داوريات ، وقدر كبير من قوارب الابرار منها ٢٧ قارب أبرار خفيف LST ، متوسطة التدريب والروح المعنوية. وبها فرقتان بحريتان جيدتا التدريب تعملان كرأس حربة برمائية . والقوة

الجوية تتكون من ٨٥٠٠٠ فرد ، وقد أثبتت المعارك فوق مضيق تايوان أن بهذه القوة طيارين على مستوى عالى من التدريب والخبرة ، وبمقارنتها بالقوات الجوية للصين الشيوعية من ناحية الافراد والطائرات يتضح ان كفاءتها القتالية أعلى من كفاءة القوة الجوية للصين الشيوعية . ولكن طائراتها تكتيكية وليست استراتيجية ، وقدرتها دفاعية ، ولكن قدرتها الهجومية محدودة جدا ، وبها ٤٠٠ طائرة قتال ما يزيد عن ٢٠٠ منها قديمة ومتخلفة من الانواع ف ٨٦ ، ف ١٠٠ .

والسياسة التى وضعتها واشنجطن تنعكس بوضوح على القدرة الهجومية المحدودة لقوات الصين الوطنية ، ومقدرتها الدفاعية القوية التى يزيد خليج تايوان من مناعتها . وعندما وضعت هذه السياسة ، كان هناك اهتمام كبير بدعوة كاى شيك المستمرة بالعودة الى أرض الوطن . ومنذ اندماج الصين تحت حكم الشيوعيين ، فان العودة الى أرض الوطن لا تأتى الا بمعاونة بحرية ومعاونة الولايات المتحدة الامريكية وقواتها الجوية . وسياسة الولايات المتحدة الامريكية وقواتها الجوية . وسياسة الولايات المتحدة الامريكية لتقوية الدفاع وتحديد مقدرة الهجوم هى سياسة حكيمة ، اذ انها وضعت على أساس منع الذيل من استثارة الكلب ، لتأكيد ان الولايات المتحدة لن تورط فى حرب على أرض الصين بواسطة اتباعها .

ولكن تحقيق سياسة فيتنام وأسبقية مطالبها أدت الى تضاؤل قوة دفاع تايوان . اذ أن أغلب المعدات البرية والبحرية قديمة ومتخلفة وغير صالحة للاستعمال ، وتكلف صناعة قطع الغيار لمعدات الحرب العالمية الثانية كثيرا فى تايوان . والامر يقتضى بدء برنامج جديد للمعونة لاعادة تجهيز تايوان بالمعدات ، وخاصة المعدات الجوية ، ومعدات الدفاع المضاد للطائرات والمعدات البحرية ، اذا كنا نريد المحافظة على الاهمية الاستراتيجية والقوات الوطنية كموقع قوى على الجنب ، يهدد قلب أرض الصين . يجب الاحتفاظ بتايوان كمعقل لقوة العالم الحر .

والقوات الوطنية ، وتتكون من حوالى ٨٠٠٠٠ فرد ، تحتل الجزر الممتدة على الشاطىء ، والتى تقبع بجوار الارض الام (كيموى لا يفصلها عنها الا مضيق اتساعه ميل أو ميلين) . وقد زرعت هذه القوات نفسها بعمق فى الصخور وحصنت الجزيرة تحصينا كثيفا . وتحتفظ حكومة الولايات المتحدة بمرونة فى العمل والمناورة الدبلوماسية بالنسبة لهذه الجزر ، لان التزاماتها فى تايوان لا تمتد بالضرورة الى كيموى وماتسو . ويتوقف الاجراء الذى ستتخذه واشنجطن فى حالة هجوم الصين الشيوعية على هذه الجزر ، يتوقف غالبا على سياق الاحداث العالمية . وقد كسر الحصار الذى فرضته الصين الشيوعية بنيران المدفعية والهجمات البحرية

والجوية على كيموى أثناء حكم ايزنهاور بمد الصين الوطنية بمدفعية متوسطة لها قدرة على اطلاق قنابل نووية . وبالرغم من عدم اعطاء قنابل نووية الا أن بكين أدركت الدرس ، اذ أن طائرة واحدة تستطيع حمل ذخيرة كافية للحكم على أى اقتحام برمائى على كيموى بالفشل . ولكن غزو أى من الجزر الممتدة على الشاطىء ، لا يمكن الان مقابلته بهذا الاسلوب البسيط لان الصينيين الشيوعيين يملكون أسلحة نووية ويمكنهم الرد بالمثل . ولو أنه لا يحتمل حدوث اقتحام شيوعى لجزيرة كيموى فى المستقبل القريب ، لانها محتلة بقوة تعرض المهاجمين الى خسائر فادحة ؛ ويقدر ثمن نجاحهم بآلاف الارواح ، بالاضافة الى أنه يؤدى الى حدوث أزمة سياسية فى الشرق الاقصى . ولكن فى النهاية اذا ما زادت قوة الصين التى تحتل الاقليم الرئيسى ، فان موقع هذه الجزيرة القريب منها والمعرض لاشكال العدوان المتعددة سوف يكون عامل استنزاف .

ولكن هذا الاحتمال غير متوقع بالنسبة لتايوان ، وهى احدى الجزر الكبرى فى غرب المحيط الهادى ، اذ يقوى موقعها مانع عرضه عدة فراسخ من المياه الزرقاء . ولكن موقفها ، كباقى المواقف الاخرى فى غرب المحيط الهادى ، ضعف حقيقة بعد أن أصبحت بكين تنتج الاسلحة النووية ، وخاصة بعد تركيب الرؤوس النووية على صواريخ صينية متوسطة المدى . ولكن الهجوم على تايوان بأسلحة نووية قد يدعو واشنجطن الى الانتقام النووى من بكين أو التهديد به ، خصوصا وان تايوان تحميها المظلة النووية الامريكية مثل اليابان . كما أن الهجوم التقليدى العلنى فى المستقبل القريب يمكن للصينيين الوطنيين دحره اذا جددت أسلحتهم لتعادل أسلحة الشيوعيين أو لتتفوق عليها من ناحية النوع ، واذا سلح الوطنيون بقدر كاف من الاسلحة الدفاعية ذات الواجب المزدوج — التقليدى والنووى — مثل الصواريخ المضادة للطائرات ، والصواريخ جو — جو ذات الرؤوس النووية . على أن الدفاع عن موقع جزيرى مثل تايوان ضد هجوم معادى من البحر أو الجو ، هو أحد المواقف القليلة التى يمكن فيها استخدام الاسلحة النووية التكتيكية الدفاعية لتقوية الدفاع دون تصاعد النزاع .

لا يبدو فى افق المستقبل القريب تهديد عسكرى عاجل ضد تايوان . ويجب أن توجه الولايات المتحدة الامريكية جهدها للمحافظة على الموقف الاستراتيجى القائم هناك . وهذا يعنى برنامج مساعدة لتجديد أسلحتها ، واستمرار رخائها الاقتصادى ، واستقرارها السياسى ، وقد سادا فيها خلال العقد الاخير . وهذا يقتضى أيضا نقل السلطة الى حلفاء كاى شيك بهدوء بعد موته ، دون حدوث اضطرابات داخلية أو محاولات انقلاب .

هذا ليس سهلا . اذ يخشى بعض الغربيين ان يدفع الاغراء خليفة كاى شيك لاتخاذ « اجراء » بالاشتراك مع حاكم الصين الشيوعى ، أو أن تساعد « الرشوة » على تنظيم انقلاب شيوعى فى تايوان . على أن هناك عدة عوامل سوف تؤثر على العلاقة بين تايوان والصين القارية ، على مر السنين ، منهـا حب الافتخار وروابط الجنس والوطنية المتطرفة عند الصينيين ، حتى من كان منهم خارج البلاد . وهذه الاخطار الداخلية التى قد تؤدى الى فقد موقع حيوى آخر فى سلسلة الجزر ، يجب مقابلته بتأكيد المساعدة السياسية ، والسياسة العسكرية من واشنجطن بوضوح . وهذا هو أحد الاسباب التى تجعل برنامج التطوير العسكرى لقوات الصين الوطنية المسلحة ضرورة كبيرة سيكلوجية كما هو ضرورة عسكرية .

يبدو أن هناك خطرا آخرا يهدد تايوان ، ولكنه يبدو بقعة صغيرة باهتة فى الافق . لقد بثت موسكو — متأثرة بخلافها مع الصين — « البعض » غير الرسميين للاستقصاء . ومن الواضح انه اذا قامت حرب بين روسيا والصين فقد تقنع وتدفع تايوان للقيام بتدخل محدود ، وقد يورط ذلك الولايات المتحدة كما انه يقلقها بالتأكيد .

الفلبين — أندونسيا

تعتبر جزر الفلبين وأندونسيا المحور أو المرتكز الجنوبى للافريز الجزيرى الذى يحتوى الشريط الساحلى لشرق آسيا .

وهذه الجزر مصادر هامة للمواد الخام ، وموقعها الجغرافى يسيطر على المضايق الضيقة الى بحر الصين الجنوبى والمحيط الهندى . كما انها خط نقط خارجية فى البحر للدفاع عن استراليا .

للولايات المتحدة التزام « الاخ الاكبر » نحو الفلبين عبر التاريخ ، وهو التزام تقليدى . وعلاقة الفلبين باستراتيجية غرب المحيط بدت واضحة بعد حرب فيتنام . فقد كانت القاعدة الجوية فى كلارك وفى خليج سوبيك وكلاهما فى جزيرة لوزون ، قاعدتين مساعدتين هامتين للقوات الامريكية المقاتلة فى فيتنام . وخاصة للوحدات الجوية والبحرية . لقد أصبحتا الان ضروريتين ولا يمكن الاستغناء عنهما ، وستزداد أهميتهما ، كلما زاد معدل سرعة الانسحاب الامريكى الذى لا مر منه من أوكناوا . ولكن التسهيلات التى لا ضرورة لها فى الفلبين ، مثل تلك التى فى سانجلى بوينت يجب ازالتها . والوجود الامريكى فى الفلبين على وجه

الخصوص يجب الا يكون محسوسا على قدر الامكان ، وكلما اختفى كلما كان أفضـــل .

ليست الفلبين جوهرة براقة فى تاج الاستعمار الامريكى ، وقد يكون ذلك ناتجا من التاريخ الطويل لاستعباد الجزر ، اذ أصــبح السياسيون الفلبيون حساسون حول « حقوقهم » و « سيادتهم » بوجه خاص ، وأقل هفــوة وطيش يبدو من واشنجطن أو ممن يمثلوها تجعل العم ســـام ضاريا بالســياط . والمشكلات الداخلية فى الفلبين عديدة ، فالاقتصـــاد ضعيف ، والحكومة سيئة وكثير من أعضائها مرتشين . ولا تزال حــركة هكبالاهاب الشيوعية قائمة ، وكانت تهدد الاستقرار فى بعض الحالات بعد أن قامت حول بعض الفلاحين المعدمين فى لوزون . وقد نشطت أخيرا، وان كان من الصعب التفرقة بين الاضطرابات الايديولوجية واللصوصية المنظمة والرشوة التى يسمح بها الرسميون .

تملك الفلبين قوة دفاعية صغيرة تتكون من ٣٠٠٠٠٠ فرد ، وقــوة شرطة تفوقها تدريبا وتتكون من ٢٠٠٠٠ فرد . والجيش يتكون من فرقة واحدة ، بالاضافة الى عدة فرق تدريب أخرى . واحتياط موجــود على الورق يتكون من ٢٠٠٠٠٠ فرد . ووحداتها الهــامة الفعالة تتكون من ١٠ كتائب مهندسين انشاءات ، حاربت احداها فى فيتنام . وقواتها البحرية بها عدد قليل من قوارب الداوريات التى تعمل فى مكافحة التهريب أكثر من العمليات العسكرية . والقوة الجــوية قوة رمزية تتكون من ٦٠ طائرة قتال متخلفة .

هذه قوة صغيرة غير فعالة لا يمكنها توفير أى دفاع حقيقى ضد أى هجوم محتمل من أى منطقة قريبة . والاهم من ذلك أن التهديد بتهريب الاسلحة وتسلل العملاء عبر الشواطىء الطويلة المتعرجــة لالاف جــزر الارخبيل ، شىء واقع وحقيقى ، ولكن هــذه القوة لا يمكنها مواجهتــه أو منعــه .

والنتيجة ان الفلبين تعتمــد فى أمنها على موقعهـــا الجزيرى وعلى عضويتها فى حلف جنوب شرق آسيا ، السيتو .

قد تكون منظمة حلف جنوب شرق آسيا (٧) تعبيرا سياسيا مقبولا — وهى قطعا تعبير عسكرى — عن وجود الولايات المتحدة الامريكية . ولكن حمايتها للفلبيين تتصف بالعمومية والغموض ، ودولة أرخبيل الجزر ليست الدولة الوحيدة التى ترى فى السيتو شيئا ممكنا قبوله أكثر من العم سام .

أى أن السيتو له فوائد أكيدة سياسية وسيكلوجية ، كما أنه يوفر مجالا لدراسة ومناقشة الاعمال المشتركة ، له أهمية عظمى فى منطقة الدول المتخلفة على وجه الخصوص .

يقف الارخبيل الاندونيسى الغنى وحيدا بين سياسات المنطقة المعقدة ، وكان خارجا علينا ولكنه أصبح صديقا لنا . وقد كان قريبا من الشيوعية — وان لم يكن تحت سيطرتها تماما — تحت حكم سوكارنو . ومن المحتمل أن تكون الطعنات التى وجهتها الولايات المتحدة فى حرب فيتنام قد ساعدت على حدوث الانقلاب المضاد للشيوعية . وحكومة أندونسيا اليوم صديقة مع الغرب ، وهى تحاول اصلاح اقتصاد أرهقته الرشوة وسوء الادارة عبر عشرات السنين ، دون خبرة أو أمـل . ولكن كوادر الشيوعيين والمنشقين لا تزال موجودة مختفية فيها .

لاندونسيا أهمية اقتصادية واستراتيجية ، وموقعها الجغرافى يجعل من الارخبيل الاندونيسى دولة فى المحيط الهندى وأيضا دولة فى المحيط الهادى . تقع جزيرة سومطرة عبر ممر ضيق هام للملاحة البحرية ، ومضيق ملقا ، وآلاف الجزر ، والممرات بينهما هى فى نفس الوقت مانع وطريق للوصول الى استراليا الغنية . واذا وقعت أندونسيا تحت السيطرة الشيوعية ، وكانت قوية بحرا وجوا ، فانها تطوق الفلبيين وتهدد اتحاد ماليزيا فى بورنيو ، تلك أهمية استراتيجية أكدها التاريخ . ولاندونيسيا أهمية عظمى وتبشر بمستقبل هام كمصدر للمطاط والبترول ، وشعبها الكبير يجعلها دولة كبرى ، ويبلغ تعداده ١١٢ مليون نسـمة ، أكبر من شعب اليابان .

ولكن تحقيق ذلك لا يزال أملا بعيدا ، وأندونيسيا يصعب أن تكون دولة موحدة . وتتكون من جماهير متباينة — تختلف من ناحية الاصل العرقى والمعتقدات الدينية ، والعادات الاجتماعية والانتماءات السياسية . ويبدو أن تبلد الحكام والمحكومين يجعل من الارجح الا تلعب أندونيسيا أى دور سياسى بارز فى السياسة الدولية فى المنطقة ، حتى المستقبل القريب .

واندونيسيا تملك على الورق أقوى قوات مسلحة فى جنوب شرق آسيا . تصل فى مجموعها الى ٣٥٠٠٠٠ فرد فى الخدمة العاملة ، بالاضافة الى ١٣٠٠٠٠ فى الشرطة والقوات شبه العسكرية . وبحريتها على الخصوص تبدو فى صـورة مميزة ، اذ غذتها روسيا ورعتها أيام حكم سوكارنو . وبها ١٢ غواصة W روسية ، وطراد سفير دلوف ، ١٨

مدمرة أو فرقاطة روسية ، ١٢ قارب داوريات ، كومار مسلح بالصواريخ ، وعدة كاسحات الغام ، ومراكب داوريات ساحلية . ولكن العدد يبدو مضللا . لان انتهاء المعونة السوفيتية ، ونقص التدريب ، وتأثير الحرارة والرطوبة على السفن الغير مكيفة الطقس والتى لم تصنع للخدمة فى المناطق الحارة ، وحركة تطهير القوات المسلحة التى تمت عقب سقوط سوكارنو ، كلها عوامل تضافرت لتجعل كفاءة القوات البحرية فى الحضيض . والمعتقد أن أغلب أجهزة الرادار ، وأجهزة الكهرباء الالكترونية معطلة ، وان الصدأ قد أثر على السفن والالات . والقوات الجوية كانت تحت قيادة أشد القادة ميلا للشيوعيين بين قادة أفرع القوات المسلحة جميعها . تتكون من ٥٥٠ طائرة فى أغلبها متخلفة وعاطلة فيما عدا ٢٥ طائرة قاذفة قنابل سوفيتية متوسطة TU-16 ، و ١٦ طائرة ميج ٢١ كثير منها ينقصه بعض الاجزاء الاحتياطية وفى حاجة الى صيانة . والجيش مسلح بأسلحة سوفيتية وغربية ، يتكون من ١٦ لواء مشاه وعدد من كتائب الدبابات والعربات المدرعة ، وأغلب قواته مرتبطة بمهام الامن الداخلى .

وأهمية الارخبيل الاندونيسى الاستراتيجية سلبية أكثر منها ايجابية بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية . اذ يهمها أن تحافظ هذه المجموعة من الجزر الغنية المزدحمة بالسكان على استقلالها ، وأن تمنع الشيوعية من غزوها . ولكن الولايات المتحدة ليست لها مطالب عسكرية فى أقليم أندونيسيا ، والاستثمارات الامريكية والمواد الخام فى أندونيسيا نواح هامة ولكنها ليست حيوية .

يجب أن يكون دور أمريكا فى أندونيسيا دورا معاونا دون تطفل . اذ أن الارخبيل الجزيرى يحتاج لكل معونة اقتصادية تساعده على شق طريق الحياة للشعب الذى يتضاعف عدده، والافضل أن تأخذ هذه المعونة شكل المعونة الفنية ورؤوس الاموال المنتجة ، بالاضافة الى منح قليلة. وهذه الجزر تتوفر فيها امكانيات كبرى من المطاط والبترول والسياحة، وان كانت الاخيرة لاتزال متخلفة رغم انها من أجمل جزر العالم. وقد ترغب اندونيسيا فى المستقبل القريب — ليس القريب جدا — فى أن تصبح عضوا أو عضوا منتسبا فى السيتو ، للاستفادة بالمزايا المشتركة التى يوفرها التحالف ، من أجل التعاون الاقتصادى والسياسى وليس من أجل الامن العسكرى .

جنوب شرق آسيا

جنوب شرق آسيا ملتقى لطرق التجارة وأحداث التاريخ ، مثل الشرق الاوسط. ومضيق ملقا ، معبر بحرى بين محيطين كبيرين ، وشبه الجزيرة — وتتكون من تايلاند والهند الصينية ، وماليزيا — تكون خط نقط خارجية

للدفاع عن أندونيسيا واستراليا ضد أى عدوان موجه من قلب آسيا . ومنذ عدة قرون ، كان هذا الاقليم تخوما امتد اليها وانحسر عنها المد الصينى وترك آثاره عليها، وتقابلت شعوب البحر مع شعوب البر فيها.

والصين ترمى ظلالها على حكومات وشعوب المنطقة من شمال تايلاند الى سنغافورة . والنفوذ الصينى فى هذه المنطقة هو نتيجة للقرب الجغرافى ، والقوة المادية ، واحتواء الصين العرقى الكبير لكل السكان . ويسيطر الصينيون فى الخارج — وهم صناعيون متجانسون مزهوون — على قدر كبير من أعمال البنوك والتجارة والحياة الاقتصادية فى هذه المنطقة ، وفى بعض الاحيان يتحول بعضهم الى أدوات ايديولوجية للشيوعية ، نتيجة لارتباطهم السياسى الخفى بأرض الوطن ، وتفاقم الخلافات العنصرية والعرقية . ويفخر كثير منهم بالانتماء الى الصين الجديدة القوية التى تنمو وتتسع .

يجتاح المنطقة كلها — عدا جيوب صغيرة منها — عدم الاستقرار السياسى ويسودها الفساد والحكومات الفاشية ، ويغلب فيها الاقتصاد الزراعى مع صناعة محدودة ، وتغلب عليها ظروف القرن التاسع عشر الاجتماعية والصحية والخبرة الزراعية البدائية . ومما يزيد من مشكلات المنطقة تعدد الاديان والاجناس والولاءات التى تكون للقبيلة أو الدين أكثر منها للوطن ، كذلك جوها الحار الردىء .

وللمنطقة أهمية استراتيجية كشبه جزيرة متصلة بآسيا ، تسيطر على عقدة طرق الملاحة البحرية بين المحيطين الهادى والهندى . وقد حبت الطبيعة بعض بلاد هذه المنطقة بثروات طائلة ، ظاهرة أو كامنة . وهى منطقة هامة من مناطق انتاج المطاط على نطاق واسع . ومنطقة تايلاند ودلتا نهر الميكونج بجوارها فى جنوب فيتنام غنية وتصدر الارز ، ولها أهمية حقيقية كبرى بالنسبة للصين ذات القوة البشرية العظمى .

ولا يمكن اعتبار هذه المنطقة حيوية للولايات المتحدة الامريكية بعد انتهاء حرب فيتنام . وقد سيطرت عليها اليابان فى الحرب العالمية الثانية ، ولكنها خسرتها بعد الحرب. وهى منطقة هامة، وتتركز مصلحتنا العظمى فيها فى خليج ملقا وضرورة بقاءه بعيدا عن السيطرة الشيوعية :

فيتنام الجنوبية

أدى تورط الولايات المتحدة الامريكية فى فيتنام الجنوبية ، مثل وجودها فى كوريا ، الى خلق نتوء قارى على قارة آسيا . ولكنه نتوء أكثر صعوبة من ناحية احتلاله والاحتفاظ به بالنسبة للنتوء الكورى .

اذ أن كوريا شـــبه جزيرة ضيقة نسبيا ومطوقة بالبحر ، ولا يوجد بها الا قليلا من الطرق الجيدة التى تصل بين الشمال والجنوب . ولا تتصل بأرض تابعة لدولة أجنبية الا من الشمال فقط . كما أن ســكان كوريا الجنوبية أكثر تجانسا واقل اختلافا فى المعتقدات والاديان من سكان فيتنام الجنوبية . وفيتنام الجنوبية ، ولو أن الطبيعة حبتها بثراء أكثر من كوريا الجنوبية الا أن على حدودها تقع كمبوديا ولاوس وفيتنام الشمالية . كما ان طرق الاقتراب والدخول اليها من الحدود الصينية كثيرة ومن السهل الاختفاء فيها ، ومتناثرة ، اذ يوفر وادى نهر الميكونج والقنوات والمجارى المائية المتعددة وكذلك الساحل المتعرج فى هذه المنطقةطرق‌اقتراب لا حصر لها صالحة للتسلل عبرها . وفيتنام الجنوبية مثل كوريا ، كلتاهما قريبة من الصين الشـــيوعية الى درجة تجعل الدفاع عنها ضد عـــدو قوى الارادة ، عملا صعبا .

تعنى نظرية الدومينو لبلاد جنوب شرق آسيا انه اذا ما سقطت حكومة واحدة تحت السيطرة الشيوعية ، فسوف تتداعى باقى البلاد على التوالى كرد فعل‌متسلسل‌بالتأثير . وسواء كنا نعتقد أو لانعتقد بصحة هذه‌النظرية، فمن الواضح ان الخروج الامريكى من طرف واحد ، وسياسة الجرى والعدو التى تركت سايجون للشيوعية قد تؤدى الى نتائج خطيرة فى أجزاء كثيرة أخرى من آسيا . ولا يمكن أن تتحول فيتنام الجنوبية الى الشيوعية بعد كل سنوات الحرب ، وآلاف الخسائر ، والانفاق الباهظ والجهـــود الضخمة ، دون أن يكون لهذا التحول صدى هزيمة امريكية تامة ، وهى الاولى فى تاريخ أمتنـــا .

ولا يمكن أن يتم ذلك دون قتل أو نفى الالاف أو مئات الالاف من غير الشيوعيين من فيتنام الجنوبية ، الذين حاربوا بعنف طويلا ضـــد الفيت كونج . ولكن لا يمكن أن يتم ذلك دون أن تفقد آسيا والمجتمع العـــالمى الثقة فى أثر القوة الامريكية ، وحيوية الالتزامات الامريكية . ولا يمكن أن يتم ذلك دون توالى الصدمات العنيفة فى كمبوديا ولاوس وتايلاند وماليزيا وسينغافورة والفلبين واندونسيا واليابان . وليس هناك شك فى أن فرض الشيوعية بالقوة على سكان جنوب فيتنام سوف يعنى هزيمة فى معركة أخرى من اجل العالم ، وسوف يعنى استقرارا أقل ونزاعا اكثـــر على امتداد التاريخ الطويل ، وربما حرب عظمى فى وقت من الاوقات، هـــذا ما يجعل فيتنام حيوية للولايات المتحدة الامريكية .

لا يمكن القول بأن الولايات المتحدة لم تكن لتواجه مثل هذه النتائج اذا لم تكن قد تورطت فى حرب فيتنام من قبل . قد يكون ذلك حقيقيا ، ولكنه

اعتقاد يرتكز على فراغ على كل حال . ولا يمكن أن نشغل أنفسنا «بما كان من الممكن أن يكون » أو باحتمالات التاريخ ، ولكن يجب أن نواجه الامور طبقا لحقيقتها .

ليس هناك طريق سهل للخروج من فيتنام ولا « حل » سريع يبدو فى الافق ، فنحن متورطون فى فيتنام ولا سبيل الى الخلاص منها حتى فترة قادمة ، والمشكلة تدور حول الاسلوب الذى به نستطيع تخفيض قواتنا فى فيتنام دون تحول سايجون الى الشيوعية . انها مشكلة لا يمكن أن نحلها الا بأنفسنا . فروسيا لن تساعدنا ، لان ذلك ليس فى صالحها ، بل من مصلحتها امتداد الحرب ، لان جزءا كبيرا من قوة الولايات المتحدة مقيدا بعيدا عن تهديد مصالح روسيا الحيوية ، كما أن اعتمادهانوى على روسيا يتزايد باستمرار الحرب ، وهذا يدعم النفوذ الروسى فى دولة على حدود الصين الشيوعية . والمعادلة السوفيتية فى جنوب شرق آسيا هى نفس المعادلة التى تطبقها فى الشرق الاوسط — اضطراب تحت « سيطرة » لان روسيا لا ترغب فى تورط مباشر .

ومن المؤكد ان الصين لن تساعدنا لانهاء الحرب ، لانها كروسيا ، تسعى للنفوذ والسيطرة فى فيتنام الشمالية . وقد اتخذت بكين موقفا عنيدا لمساندة هانوى ودعمت الفيت كونج بمعونتها العسكرية . ولن تسلك أى حكومة فى سايجون بصدق نفس المسلك الذى اتخذه الامريكيون الليبراليون للتمهيد لانهاء الحرب ، لان اغلب الفيتناميين الجنوبيين غير الشيوعيين يدركون أن قيام حكومة مؤتلفة مع الشيوعيين تحمل فى طياتها قبلة الموت ، اذ أن رقابهم هى التى ستشنق وأموالهم هى التى ستصادر ، وحياة عائلاتهم هى التى ستواجه قدرا غير معروف .

واذا أردنا الا تكون النهاية فى فيتنام أسوء حالا مما هى الان ، فيجب أن نخطط مسارنا ونلتزم به تماما مهما كان الخلاف فى الجبهة الداخلية .

لقد رسمنا المسار فعلا ، ولكنه مملوء بالمصاعب ، ولا يمكن أن يقودنا عبره الا ربانا قويا . يجب أن يستمر تخفيض قواتنا من فيتنام بالتدريج ، وقد بدأ فعلا بأسلوب مناسب ، على أن تنتقل مسئولية الحرب الى كاهل الفيتناميين الجنوبيين شيئا فشيئا . ولا يمكن وقف الانسحاب بعد أن بدأ ، لان ذلك يكون منزلقا خطيرا سياسيا وعسكريا . كما يجب الا نكرر الاساليب التى اتبعناها فى عام ١٩٦٥ — قصف وحصار فيتنام الشمالية — لقد تضاءلت قدرة وسائلنا على الاقناع . والعدو الذى أصيب بخسائر فادحة من الهجوم الجوى العنيف يحتفظ — رغم ذلك — بقدرة على نشر

الهلع وشن هجمات صغيرة بالعصابات ، يكملها بجهـود أكبر ، تتزايد وتتناقص وتشمل بينها هجمات مدعمة بالنيران ، على القواعد الامريكية ، وعلى مدن ووحدات فيتنام الجنوبية . وعمليات فيتنام ، وقد خضناها منذ بدأها كحرب انهاك — أصبحت حربا بين ارادات ، تعتمد فيهـا هانوى أساسا على حليفتها من أجل تحقيق النصر — واستنزاف الولايات المتحدة الامريكية . وليس هناك نهـاية سريعة يمكن أن نتوقعها مهمـا كانت الاجراءات التى نتخذها فى هذا المجال . وهـذا يحتم أن يكون برنامج الفتنمة برنامجا طويلا ممتدا . يجب أن تبقى بعض قوات الولايات المتحدة الامريكية — كما هو الحال فى كوريا — لمستقبل غير محـدود ، على أن تستمر الولايات المتحدة فى امدادها بدعم عسكرى يتضمن مساعدات الجو والمدفعية وطائرات الهليوكوبتر ، والمعاونة البحرية الثقيلة ، والامـداد الادارى .

يجب أن تتضمن فتنمة الحرب الاجراءات الاتية : أولا ، اهتمام أعظم بتقوية وزيادة حجم وكفاءة حكومة وقوات الشرطة فى فيتنام الجنوبية . وثانيا ، العمل على اضعاف قوة منظمة الفيت كونج السرية — والحكومة السرية — فى فيتنام الجنوبية ، على أن تتخذ فى هذا المجال اجراءات أكثر فعالية وأشد تأثيرا عما اتخذ من قبل . وثالثا ، تدعيم فيتنام الجنوبية من الناحية العسكرية — تدعيم القوات الاقليمية والشـعبية والنظامية — بالاسلحة الحديثة والقيادات الافضل . تلك اجراءات طويلة تسـتغرق وقتا ، وقد بدأت جميعا ، وبدأ بعضها بدءا حسنا ، ولكن الطريق لا يزال طويل حتى انتهائها . يجب أن نضع دائما فى الاعتبار ان فيتنام الجنوبية التى تقاسى هجمات عنيفة ، وتواجه فيتنام الشمالية التى تساندها أقوى دولتين شيوعيتين فى العـالم ، لا تزال غير قادرة على الوقوف على قدميها .

والمحتمل اذن ، أن تبقى قوات أمريكية فى فيتنام لعدة سنوات قادمة . والمشكلة الان هى انقاص حجم هـذه القوات الى أقل ما يمكن وبأسرع ما يمكن . هذا يقتضى تحديد القتال واحتوائه فى المناطق الفسيحة الغير مأهولة بالسكان ، فى الجبال ، والاحراش ، وفى مناطق الحدود ، والمناطق الساحلية ، كلما كان ذلك مستطاعا .

هناك عاملان يلعبان دورا فى هذا المجال ، فتهدئة حدة القتال وتقليل حجمه يتحقق اذا رغب العدو أو اذا فقد القدرة على استمرار القتـال بالمعدل السابق . ليس هناك شك فى أنه جرح جرحا عميقا ، كما انه ليس هناك شك كبير فى أنه يستطيع مواصلة المعدل الذى سار عليه عام ١٩٦٩

بمساعدة روسيا والصين حتى مالا نهاية . أى أن تهدئة القتال قد تتوقف على أحداث سياسية لم تظهر فى الافق بعد ، أكثر مما تتوقف على تخطيط لاستخدام القوة . وعلى سبيل المثال ، قد يؤدى موت هوشى منه الى أزمات متعاقبة على المدى الطويل وانشقاق فى قيادة فيتنام الشمالية ، وتفاقم الخلاف السوفيتى الصينى قد يؤثر على الموقف فى فيتنام الشمالية أيضا .

ودولتى فيتنام ، الشمالية والجنوبية ، تكاد أن تكونا متعادلتين فى القوة العسكرية . وبالنسبة لعدد السكان يبلغ تعداد الشمالية ١٩ مليون نسمة بينما يبلغ تعداد الجنوبية ١٧ مليون . وعادة ، كانت فيتنام الشمالية هى المنطقةالاكثر تصنيعا، بينما كانت الجنوبية هى الاكثر انتاجا للحبوب. ولكن قصف الشمال ، وبرنامج اقامة المنشآت العسكرية العديدة فى الجنوب ، ويتضمن برامج لاجراء تحسينات كبرى فى خليج كامران، ودانانج وسايجون ، وتمهيد الطرق واعداد المحاجر ، وانشاء المطارات ، وتطوير الزراعة ، وتوفير الخدمات الطبية ... الخ وكذلك خلق صناعات صغيرة من أنواع متعددة ، تلك كلها عوامل جعلت فيتنام الجنوبية البلاد الاكثر تطور فى جنوب شرق آسيا ، اذ أصبحت تملك قاعدة اقتصادية قوية لمستقبل يبشر بالخير بعد وقف القتال .

يبلغ مجموع أفراد القوات المسلحة لفيتنام الجنوبية مليون نسمة ، منها ٤٢٥٠٠٠ من قوات الجيش منظمة فى ١١ فرقة ووحدات صغرى أخرى ، ولكن جيش فيتنام الشمالية يبزه من ناحية التسليح من نواح عديدة . ويتكون جيش الشمال من ٤٥٠٠٠٠ فرد ، اغرقتهم الامدادات السوفيتية بالاسلحة الصغيرة والصواريخ ، والصواريخ الموجهة ، والمدافع المضادة للطائرات والدبابات الخفيفة والمتوسطة ، وكلها من الانواع الروسية . والدفاع الجوى فى فيتنام الشمالية يعتبر نموذجا لما يجب أن يكون عليه الدفاع الجوى الحديث بما يملكه من مئات الصواريخ سام ، وشبكات رادار ومواصلات جيدة وكثيفة ، وما يزيد عن ٦٠٠٠ مدفع ٣٧ مم مضاد للطائرات . وفيتنام الجنوبية ضعيفة فى القوة الجوية ، اذ لا تملك الا ١٢٥ طائرة قتال فقط ، ١٥ منها حديثة النوع ف — ٥ . ولكنها سوف تمد بطائرات حديثة أكثر بينها مقاتلات ف — ٤ لتساعدها على استعادة التوازن مع الشمال ، عندما تترك القوات الامريكية فيتنام . أما فيتنام الشمالية ، فلها قوة جوية بها ١٣٠ طائرة قتال ، منها ٨ الى ١٠ طائرات الـ ٢٨ ، وهى قاذفة نفاثة خفيفة ، يمكنها الوصول الى أى مكان فوق فيتنام الجنوبية ، بالاضافة الى ٢١ ميج — ٢١ ، وهى طائرة اعتراض نفاثة ، تفوق كفاءتها أى طائرة تملكها فيتنام الجنوبية حتى الان ، يضاف الى ذلك مائة طائرة مقاتلة ميج ١٥ ، ١٧ .

وفيتنام الجنوبية متفوقة فى القوة البحرية ، ولها قوات نهرية وكاسحات الغام وداوريات ساحلية وسفن حراسة وقوارب مدفعية ومئات من السفن التى تعمل بالمحركات الاليـــة .

ولكلا البلدين قوات كبيرة شبه عسكرية ، وحدات شبيهة بالمليشيا . ويبلغ مجموع القوات الاقليمية والشعبية ، وجماعات الدفاع المدنى غير النظامية وقوات الشرطة الوطنية — وكلها عناصر مهمة فى العمل ضـــد العصابات — فى فيتنام الجنوبية ٦٠٠٠٠٠ ، ولكنها فى حاجة شديدة الى التدريب والاعداد .

هناك واجب كبير يجب انجازه ، عمل بدأ ولكنه لم يتم على أى حال ، من أجل معاونة الفيتناميين الجنوبيين على تحمل عبء الدفاع عن أنفسهم. قد يكون عملا شاقا ولكنه ليس بلا أمل . تلك مشكلة تقارن بالمشكلة التى قابلتها واشنجطن فى كوريا عام ١٩٥٣ ، ولكنها لا تماثلها تماما .

ومصلحة الولايات المتحدة الامريكية الاستراتيجية على المـــدى الطويل تقتضى أن تكون فيتنام الجنوبية بلدا مستقرا ثريا ناميا تحكمه حكومة غير شيوعية — على الاقل حتى المستقبل المنظور — حكومة محايدة حقيقيا على اقل تقدير ، وليست محايدة ظاهريا فقط . ونحن لا نحتاج ولن نحتفظ فيها بقواعد دائمة ، وتقليل حجم بروزنا القارى فى جنوب شرق آسيا ، كما أن تقليل التزاماتنا بأسرع ما يمكن نحو هذا البروز ، هما فى صالحنا .

لاوس وكمبوديا

دخلت هذه البلاد مع فيتنام فى نطاق صخيب الشـــيوعية ومعـــاداة الشيوعية والحرب الاهلية وحرب العصابات التى سادت المنطقـــة فى العقدين الاخيرين . وأراضى لاوس تخترقها آلاف الاميال من الطرق المعقدة التى تخترق الاحراش — وتسمى بممرات هوشى منه — والتى استخدمتها هانوى بكفاءة لامداد قواتها فى الجنوب عبر أراضيها . وقد اســـتخدمت كمبوديا محطة للوصول ، وقاعدة للامداد والنقاهة ، وموقعا للهجوم على سايجون وضواحيها (٨) .

وكمبودديا ولاوس وفيتنام الجنوبية هى « دول البروتوكول الثلاثة » ، وهى ليست أعضاء فى حلف منظمة جنوب شرق آســـيا ، وان كان من المفروض انها فى حمايته . وقد تنصلت لاوس وكمبوديا من هذه الحماية ، وان كانت ، لاوس على الاقل ، تلقت مساعدات فى قتالها ضد ٣٠٠٠٠

من قوات الباثت لاو الوطنية الشيوعية ، التى سلحتها الصين وفيتنام الشمالية ، وكذا ضد ٤٠٠٠٠ الى ٥٠٠٠٠ فرد من قوات فيتنام الشمالية النظامية التى تحرس وتدعم ممرات وطرق امداد هوشى منه الى فيتنام الجنوبية . وتضمنت هذه المساعدات قوات بحرية وجوية من تايلاند ؛ ومعاونة جوية قوية أمريكية ، وقوات أمريكية سرية ، ومراقبين للمرات والطرق من المخابرات الامريكية ، وكذا عناصر من العصابات والمغيرين والمستشارين . وقد عجزت كمبوديا عن منع الالاف من فيتنام الشمالية ومن الفيت كونج من استعمال اراضيها ، وعلاقتها بجيرانها سيئة وحساسة نتيجة لخلافات اقليمية وعقائدية واقتصادية مع فيتنام الجنوبية وتايلاند .

تتكون قوات لاوس الملكية ، بما فيها القوات المسماة بالمحايدة ، من ٦٥٠٠٠ فرد ، قليل منهم مسلحون تسليحا جيدا بالنسبة لهذه المنطقة . ولكن هناك عامل أهم ، اذ ان رجال القبائل الجبلية فى شمال وشمال شرق لاوس ، وهم معادين للشيوعيين ، لعبوا دورا كبيرا فى ازعاج طرق امداد الفيتناميين الشماليين بالعمل كعصابات ، ومراقبين للمعابر ، ... الخ . وقد دعمت هذه القوات بقوات تايلاند الملكية التى ترتدى زى لاوس ، وكذا بمستشارين وخبراء عسكريين متخصصين ، وبمعاونة بالقصف الجوى الكثيف من الامريكيين .

تبلغ قوات كمبوديا ٤٥٠٠٠ فرد فقط . وهى مجهزة بخليط من معدات من عدة مصادر ، وقدرتها القتالية ضعيفة .

يتوقف مستقبل هذين البلدين الى حد كبير جدا على ما سوف تتمخض عنه حرب فيتنام . ولكن ليس هناك تحول فى صالحنا يمكن توقعه بالنسبة للموقف الحالى فى لاوس ، حيث لا يسيطر الملك الا على جزء من مملكته . وشمال لاوس منطقة يسود فيها النفوذ الشيوعى كما كانت من قبل ، خصوصا اقليم فونجسالى المجاورة لجبهة ينان . ويخترق الطريق ١٩ هذا الاقليم من هانوى عبر ديان بيان فو . كما أن جماعات انشاء الطرق الصينيون تقوم بتمهيد طرق جديدة ، يبدو أنها ستمتد فى اتجاه جنوب غربى من الطريق ١٩ الى حدود بورما وتايلاند ، كما أن هناك طريق هام آخر يمتد فى اتجاه الشمال الى الحدود الصينية . ونلمس أيضا نفوذ الصين فى أجزاء أخرى من لاوس ، الذى يصل فى بعض الاوقات جنوبا حتى سهل الجرار ذو الاهمية الكبرى لطرق الامداد بين فيتنام الشمالية والفيت كونج المتجهة الى الجنوب . وهذا النفوذ سيستمر بالتأكيد ، ولن يكون تهديدا خطيرا لاحد طالما التزم بالمناطق الشمالية دون أن يتعداها . على أن لاوس ستبقى ممزقة بالانشقاق الداخلى والكبرياء العسكرى فى نفس الوقت .

وهذا ايضا لا يحمل فى طياته تهديدا خطـــيرا طالما بقيت لوانج برابانج ، وفيانتيان ، والاجزاء الغربية من لاوس على امتداد نهر الميكونج ، تحت سيطرة الملك أو تحت سيطرة قوات غير شيوعية .

ومشكلة المستقبل فى كمبوديا هى بقاؤها كدولة .

قدرها ، وقدر لاوس مرتبطان بقدر سايجون وهانوى . والهند الصينية منطقة استراتيجية متكاملة رغم تباين شـــعوبها وانتشار القبلية فيها . ومصالحنا فيها سلبية أكثر منهـــا ايجابية ، تقتضى حمايتها من غـــزو الشيوعيين والرضوخ لسيطرتهم . والحياد الحقيقى للمنطقة كلها فى صالح الولايات المتحدة الامريكية .

والولايات المتحدة ليس لها مصالح حيوية فى هذه البلاد التى تعتبر — من الوجهة الاستراتيجية — طريقا الى شبه جزيرة الملايو ، ومدخلا الى وادى الميكونج الخصيب . كما تعمل هذه البلاد كمانعة للصـــدمات عن تايلاند الغنية ، ضد الفيتناميين الشماليين ، والصينيين الشيوعيين . واذا ما استطعنا الاحتفاظ بها كذلك ، تحققت أهدافنا وأهداف تايلاند فى نفس الوقت .

تايـــــلاند

لم يكن لمملكة سيام القديمة تاريخ اســـتعمارى . على عكس البلاد الاخرى فى جنوب شرق آسيا ، مما لا يجعلها تقف من الغرب موقف حذر تشوبه العقد النفسية التى كثيرا ما كانت سببا فى تضخم آثار ســـلوك الغطرسة الشائك للمستعمرين . وحكومة تايلاند — التى يصفها الليبراليين الغربيين بالدكتاتورية — تتمتع باستقرار أكثر وكفاءة أعلى ، كما أن ثروتها الطبيعية ، وضعف جيرانها وبعدها عن الصين كلها عوامل تســـاهم فى ســـعادتها .

ولكن أوقات تايلاند السعيدة عانت ازعاجا من وقت الى آخـــر من حروب فيتنام ولاوس ، ومن غزوات اللاجئين من فيتنام الشمالية — وبينهم عناصر شيوعية مخربة — فى الولايات الشمالية الشرقية من لاوس عبر الميكونج ، ومن تصاعد العمليات الصغرى للعصابات ، خصوصا عبر حدود ماليزيا فى الجنوب وفى الشمال الشرقى . وقد تغيرت الحياة السهلة الخاملة فى البلاد تغيرا جذريا بعد انشاء ست قواعد جوية امريكية واقامة تسهيلات عسكرية أخرى فى البلاد ، ودخول آلاف من الجنود الامريكيين . وأصبحت بانجوك مدينة صاخبة ، تزدحم شوارعها بالسيارات الجديدة كما

تزدحم قنواتها بالقوارب . ولكن الرغبة فى الثراء السريع وسوء الاستغلال والرشوة وانخفاض المعنويات والشعور بعدم الاطمئنان السياسى فى المدن والريف كلها عوامل أفسدت هذه الجنـــة .

وتايلاند رغم ذلك هى أشد أعضاء السيتو تحمسا لهذا الحلف ، فقـد خصصت طائرات ووحدات خاصة ومدفعية لمعاونة قوات لاوس الملكية . وتملك ١٢٠ طائرة قتال بعضها مخصص للعمل ضد العصيان . وحركات العصابات الشيوعية وخاصة فى الجزء الشمالى الشرقى للبلاد حركات صغيرة ليس لها اعتبار بالنسبة للحياة العادية فى آسيا حيث ارواح البشر رخيصة والعنف منتشر والقتل لا يزعج كثيرا ، ولا تعتبر هذه الحركات تهديدا حقيقيا قائما بقدر ما هى تهديد كامن . خصـــوصا وانه حتى الان تمكن التايلانديون من احتواء نشاط العصابات — وليس التغلب عليهـــا كلية — بمعاونة الولايات المتحـــدة الامريكية فى مجالات التدريب ونقـــل الخبرة والامـــداد .

يتوقف مستقبل عمليات العصابات فى تايلاند ، بل يتوقف مســـتقبل تايلاند كله على ما ستتمخض عنه حرب فيتنام . كما أن انتصار الشيوعيين فى فيتنام الجنوبية وفى لاوس سوف يؤدى بالتأكيد الى تكثيف النشـــاط الشيوعى فى تايلاند . ولكن صد الشـــيوعية لا يعنى بالضرورة نهـــاية العصيان فى تايلاند ، والارجح انه سيستمر بشكل متقطع يمكن مواجهته .

لتايلاند أهمية سياسية خاصة ، وبعض الاهمية الاستراتيجية بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية، فهى المنطقة المركزية فى جنوب شرق آسيا، كما أنها مستقلة، تعادى الشيوعية، غنية ومستقرة نسبيا، لا تعانى ما ورثه غيرها من البلاد المجاورة عن الاستعمار . واذا وقعت فى يد الشيوعية ، فسيكون الامل ضعيفا بالنسبة للدول الاصغر ، التى تجتاحها المتاعب فى المنطقة . كما أن نتوء تايلاند الجنوبى — ويكون حدودا مشتركة مع ماليزيا بالقرب من كراستمس — يواجـــه خليج تايلاند وبحر اندامان ، ويوفر مدخلا أرضيا لسنغافورة ذات الاهمية الاستراتيجية .

فى السنوات الاخيرة ، وصل مجموع الجنود الامريكيين فى تايلاند من وقت الى آخر ٤٠٠٠٠ جندى أغلبهم من القوات الجوية ، ويعملون على الطائرات وفى القواعد الكبيرة التى أنشئت لمساعدة حرب فيتنام . لقد بدأنا فى تخفيض عدد هذه القوات ، وسوف يستمر هـــذا التخفيض حتى انتهاء الحرب فى فيتنام ولاوس ، أو تحولها الى عمليات اقتتال صـــغيرة صعبة . وفى الواقع يمكن بل يجب أن تنسحب كل القوات الامريكية من

تايلاند . قد يقتضى الامر أن يسير الانسحاب بالتدريج مع برنامج انسحاب القوات الامريكية من فيتنام . ولكن الحاجة للخبراء الامريكيين وللمعونة الامريكية ، ولبعض وحدات من القوات البرية والبحرية الخاصة ، ولوحدات ادارية وطبية ، وربما لبعض المهندسين الذين اشتركوا فى بناء الطرق والمنشآت الصحية ، سوف تستمر .

كانت الولايات المتحدة تحتفظ بأسلحة تكفى للواء مخزنة فى تايلاند منذ وقت طويل، قبل تورطها فى حرب فيتنام. وكانت تقوم بصيانتها وحدات أمريكية من الجيش العامل وعمال مدنيين من تايلاند. ولو أن بعضها كان من أنواع قديمة أو غير صالح للعمل ، فقد كان من الممكن استخدامها فى وقت الطوارىء . على ان فكرة وضع معدات ثقيلة مسبقا فى مناطق مختلفة من العالم ، لتكون متاحة لاستخدام وحدات تنقل لها جوا من الولايات المتحدة الامريكية ، هى فكرة لها احتمالات سياسية عديدة ، بالاضافة الى أنها تكلف كثيرا . ولكن المعدات فى فيتنام ، اذا لم تستبدل جميعها بمعدات حديثة كلما تيسر ذلك ، فان مجهودنا يكون مجهودا ضائعا .

واشتراك الولايات المتحدة الامريكية فى المناورات وقت السلم ، أو أثناء الازمات من قاعدة أو اكثر من قواعد تايلاند عمل أهم من تشوين المعدات فيها ، على المدى الطويل . وقد أنشأ هذا الحشد الكبير من تسهيلات الموانى والمطارات ومحلات التخزين بواسطة متعهدين أمريكيين وتايلانديين بدولارات أمريكية . وتضيف هذه التسهيلات رؤوس أموال مستثمرة لاقتصاد تايلاند ، وتعتبر مصدر قوة هام لهذا الاقتصاد وقت السلم تعادل أهميته أهمية القواعد العسكرية . ومثال لذلك المنشآت القريبة من سأتاهب على شاطىء خليج تايلاند جنوب بانجوك . وتتضمن أحواض السفن ومخازن الذخيرة والبترول والثكنات والمعسكرات ، وأحسن المطارات والتسهيلات البحرية فى المنطقة . ومن مصلحة البلدين عقد اتفاق يسمح للولايات المتحدة الامريكية باستخدام هذه التسهيلات للاغراض العسكرية تحت شروط محددة ، على أن يتضمن منح قدر من المعونة الامريكية لاغراض الحفظ والصيانة .

وتايلاند صديق وحليف جيد ، بصرف النظر عن الرغبة فى تقليل بروزنا القارى فى آسيا . ولكن خروجنا السريع قد يؤدى الى فاجعة سياسية . يجب أن تكون سياستنا فى تايلاند معاونة ومشجعة على بناء قوات تايلاند الوطنية ومضاعفة قدراتها ، مع سحب قواتنا ومنحها معونة عسكرية بالتدريج . وفى المجال الاقتصادى ، يجب أن تتضمن معونتنا خبرة فنية ومساعدات للتطور والنمو تتوائم مع مشروع لاستغلال نهر الميكونج ،

مشترك بين فيتنام ولاوس وكمبوديا ، يعاون على الانتقال من اقتصاد الحرب الى اقتصاد السلم .

ماليزيـــا

بلاد ماضيها قصير وحاضرها مشوش ومستقبلها مبهم . ولموقعها الاستراتيجي اهمية كبرى . وهى خليط تكون من عناصر متباينة جغرافيا وعرقيا ، يعاني من مشكلات ومساوىء مولده المصطنع . لقد أصبحت ولايات الملايو فى أرض شبه الجزيرة — الوطن الام — مرتبطة مع ساراواك وصباح (بورنيو) على بعد مئـات الاميـال ، فى اتحاد ماليزيا . ولكن سنغافورة لا تزال ولاية مدينة منفصلة عنها ، رغم انها جزء من أرضها وعاصمة طبيعية ذات أهمية استراتيجية لها . والاقلية الصينية فى ماليزيا كبيرة جدا ، وهى مصدر القوة الاقتصادية والمالية فى الدولة وهى الجماعة التى انحدرت منها اغلب العصابات الشيوعية التى حاربت البريطانيين لمدة اثنى عشر عاما . وهى تقف موقفا معاديا لحكام ماليزيا . وقد أدى بسط سيادة ماليزيا على ساراواك وصباح الى قيام نزاع بينها وبين الفلبين واندونسيا .

وقوات ماليزيا المسلحة صغيرة . لا تكفى لمواجهة اى تهديد خارجي كبير ، وان كانت تكفى حتى الآن لمواجهة مقتضيـات الأمن الداخلى . ومجموعها ٤٤٫٠٠٠ عسكرى ، و ٢٥٫٠٠٠ من الشرطة ، بعضهم مسلح بمعدات ميدان خفيفة ، ومنها ٣٨٠٠٠ فى القوات البـرية منظمة فى ٢٠ كتيبة مشاه مدعمة بعربات مدرعة قليلة ومدافع ١٠٥ مليمتر هاوتزر ، وبعض هذه الوحدات مدربة جيـدا على حرب العصابات ومواجهة العصيان . وتحاول الحكومة تطوير قوتها الجوية — وتتكون من ٢٠ طائرة قتال — حتى يتوفر لها وسيلة لتمد نفوذها على بورنيو عبر بحر الصين الجنوبى ولو شكليا على الأقل .

لا تزال ماليزيا تواجه تهديدا بالعصيان ، بالاضافة الى نقط الضعف الناجمة عن مجتمعها المتباين . فهناك عصابات شيوعية تقدر بألف من الفدائيين ، ربما كانت حتى الآن تعمل تحت قيادة شن بنج ، وهو القائد الشيوعى الذى حارب البريطانيين خلال الاثنى عشر عاما . وهى لا تزال تعيش بين المخابىء المنتشرة فى منطقة ٣٦١ ميل من الاحراش الممتـدة على حدود تايلاند وماليزيا . وقد قل نشاط هؤلاء الخارجين على القانون ذوو العقيدة فى السنين الاخيرة ، ولكنهم استطاعوا ايقاع قـوات أمن ماليزيا فى كمائن من وقت الى آخر ، كما أنهم يسيطرون على بعض القرى

القليلة . ولكن مستقبلهم يتوقف على عاملين ، المواجهة بين الصين وماليزيا فى ماليزيا ، والتنمية فى فيتنام وتايلاند ، فاما يزداد تأثيرهم عنفا أو يقل اثرا . وفى الواقع هناك ارتباط وثيق بين العصابات فى تايلاند وماليزيا ، وقدرهم مرتبط ببعضهم البعض .

وموقع ماليزيا له اهمية استراتيجية ، كمنطقة تمتد طولا بين بحر الصين الجنوبى وبين بحر اندمان ، وكطريق يصل جنوب شرق آسيا بسنغافورة ومضيق ملقا . وقد اثبت اليابانيون فى الحرب العالمية الثانية أن ولايات الملايو الافريزية الشمالية تسيطر على سنغافورة من الناحية الاستراتيجية .

وبالرغم من ضعف الترابط بين « اجزاء امبراطورية ماليزيا » فانه سيزداد ضعفا بعد رحيل القوات البريطانية عام ١٩٧١ . وقد وضعت الخطط البريطانية لابقاء مدرسة التدريب على حرب الغابات فى ماليزيا ، وقيام اربع سفن من الاسطول البريطانى بمناورات لمدة اربعة شهور كل عام فى مياه الشرق الاقصى ، وقيام القوات الجوية الملكية بتمرينات للتدريب فى سماء آسيا حسب الموقف . على ان نقل القوات جوا من بريطانيا الى سنغافورة ، واجراء تدريب مشترك مع استراليا ونيوزليندا وسنغافورة وماليزيا سوف يكون له تأثير سياسى وسيكلوجى ملموس — وعسكرى ضعيف — يؤكد لشبه الجزيرة أن لندن لن تتخلى كلية عن المسئوليات الاقليمية التى ورثتها من ايام عظمتها .

كانت ماليزيا ، ويجب ان تبقى — بالنسبة للولايات المتحدة ، التزاما لبريطانيا ، وللكومنولث البريطانى اساسا . ولا يمكن قطعا أن نحافظ على ماليزيا من ماليزيا فقط ، اذ أن الدفاع عنها يكون من تايلاند ، وهو مرتبط بالدفاع عن سنغافورة ايضا . والمعونات الاقتصادية والفنية والعسكرية ، والمعاونة بالتدريب الفنى ، وتأكيد استمرار الوجود الامريكى فى غرب المحيط الهادى وجنوب شرق آسيا بوضوح وصراحة ، هى افضل اجراءات يمكن اتخاذها فى هذا المجال ، ومع ذلك ، ربما يتوقف مستقبل ماليزيا على سعر المطاط اكثر مما يتوقف على المعونة الامريكية .

سنغافورة

سنغافورة ، مركز الاستراتيجية فى جنوب شرق آسيا — وهى طير نادر — ودولة مدينة بين التجمعات السياسية الحديثة . وانفصلت سنغافورة فى عام ١٩٦٥ من اتحاد ماليزيا ، ولم يكن قد انقضى على

تكوينه أكثر من سنتين ، عقد العلاقات السياسية والاقتصادية . ولكن الدفاع عن سنغافورة وماليزيا لا يمكن تجزئته : كما أكد البريطانيون والاستراليون والنيوزيلانديون .

ولسنغافورة اهمية جغرافية عظمى . اذ انها احدى احسن الموانىء فى آسيا قاطبة ، واحدى الموانى الكبرى فى العالم ، وتسيطر على الطريق الرئيسى للملاحة البحرية فى المياه الاسيوية ومضيق ملقا وكذلك الممر الواسع الذى يؤدى الى مضيق ساندا بين ماليزيا وبورنيو . خلال ١٥٠ عاما من الحكم البريطانى ، اقيمت فيها أحسن منشئات فى الشرق ، وتتضمن الاحواض الجافة الكبرى ، وتسهيلات اصلاح السفن ، واميال من الارصفة ، وثلاثة مطارات ، وورش اصلاح هائلة وثكنات عسكرية . ومدارس ، ومستشفيات ومناطق للاسكان ، ومحطات رادار واتصال . ويشغل البريطانيون حوالى ١٦ ٪ من مساحة الجزيرة التى تبلغ ٥ر٢٢٤ ميل مربع . ويعتمد ٨٧٠٠٠ من مليونين من السكان بسنغافورة على ما يدفعه لهم البريطانون بطريق مباشر أو غير مباشر .

وقد استغل رئيس وزرائها لى كوان يو الانسحاب البريطانى لاذكاء الوحدة الوطنية بين سكانها الغير متجانسين لمواجهة الخسارة الاقتصادية الكبيرة . ويتكون السكان من الصينيين — وهم ثلاثة ارباع السكان — والباقون ماليزيون وهنود وبعض البريطانيين واجناس أخرى . وقد تخلل تاريخ سنغافورة الحديث القصير عديد من الاضطرابات العمالية التى يسيطر عليها الشيوعيون ، ولكن مستر لى الغامض طلق اللسان يلم الماما جيدا بالمشكلات التى تواجهه .

وقد التزمت سنغافورة واتحاد ماليزيا مثل تايلاند بالسياسة الامريكية فى فيتنام ، وارتبط ثلاثتهم بقدر أمريكا أكثر من اى دولة آسيوية أخرى لاسباب قوية : لانهم يدركون أن قوات الولايات المتحدة الامريكية فى فيتنام هى خط دفاعهم الاول ، وخروج الولايات المتحدة أو هزيمة قواتها سوف يعرضهم لخطر محيق .

ولكنهم لا يغامرون بمستقبلهم . وتبذل سنغافورة جهودا اقتصادية وعسكرية . وترتكز الجهود العسكرية على تنظيمات اقليمية مشتركة مع ماليزيا واستراليا ونيوزيلندا تساندها بريطانيا . وقد بدأ برنامج عشر سنوات لتدريب ٤٥٠٠٠ جندى ، وتوفير لواءين مشاه ووحدة مدرعة عند انسحاب بريطانيا عام ١٩٧١ . وتشترك مدارس اسرائيل العسكرية وبعثة عسكرية منها فى هذا البرنامج . والغرض الاكبر لقوات سنغافورة

الدفاعية غير مؤكد ، ولو أن وزير خارجيتها حدده « بما يكفى من القوات لارغام كل من يرغب فى ابتلاع سنغافورة على التفكير مرتين » . وفى نطاق هذا المبدأ سوف يتكون الجيش العامل من ٨٥٠٠ الى ١٠٫٠٠٠ فرد . ٧٠٠٠ من الاحتياط المدرب ، ٢٥ طائرة قتال نفاثة ، وقوات صغيرة بحرية للداوريات الساحلية ، مستعدة للمحافظة على مضيق ملقا مفتوح للملاحة البحرية باستمرار .

اذا استكمل التفكير الدائر مع استراليا ونيوزيلندا والقوات البريطانية فى سنغافورة وفى اتحاد ماليزيا ، فسوف يكون هناك ترابط بين هذه القوات . استراليا ونيوزيلندا تخططان الآن لابقاء كتيبتين مشاه وثمان مقاتلات نفاثة فى سنغافورة ، وسرية مشاه وحوالى ٤٠ مقاتلة نفاثة اخرى فى مطار بتروورث فى شمال الملايو ، وسفينتين ، فرقاطتين أو مدمرتين فى المياه القريبة . وقد خصص عدد كبير من الفنيين والضباط البريطانيين للمعاونة فى التشغيل وفى أعمال الصيانة فى الورش البحرية الكبرى فى سنغافورة . كما أن التخطيط البريطانى يحقق تدريب كتائب المشاه البريطانية فى مدرسة التدريب على حرب الغابات فى ماليزيا على التوالى . وستبقى قاعدة تنجاه الجوية فى سنغافورة معدة لاستقبال القوات المنقولة جوا من بريطانيا .

كل هذه الخطط المتواضعة لا تزال على الورق ، وبها ثغرات كثيرة وعلى سبيل المثال ، تعتبر شبكة الرادار البريطانية الكبرى فى جزيرة بنانج شيئا أساسيا فى أى شبكة دفاع جوى قوية ، ولكن الخطط التى وضعت لتدريب الفنيين فى ماليزيا ، أو لنقل الالتزامات لوحداتهم لا تزال خططا سطحية ، وحتى الآن لم توضع خطة فعالة مشتركة للدفاع الجوى عن شبه الجزيرة كلها .

ومن الوجهة الاقتصادية ، يبدو أن هناك تقدما أكبر فى وضع برامج تحل محل كل الاستثمارات البريطانية . فقد جهزت الساحات الصناعية فى سنغافورة وشجعت مئات الشركات على التحرك الى دولة المدينة عن طريق الحوافز الضريبية والوسائل الاخرى . وطورت المنشآت البحرية الكبرى لتوائم الاغراض التجارية ، ورفعت السفن التجارية لاصلاحها ، وتحسنت التجارة بتحسن العلاقات مع اندونيسيا وماليزيا . وتمت عقود عسكرية توفر بمقتضاها معاونة كانت الحرب فى فيتنام فى حاجة ماسة لها . ولكن المستقبل لا يزال غامضا على أحسن تقدير . اذ ان البطالة الكبيرة وآثارها السياسية والاجتماعية فى مدينة تفتتها الخلافات العنصرية والدينية ، مع وجود النقابات العمالية تحت سيطرة الشيوعيين قد يكون

لها نتائج وخيمة . ويجب أن تعــد سنغافورة نفسها كمركز تجــارى واقتصادى وصناعى لجنوب شرق آسيا ، ضمانا لمستقبلها .

ولسنغافورة أهميــة أساسية للولايات المتحدة الامريكية . لانهــا تحرس مدخل الطريق البحرى فى مضيق ملقا . ولكنها ليست القاعــدة التى لا يمكن الاستغناء عنها بالنسبة لامريكا . وقد اقترح بعض الخبراء الامريكيين أن تقوم الولايات المتحــدة الامريكية بانشاء قيادة متعــددة الأطراف للمحيط الهندى فى فونيكس بارك (مركز القيــادة البريطانية) كمركز رئاسة لها فى سنغافورة . ولكن هذا الالتزام أثنــاء السلم يعنى بروزا قاريا أمريكيا آخرا يعطى لسنغافورة حتما مظهر القاعدة الامريكية بصرف النظر عن الاطراف المشتركين الاخرين المتعددين . وسوف يؤدى ذلك الى الاحتكاك السياسى وزيادة النفقات دون كسب نناله ، اذ لا يمكن اغفال ان الدفاع الحقيقى عن سنغافورة ، ضد التهديد الخــارجى أو العصيان الداخلى المدعم من خارج حدودها ، يتركز فى الشمال . والولايات المتحدة متورطة الآن ، ومن المحتمل أن تبقى كذلك لعدة سنوات قادمة رغم سياسة التخلص ، فى فيتنــام وفى تايلاند . يتحتم أن يكون وجودنا العسكرى فى سنغافورة غير ظاهر ، وان تعلن دول الكومنولث وجودها بمساعدة بريطانيا .

ووجود قيادة للمحيط الهنــدى فى قارة آسيا ، سوف يكون هــدفا لاتهام الغرب بالامبريالية . كما اننا لن نستطيع أن نقوم بدور أساسى اذا تنصلت الدول ذات المصلحة الأولى — بريطانيا واستراليا ونيوزيلندا — من التزاماتها الطبيعية للدفاع عن سنغافورة وماليزيا .

وقيام الطائرات العسكرية وقطع الاسطول الامريكى السابع بزيارات دورية لا يتعارض مع مظهر الوجود العسكرى الامريكى الضئيل المطلوب . كما يجب نقل عقود اصلاح وصيانة القطع البحرية من اليابان الى ورش الاصلاح فى سنغافورة . كذلك يجب أن تضع الخطط الوطنية بحيث تتيح تسهيلات سنغافورة للاستخدام فى أحوال الطوارىء . ويمكن مساعدة اقتصاد سنغافورة بالسياحة واستثمار رؤوس الاموال الامريكية فيها . وقد يكون هناك دورا للسيتو فى سنغافورة فى الوقت المناسب عندما يكون ممكنا ، وعندما يقوم فعلا تحالف اقتصادي عسكرى جديد أكبر . يدخــل فى نطاقه سنغافورة واتحاد ماليزيا .

استراليا ـ نيوزيلندا ـ ميكرونيسيا

ترتبط المصالح الدفاعية لاستراليا ونيوزيلندا والولايات المتحدة الامريكية فى جبهة واحدة بمعاهدة الانزس ANZUS ، وحلف جنوب شرق آسيا ؛ ومعاهدة الانزس ليست فى الحقيقة الا اعترافا بالمصلحة المشتركة الاستراتيجية فى جنوب المحيط الهادى ـ المحيط الهندى ـ غرب المحيط الهادى ـ جنوب شرق آسيا .

الازدحام السكانى فى آسيا والتوسع الصينى يمثلان خطرا قائما يهدد قارة استراليا قليلة السكان ، ونيوزيلندا بلاد اللبن والعسل . لقد تفتتت روابط الامبراطورية وانتهت الحماية التى كان يوفرها الاسطول البريطانى . واستراليا ونيوزيلندا أصبحتا تعتمدان على قوة الولايات المتحدة الامريكية ، وسوف تبقيان كذلك حتى الغد المنظور .

ولكن ذلك ليس الطريق الاستراتيجى الوحيد . فقد اثبتت الحرب العالمية الثانية ، من الوجهة الاستراتيجية أن نيوزيلندا ، واستراليا على الاخص ، توفران المساحات البرية الكبرى ، وقواعد الامداد اللازمة للمواقع المتقدمة فى جنوب شرق آسيا ، بل فى منطقة ميكرونيسيا كلها . وهما حلقات مسيطرة بين جنوب المحيط الهادى والمحيط الهندى؛ والقواعد الاسترالية فى برث ، وتسهيلات الاسطول الامريكى الكبرى فى الراس الشمالى الغربى فى استراليا ضرورية جدا لعمليات الاسطول فى المحيط الهندى .

يجب أن يرتكز الدفاع عن استراليا ونيوزيلندا على السيطرة الجوية، والبحرية ، فهما بعيدتان بعدا كافيا عن قارة آسيا ، كذلك عن أى ارخبيل من الجزر التى تشكل تهديدا لهما ، يسمح بالاحتفاظ بأى قوات برية صغيرة . ولكن كلا الدولتان تدركان أن الأمر يقتضى مد مواقعهما الخارجية أكثر من ذى قبل ، كما يدركان أن مصالحهما تقتضى مساعدة جنوب شرق آسيا على الدفاع عن نفسها . كما أن لاستراليا مصالح دفاعية كبرى فى غينيا الجديدة الشرقية ، وفى ارخبيل بسمارك وفى بعض المحميات الجزيرية الصغيرة ، ليس لأى منها أهمية كبرى فى وقت السلم ؛ ولكن كل منهم يمثل موقعا فى ستارة تتكون منهم جميعا فى وقت الحرب .

القوى العسكرية العاملة فى كلا الدولتين صغيرة . يتكون جيش نيوزيلندا من ٦٠٠٠ فرد من القوات النظامية ، وحوالى ١٢٠٠٠ من الاحتياطى المنظم ، ويكون نواة لمجموعتى لوائين مدعمين . وتتكون بحريتها

من أربعة فرقاطات وعدة كاسحات الغام ، وعدة أنواع من سفن الداوريات الصغيرة . وقوتها الجوية صغيرة وتتكون من ٣٠ طائرة قتال قديمة وعدة طائرات للداوريات بحرية وللنقل الجوى . واستراليا مثل نيوزيلندا تطبق نظام التجنيد على نطاق ضيق ويصل مجموع القوات المسلحة الى حوالى ٨٨٫٠٠٠ فرد فى الوحدات النظامية بالاضافة الى ٤٠٫٠٠٠ فرد فى الاحتياط فى وحدات الميليشيا . يتكون الجيش من ٤٧٫٠٠٠ فى ثمان كتائب مشاه فى استراليا ؛ وكتيبة فى ماليزيا ، وثلاث كتائب مع أسلحة الدعم فى فيتنام . وهى جيدة التسليح وجنودها المحترفون على مستوى عالى فى التدريب . والقوة العسكرية الوطنية — الميليشيا الاحتياط — منظمة فى ٢٥ كتيبة مشاه وقوات معاونة ، وكتيبة فى كل ما باباد وغينيا الجديدة، ويتكون الاسطول من ١٧٠٠٠ فرد من النظاميين ، وحاملة طائرات خفيفة ASW وعشرة مدمرات ، وفرقاطة ، وثلاث غواصات ، وكاسحات الغام ، وعدة سفن معاونة ، خلاف بعض السفن الاخرى . وقوتها الجوية بها ٢٣٠ طائرة قتال ، منها طائرات اعتراض نفاثة ميراج ماركة ٣ للدفاع الجوى ، وقاذفات كانبرا نفاثة قديمة ، وما يزيد عن ٢٠ من طائرات داوريات بحرية امريكية. وقد وضع برنامج لتجديد القوات الجوية بطائرات ف ١١١ الامريكية ، القاذفة الهجومية ذات الاجنحة المائلة الى الخلف .

ترتبط الولايات المتحدة الامريكية مع استراليا ونيوزيلندا بروابط اللغة المشتركة والى حد كبير ، الماضى المشترك ، وكذلك المصالح المشتركة ، مما يجعل المساعدة العسكرية لقواتهما الصغيرة شيئا لازما حتى اذا كانت دون مقابل . والقوات البحرية والجوية الامريكية هى الركيزة الاساسية للدفاع عن استراليا ونيوزيلندا . وتحتاج الولايات المتحدة الى حق الاستخدام العسكرى لموانىء وقواعد ومطارات استراليا ونيوزيلندا فى اوقات الطوارى لدعم الدفاع المشترك ، ولا يلاقى هذا المطلب الا مصاعب قليلة . ويبدو أن طريق مانس الكبير فى جزر الادميرالية ؛ والقواعد على شاطىء استراليا الغربى لها أهمية جغرافية كبرى بالنسبة لمشكلات الغد .

وجزر المحيط الهادى التى تحت الوصاية تقع شمال قارة استراليا مستعرضة بين طرق الاقتراب البحرية والجوية المتجهة الى شرق وجنوب بحار الصين ، وكانت هذه الجزر تحت الانتداب اليابانى قبل ذلك . وقد اريقت دماء امريكية غزيرة فى هذه الاراضى فى الحرب العالمية الثانية ، وهذه البقع الارضية الاستوائية — جزر مارشال ، وجزر كارولين ، وجزر ماريان — تكون سياجا وقواعدا لأى استراتيجية للمحيط الهادى . والجزيرة الوحيدة التى تدخل فى نطاق سيادة الولايات المتحدة الامريكية

فى ميكرونيسيا هى جزيرة جوام ، على بعد ٣٣٠٠ ميل غرب هونولولو ، وعلى بعد ١٥٠٠ ميل شرق مانيلا . وكل الجزر الباقية بما فيها سايبان وروتا القريبتين فى مجموعة جزر ماريان تخضع لوصاية الامم المتحدة ، وقد كلفت الولايات المتحدة الامريكية بالوصاية عليها .

اذا ارادت الولايات المتحدة الامريكية الاحتفاظ بأى موقع متقدم فى غرب المحيط الهادى ، فيجب عليها استعادة ملكية هذه الجزر ، لانها حتى اذا كانت تحت حكم دولة حليفة ، فان معاونة استراليا ونيوزيلندا سوف لا تتم الا بصعوبة وعن طريق دائرى بعيد عبر ساموا الامريكية . واذا فقدت الولايات المتحدة حق استخدام بعض هذه الجزر للاغراض العسكرية ، فان اعادة دفع القوات الامريكية عبر المحيط الهادى سوف يكلف كثيرا ، تلك حقيقة سوف تتأكد غدا أكثر من اليوم ، لأن القيود التى سوف تحول دون استخدامنا لاوكناوا فى المستقبل ، وانسحابنا النهائى المحتم من جزر اليابان وجزر ريوكيوس ، يعتبر انهيارا اذا لم يتح لنا مواقع تبادلية . ورغم قصر الوقت ، ففى الواقع ، لم تتخذ أى اجراءات سياسية أو عسكرية الا قليلة .

المطلب السياسى بسيط : يجب أن تدخل هذه المجموعات الجزيرية فى نطاق السيادة الكاملة للولايات المتحدة الامريكية عن طريق الاستفتاء أو الحكم المحلى الذاتى ، أو فى شكل كومنولث . لقد كانت هذه الجزر تابعة مهملة للعم سام ، وكان هناك عدم رضا يعود بعضه الى « الايام الحلوة القديمة » تحت حكم اليابان . ومن البديهى أن يسجل الاستفتاء غدا اغلبية فى جانب العودة الى اليابان اذا لم تتخذ الولايات المتحدة فورا عملا ايجابيا لتأكيد مستقبل أفضل . هذه اعتبارات سياسية تجعل المشكلة من اختصاص الرئيس ووزارة الخارجية وليست من اختصاص وزارة الداخلية .

وجوام هى المركز الطبيعى للتسهيلات العسكرية الامريكية فى ميكرونيسيا اذ يتوفر فى آبرا مرفأ جيد ومطار حديث وتسهيلات للتخزين . وتستخدمها الغواصات الامريكية بولاريس كقاعدة متقدمة فى المحيط الهادى ، كما تستخدم القاذفات بـ ٥٢ مطارها فى حرب فيتنام . ولكن لها عيوب عسكرية مثل اوكناوا ، فهى تقع فى منطقة الاعاصير الاستوائية ، كما انها صغيرة ولا تكفى لايواء التسهيلات التى قد تنقل من اوكناوا . وترمى الخطط الحالية لتطوير الجزيرة الى انشاء حوض جاف عائم فى ميناء آبرا بالاضافة الى الثكنات العسكرية والمنشآت الاخرى . كما أن هناك حاجة لجزيرتى روتا وسايبان لانشاء المطارات ومناطق

التخزين اللازمة فيهما . كما اننا سوف نحتاج لانشاء مطارات وتسهيلات للمواصلات واعادة الملىء فى جزر اوليثى وفى مجموعة بالاو .

من المستلزمات الاستراتيجية التى نواجهها فى المحيط الهادى فرض السيادة الامريكية على اقاليم الوصاية وتثبيتها ، الا اذا كنا على استعداد لسحب خطنا الدفاعى الى هاواى . فالحاجة اصبحت ملحة والوقت قصير بعد موقف اليابان فى اوكناوا . ولا تستطيع الولايات المتحدة أن تتجاهل ان أى استراتيجية للمحيط الهادى وآسيا تتوقف أساسا على قدرتنا على اختراق المسافات الشاسعة فى المحيط بين بين سان فرانسيسكو وهونج كونج — أى تتوقف على القوة البحرية والجوية والقواعد الامامية التى ستدعمها .

قلب الارض الآسيوية — الانشقاق الصينى السوفييتى

تسبب الحدود الطويلة البعيدة بين الصين وروسيا ، المتددة من جبال بامير وسينكيانج الى منشوريا تهديدا واحدا خطيرا للولايات المتحدة الامريكية ، التهديد بحرب نووية . لأن الخلاف الايديولوجى العنيف . والجدل الصاخب المر ، والاهم من ذلك كله ، حوادث الحدود المتتالية التى تسبب صدام ومعارك صغيرة من وقت لاخر بين الماردين الشيوعيين تحوى فى مضمونها تهديدا للعالم الشيوعى وغير الشيوعى .

والاحتمال الأكثر أن يضعف البناء الشيوعى الذى كان موحدا فى يوم من الايام . ليس هناك شك فى أن الخوف المتبادل بين بكين وموسكو قد حول انتباه وقوة قلب أرض آسيا عن مناطق العالم الحر التى تهددها فلسفة الشيوعيين التوسعيين . وليس هناك شك فى أن كلتا الدولتين دعمتا حدودهما المشتركة على حساب اقتصادهما ، وان جهودهما المشتركة لتحقيق الثورة العالمية والسيطرة الاقتصادية والسياسية قد تفتت وضعفت ، واصبحنا لا نواجه جبهة متحدة تضم أكبر دولتين سكانا فى العالم ، وثانى دولة صناعية فى العالم . ونهاية هذا النزاع لا تبدو قريبة فى الافق .

ربما يكون خطر الانشقاق الصينى السوفيتى لا يزال بعيدا . ولكن ليس من السهل تقدير مداه . واستخدام الاسلحة النووية بواسطة أيهما أو كليهما سوف يؤدى الى اضرار جانبية — مثل اغلب العقاقير — تختلف درجتها بالنسبة لباقى دول العالم . فاذا استخدمت أسلحة كبيرة باعداد

كثيرة فربما تحمل الرياح السائدة مواد مشعة عبر اليـابان والى نصف الكرة الغربى . ويتوقف حجم وطبيعة وأثر الغبار المشع المتساقط على عدة عوامل متغيرة تجعل من الصعب تقدير مداه مسبقا ، وان كان من المنتظر أن يصل الضغط السياسى والسيكلوجى للرأى العام العالمى على حكومة الولايات المتحدة « لاتخاذ اجراء ماء » الى درجة يصعب مقاومتها . وقــد يكون لاستخدام قليل من أسلحة صغيرة نتائج اقليمية أو محلية ، وحتى استخدام مثل هذه الاسلحة سوف يسبب هلعا وقلقا وقشعريرة فى العالم.

الانشقاق الصينى السوفيتى سوف يستمر . لقد بدأ بانقســـام ايديولوجى ، اذ يعتقد كل طرف بانه هو اله الشيوعية الحقيقى ، ولكن السبب الاساسى والرئيسى هو خلاف على السلطان . والصين تود أن تصبح دولة نووية موحدة ، وقد استخدم ماوتسى تونج القومية الشيوعية للقضاء على المعارضة وجعل البلاد كتلة واحدة . واســتغل الحنين الى عظمة الصين الغابرة ، والوطنية المتطرفة ، والتهديد الخارجى المتصاعد من روســـيا ، وقيام روسيا فى الماضى بضم ٨٠٠٠٠٠ ميــلا مربعا من الارض الصينية فى وسط آسيا حول الامور وعلى امتداد الجزء الشمالى من بحر اليابان فى القرن التاسع عشر . استغل هذه العوامل لاثارة الرأى العام فى الصين .

من البديهى انه فى مجتمع دكتاتورى شيوعى يمكن اذكاء واطفاء هذه الاثارة المدبرة — ولكن ذلك قد يسبب حدوث تشنجات . وعندما يموت ماو ويختفى شركاؤه من المسرح ، فقد يتبع القادة الجدد منهاجا يجعلهم حريصين على تقليل النزاع الايديولوجى مع موسكو . وفى الواقع يمكن رتق الصدع ، والمحتمل أن يسود الود والوفاق العلاقة بين روسيا والصين فى وقت ما قبل سنة ٢٠٠٠ ، وسوف يكون لفترة الانسجام الشـــيوعى خطورتها على الولايات المتحدة والغرب .

ولكن على المدى الطويل ، هناك عوامل تؤكد عودة الاحتكاك بين روسيا والصين . لأن موسكو ، مثل الولايات المتحدة ، لا يمكنها أن تغض النظر عن الصين القومية تحت قيادة مركزية (تتفق مصـــالح الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى فى آسيا الوســـطى على ذلك) . والتهديد الحقيقى للاراضى الخالية من السكان تقريبا — فى سيبيريا وآسيا الوسطى — من الانفجار السكانى فى الصين يهم موسكو بصفة خاصة . والنـــزاع على الارض — الارض التى تطالب بها الصين وتحتفظ بهـــا روسيا — نزاع قديم قدم الانسان ، ستزداد حدته كلما زاد ضغط الانفجار السكانى فى العالم . ويواكب هذا التهديد — من وجهة نظر روسيا — نمو

الصين كدولة صناعية حديثة ، مسلحة بقدر كبير من الصواريخ والاسلحة النووية . سوف يستمر هذا كابوسا يؤرق نوم الكرملين . وسيبقى كذلك طالما انه فى طريقه للتحول الى واقع ملموس .

تملك الصين الآن عدة قنابل ذرية وقليل من الاسلحة الحرارى نووية وصواريخ موجهة قصيرة المدى وقليل من الصواريخ متوسطة المدى (حتى مسافة ١٨٠٠ ميل) وقد تبدأ فى انتاج صواريخ موجهة بين القارات وصواريخ تطلق من الغواصات فى أى وقت . هذه الاسلحة المدعمة بحشود بشرية هائلة على امتداد الحدود الروسية قليلة السكان لها اثر رادع على روسيا يؤثر على التصرفات الدبلوماسية السوفيتية ويضع الولايات المتحدة الامريكية « أمام طريقين » مضطرة للاستعداد لمقابلة تهديدين .

لروسيا السوفيتية الآن ، وسوف تحتفظ لعقود قادمة بميزة كبيرة على الصين ، خاصة وان صراع الصين من اجل الوحدة والقضاء على أرستقراطية الحرب لم ينتهيا بعد (٩) . ويبدو أن جهود الصين لتصبح دولة عظمى لن تحقق هدفها فى حياة جيلنا . فالمصاعب امامها ضخمة ، وتقدمها النووى التكنولوجى المثير يرجع الى اهتمام خاص ولا يعكس تقدما عاما فى كل المجالات . والقوة السوفيتية حتى الآن تتفوق تفوقا ساحقا على قوة الصين . ولكن هذا التفوق يختلف باختلاف المناطق الجغرافية . واضعف المناطق الروسية تمتد على وادى نهر آمور وعلى حدود منشوريا . حيث يسير خط السكك الحديدية الى سيبيريا — وهو شريان الحياة السوفيتى الى الشرق الاقصى — على مسافات لا تبعد الا اميالا قليلة من الحدود ، وهى مناطق مدافع عنها بقوة . ومنغوليا — محمية روسية — ولاية هامة تمتص صدمة الهجوم على حدود روسيا ، وقواتها المسلحة بدائية تتكون من ٣٠٠٠٠ رجل تدعمها روسيا بقوة ، واذا وقعت تحت سيطرة الصين ، وقد سيطرت عليها من قبل ، فسوف يمتد ضغط الصين ضد سيبيريا فى اتجاه الغرب لدرجة يصعب عندها الاحتفاظ بالمناطق البحرية من خابارفسك الى فلادفستوك .

وفى وسط آسيا نفسها ، تصبح مزايا الحدود الجغرافية فى جانب روسيا ، فسينكيانى بعيدة وليس لها الا وسائل اتصال قليلة بالصين الشرقية ، بينما هناك خط حديدى روسى يصل الى الحدود ، ومدخل طبيعى عبر ما يسمى مداخل دزرنجرين بالقرب من يومين ، يصل الى أرمشى ، عاصمة سينكيانج ، وهى نهاية الخط الحديدى من لانتشو . المركز النووى والصناعى الصينى فى الشمال الغربى . ومداخل دزرنجرين

هى ممرات فى جبال الاتوا العالية التى تقع على امتداد الحدود ؛ وهى تبعد ٢٧٠ ميل عن أرمشى ، وتبعد ١٠٠ ميل عن بعض حقول البترول الصينية الرئيسية فى كاراماى، وتبعد ٥٠٠ ميل من مناطق التجارب النووية الصينية القريبة من لوب نور . ويبدو أن الصين قد وضعت فى اعتبارها أن هـــذه المناطق معرضة للاختراق السوفيتى المدرع ، وجهزت منطقة أخرى فى الجنوب للتجارب النووية فى التبت ، تبعد عن الحدود بمسافة أطول .

وهناك مزايا وعيوب على جانبى الحدود المشتركة التى تمتد لمسافة ٢٥٠٠ ميل . ففى كل من روسيا والصين اقليات عريقة بين سكانها . وبعـــض تلك الاقليات غير سعيدة تحت حـــكم غريب وقابلة للاستثارة والعصيان .

ليس لروسيا ، وســـوف لا يكون لها فى الغـــد القريب أى ميـــزة ايديولوجية — لأن كل من يقرأ كتاب الرفيق ماو الصغير ينعت قادة الكرملين « بالمحافظين » و « الجامدين » — ولكن لها ميزة عسكرية كبرى . وحشود الصين قد تكون هائلة فى ظروف معينة ولكنها ليست الا « قطيعا مسلحا » فى مواجهة قوة النيران الحديثة ، قدرت اكثر مما تستحق . والمد البشرى يستطيع التسلل واجتياح النقط الضعيفة ولكن التحشد الكبير يقلل الاندفاع ويخلق مشكلات الامداد الكبرى ويؤدى الى المذابح ، كما ثبت فى كوريا .

والنزاع بين الماردين الشيوعيين فرصة يصعب استغلالها بواسطة الولايات المتحدة الامريكية لتحقيق مزايا سياسية ، وعلى الاخص ، فى مجال حركة الشيوعية العالمية . وربما توفر فرصة للوصول الى حلول مناسبة للمشكلات السياسية البعيدة عن منطقة وسط آسيا .

معضلة رئيسية فى الغد ، أمام وزارة الخارجية الامريكية : كيـــف تضخم واشنجطن منحة اعطاها رب الشيوعية المولع بالخلاف . لكل عمل تتخذه حدود لا يمكن أن تتعداها . وسبيل العقل ، فى الحقيقة ، يقتضى المراقبة والانتظار . هناك محظوران يسيطران على الموقف . فالضغوط الخارجية — فيتنام ، والشرق الاوسط ، وبرلين — لا ينتظر أن تؤدى الى انهيار ، وفى الحقيقة قد يؤدى ازدياد الضغط الى مضاعفتها كما بينـــت فيتنام (١٠) . ولكن المحتمل أن يكون النـــزاع مستمرا وغير مرتبـــط فى أساسه . ومن الواضح أن الحديث عن تحسن كامل فى العلاقات الامريكية الصينية أو الامريكية الروسية شىء لا ينبغى توقعه . وقد نستطيع تحقيق بعض تحسن فى العلاقات مع ايهما أو كليهما ، ولكن عندما يجد الجد ، يستبعد وقوف ايهما فى جانبنا ضد الآخر .

: لخص وليام جريفيث استاذ العلــوم السياسية فى مركز دراسات الشرق الاوسط للدراسات الدولية الحقائق السياسية كما يلى « . . ستبقى روسيا مركز اهتمامنا المباشر . ولن يتحول الكرملين الى صداقتنا بسبب التهديد الصينى فقط . والواقع ان الاتحاد السوفيتى مثل الصــين دولة توسعية وقوة استعمارية معادية للولايات المتحدة الامريكية أساسا »(١١).

عدوان لنا فى آســيا .

يجب أن تبنى الاستراتيجية الفعالة للولايات المتحــدة الامريكية فى المحيط الهادى على تفوق جوى بحرى لا يجارى ، وان ترتكز على مواقع متقدمة فى سلسلة الجزر التى تحيط بالارض الاسيوية ، وعلى استراليا ونيوزيلندا وميكرونيسيا وعلى قواعد رئيسية ومواقع خلفية فى هاواى . على أن يكون لنا التزامات خاصة نحو كوريا وفيتنام وتايلاند ، وهى مناطق بحرية بارزة من قارة آسيا ، لا يمكن انتزاع انفسنا منها فى ليلة واحدة ، لأن لذلك نتائجا سياسية وعسكرية خطيرة .

كذلك لايمكن أن تحافظ القوات الجوية والبحرية وحدها على توازن القوى فى آسيا ، والقوات البرية — الامريكية أو الحليفة أو الوطنية — سـوف نكون فى احتياج اليهــا ، ومن المحتم أن نقيم الالتزامات بدقة بالنســبة للمصالح المباشرة والنهائية للولايات المتحدة الامريكية ، والقوة اللازمة للموقع ، وفرص النجاح المحتملة .

تقتضى المصالح الامريكية شيئا هاما ضروريا ، بقاء الاسطول السابع فى المحيط الهادى تدعمه قوة جوية تعمل من قواعد بحرية فى الجزر . كذلك يجب بقاء بعــض القوات البرية فى فيتنام وتايلانــد وكوريا فى المواقع الجزيرية حتى فترة قادمة . ولكن يمكن تخفيضها ببطء وتعقل .

بلغت القوات الامريكية الموجودة فى المواقع الامامية فى عام ١٩٦٩ ما يقرب من ٣٩٠٠٠٠ رجل على الاساطيل الامريكية فى المحيط الهادى ، وحوالى نصف مليون فى فيتنـــام الجنوبية ، ٥٥٠٠٠ فى كوريا الجنوبية ، وما يزيد عن ٤٠٠٠٠ فى تايلاند ، ٤٠٠٠٠ فى اوكناوا ، ٤٠٠٠٠ فى اليابان، ٣٠٠٠٠ فى الفلبين ، ١٤٠٠٠ فى جوام ، ١٠٠٠٠ فى تايوان ، ومجموعها الكلى حوالى ١١١٠٠٠٠ فرد .

ومن المستطاع تخفيض هذه القوات الى نصف هذا العدد بعد انتهاء الحرب فى فيتنام واعادة توزيع القوات بطريقة أكثر دقة . وقد أجــرى

تخفيض تدريجى كبير فى اليابان واوكناوا وفيتنام ، وأجرى تخفيض فى كوريا وتايلاند والفلبين ، وتخفيض آخر ربما يكون قليلا فى تايوان ؛ ولكن هناك قوات كبرى فى جزر الماريان وميكرونيسيا .

ولكن الولايات المتحدة لا يمكنها حمل هذا العبء وحدها . واليابان ستلعب ، بل يجب عليها أن تلعب دورا متزايدا فى أمن واقتصاد آسيا . ومحاولات روسيا التى ظهرت حتى الآن ، لتكوين تجمع أمن اسيوى قد لا تكون متناقضة تناقضا كليا مع مصالحنا . وهذا يتوقف بداهة على خصائص وابعاد مثل هذا التجمع . ويمكن اعادة تشكيل حلف جنوب شرق آسيا وتوسيعه واحياؤه . كما يمكن تشجيع بعض المنظمات الاقليمية الاخرى — مثل اتحاد جنوب شرق آسيا العامى الذى لم يتضح بعد — للتعاون المشترك فى النواحى الاقتصادية وليس لنا حاجة فى معارضة قيام تجمع محايد فى اى وقت ، ليعمل كمخفف للصدمات فى الهند الصينية الفرنسية سابقا .

ولكن هناك مطلب حتمى ضرورى للامن الامريكى فى أعظم محيطات العالم وعلى امتداد شواطىء أعظم قارات العالم ازدحاما بالسكان . **يجب أن نسيطر على المحيطات وأعماقها وسمائها .**

١٠
استراتيجية للغد

لقد حان وقت التغيير ، وقت موازنة الالتزامات بالمصادر المتاحة . حان الوقت لاعادة توصيف مصالحنا الحيوية ، ولمعرفة كيف نحمى هذه المصالح « فى نظير كسب مناسب للولايات المتحدة الامريكية » كما قال سير روبرت طومسون .

وفى كتابه No Exit from Vietnam حدد سير روبرت بوضوح « ان هناك خيارا بين بديلين سيئين » تواجههما الولايات المتحدة الامريكية فى فيتنام ، الهزيمة أو استمرار الحرب . فالمفاوضات ، كما يباشرها الشيوعيون ما هى الا جزءا من الصراع بأسلوب آخر . والهزيمة سوف تكون لها آثار مفجعة فى المستقبل ، يؤكد سير روبرت انها خطيرة وحقيقية ، ويعتقد ان الغرض الاساسى للولايات المتحدة من الحرب — الذى يمكن تحقيقه — « يجب أن يكون قيام دولة حرة موحدة مستقلة ، مستقرة سياسيا ، ومتطورة اقتصاديا فى فيتنام الجنوبية ، فى مقابل ثمن تقلبه »(١) وهذا يعوق مخططات الغزو التى تضعها هانوى ، دون تصفيتها أو تغيير شكل الحكم فيها .

يتوقف التاريخ الحالى لجنوب شرق آسيا على ما سوف تتفتق عنه حرب فيتنام ، وعلى سلوك الولايات المتحدة فى هذا المجال . وكلاهما سيكون له صدى عالمى .

ولكن الحاجة لسياسات خارجية معدلة ، واستراتيجية جديدة أو معدلة لا تتوقف عى فيتنام وحدها . لقد أكدت فيتنام ببساطة قيود وأخطار وتكاليف السياسات والنظريات التى اتبعناها منذ الحرب العالمية الثانية . وكانت فى وقتها كلها سياسات فعالة . لقد ارتكبنا أخطاء كثيرة ولكننا حافظنا على حرية أغلب أجزاء العالم . والان حان وقت التغيير .

يجب أن تنبثق سياسات الغد ، كما يجب أن تنبثق الاستراتيجية التى تضعها الدولة لتدعيم هذه السياسات ، من الماضى . اذ أن مؤشرات التكنولوجيا ، والجغرافيا ، والسياسية ، والاقتصاد ، كلها تقتضى الاحتفاظ بكثير من أهداف وغايات وأساليب ووسائل الماضى ، ولكن ليس الاحتفاظ بها جميعها ، مهما كان الحال . وقد يتغير الاهتمام بها نسبيا ، ولكن الغرض الاساسى — أقصى أمن للولايات المتحدة الامريكية فى عالم مستقر — سوف يبقى دائما كما هو .

من البديهى أن يكون هناك تعارض حتى فى تفسير هذا الغرض الاساسى ، لان الانسان لم يعش حتى الان عالما مستقرا بدون تغيير . والتغيير يعنى عدم الاستقرار . لذلك تحاول سياسات الامن القومى تحقيق الاستقرار للاوضاع المضطربة ، وهذا يقتضى أن تكون هذه السياسات عريضة فى أسسها ، مرنة وصالحة للتطبيق فى مواقف متباينة كثيرة .

وفى الغد ، سوف لا يكون أمام الجيوبوليتكيون الا سياسات محددة . وان كان بعضها غير صالح للتطبيق من الناحية الواقعية .

فالعزلة غير عملية ، وكانت استراتيجية دفاعية طبقناها فى الماضى . ولكن بعض الامريكيين ، متأثرين بحروبنا المتعددة عبر البحار ، ومنزعجين من حرب فيتنام ، ومتجاهلين التاريخ ، ينكرون ذلك . قيل أن قلعة أمريكا ، المدافع عنها بشدة وتركيز من الداخل ، ولكن دون قوات عبر البحار ، سوف تكون بعيدة عن الحروب الخارجية . هؤلاء الامريكيون الذين يقبلون هذه البدعة التكنولوجية الاقتصادية ، يبدو انهم يفكرون فى مصالحنا القومية فى أضيق نطاق ، لانهم يفكرون فى الدفاع عن الولايات المتحدة الامريكية وليس عن غيرها .

كانت فكرة العزلة سائدة فى أيام السفن الشرعية ، وفى الواقع حتى الحرب الامريكية الاسبانية ، لان البحار الشاسعة كانت عوائق ، يسيطر عليها الاسطول البريطانى . وكنا من الناحية الاقتصادية « دولة تملك » ، حدودها معرضة للغزو ، وكانت أغلب مستلزمات صناعتنا من مواد خام متاحة لنا داخل حدود أرضنا .

ولكن كل ذلك تغير الى حد كبير . وتوفير قدر متواضع من أمننا القومى، يستلزم امتداد مدى المراقبة بعيداً جداً عن شواطئنا . لقد تغيرت الابعاد الجغرافية القديمة بعد ظهور الطيارات النفاثة التى يمتد مدى عملها حول العالم ، والغواصات المسلحة بالصواريخ التى تسير بالطاقة النووية ، وأهم من ذلك كله ، المقذوفات الصاروخية ما بين القارات ، وسفن الفضاء التى تحمل رؤوسا نووية ، لم نبق كما كنا قارة منعزلة من الناحية الجغرافية . ولكننا أصبحنا جزيرة قارية فى عالم صغير جداً . وأى جهاز أمن فعال فى العصر النووى ، يحتاج الى مواقع انذار مبكر ، وخط من النقط الخارجية — وخطوط دفاع أولى — بعيداً عن شواطئنا ، فى البحر ، وفى الجو وفى الفضاء ، وعلى الارض . والصرف على دفاع يرتكز فقط على أرضنا لا فائدة منه . قد أصبحنا فى الحقيقة « دولة عسكرية » والتكنولوجيا لم تلغ الجغرافيا ، ولكنها الغت العزلة كسياسة أمن واقعية .

لقد تغيرت الحقائق التى كانت تطمئننا فى الماضى بعد تصنيع الولايات المتحدة الامريكية وتحضرها ونمو اقتصادها الضخم ، تغيرا أبديا « فضاء مفتوح لا يمكن غزوه » ، « ثروة لا حدود لها » ، كلما تحتاجه . « وقد أصبحنا اليوم دولة » ليس عندها بالنسبة للمواد الخام ، ونحتاج لزيادة من مصادر المواد الخام من خارج حدودنا . اذ نضطر لاستيراد ستة وستين سلعة ضرورية وحيوية ، أو ٨٠ فى المائة من المواد الاستراتيجية الخام ، من الخارج . ولكننا نصدر أكثر من ثلثى الفحم المنقول فى العالم ، وأكثر من نصف حبوبه . واذا أردنا المحافظة على اقتصاد متزايد ، فان الاعتماد الحالى على المصادر والاسواق عبر البحار يجب أن يتزايد ولا ينقص . ونحن لا نستطيع قطعا المحافظة على رخائنا ، أو المحافظة على أمن عسكرى معقول ، بدون الخامات المستوردة من أمريكا الجنوبية ، وأفريقيا ، وأوروبا ، وآسيا واستراليا .

أوضح ايان ماكروجر Ian MacGregor. Chairman of American Metal Climax, Inc. ان « تضاعف عدد السكان ، وتنمية الدول الفقيرة ، والعوائد المتزايدة والتكنولوجيا الحديثة سوف تسبب استنزافا شديدا للمصادر المتاحة فى العالم » (٢) . كما لفت النظر الى تضاؤل السيطرة

الامريكية على مصادر امداد المعادن الهامة ، واستثار الهمم لوضع سياسة تعدين قومية للسنوات القادمة . واليوم ، تستخدم الولايات المتحدة الامريكية — وسكانها ٢٠٠ مليون نسمة — حوالى ٢٠ رطل من النحاس لكل فرد ، أى ٢ مليون طن ، بينما تستخدم بقية دول العالم ٣ أرطال كل فرد ، أى ٥ر٤ مليون طن . وفى سنة ٢٠٠٠ ، قدر مستر ماكروجر أن الولايات المتحدة — بسكان ٣٠٠ مليون نسمة — سوف تحتاج قطعا أكثر من ٢٠ رطل من النحاس لكل نسمة ، بينما قد تتضاعف احتياجات العالم الى ١٥ مرة قدر الكمية التى تستهلك حاليا .

وفى الحقيقة ، يمكن الانسان أن يؤكد بالمنطق الرشيد ، على أن أى استراتيجية للغد يجب أن تضع فى اعتبارها ما تنبأ به بروك أمنى منذ ٣٥ عاما ، وما سماه « استراتيجية المواد الخام » (٣) .

توفير المواد الخام ، والتجارة عبر البحار ، والاستثمارات الخارجية ، كلها من مستلزمات رخاء الاقتصاد الامريكى واستمراره . وهذا يعنى اننا لا يمكننا أن نعيش بدون العالم .

يعترف كثير من العسكريين انصار العزلة بصحة هذه الاراء الاقتصادية وسلامتها ولكنهم يؤكدون انه ليس هناك سبب يمنع أمريكا القوية من الاحتفاظ بشبكة تجسس يقظة تعتمد على الاقمار الصناعية ، وبمصالحها الاقتصادية عبر البحار ، اذا انكمش دفاعها الى شواطئها فى عصر الفضاء. انهم ينظرون الى الولايات المتحدة كمارد سويدى محايد . صديقة للجميع ، تتاجر مع الجميع ، ولا تتحالف مع الجميع ، ولا تتحالف مع أحد ، توجه كل اهتمامها للتجارة وجذب العالم كله اليها بهذا الاسلوب .

هذا تشبيه ركيك . فالسويد دولة صغيرة بقيت بعيدة عن الحرب عشرات السنين ، مثل سويسرا ، بسبب موقعها الجغرافى ومصلحتها الذاتية ، وتسامح الدول الكبرى ، ورضوخها لمطالب هذه الدول أثناء الازمات ، كما حدث أثناء الحرب العالمية الثانية . ولكن الناتو ، والولايات المتحدة الامريكية يوفران لها الحماية دون مقابل من الالتزامات . ولكن الولايات المتحدة الامريكية ، وهى أعظم قوة فى العالم ، لا يمكن أن تجد من يحميها ، رغم ما لها من مصالح واستثمارات عالمية ، أضعاف ما للسويد . وما حياد الدولة الكبرى الا خيالا على أية حال ، اذ أن الدولة الكبرى اذا التزمت الحياد تصبح غير كبرى ، فترتد شهيتها وأطماعها الى داخل حدودها (كما فى السويد) ، وتهبط معنوياتها ، وتضيق آفاقها ويصبح انحدارها شيئا أكيدا . سوف تتعرض مصالح البلاد عبر البحار للغزو شيئا

فشيئا نتيجة للغزوات القاضمة والميول التوسعية لروسيا والصين والدول الاخرى ، وسوف يتضاءل مستقبلنا وتتقلص ثرواتنا بالتدريج .

لقد عفى الزمن على من ينادون بعزلة مطلقة — دون حلفاء ولا التزامات ولا حروب عبر البحار — لانهم يتجاهلون دروس الماضى القريب . وهدف أى سياسة أمن هو حماية الدولة ، وابعاد الحروب عن شواطئنا الى أقصى حد . وافضل لنا أن نحارب عبر البحار من أن نحارب فوق جبال كاليفورنيا أو فى شوارع نيويورك ، والافضل من ذلك كله أن نردع الحرب بدفع قواتنا الى مواقع متقدمة .

كيف نسى الامريكيون بسرعة شباب الامس فى بريطانيا . تصوروا ان تشيكوسلوفاكيا منطقة « بعيدة عنهم » فباركوا « السلام الوقتى » الابله الذى نادى به تشمبرلن . والذى أراد فى عام ١٩٣٨ — ١٩٣٩ « الا يموت من أجل دانزنج » ، والذى فى مقابل ذلك مات من أجل انجلترا المحاصرة المرتبكة سنة ١٩٣٩ — ١٩٤٠ .

ان سياسة قلعة العزلة الامريكية ليست سياسة واقعية فى النصف الاخير من القرن العشرين .

يدافع كثير من براعم فكرة العالمية عن فكرة غير واقعية تلاقى معارضة شديدة بقدر ما هى فكرة فاضلة ، دولة عالمية ، ينظمها قانون عالمى (اصطلاح غير محدد ولا يمكن تحديده) . وهم يدعون الى نوع من برلمان الانسان ، وتنظيم عالمى ، وتحريم التسلح الوطنى أو كبح جماحه ، وقوة بوليس دولية ، تعطى ولاءها لنظام حكم أعلى . ويقولون ان مثل هذا النظام العالمى يمكن تحقيقه بتطوير الامم المتحدة والتنازل عن السيادات القومية ، ومنح السلطة « الى الاخوة الانسانية » .

فى عهد ما بعد الاستعمار وفى عصر الثورات ، ونحن نشهد مبادىء ويلسون الخاصة بحق « تقرير المصير للشعوب » ، وقد تحولت الى قانون الغاب ، وبعد أن أدى الولاء للقرية وللقبيلة وللاقليم الى ضياع المصلحة العامة للمنطقة كلها ، أصبح أى تطور من هذا القبيل شيئا عابرا ، والقلة الخيرة التى تدافع عن هذه الفكرة صغيرة ومغرورة وضحلة التفكير ، ولكن لها تأثير شديد . وهى خطر حقيقى على تقدم الانسان البطىء .

منذ عدة سنوات ، كان الناس يحلمون بولايات اوروبية متحدة ، وكان حلما يصعب تحقيقه . وحتى اذا كان ذلك ممكنا ، فهو ليس وشيك

التحقيق اليوم أو غدا . وبرلمان عالمى ، يحتضن داخله كل الاجناس والاديان والألوان المتباينة شىء صعب الى حد كبير ! وأى جهاز يمكن تنظيمه يتولى سلطات الدول ؟ لم يحدث فى تاريخ البشرية ، أن تنازل كيان عن سلطاته طوعا الى كيان غير قائم ، أو الى كيان أضعف منه . ولا يبدو فى الافق اسلوبا يمكن تصوره للتنازل عن السلطان طوعا . تحتاج مثل هذه المنظمة العالمية لقوة ، قوة كبرى ، قوة لا يمكن تحديها على الاطلاق بواسطة أى اقليم ، اذا أريد لها أن تكون قادرة على حفظ السلام والاستقرار أى الامن . وهنا يثار تساؤل عما اذا كانت هذه القوة سوف تستخدم من أجل الانسان أو ضده . ومثل هذه المحاولة الفاضلة لاقامة حكومة عالمية ستؤدى الى طغيان عالمى أو حرب أهلية ، الا اذا كان العصر عصرا ذهبيا .

اذا لم يمكن اقامة نظام عالمى بواسطة حكومة عالمية ، فلماذا لا يكون نظاما عالمية بصيغة ترضاها الولايات المتحدة ؟ لقد طرحت السيطرة على العالم — السيطرة الامريكية وليست السيطرة الشيوعية — عن طريق القوة المباشرة والنفوذ غير المباشر ، كسياسة تبادلية محتملة . وربما يكون « القرن الامريكى » كما وصفه هنرى لوس أخيرا وصف فى محله ، ولكن يبدو واضحا الآن أن الحشود الامريكية ، مثل حشود الرومان بالامس ، موزعة فى نطاق شاسع . واخضاع العالم ، أو السيطرة عليه بواسطة قوة الولايات المتحدة الامريكية أصبح شيئا مستحيلا . ربما كان ذلك ممكنا فيما مضى ، فى الفترة القصيرة التى استمر الاحتكار النووى الامريكى خلالها . ولكننا الآن لا نستطيع اخضاع روسيا أو الصين لارادتنا ولا نستطيع القضاء عليهما باعتبارهما خطرا يهدد السلام العالمى، دون أن ندفع ثمنا ، ونواجه مع العالم حولنا دمارا لا يمكن احتماله . لا يمكن تحقيق السيطرة على العالم بدون حرب عالمية شاملة (وهذا ما نعمل على منع حدوثه) . وحتى اذا أمكن تحقيق السيطرة بهذه الطريقة فان النتاج سوف يكون دمار ورماد .

لا تستطيع الولايات المتحدة الامريكية أن تستمر فى القيام بدور « رجل البوليس العالمى » الى ما لا نهاية ، لأن ذلك يكلفها كثيرا . هذه خدمة جليلة أدتها لنا حرب فيتنام ، اذ انها كشفت التكاليف الباهظة للاحتواء الذى طبقناه من أجل المحافظة على السلام العالمى . لقد أرغمتنا على اعادة تقييم التزاماتنا ومصالحنا عبر البحار . يجب أن يكون واضحا، دون جدل ، ان المطالب عظمت على كاهل الاقتصاد الامريكى وعلى دافعى الضرائب الامريكيين ، وان صبر الولايات المتحدة فى السنين القادمة سوف يضيق ذرعا عن احتمال سياسة تدخل على نطاق عالمى .

وعلى ذلك ، فليس هناك الا سياسة واحدة متاحة وقابلة للتطبيق على « جزيرة الولايات المتحدة القارية » فى النصف الاخير من القرن العشرين . سياسة أقرتها كل الحكومات الامريكية منذ الحرب العالمية الثانية ، ولكنها أصبحت تحتاج الى التعديل . سياسة تعاون دولى وتحالف وتجمع اقليمى للجهود المشتركة، تدعمها القوة الامريكية العظمى. سياسة حددها بول سكوث ماورر فى دراسته التحليلية الاخيرة عن توازن القوى بانها « ميل الدول الحرة تلقائيا للوقوف متكاتفة أمام كل من يتوسع عن طريق العدوان ، ويحاول أن يفرض سيطرة تهدد حرية الجميع ، سواء كان فردا أو كان جماعة » .

تلك عالمية بشكل آخر ، ولكنها معقولة ، وليست امبرالية ولا دولة عالمية . وهى تفرض مشاركة فعالة — سياسية واقتصادية وعسكرية — فى المجتمع العالمى للدفاع عن مصالحنا الحيوية ، وعن مصالح الاستقرار فى العالم . والمهم هى كلمة « فعالة » لان الامن المرغوب فيه لا يمكن أن يتحقق بالوسائل السلبية فقط ، يجب أن يتأكد الوجود الامريكى حول العالم طالما كنا نملك القوة ونلتزم بالتزاماتها .

وأى محافظة على توازن القوى فى العالم — من أجل المحافظة على الاستقرار فى مواجهة الدول التوسعية العدوانية — يجب أن تشمل الناحيتين السياسية والعسكرية ، يجب أن تتم فى نطاق سياسىودبلوماسى مرن . يجب أن تتضمن بعض الالتزامات فى الخارج ، وبعض التحالفات أو التجمعات ، وبعض الجهود المنظمة المنسقة مع الدول الاخرى التى لنا معها مصالح متبادلة . ولكن هذه التجمعات معرضة للتغيير ، بعضها يصبح غير مجدى ويجب تكوين بديل له . اذ أن اعداء الامس قد يتحولون الى أصدقاء فى الغد . وعلى ذلك لا يمكننا أن نضع قالبا ابديا لتحالف منيع ضد التغيير . وكثيرا ما تحدد دبلوماسيات الامس ابعاد الغد .

والعالمية المعتدلة ، وسياسة المحافظة علىتوازى القوى ، تقتضيان عدم استبعاد الامم المتحدة — التجمعات الاقليمية التى نص عليها ميثاقها — وان كانتا لا تستطيعا الاعتماد عليها لتحقيق الأمن والاستقرار . للامم المتحدة فائدة محدودة جدا ، وخاصة فى الميادين الاقتصادية ، وفى مجالات العلاقات الدولية . ولكنها لا تملك حيلة فى ظروف المواجهة بين الدول العظمى ، ولم تتمكن الا استغلال ضغوط محورية حتى فى النزاع التى تشترك فيه الدول الصغرى . فلا بيافرا، ولا فيتنام ولا اسرائيل ولا العرب يمكنهم الاعتماد عليها لتحقيق أمنهم . اذ أن قوة الفيتو ، وتزايد عدد الدول الصغرى والضعيفة ، ولكل منها صوت يعادل صوت أقوى دولة، يجعل من المستحيل الوصول الى حل للمشكلات السياسية الكبرى أو حتى

للصغرى فى الامم المتحدة . والجـزء الاكبر من المشكلات السـياسية ، ومشكلات الأمن بوجه خاص ، يجب حلها بالطرق الدبلوماسية القديمة ؛ بين طرفين أو أكثر . قد تستطيع الامم المتحدة أن تتيح التسهيلات والمنبر؛ وأن تشجع على مباحثات تحديد السلاح مثلا ، وليس أكثر من ذلك .

ولكن الامم المتحدة لها منفعة ، محدودة ولكن محددة ، فى الاعمـال السـيكلوجية ، والاقتصادية (بما فى ذلك الانقاذ) واعمـال « كلب » الحراسة . وهى لا تضارع كمنبر عالمى ، مكن ضربات حذاء خروشوف من أن تسمع فى انحاء العالم . ويمكن أن تكون صمام أمان ، لأن تسرب البخار قد يمنع حدوث انفجار خطير فى بعض الاحوال . كذلك يمكنها أيضا تعبئة الضغط — عن طريق وسيلة حساسة سريعة التغيير هى « الرأى العام العالمى » . ومن الناحية الاقتصادية ، لها فوائد كبرى تتم بالتعاون بين وكالات دولية أكثر تخصصا . والميزانيات المخصصة للطفولة والاغاثة، وعمليات الانقاذ تعتبر بلسما لمن تصيبهم الكوارث والمحن. وواجبها الاهم، العسكرى والشبه سياسى ، يتضمن أعمال الرقابة — قوة الامم المتحدة فى قبرص وجماعات المراقبةالموضوعة على امتداد قناةالسويس وفى محلات أخرى فى الشرق الاوسط . وقد يكون لذلك أهميـة أعظم فى المستقبل ، وخاصة ، فى المشاحنات بين الدول الصغرى التى لا تتدخل فيها الدول الكبرى ، أو التى تتدخل فيها من بعد — لوضع جماعات هدنة ومراقبين على الحدود المتنازع عليها ، يعاونون فى المحافظة على السلام .

يجب أن تنبثق عالميتنا الجديدة من القديمة ، ويجب أن تعتمد عـلى قوة الولايات المتحدة أولا ، وعلى تجمعات متعددة ثانيا ، متحالفة أو تنسق بين جهودها ، مرنة وتعدل تكوينها وتفكيرها على المدى الزمنى الطويل ، ولكنها مستقرة ثابتة على المدى القصير .

ما هى الاستراتيجية ، الاستراتيجية الكبرى التى تمكن أمريكا من أن تلعب دورها فى النصف الاخير من القرن العشرين ؟

ليس هناك فى الواقع الا ثلاثة حلول تبادلية رئيسـية (تختلف عن بعضها اختلافات عديدة) ، وحتى حلول عصر الطائرات ذات المـدى البعيد والصواريخ لم يكن هناك الا حلين فقط (٤) .

الاول استراتيجية محيطية Oceanic of Maritime Strategy وكانت تقليدية بالنسبة لبريطانيا حتى الحرب العالمية الأولى .

والحـــل الثانى استراتيجية قارية Continental Strategy وهـــى استراتيجية سيطرت على الفكر العسكرى الروسى الى حـــد كبير حتى أواخر الخمسينيات ، وادت الى دفع مجموعات كبيرة من القوات الامريكية الى القـــارات الاخرى بعد الحرب العالمية الثانية .

والحل الثالث استراتيجية جوية فضائية Aerospace Strategy نظرية ولدت بذرتها الأولى اثناء معارك القصف الاستراتيجى فى الحرب العالميـــة الثانية .

لكل من هذه الاستراتيجيات الثلاثة مزاياها وركائزها وقيودها ، وهى مترابطة ومتطابقة فيما بينها .

ولكن شكل وحجم قواتنا العسكرية فى المستقبل ، وطبيعة التزاماتنا ، وربما مستقبل امتنا سوف يتوقف على النظرية التى نعتنقها .

كان أصـــحاب المدرسة الاستراتيجية « اقصـــفهم حتى المـــوت » bomb them out of existence ، فى الحرب العالمية الثانية سابقين لعصرهم ، من الناحية التكنولوجية . اذ انه حتى اختراع القنبلة الذرية ، لم تتح القدرة على تحقيق هذه الغاية أو كسب النصر بواسطة القـــوات الجوية وحدها . واستسلام اليابان كان نتيجة عدة عوامل متداخلة ، وان كانت هيروشيما هى القشة التى كسرت ظهر الجمل . ولكن المقذوفات الصاروخية الموجهة ، ذات المدى البعيد ، والاسلحة النووية — فى هذه الايام — تستطيع القضاء على أى أمة أو كيان قـــومى منظم حى . ان التهديد أصبح هائلا يتضاءل أمامه كل شىء ويبدو تافها .

الردع يقابل التهديد فى هذه الأيام — ويقتضى الاحتفاظ بقوة قوية ، وفعالة بقدر يكفى لردع أى عدو عن بدء هجوم نووى . وأول وســـائل الردع فى هـــذه الايام هى الاسلحة الهجومية . ولكن الاسلحة الدفاعية سوف تتطور فى السنوات القادمة بالتدريج تبعا للتقدم التكنولوجى ، وسوف تتغلب على الوسائل التى تقلل من كفاءتها ، ولكن التهديد سيبقى قائما الى الأبد . وهذا يجعـــل « كفاية » الاسلحة الاستراتيجية أهم مطلب لأى استراتيجية كبرى للغد على الاطلاق .

ولمـــا كان الردع سلاحا ذو حدين ، يمكن تغيره وعكسه بسهولة ، ولمـــا كانت النتائج السياسية والسيكلوجية للشعور بالضعف خطيرة على الولايات المتحدة الامريكية ، وتسبب عدم استقرار عالمى ، لذلك يجب أن

يعنى لفظ « الكفـــاية » فى هـــذا المجال تفوقا قاطعا واضـــحا للولايات المتحدة من ناحية الكم والكيف . والغموض فى هذه المعادلة يهدد حيــاة الامة بالاخطار .

هذا يجعل للاستراتيجية الجو فضائية الأسبقية العليـــا فى العشر ســـنوات ١٩٧٠ — ٨٠ القـــادمة . وهنا تبـــدو ضرورة المـــزج بين الاستراتيجيات — نتيجة للتطور التكنولوجى — أكثر وضوحا منها فى ميدان الاسلحة الاستراتيجية . والصواريخ الموجهة الموضوعة على قواعـــد بحرية عنصر عظيم تتضـــاعف أهميتـــه بالنســـبة للردع ، مما يجعـــل الاستراتيجية المحيطية تتكامل وتتزاوج مع الاستراتيجية الجو فضائية .

واجب الاستراتيجية هو توفير القدرة على فرض الســـيطرة ، ولكن اسبقيات الدفاع وتكاليفه تتوقف على أسلوب السيطرة .

ودراسة عالم الغد المعقد وطبيعة مشكلات الامن القومى فى هذا الكتاب ، أكدت ضرورة توفر القدرة على السيطرة على المحيطات كأسبقية أساسية ثانية . وليس هناك شك فى أن استراتيجية بحرية أو محيطية ، متطورة تكنولوجيا ، ومعدلة اقليميا لتقابل مطالبنا ، مكيفة لتلائم قدرات الولايات المتحدة الامريكية ، تستغل نواحى القوة وتلافى نقط الضعف ، تكون أقدر على تأمين مستقبل الولايات المتحدة الامريكية ، والمحافظة على أمانيها قابلة للتحقيق بأقل تكاليف ، وتقلل فى نفس الوقت المشاحنات السياسية والسيكلوجية ، وتكون أكثر مرونة من الاستراتيجية القارية سياســـيا وعسكريا وسيكلوجيا . وهنا يجب تأكيد أن القوة العسكرية فى العصر الحديث لا يمكن الفصل بينها — كما قيل — وان اشكالها المختلفة سوف تتشابه شيئا فشيئا بالتدريج ، طبقا للتطور التكنولوجى .

الاستراتيجية القارية استراتيجية ترتبط بالقوات البرية وبالســـيطرة على مساحات العالم القارية بواسطة الجيـــوش البرية أساسا ، وهى ترتبط وتعتمد على حشود كبيرة من الافراد — الحشـــود النابليونية ، والقوات التى تحشد عن طريق التجنيد الاجبارى منذ ذلك الوقت . وقـــد ربطت دول قلب الارض — وهى الدول البرية العظمى فى التاريخ ، والتى تكون حدودها مهددة من جيران بريين أقوياء — سياسات أمنها مضطرة باستراتيجية قارية .

الاستراتيجية البحرية أو المحيطية هى استراتيجية مرتبطة أساسا بالقوات البحرية — والآن بالقوة البحرية الجوية — وباستخدام البحار للتجارة والامداد ، وبالسيطرة على البحار والمضايق البحرية الهامة الحيوية ، بواسطة القطع البحرية الطافية والغاطسة ، وبواسطة الطائرات التى تعمل من السفن أو المطارات البرية ، وكذلك بواسطة الصواريخ والقوات البرمائية ، وبواسطة قواعد استراتيجية منتخبة على الجزر .

ان دول الريملاند — الدول البحرية الكبرى فى التاريخ — التى يعتمد دفاعها ورخاؤها أساسا على المحيطات ، استخدمت الاستراتيجيةالمحيطية كتقليد .

هناك جدل تاريخى وتكنولوجى يدفع الولايات المتحدة الامريكية الى أن ترجح استراتيجية محيطية ، والى أن تعارض استراتيجية قارية .

بدأ انحدار الامبراطورية البريطانية منذ أيام البوير ، ومنذ المذابح الدامية التى وقعت على خطوط خنادق الحرب العالمية الاولى . وقد قوبلت نزعة تشرشل الى استراتيجية هامشية Peripheral Strategy أثناء الحرب العالمية الثانية — وتتضمن استخدام القيادة البحرية الجوية المتحالفة للضرب بالقوات المشتركة فى نقط يحتلها العدو بقوات ضعيفة حول محيط اوروبا — بمعارضة شديدة ، وفى الحقيقة باستهجان ، من الاستراتيجيين الامريكيين . وحتى فى الايام الاخيرة من حرب المحيط الهادى — وهى حرب ارتبطت بالاستراتيجية البحرية بوضوح — رجح رجال ألاستراتيجية البرية والقارية القيام بغزو اليابان أو ضرب قواتها فى قارة آسيا ، ومهدوا له ، وكان عملا باهظ التكاليف ، لا لزوم له أبدا .

وقد اضطرت الولايات المتحدة الامريكية الى الاحتفاظ بقوات برية كبيرة فى أراضى القارات بعد الحرب العالمية الثانية ، ومن أسباب ذلك أننا كسبنا الحرب ولم نكسب السلام . كما أن جنرالات الجيش البرى لعبوا دورا رئيسيا فى وضع الاستراتيجية ، كما حدث فى روسيا حتى أيام خروشوف (٥) .

ولكن هناك جدل تكنولوجى وتاريخى قوى من أجل التغيير .

الولايات المتحدة الامريكية هى أكبر دولة متقدمة وصناعية وتكنولوجية فى العالم ، ولكن شعبنا صغير ، حقيقة ، اذا قورن بشعوب قلب الارض الشيوعية ، وبالتكتلات البشرية فى آسيا . وحياة الانسان رخيصة فى آسيا

وكذلك فى اجزاء اخرى كثيرة من العالم ، ولكنها غالية اذا ما قيمت بقيم ومعنويات الحضـــارة الغربية . والاستراتيجية القارية وتعنى حربا برية تقليدية (دون استخدام أسلحة نووية) تقتضى اشراك أفراد كثيرين ، رجل ضد رجل ، وليس هذا فى صالحنا . اذ أنه فى حربى كوريا وفيتنام ، كانت اسلحتنا متفوقة كما — وفى كثير من الاحيان كيفا — على العدو ، ولكن أهوال الحرب الاساسية وقعت على جندى المشاه . وكانت واشنجطن قد قيد تسياسيا وحددت عنوة — وخاصة فى حرب فيتنام — أكبر عناصر تفوقنا الطبيعية — القوة البحرية والقوة الجوية والتفوق التكنولوجى — قيدنا التصعيد التكنولوجى لمواجهة الزيادة فىقوات العدو ، واتبعنا تصعيدا فى حجم القوات . فكانت خسائرنا كبيرة جـــدا فى نطاق كتائب المشاه فى فيتنام ، ربما تكون نسبتها لعدد المقاتلين المشتركين فى القتال أعلى من أى نسبة فى الحروب الاخرى . والعدو لا يقيس النصر أو الهزيمة بعـــدد الاجساد ولكن ارتفاع الخسائر فى أى حرب استنزاف بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية يعتبر عامل سياسى قوى فى جانب العدو .

لذلك ثار جدل حول التحول من نواحى القوة الى نواحى الضعف عند العدو ، واستغلال التفوق الجوى والبحرى والتكنولوجى ، ومنع الصدام على نطاق واسع ، أو الذى يستلزم جر قوات أرضية الى مناطق بعيدة عبر البحار ، كلما كان ذلك ممكنا ، يستثنى منذلك حالة الدفاع عنالمصالح الحيوية الامريكية .

والاستراتيجية المحيطية المعدلة المتطورة يجب أن تضع الخطـــوط الاساسية التى تحدد طريقة تطور واستخدام القوى الامريكية العســكرية خلال الفترة الباقية من القرن العشرين .

لخص الرئيس السابق جون ف كنيدى فى خطاب له من حاملةالطائرات كيتى هوك المطلوب بما يأتى :

> السيطرة على البحار تعنى الامن . والسيطرة على البحار يمكن أن تعنى السلام . السيطرة على البحار يمكن أن تعنى النصر ، واذا كان هناك أى درس من القرن العشرين ، خصوصا فى السنين القليلة الاخـــيرة ، هو أنه بالرغم من التقدم فى الفضاء والجو ، يجب أن تبقى هذه الدولة قادرة على التحرك بسهولة وأمان عبر بحار العالم . ومعرفة المحيطـــات ليست فقط حب استطلاع ، بل ان بقاءنا قد يتوقف عليها .

تمكنت بريطانيا « الامبراطورية التى لا تغيب عنها الشمس » فى ذروة مجدها ، من المحافظة على قدر مناسب من الاستقرار فى العالم ، ومن حماية مصالحها التى انتشرت بعيدا . لأنها أدركت « أثر القوة البحـــرية على سير التاريخ » كما قال الفريد ثيور ماهان : لقد استطاعت بسيادتها

البحرية — قبل عصر الطائرة والصواريخ الموجهة — أن تأخذ من الحرب ما تريده قل أو كثر . تلك « السفن التى حطمتها العاصفة بعيدا » التى منعت نابليون من تسيد العالم فى ترافلجار ، حمت قاعـدة الجـزيرة البريطانية من الغزو ، ومكنتها من شن الحرب ضـد أى عدو بعيدا عن شواطئها . ومعلوم أن اساطيلها كانت مدعمة باستخدام حكيم للجنيـه الانجليزى والقوة البحرية البريطانية لمساعدة اصدقائها ، ومجازاة الاعداء واستئجار الجنود المرتزقة ، يساندها جيش صغير محتـرف قادر على التدخل المحدود فى المناطق الاستراتيجية طبقا للزمن والمكان التى تختاره بريطانيا . كما ضاعفت سيطرتها على العقد الهامة على امتداد الشرايين البحرية فى العالم — هونج كونج ، سنغافورة ، عدن ، السويس ، مالطة، جبل طارق ، برمودا وممتلكاتها فى الهند الغربية — من قوتهـا وضخمت نفوذها . وكانت هذه الاستراتيجية العسكرية مرتبطة بسياسة دبلوماسية وضعت للمحافظة على توازن القوى ، أى الدخول فى تحالف توازن قوته أو تفوق قوة أى دولة واحدة أو دول مجتمعة تهدد المصالح البريطانية .

وفى ظل ثورة اليوم التكنولوجية التى لم تنته بعد ، وفى عصر الطائرات الأسرع من الصوت والصواريخ الموجهة ، يجب الالتزام بمنتهى الحذر عند تطبيق استراتيجية الامس البحرية أو المحيطية على مشكلات الغد .

والأبعاد الجيوبوليتيكية الاساسية للمواجهة التى نقابلها اليوم تشبه تلك التى كنا نواجهها بالامس ، لأننا نواجه أساسا باندفاع الى خارج «قلب أرض» اوراسيا الكبير — كما سماه ماكندر — فى اتجاه الريملاند ، أى المناطق الساحلية ، تلك هى المناطق التى تحتاج للدعم ، وهذا هو الاندفاع الذى يجب أن يحسب حسابه .

ان هذا الاندفاع ، وكان فيما مضى ، لا يتعدى تحركات حشود على الأرض ، أصبحت له ابعاد جديدة بعد التقدم التكنولوجى . ولا يزال التهديد موجها من البر أساسا فى أغلب اجزاء آسيا . ولكن منذ الحرب العالمية الثانية تحولت الاستراتيجية السوفيتية من نظرية الدفاع والمناطق الارضية المحاصرة فى الماضى ، الى غاية عالمية هجومية . اذ أن قوة السـوفييت الصاروخية ، وهى متفوقة الآن من عدة وجوه على الولايات المتحـدة الامريكية ، لها قدرة عالمية ممتدة على اتساع العالم . كما أن النمو الهائل للبحرية السوفيتية وتعاظم قوتها وخروجها من البحار الضيقة الى المحيطات العالية — وان لم يلاحظ الا القليل منها عند احتلال فيتنـام — هو أهم التطورات قاطبة التى حدثت فى هذه الايام .

وهذا يعنى ان العالم سيواجه تهديدا عسكريا فى أوروبا والشرق الاوسط وسيبيريا نتيجة للتقدم التكنولوجى السوفيتى فى المجالات البحرية والبرية والبرمائية ومجالات الصواريخ وتهديدا آخر فى الشرق الاقصى من حشود الجيوش الصينية التى تتطور بمعدل سريع .

وتعديل استراتيجية الماضى المحيطية أو البحرية طبقا للتكنولوجيا الحديثة ووضعها فى شكل يتناسب مع مطالب الامن لعالم الغد يحتاج الى تخطيط واع ، وفهم تكنولوجى عميق وقدرة خلاقة . كما يقتضى اعادة توزيع ميزانيات الدفاع مع الاهتمام بالمنشآت البحرية الجديدة بوجه خاص .

والاستراتيجية المحيطية الحديثة تعنى قوة جوية ، وقوة صواريخ وكذا اسطول يسير بالطاقة النووية ، واسطول تجارى أكبر وأحدث ، وقواعد آمنة لكل أنواع القوات العسكرية . والقواعد العائمة المتحركة التى تطورت فنونها فى الحرب العالمية الثانية وتقدمت فى حرب فيتنام ، والتى قلدها الروس ، تمكن الاسطول من البقاء فى البحار لفترة طويلة ، بمساعدة سفن الامداد بالذخائر والخزانات ، وسفن المخازن ، وسفن اعادة الملء . وقد ضاعفت هذه التكنولوجيا الفعالية القتالية وزادت مداها ، ولكنها لا يمكن أن تحل محل القواعد البرية الامامية . اذ أن القواعد البرية عنصر هام جدا للسيطرة على البحار . ومن الناحية الادارية ، أصبحت الاساطيل أقل ارتباطا بالقواعد الارضية ، ولكن التقدم التكنولوجى ضاعف أهمية القوات الجوية والصواريخ التى تعمل من قواعد بحرية فى السيطرة على البحار ، وخصوصا البحار الضيقة .

اذا كان من المحتم بقاء الاسطول السادس فى البحر الابيض المتوسط، فيجب الاحتفاظ بقواعد برية حوله ، كذلك يجب الاحتفاظ ببعض الجزر فى غرب المحيط الهادى وتحسينها وتأمينها لاستخدامها كقواعد . واذا حلت القوات الامريكية محل القوات البريطانية فى المحيط الهندى ، وجب انشاء قاعدة جديدة لها .

وتحقيق الامن فى الغد المجهول ، يقتضى توفير دفاع كاف للقواعد الجزيرية ضد الصواريخ والهجوم الجوى ، وضد عمليات الابرار من السفن أو الاراضى القارية . لقد ضاعفت التكنووجيا الحديثة القدرة الدفاعية للمواقع التى تحيط بها البحار بقدر معقول ، وسهلت الرقابة والاستكشاف ، وأصبح عزل ميدان المعركة واعتراض الطائرات شيئا ممكنا ، كما أصبح الوقت اللازم للاستعداد متاحا الى حد معقول . وأهم من ذلك كله ، استخدام الاسلحة الدفاعية التكتيكية النووية ذات التأثير المحلى ،

الذى جعل أى هجوم ضد هـذه القواعد الجزيرية شيئا غـير مأمون نتائجه .

الاسلحة النووية ذات المـدى والقوة المحدودتين ـ مثل سـلاح Nike Hercule الصاروخى م. ط ، والصواريخ جو ـ جو التى تطلقها طائرات الاعتراض ، ودانات المدفعية أو الصواريخ التى تحتوى على متفجرات نووية ـ تناسب الدفاع بوجه خاص ، لأن قدرتها تقضى حقيقة على أى هجوم يأتى من الجو ، أو أى هجوم برمائى يوجـه الى القواعد الجزيرية من قواعـد قارية . ويمكن اقتلاع هذه القـواعد أو نسفها ـ بالتأكيد ـ بهجوم مباغت بالصواريخ التى تحمل رأس هيدروجينية ، ولكن مثل هذا الهجوم يكون مخاطرة ببدء حرب نووية شاملة ، وفى مثل هذه الحـرب فان قواعدنا الامامية ـ عـدا تلك المسـلحة بالصـواريخ الاستراتيجية ـ سوف تكون على أى حال ، أهدافا ثانوية .

يتضمن الخطر الذى تتعرض له مواقع القواعد المتقدمة القريبة من الاراضى القارية الهجوم بالوسائل التقليدية ـ قصف وحصار مثل حصار كيموى مثلا ، وتهريب الاسلحة وتسلل بعض العناصر الشـيوعية الى الفلبين . والتكتيك الجديد ـ استخدام حرب العصابات أو العصيان المسلح ضد المناطق المنعزلة ـ لا يمكن ، كما هو معروف ، مواجهته بوسـائل عسكرية بحتة ، ولكن أى هجوم معادى عسكرى علنى أو تهديد به ، دون استخدام أسلحة نووية ، يوجه ضد القواعد الجزيرية ، يمكن تجنبـه بسهولة باستخدام الاسلحة النووية التكتيكية .

وفى مثل هذه الظروف لا يوجد هناك سبب يمنع استخدام مثل هـذه الاسلحة ، اذا كان العدوان أكيدا وظاهرا . والدفاع عن المواقع الجزيرية هـو ـ فى الواقع ـ أحـد الاحتمالات القليلة لاسـتخدام مثـل هذه الاسلحة للدفاع دون مخاطرة كبيرة ببدء حرب نووية ، أو حتى تشجيع تصاعد غير مرغوب فيه . لأن الاضرار تكون محلية ، محددة بالسـماء والبحار القريبة حول الموقع المدافع عنه فقط ، دون أن يحتاج الأمر الى استخدام أسلحة هجومية ضد المواقع الرئيسية فى أرض الوطن . وحقيقة ، يجب أن تسلح كل المواقع الجزيرية المتقدمة التى ترفع العلم الامريكى ، وكذلك المواقع المماثلة التى تستخدمها الولايات المتحدة الامريكية التابعة لدول أخرى ـ اذا كانت الدولة المضيفة جادة فى تعاونها ـ بأسلحة نووية دفاعية تكتيكية . مثل هذه الاسلحة تدعم أمن هذه القواعد ضد أى هجوم تقليدى (٦) .

القواعد الامامية المؤمنة فى أجزاء مختلفة من العالم هى جزء من فكرة

الاستراتيجية المحيطية ، ولكنها لايمكن أن تكونجزءا ضروريجدا . فالغرض الوحيد من وجود قاعدة جوية أو بحرية هو زيادة مرونة الطائرة والسفينة ومضاعفة قدرتها على الحركة . وأعظم مزية للاستراتيجية المحيطية هي استغلالها حرية البحار الى اقصى حد ممكن ، وتقليل الاعتماد على البر وما يصاحب ذلك عادة من مسئوليات سيكلوجية والتزامات سياسية واقتصادية الى اقل حد . يجب أن تستخدم الولايات المتحدة القاعدة ولا تسمح للقاعدة بأن تستغلها . واذا ما أصبحت المسئوليات السياسية والسيكلوجية لاستخدام قاعدة جزيرية كبيرة جدا — كما حدث فى اوكيناوا وكما يحدث فى الفلبين — يجب ترك القاعدة ، على أن يستعوض عنها بغيرها ، أو بتطوير تكنولوجية « القواعد العائمة » .

لقد اتاحت لنا هذه التكنولوجية ما كنا لا نحلم به منذ عشر سنوات .

قام روبرت س. ماكنمارا ، عندما كان وزيرا للدفاع ، برعاية فكرة السفينة والطائرة FDL-C-5A وتتكون من سفينة ادارية سريعة Fast Deployment Logistic Ship وهى ثكنة عسكرية عائمة متحركة ، هواؤها مكيف ودرجة حرارتها منظمة ، لتخزين الاسلحة والمعدات والذخيرة . وخصصت طائرة النقل الادارى الثقيلة C-5A لترافق السفينة FDL . والفكرة قامت لتقليل الوقت اللازم للعمل reduction in reaction time بوضع الاسلحة والمعدات مسبقا على سفن ادارية فى البحار ، فى مواقع متقدمة فى المناطق الحساسة من العالم . ثم نقل الجنود بالطائرات لتتزاوج مع اسلحتها فى مناطق النزاع . والفكرة جذابة فى ظاهرها قصد بها تحقيق التكامل بين قدرة السفينة على نقل الاحمال الثقيلة وسرعة ومدى طائرة النقل . كانت هذه الفكرة تطبيقا لنظرية القاعدة المزدوجة التى جربت على القواعد البحرية فى أوروبا .

وعيوب هذه الفكرة وأدتها فور ميلادها بالنسبة لأنها باهظة التكاليف ، فهى تقتضى أن تجهز الوحدة بمجموعتين من الاسلحة والمعدات — مجموعة تبقى فى الولايات المتحدة وأخرى فوق السفينة — وكلتاهما تحتاج لصيانة وحفظ واستعواض وتطوير . وهذا يقتضى تكاليف باهظة يعارضها أى كونجرس اقتصادى التفكير فى وقت لا يكون فيه التوتر شديدا . والاهم من ذلك كله أن تطبيق هذه الفكرة يتعارض مع المرونة الاستراتيجية لان التزاوج بين الأفراد والمعدات يحتاج الى مطارات متقدمة ، وموانىء وشواطىء قريبة من ، أو فى منطقة العمليات . والمطارات يجب أن تكون قريبة قربا كافيا من نقط انزال الاحمال البحرية ، ومؤمنة تأمينا كافيا من هجوم العدو ، حتى يمكن توزيع المعدات واعادة التنظيم للمعركة قبل تعرض الوحدة للقتال . وفى الحقيقة لا يوجد فى العالم الا مناطق قليلة

يتوفر بها مثل هذه المطالب. واغلبها ليست فى مناطق المشكلات الاساسية. كما أن هناك حل تبادلى يفوق هذا الحل اقتصاديا ، كما أنه أكثر جاذبية ومرونة استراتيجيا ، وأشد اقناعا للكونجرس . اذا استثمر المال اللازم لهذه السفن فى سفن الاسطول التجارى أمكن تحقيق التطوير المطلوب للبحرية التجارية بشكل هائل . وقد تأكدت فعلا أهمية السفن التى تتحرك ذهابا وايابا ، التى تبنى خاصة لنقل العربات الآلية والدبابات ، والتى لها مشايات وأوناش للاحمال الثقيلة ، وكذا السفن المخازن ، والسفن المجهزة بالصنادل ، والسفن المصممة لتفريغ الاحمال بمساعدة طائرات الهليوكوبتر الثقيلة ، تأكدت أهميتها من الناحية التجارية . ان تجديد البحرية التجارية الامريكية — وهى جزء أساسى من أى نظرية بحرية — تقتضى استغلال التكنولوجية الحديثة . والولايات المتحدة الامريكية فى موقف مهدد خطير ، لأن ما يعادل ٩٥ فى المائة من وارداتها من البضائع الهامة والاستراتيجية تحمل لها على سفن أجنبية . والسفن التجارية الحديثة ، التى تستخدم للاغراض التجارية فى الاوقات العادية ، يمكن أن تحول الى سفن نقل ثقيل تكون متاحة فى وقت الازمات . وقد لا يكون تفاعلها سريعا مثل نظرية FDL-C-5A ، ولكنها أكيدة وأكثر مرونة وأقل تكاليف .

استغلال البحار الى أقصى حد يقتضى بقاء القوات المخصصة للتدخل الاولى ، وذيلها الادارى ، فوق قواعد بحرية . ونقل القوات جوا يمتاز بميزة السرعة العظيمة ، ولكن تقل قيمة هذه الوسيلة ، كما يقل اعتمادها على نفسها كلما قفلت القواعد عبر البحار فى وجه الولايات المتحدة ، وكلما حجب عنها حق الطيران فوقها . كما أن النقل الجوى لا يمكن أن ينافس السفن كوسيلة للنقل الثقيل . كما أن الوقود اللازم لطائرات النقل ، التى تستهلك كميات كبيرة منه ، يحمل الى الطائرات فى المناطق الامامية بواسطة السفن . وعلى سبيل المثال ، تحتاج الطائرة C-5A الى ١٫٨٢ طن من الوقود لكل طن من الاحمال ينقل من القواعد المتقدمة فى غرب المحيط الهادى الى قارة آسيا ، مما يقيد خفة حركة الطائرة من الناحية الاستراتيجية بالنسبة للقيود الموضوعة على المطالب فى المطارات الامامية، القيود على حق الطيران فوقها وعلى كميات الوقود وقطع الغيار المطلوب وضعها مسبقا فيها .

هذا لا يعنى أن نقل القوات جوا أصبح عملا غير مطلوب ، ولكن على العكس ، فالقوات البرية المنقولة جوا وجدت لتبقى ، ويمكن أن تكون عاملا حاسما فى مواقف معينة ، مثلما حدث عند التدخل فى الدومينكان ، ومواجهة المتاعب فى كوبا وبنما . ستبقى هذه القوات لازمة دائما ، ولكن يجب أن ينظر لها على أنها قوة مكملة ، أو قوة تبقى فى الخلف لتدعيم واقامة

رأس الشاطىء الذى ينشأ من البحر . كانت تجربة واختبار فن الحرب البرمائية ، كما كان استخدام قوارب الانزال وطائرات الاقتحام العمودية ، مدعمة بمدفعية الاسطول والصواريخ والطائرات ، كلها عوامل ساهمت فى خلق قوة بحرية عالمية يمكن استخدامها فى المناطق الساحلية — الريملاند — فى انحاء العالم . كما أن قوات الاقتحام المسلحة والمجهزة فعلا بالمعدات ، والامدادات والمعدات ، وقوارب الانزال والسفن البرمائية الموزعة عبر البحار لها مرونة استرتايجية لا تجارى ، وتغنى عن نظام القاعدة المزدوجة المعقد ، باهظ التكاليف .

ولكن استغلال خفة الحركة والمرونة الى أقصى حد ممكن ، وهو « سياسة مقدسة » عند القوات البحرية ، لا يمكن تحقيقه الا بتطوير فن القواعد البحرية اللازمة للعمليات الحربية والشئون الادارية فى البحار . لقد قدر رجال البحرية الاداريين ان ٣٦ طائرة نقل عمودية CH - 54 B ثقيلة حمولة ١٨ طن ، تستطيع نقل حمولات ١٢٥ سفينة كل شهر على خط امداد من السفينة الى الجبهة الامامية دون استخدام موانى أو مطارات أو شواطىء . كما انها تستطيع الوصول الى مسافات على البر أبعد من خط المد العالى . ونظام الامداد الادارى الموضوع فى البحر يحتوى على ذخيرة وتعيينات ووقود وامدادات أخرى موضوعة على سفن فى البحار وليست راسية ، ويستطيع دون شك سد حاجات أى اقتحام برى ابتدائى نجريه فى أى مكان فى العالم (بشرط اتاحة السفن والتسهيلات الفنية الحديثة) . وكما يعتقد البحريون ، يمكن أن نعمل بعدد من الافراد أقل بكثير ممن يعملون من قواعد برية .

قد يكون فى هذه التقديرات تفاؤل كبير . ولكن نظام الامداد الموضوع على قواعد بحرية يبدو واضحا انه ملائم ، وقد تأكد ذلك فعلا اثناء الحرب العالمية الثانية ، رغم قلة الوسائل المتاحة فى هذا الوقت . كما استخدم هذا النظام أيضا فى دانانج فى جنوب فيتنام .

يجب تخصيص ميزانيات اكبر لابحاث وانتاج تصميمات جديدة للسفن، لنستطيع استغلال أقصى قدرة للبحرية : تصميم طريقة جديدة للدفع ، تربينات الدفع بالغاز ، نفاثات مائية ، قوارب حوامة ، قواربانسيابية ، وماكينات نووية خفيفة ، وصواريخ سطح سطح، ومعدات تفريغ الاحمال . واذا اتيح جزء فقط من الاموال التى خصصت لانتاج أنواع جديدة من الطائرات ، مثل CH-54B وطائرات النقل أسرع من الصوت لانتاج أنواع حديثة من السفن ، لأصبح الاسطول الآن ، وأصبحت سفن الامداد التى ترافقه ، والبحرية التجارية ، فى موقف أقوى ، أنسب لمواجهة أكبر تحدى تقابله فى التاريخ . والروس يعملون على تحقيق السيادة البحرية ، وقد

انتجوا منذ الحرب العالمية الثانية حوالى ١٧٠ مليون طن من سفن الاسطول. بينما انتجت الولايات المتحدة ١٥٠ طن فقط ، وفى عام ١٩٧٥ ، اذا اتخذنا معدل الانتاج الحالى كمعيار ، فسوف يكون لديهم أقوى أسطول بحرى وأحدث أسطول تجارى فى العالم .

يجب أن تعتمد الاستراتيجية البحرية والقوات البحرية على السفن الحديثة . ولو أن تصميم وبناء السفن وضع فى أسبقية متأخرة .

ونجاح الاستراتيجية المحيطية لا يقتضى أسطولا متفوقا فحسب ، بل أسطول متفوق تفوقا واضحا على جميع أساطيل العالم . قادر على دفع قوة الولايات المتحدة الامريكية الى أى مكان فى العالم . يدعمه اسطول بحرى تجارى حديث قادر على العمل بسرعة ، تظاهره مواقع جزيرية متقدمة وقوات جوية تعمل من قواعد بحرية متاحة لاستخدامه .

وتكوين الاسطول يجب أن يكون متوازنا — حاملات طائرات ، وطرادات وسفن صواريخ ، ووسائل مقاومة ضد الغواصات وقوارب حراسة ، وسفن الغام ، وسفن امداد وسفن برمائية ، وحاملات طائرات هليوكوبتر وغواصات . ويقتضى أيضا تحويل جزء مناسب من قوة الصواريخ الاستراتيجية النووية الرادعة ، من القواعد البرية الثابتة المعرضة ، الى قواعد اطلاق بحرية متحركة ، فى الغواصات أو على سفن السطح . ان المزايا الهائلة المتزايدة لنظام القواعد البحرية تفوق عيوبه (٧) حتى الآن . وهذا يقتضى أن تتضمن أى استراتيجية محيطية وضع قدر أكبر من صواريخنا فى البحر .

تستطيع الاساطيل البحرية وقوات الواجب الخاص ، المدعمة بالقاذفات ذات السرعة العالية والمدى الطويل التى تعمل من قواعد برية ، وبالقوة الجوية التكتيكية ، ان توفر معاونة جاهزة ملموسة لدول الشريط الساحلى . كذلك تستطيع المساعدة فى المحافظة على توازن القوى . يجب اتاحة وحدات صغيرة من جنود الجو تصل حتى لواء فى بعض القواعد ، مثل هاواى وجوام ، لدعم القوات البرمائية بسرعة .

يجب الاحتفاظ بجيش محترف خفيف الحركة الى أقصى حد ضمن تكوين الاحتياط الاستراتيجى المركزى فى الولايات المتحدة ، لمساندة هذه المواقع الخارجية الموزعة على القواعد البحرية والجزيرية عبر البحار . ويجب أن يكون صغيرا (٨) ولكن من نوع لا يجارى ، يملك معاونة جوية تكتيكية متفوقة ، جاهز للعمل بسرعة . على أن تخصص رأس حربة لهذا الجيش — على الاقل فرقتين — تكون جاهزة للتحرك جوا الى أى منطقة مهددة

فور طلبها . على أن يكون الجزء الباقى جاهزا للدعم البحرى الفورى . ومثل هذه النظرية المحيطية تحررنا من جمود وتعقيـدات الاستراتيجية القارية ، ولكنها لا تستطيع أن تحقق أمن دول الشريط الساحلى فى مواجهة العدوان من قلب الأرض . تعتقد دكتورة كورال بل وهى استاذةاسترالية، كما جاء فى بحث لها نشره معهد الدراسات الاستراتيجية ، ان مثل هذه السياسة يجب ان تكملها « حصون » محلية مدعمة بقوات صـديقة أو متحالفة ، ومناطق قوية الارادة ، قوية اقتصاديا وسياسيا ومسـتقرة اجتماعيا تسـتحق المعونة والدعم العسـكرى من الولايات المتحـدة الامريكية (٩) .

لا توجد أى استراتيجيةمحيطية — ولا أى استراتيجيةأخرى — تحررنا كلية من البر ، لأن أغلب مصالحنا — على أقل تقدير — مرتبطة بالمواقع القارية للدول الساحلية .

لقد ذكرت د. بل بصدق فى بحثها الاخير انه « لم يتمكن أحد حتى الان من القيام بعمل مقنع — أو حتى وضع نظرية مقنعة — لمواجهة العمليات الصغيرة التىتؤثر على توزيع مراكز القوة فى آسيا ، بالترصد منالاسطول السابع بالقرب من شواطئها أو بتجهيز سلسلة الجـزر بالصـواريخ منيوتمان » .

وفى الواقع ، كان عجز القوات البحرية — الجوية عن مواجهة التهديد الشيوعى لكوريا الجنوبية وفيتنام الجنوبية بنجاح ، هو السبب الذى أدى الى اشراك الوحدات الامريكية البرية المقاتلة فى كلا المنطقتين . ويمكن القول ، بل يلزم التاكيد أن القوة البحرية — الجوية قد استدعيت للمباراة متأخرة ، وانه على الاقل فى فيتنام ، كانت الاعتبارات السياسية تضع عليها قيودا ثقيلة .

ورغم كل ذلك فان القوات البرية هى فقط التى تسيطر على الأرض، والقوات البحرية والجوية لها القدرة على التدمير ، والى حد محدود على المنع والتحريم والحصار ، ولكن لا يمكنها ، بجانب ذلك ، السيطرة على السكان ، أو المناطق — على الأقل فى حرب العصيان وما شابهها : حيث تتحرك العصابات بين الجماهير كما يسبح السمك فى المـاء .

ولذلك ، فان أى استراتيجية بحرية حديثة لا تكفى وحدها لضمان توازن قوى مستقر فى سيا أو فى أى مكان آخر فى العالم . وفى بعـض الاوقات ، وفى بعض المناطق ، قد يكون من اللازم اقحام القوات الامريكية البرية لمواجهة ما وصفته د. بل « بالمشكلة الحقيقية التى نواجهها فى بلادنا . . . الذعر العسكرى الاقليمى » .

هذا أسلوب آخر لوصف المشكلة التى لم ننجح فى حلها حتى الآن ، مشكلة قضم العدوان الشيوعى ، وحرب العصيان والعصابات. وقد أدرك جون. ف. كنيدى مغزى « حرب التحرير الوطنى » وهو الاصطلاح الذى قنع به خرشوف العدوان الشيوعى بغير براعة . ولكن الرئيس الأخير اعتمد على ذوو البيريه الاخضر وعلى دراسات المكاتب أكثر مما يجب «كرد» على تكتيكات العدو. لقد كان حذرا الى أبعد الحدود — فى خليج الخنازير ، وفى أزمة الصواريخ الكوبية ، وفى فيتنام — عندما كان للاعمال الحاسمة الحكيمة أثر على تغيير التـــاريخ . وحتى الآن ، لم يظهر هو ولا أى رئيس جاء بعده قدرة على المزج بين العمـــل والتحفظ فى اختيار وقت ومكان وسبب التدخل بحذر شديد جدا .

والجيش هو قوة عسكرية ، وواجبها الأول قضم العصيان فى منبته ، وقد أدت دروس حرب فيتنام ، كما أدى ظهور بعض القيود التى عوقت استغلال قدراتنا ، الى عمل دراسات مركزة ، ووضع خطط واعية لانشاء تنظيمات جديدة فى فيتنام . وتكونت قيادة المعاونة الاقليمية من عنـــاصر مدنية واجتماعية قادرة على تنظيم السكان ، تدعمها وحـــدات مقاتلة ، وضعت خصيصا لتناسب مناطق محددة من اجزاء العالم ، مع الاهتمـــام باللغة والأرض والمشكلات الاجتماعية والسياسية والصحية والزراعية ، وضرورة أن يكون بينها عناصر مهندسين وخبراء فى انشاء الطرق ، وحفر الآبار ، والشئون الصحية ، والصحة العامة ، التعليم ... الخ . ان الفكرة مفيدة ، وهامة الى أبعد حد ، ولكن العصيان يجب مواجهته — على أوسع نطاق — فى مجالات السياسة والاقتصاد والاجتماع والمجال العسكرى ، طبقا لسياسة ينفذها «فريق متخصص» فى البلد — يتكون من السفارة وجميع فروعها واقسامها — بوعى وحذر .

كان فشلنا فى مواجهة زحف العدوان فى الماضى ، يرجع أســـاسا الى ولعنـــا بالاستراتيجية القـــارية ، التى سماها بعض الشـــامتين « التدخل المدبر » فى أوقات ومناطق لم نعن باختيارها . وكان اختيارها طبقا لروتين ، يبدو وكأنه شىء حتمى .

ان الاستراتيجية البحرية ، المحيطية ، تعطى لنا حرية الاختيار الى حد كبير . تمكننا من اختيار وقت ومكان التدخل على الأرض ، وتمكننا من أن نأخذ ، أقل ما يمكن ، أو أكثر ما يمكن من الحرب ، طبقا لمشيئتنا . ومن المعلوم ، كما اثبتت فيتنام مع الاسف ، ان المناطق القارية المختارة للتدخل يجب أن توفر ، كما قالت بل « ظروفا مناسبة لمقاومة أى عدوان مباغت ... بالاساليب الدبلوماسية والسياسية والمعنوية ، علاوة على الاساليب العسكرية ». وقد يقوم الدولار مقام الجندى اذا واجهنا موقفا

اقتصاديا فاسدا. واذا ماكانت هناك حاجة للجنود، فألف من الرجال فى المراحل الأولى للعصيان تكون افضل من ٢٠ الف بعـــد شهرين . واذا كانت فيتنام قد اثبتت شيئا، فقد اثبتت أن الوقت الضائع هو شىء ينم عن عدم الاكتراث فى الحرب، وان سياسة التمادى فى الحذر، « والتصعيد »، وسياسة « قدر صغيرا جدا ومتأخر جدا » تؤدى الى الفشل على أى حال.

لذلك، يجب علينا، عند وضع استراتيجية عالمية ، أن نعدل ما تهدف اليه مدرسة « اللاعودة أبدا » وهو هدف مرغوب وان كان يستحيل تحقيقه ، الى « لا عودة أبدا الا تحت ظروف محددة بعناية، وفى أوقات ومحلات نختارها نحن ، وحتى ، عندئذ فى نطاق مخطط لا نتعداه » .

اختيار الاوقات ، وانتخاب المحلات ، ووضع الحدود هو أســـاس المشكلة ، فالمحلات تنتخب حيث تكون مصالحنا الحيوية والهامة جـــدا داخلة فى نطاقها ، أو حيث يكون هناك احتمالا قويا بأن هذه المصالح سوف تدخل فى نطاقها . فالمناطق الاستراتيجية — الاستراتيجية بموقعهـــا الجغرافى وسيطرتها الاقتصادية — لها أهمية عظمى . واستراتيجيـــة محيطية ، ترتكز على المواقع الجزيرية المتقدمة ، وعلى حرية البحار التى توصل الى المضايق ، مثل خليج ملقا ، لا يمكن أن تتغاضى عن ســـيطرة العدو على الجزر البريطانية أو جزر اليابان أو سنغافورة . ولن نستطيع المحافظة على صفحات تاريخنا بيضاء ناصعة الا باعادة تقييم التزاماتنا فى مواجهة مصالحنا تقييما عميقا . وقد نستطيع تقليل الالتزامات ، ولكننا لا نسمح لا سياسيا ولا عسكريا ، باقتلاعنا من بروزنا القارى فى اوروبا أو فى آسيا (من كوريا أو فيتنام أو تايلاند) فى المستقبل القريب .

الوقت المناسب للتدخل فى القارات ، فى حالة تكراره ، يجب أن يكون كما يسميه الانجليز « البدء المبكر » أو كما كان يسمى فى الماضى « اوقية للوقاية خير من رطل للعلاج » . هذا ينطبق على السياسة كما ينطبق على الحرب . ودلائل قيام المتاعب فى بلد أو منطقة يمكن رؤية ملامحها عادة قبل بدء الفوران ، وبذلك يمكن تحاشى العمل العسكرى بالعمل الســـياسى والاقتصادى والسيكولوجى .

خط الدفاع الأول دبلوماسى وسياسى . ينعكس من تصور الولايات المتحدة الامريكية وارادتها وسياستها . الخط الثانى هو الدولار ، والثالث، القوات الامريكية البحرية والجوية ، والرابع ، قوات حلفائنا والقوات المحلية فى المنطقة ، والأخير ، الجندى الامريكى .

يجب أن تبقى المعونة الامريكية مهما كان نوعها ، وخاصة تلك التى

تعطى للدول المتخلفة ، تحت الاشراف الامريكى المباشر . « فالرشوة » اسلوب من أساليب الحياة فى أغلب دول العالم ، لقد أدت شوشرة الرشوة فى فيتنام — حيث اعطينا معونة اقتصادية لم نسيطر عليها بدقة — الى اضعاف أثر المعونة الى حد كبير اذا لم تكن قد محته .

ان قوة الدولار الامريكى — اذا ابقينا الدولار قويا — يمكن أن تكون عامل استقرار ورادع ضد الحرب . ولكنه يجب أن يستخدم من أجل تحقيق غرض ، وليس فقط من أجل قيم افلاطونية . يمكن أن نستخدم الدولار فى الحرب الباردة كما استخدم الجنيه بواسطة البريطانيين فى عصر نابليون ، لحرمان العدو من المنتجات ، ولاعداد حلفائنا أو لاحتكار مواد استراتيجية، ويمكن أن نستغله لتقوية الدول المتخلفة الضعيفة ، وكحافز للاثارة . والمعونة الفنية ، والقروض طويلة الاجل بفائدة صغيرة لاقامة مشروعات محددة مدروسة جيدا ، تعطى أملا كبيرا لاعلى عائد . والمعونة العسكرية، اذا استغلت بعناية فى أغراض خاصة ، يمكن أن تكون مفيدة ولكنها ، فى الغالب ضاعت سدى . والمعونات الاقتصادية التى لا ترتبط بمشروع لا فائدة منها .

قدمت لجنة التنمية الدولية التى يرأسها ليستر ب. بيرسون رئيس وزراء كندا الى البنك الدولى فى عام ١٩٦٩ تقريرا مطولا عن برامج المعونة العالمية . وعرضت فيه بعض الافكار الطوبانية بصراحة — تضمنت تحذيرا « اننا نعيش فى قرية عالمية ، واننا ننتمى الى مجتمع دولى » — ونادت بان هناك « حتميات سياسية واجتماعية تلزم الحكومات » التى تملك ، باعطاء المعونة الى التى لا تملك . وقد خصت الولايات المتحدة الامريكية ببرنامج معونة للدول المتخلفة يصل الى ٨ بليون دولار سنويا .

قد نتفق مع ما قالته اللجنة فى أن « التنمية الدولية هى أكبر تحديات العصر » دون ربط ذلك بفلسفة اللجنة أو تطرفها . وبرنامج معونة ٨ بليون دولار سوف يستخدم الدولار قطعا ، ولكن مع المخاطرة باستقرار الدولار ، وعلى حساب اسبقيات قومية وخارجية أخرى أهم بكثير . هناك حقيقة واقعة يجب أن نواجهها ، وهى أن عدم كفاية الاجهزة اللازمة لدراسة المشروعات والاشراف على المعونات يجعلها معرضة للاستنزاف والانحراف. وهذا يعنى أنه من المشكوك فيه أن يساهم مثل هذا البرنامج فى تحقيق استقرار فى العالم الى درجة كبيرة . ومساهمة هذا البرنامج فى دعم الأمن القومى للولايات المتحدة مشكوك فيه أيضا ولكن بدرجة أكبر . ليس هناك احتمال قط — من الوجهة العملية — فى أن يؤيد المواطنون المثقلون بالضرائب أو الكونجرس الحساس من ناحية الانفاق والذى يتلهف على تحويل أكبر جزء من الدخل الامريكى لمقابلة المطالب القومية ، ميزانية

للمعونة الخارجية فى المستقبل المنظور تعادل خمس اضعاف هذه الميزانية فى عام ١٩٧٠ . وتقرير بيرسون ليس عملى ، ولا هو واقعى ، لأن المعونة اداة ، ولا يمكن ابدا أن تكون برنامج « للاستسلام » .

الدولار لا يتمدد ، ولا يمكن أن تكون التزاماتنا السياسية والاقتصادية والعسكرية بلا نهاية وبلا حدود . وموقفنا المالى الآن ، هو أساس المحافظة عى الدولار فى الغد . استخدامه بحكمةلتحقيق أهدافنا السياسية فى العالم الخارجى ، وليس قط من أجل كعكة نأكلها ، ولا لنعطى مدافع وزبد دون ما يلزم من الرقابة ، ولا لشن حرب فعلية « كاجراء روتينى » لمساعدة العالم دون مقابل نحصل عليه . هذا كله يؤدى الى الهلاك . والدولار قد يستطيع أن يكون خط الدفاع الثانى فى الغد ، ولكن ، يجب أن نحافظ عليه .

واذا بدأ التطاحن ، واستدعيت القوة العسكرية ، فيجب استعمالها بأقصى تأثير وفعالية ، لا مكتوفة اليدين ولا بتخبط كما كانت فى فيتنام . فالحصار البحرى مثلا ، نوع من الضغط العسكرى ذو الفعالية الكبرى بالنسبة لتكاليفه ، وهو يكلفنا قليلا ويكلف العدو كثيرا . ولو استخدم ضد هيبهونج وموانى فيتنام الشمالية منذ مدة طويلة لأصبحت الولايات المتحدة الامريكية فى موقف أفضل الى حد بعيد .

اذا فشلت خطوط الدفاع الاولى واشتركت الولايات المتحدة ثانية فى حرب برية قارية ، يجب الا نسرف فى وضع الحدود التى تقيدنا . وهذا لا يعنى أنه يجب الا تكون هناك قيود ، فالانسان لا يمكنه أن يبرر فى هذه الايام — اذا كان أحد قد استطاع ذلك من قبل — حرب دون حدود. وكثيرا ما شوهت الصورة المثالية لأخلاقيات الولايات المتحدة الامريكية بأساليب استخدمت لتحقيق الهدف النهائى . ونحن لا نستطيع الانحطاط الى مستوى اعدائنا ، فالغاية فىحرب محدودة لاتبرر لابعض ولا كل الوسائل.

الغرض السياسى من الحرب هو تحقيق ما لا يمكن تحقيقه بالوسائل السلمية ، بالقوة . وعلى ذلك ، يجب أن يكون هذا الغرض محدد بوضوح، ويجب أن تنبثق منه وسائل تحقيقه . ويجب ان نضع فى الاعتبار : ان الانسان يخضع العدو بقوة متفوقة، وان أساليب الارغام متعددة وكثيرة، ولكن ليست كلها مشروعة ، وان بعضا من هذه الاساليب وليست كلها تساهم فى تحقيق الغرض النهائى ، تحقيق سلام أكثر استقرارا . واذا ما دخلنا اى حرب محدودة على الاطلاق ، يجب أن يكون النصر ليس فقط ممكنا ولكن محققا . لان تفتيت قوانا لا يحقق لنا اى غرض .

فى حرب قارية ، وفى سبيل استقرارها ومستقبلها ، يجب أن تتضمن القيود التى تضعها الولايات المتحدة الامريكية قيودا على تصعيد حجم القوة البشرية المستخدمة ، مع التقليل من وضع القيود التكنولوجية الى أبعد حد . لقد ضاعفنا التزاماتنا العددية فى كوريا وفيتنام ، وفى الحرب العالمية الثانية الى حد محدود . ولكننا ، فى فيتنام على الاخص ، وضعنا قيودا على سياستنا وضيقنا نطاق اختيارنا الاستراتيجى وعوقنا تكنولوجيتنا . ان الليبراليين ورجال الكونجرس المخدوعين الذين عارضوا باصرار قصف شمال فيتنام ، والذين تسرعوا فى معارضة استخدام الوسائل الكيميائية وغازات الدموع ، بدوا وكأنهم لا يعلمون أن تقييد التفوق التكنولوجى الامريكى يعنى سيلا لا ينتهى من الدماء ــ خسائر أكثر للولايات المتحدة الامريكية . والقيد الوحيد الذى يجب وضعه فى أى حرب قارية مستقبلة ــ وخصوصا فى آسيا ــ هو القيد على حجم القوة البشرية ، والقيد الوحيد الذى يجب أن نعارضه هو القيد على تكنولوجيتنا . يلزم الا نسمح بتصاعد فى حجم القوة البشرية دون حدود ، مع وضع قيود على تصاعد الاسلحة وتحديد نطاق الاختيار فى نفس الوقت .

هنا يجب اضافة ان رجال الفكر العسكرى الاستراتيجى لا يقرون وضع قيود أيا كانت ، اذ يرون ان القدر اللازم من القوة لتحقيق الغرض ، وليس أكثر ، هو القدر المشروع ، مع اختيار الاسلحة والاسلوب المناسبين لاستخدام هذه القوة . وهذا لا يعنى أى أسلحة فى حرب محدودة ، اذ يجب ألا تكون الولايات المتحدة هى الاولى التى تستخدم الاسلحة النووية ضد قوات العدو أو ضد المدن أو المناطق العسكرية فى حرب قارية . ويجب الا نكون البادئين باستخدام الوسائل الكيميائية الفتاكة ، كما يجب الا نستخدم الوسائل البيولوجية ضد الانسان (١٠) .

الغاية لا يمكن أن تبرر الوسيلة ، والا سوف ننحط الى مستوى الاشرار الذين نحاربهم . ان الحرب تحول البعض الى وحوش ، وتحول آخرين الى نبلاء . بعض الناس يحبون القتل ، والاخرون يحبون الحياة . وفى كل الحروب هناك متوحشون بين المتصارعين . وفيتنام لم تشذ عن ذلك . وفى سبيل النصر ، بدأنا بتبرير وسائل عنيفة منذ الحرب العالمية الأولى . وفى الحرب العالمية الثانية استخدمنا ضد اليابان نفس تكتيكات حرب الغواصات التى استخدمها الالمان ضدنا فى الحرب العالمية الاولى ، وكانت تكتيكات استخدمت فى حرب ماضية تسببت فى ادخال امريكا الى الحرب . وفى الحرب العالمية الثانية أسقطنا قنبلة ذرية وقتلنا الملايين فى طوكيو من الغارات الجرية . وبعض التكتيكات والفنون التى استخدمناها فى فيتنام كانت بغيضة من الناحية المعنوية ومشكوكا فى

ملائمتها عسكريا . فالحرب تحول الكثيرين الى وحوش ، واستمرار الصراع يقضى على المثالية والمثل العليا فى الانسان .

ورغم ذلك، فالمثل الامريكية على وجه العموم ، وسياستنا الاساسية فى فيتنام كما كانت فى الحرب العالمية الثانية ، بقيت فى جانب الخير ، وليست فى جانب الشر ، فلم نسمح بالارهاب الجماعى ولم نستخدمه كأسلوب من أساليب القتال . والقتل الجماعى الذى أتبعه العدو كان محرما ، ورغم ذلك فهناك جرائم ارتكبها أمريكيون ، ولكنهم كانوا خارجين على القانون، ولما اكتشفت ، أعطى الجزاء ، ومن الافضل أن نحافظ على قيمنا ، لان الحياة رخيصة عند الشيوعيين ولكنها غالية عند الامريكيين .

هـذا هو السبب الذى يجعلنا لا نستطيع ، بل يحتم علينا الا نضحى بقوتنا البشرية فى حرب قارية لا نهاية لها بينما نضع القيود أمام استغلال تفوقنا التكنولوجى .

واذا لم تستطع الولايات المتحدة الامريكية مساندة الحكومات المعرضة للعدوان وتأمينها ضد التوسع الشيوعى باشراك قواتأميركية لا تزيد عن ١٠٠٠٠ فرد مثلا ، فسوف لا يكون أمامها الا خيارا بين شـيئين . أما التسليم واما التصعيد التكنولوجى أكثر من التصعيد بزيادة القوة البشرية. ومن الضرورى أن يتضمن أى تدخل مباشر ضد الحشود الكبيرة للقوات البرية للصين الشيوعية فوق أراضى آسيا ، تصعيدا تكنولوجيا فوريا . وقد يتضمن مثل هذا التصعيد استخدام أسلحة تقليدية جديدة (اذ أن نجاح أى سياسة مستقبلة للامن القومى تتوقف على تفوق الابحاث والتطورات العسكرية) . أو يتضمن استخدام أسلحة نووية دفاعية صغيرة ، تحت شروط موضوعة بعناية ، عندما تكون الاهداف والظروف الجغرافية مناسبة لهذا الاستخدام .

من المعلوم أن استخدام مثل هذه المعدات تتضمن مخاطر — مخاطر تصاعد الى حرب نووية غير مرغوب فيها — شرارة للهيب نووى كبير ، قد تدفع العدو الى الانتقام بنفس السلاح . واستخدام هذه الاسلحة له نتائج سياسية وسيكلوجية فى الجانب الاخر ، ولا يحتمل أن تؤدى الى ما سبق أن ذكرناه من أخطار . لان الصين الشيوعية سوف لا تتمكن من انتاج أسلحة نووية تكتيكية بأى قدر قبل مرور بعض الوقت كما أنه ليس من المنتظر — الى حد كبير — أن تأتمن روسيا السوفيتية الصين الشيوعية أو العصاة الشيوعيين فى تايلاند على مثل هذه الاسلحة .

ولكن استخدام قنبلة ذرية بعناية وأحكام ، تطلق من مدفع هاوتزر

٨ بوصة ، واستخدام الغام ذرية أرضية لحراسة الحدود (كما جاء فى اقتراح تركى) واقامة حزام مشع مسيطر عليه بعناية واحكام فى مناطق غير مأهولة تضطر أى معاونة خارجية للمرور عبرها ، أو استخدام معدات نسف ذرية فى الغابات الكثيفة أو فى الانفاق المنحدرة لاحداث تفجيرات تنتج سدا أو انهيارا لقطع الخطوط الحديدية أو الطرق ، أو استخدامها فى قطع طرق الاقتراب الطبيعية ، كل ذلك يمكن أن يعوض النقص فى القوة البشرية ويدعم الدفاع .

لا يمكن استخدام الاسلحة النووية التكتيكية ، حتى فى الاغراض الدفاعية المحدودة فى أوروبا الغربية الكثيفة السكان ، ولا فى أغلب المناطق القارية ، دون اصابة السكان المدنيين والاهداف غير العسكرية بالدمار ، ودون مضاعفة احتمال التصعيد الى الاسلحة الاستراتيجية الكبرى . تلك حقيقة مؤكدة . ولكن احتمال حدوث هذه الاخطار يكون ضعيفا الى حد كبير فى آسيا ، وفى مناطق الغابات ، وفى المناطق الغير مسكونة ، وفى مناطق الغابات والمناطق الجبلية القليلة السكان ، مثل المناطق على حدود فيتنام ولاوس . والاسلحة النووية « النظيفة » يمكن السيطرة على مكان وارتفاع واضرار انفجارها لحصر هذه الاضرار وتقليل الغبار المشع الناتج منها . على أن استخدامها يخرب مسارات ومسالك الغابات التى تستخدمها قوافل هوشى منه ويحولها الى متاهات من الحطام والحفر المتشابكة فتزيد المصاعب أمام العدو المتسلل الى حد كبير .

من المعلوم أن استخدام المعدات النووية مهما كان نوعها هو آخر وسيلة يمكن أن نلجأ لها . وحتى أعضاء البنتاجون الذين يعتبرون الاسلحة الذرية — على الاقل التكتيكية — ليست الا « سلاحا » بين الاسلحة الاخرى ، يتفقون بأن لاستخدامها أخطار لا يمكن تحديد مداها ، قد تصل الى حد الانتقام بسلاح مشابه . وليس بين المسئولين من يدافع ببساطة عن حروب الاستنزاف على الاراضى الاسيوية .

لخص برنتيس مورجان ، وهو عقيد أمريكى متقاعد ، القيود غير الحكيمة التى تفرض عند شن الحروب المحدودة بقوله :

> هناك عقيدة راسخة فى الاذهان أن الحرب المحدودة تحارب دون تحقيق نصر . والتاريخ بين أن الحروب غير الحاسمة تنبت حروبا أخرى ، كما ظهر من الحروب الانجليزية الفرنسية فى عصر الاستعمار . والنصر ، بداهة ، لا يعنى تسليم العدو دون قيد أو شرط ولكن يعنى تحقيق أهدافنا المحدودة التى نتمسك بهـا .
>
> يبدو اننا نعتقد أن الحروب المحدودة تكون محدودة فى نطاقها . أن الامر

لا يقتضى خوضـــها فى أرض العدو ، ولكن يمكن خوضـــها دفاعا عن أرض صديقة . وقبول اتحادنا لهذه الفكرة تسبب فى تدمير الجنوب لمدة أجيال .

يبدو اننا نفكر فى أن القوة يجب أن تستخدم بالتدريج فى حرب محدودة ، غير أن ذلك يتعارض مع المبادىء الكلاسيكية للهجوم والمفاجأة .

وباسم الحرب المحدودة ، يعارض الرأى العـــام الغير مثقف استخدام الاسلحة المتفوقة تكنولوجيا ، كالنابالم والغازات غير السامة مثلا ... الخ . يجب أن يكون مفهوما أن تقييد هذه الاسلحة تمليه مصلحتنا الخاصة فقط ، واننا نقيد أنفسنا — على سبيل المثال — بالوسائل غير النووية حتى لا ندعو الاخرين الى القصاص . وهذا هو أيضا ما يحكم سلوك العدو .

يبدو كذلك انه من المعتقد أن الحرب المحدودة يمكن خوضها دون شرح الاهداف ونتائج الفشل للرأى العام من أجل حشده . وقد كان اتباع بروسيا لهذا الاسلوب هو السبب الرئيسى الذى أدى الى هزيمة الالمـــان فى الحروب الفرنسية — البروسية . كان ذلك أيضا هو الخطأ الذى ارتكبناه بالنسبة لموقفنا الحالى ، خطأ خطير . ويبدو أن أعظم خسائر حرب فيتنام ناتجة عن فكرة الحرب المحدودة ، مما يقعدنا دون حل بديل أو قدرة على التصرف فنضطر الى الاختيار بين الهزيمة أو الدمار المتبادل فى المستقبل (١١) .

اذا أردنا الاستقرار لآســـيا ، فلا يمكننا تجاهل الاســـلحة النووية التكتيكية ، والاسلحة الحديثة الاخـــرى تجاهلا تاما ، لانه حتى التلويح الضمنى بها يدعم « توازن الرعب » الذى — أردنا أو لم نرد — يحكم الآن العالم الذى نعيش فيه . وبالتصاعد التكنولوجى فقط ، أكثر من التصاعد بالحشود البشرية ، تتمكن القوات العسكرية الامريكية — دون تكاليف باهظة من دماء الامريكيين — من مواءمة نفسها لموازنة القوى البشرية المتفوقة — الان وحتى فى المستقبل القريب — فى آسيا ، وبالتصــــاعد التكنولوجى تتضاعف قدرتنا على ردع العدوان الى أقصى حد .

هناك قيود ، بل يتحتم أن يكون هناك قيود على التزامات الولايات المتحدة — السياسية والاقتصادية والعسكرية — عبر البحار على المدى الطويل . وكلما ازدادت آسيا قوة وأهمية ، كلما تحتم علينا تحويل جزء أكبر من التزاماتنا الى الشرقين الاوسط والاقصى وجزء أصغر منها الى أوروبا . وكما ذكر جنز ميردال ، الاقتصادى السويدى ، فى تقريره الهام عن ١١ دولة من الهند الى الفلبين ، يجب أن تأتى المعونة الكبرى لاسيا من القارة نفسها ، هناك حاجة كبرى لتغيير الموقف والانماط فى آســـيا تغييرا جذريا على المدى الطويل . يجب أن تعلن الولايات المتحدة بوضوح قاطع أن اشتراكها بالقوات فى حرب برية قارية ، خاصـــة اذا كانت فى آسيا ، سوف لا يكون بغير حدود بالنسبة للعدو ، ولكنها سوف تكون فى نفس الوقت مقيدة بالنسبة للاسلحة وللاسلوب .

استراتيجية محيطية معدلة بحيث تسمح لنا بالدخول فى القارات فى وقت ومكان من اختيارنا ، تلك أحسن نظرية تناسب الغد الامريكى . لانها تنبع من موقف القوة . وتحمى جزيرة الولايات المتحدة الامريكية القارية ، وتؤمن طرق الملاحة البحرية الى القارات الاخرى ، والى حلفائنا فى العالم الحر حول الشريط الساحلى العالمى . واذا قامت الحرب ، فانها ستمكننا من أن نأخذ منها قليلا أو كثيرا حسب مصالحنا ، كذلك تمكننا من ازعاج العدو حول الافاريز القارية فى البحار الشاسعة ، وفرض الحصار عليه جوا وبحرا ، لتأمين الحصون القارية ، وانشاء رؤوس الشواطىء فى المناطق الضعيفة ، واستغلال خفة الحركة والمرونة الهائلة لقواتنا المحيطية . ولكن وقبل كل شيء ، يجب أن تقلل هذه الاستراتيجية من سيل الدم الرهيب الذى تسببه الحروب القارية ، وتحقق لنا امنا كافيا بتكاليف معتدلة .

يتحدد حجم ونوع القوات اللازمة لدعم استراتيجية محيطية بناءا على تقييم شامل لقدرات العدو ، وطبيعة ومدى احتمال التهديد ، ومقدار التزاماتنا ، وأهمية مصالحنا . ويجب أن يكون حجم القوات مرنا وتكوينها قابلا للتغيير بتغير الظروف السياسية والعسكرية فى العالم .

يتضمن أى استثمار أخطارا ، سواء كان استثمار فى مجال الامن القومى أو فى البضائع أو الاوراق المالية . وسياسة الامن القومى لتكون جديرة بهذا الاسم ، لا يمكن وضعها الا بعد حساب دقيق للاخطار . ومهما كان الاسلوب الفنى المستخدم فى هذا الحساب ، فهناك ، وسوف يكون هناك دائما أخطارا غير محسوبة ، تلك هى طبيعة البشر .

أساس السياسة الفعالة للامن القومى هى مواجهة الاخطار مواجهة حاسمة ، طالما كان من المستطاع توقعها من قبل . وتقليل الاخطار العسكرية ، يقتضى مضاعفة الانفاق العسكرى ، مما قد يعرض البلاد الى مخاطر اقتصادية . وبسبب فكرة الاستراتيجية القارية التى سادت بين مؤسساتنا العسكرية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية من جهة ، وبسبب فشلنا فى وضع قرارات سياسية واقتصادية ايجابية من جهة أخرى ، تضاعفت المخاطر الاقتصادية الى حد ملموس فى السنوات الاخيرة ، مما أدى الى عدم توازن فى ميزان المدفوعات ، وتسرب رصيد الذهب والتضخم المالى ، والى زيادة مباشرة وغير مباشرة فى الضرائب (الفيدرالية، وضرائب الولايات، والضرائب المحلية) مما ادى بدوره الى ضعف القوة الشرائية للدولار وتزايد العبىء على كاهل دافع الضرائب .

والمخاطر القومية ـ السياسية والعسكرية والاقتصادية ـ لا يمكن

الموازنة بينها للخروج منها بموقف متوازن ، الا على مستوى الرئاسة . فالبنتاجون ، والعسكريون ، وهيئة الاركان المشتركة كلهم يطالبون ويلحون ، ويشيرون بحسم الى الاخطار المترتبة على انتقاص القوة أو التحلل من بعض الالتزامات ، أو وضع نظريات محددة . ولكن الرئيس فقط هو الذى يوازن بين تقديراتهم وبين مطالب الاقتصاد الوطنى ، والمخاطر السياسية فى الداخل والخارج .

توضع ميزانية الدفاع بعد موازنة معقدة ، تبدأ بتوجيهات من أعلى مستوى رآسى . وتتوقف صلاحية هذه التوجيهات أساسا على الرئيس نفسه وعلى الاسلوب الذى يتبعه فى أداء وظيفته . لان عملية تقييم الاخطار تتأثر قوة وضعفا بمقدار من يشتركون فى عملية وضع القرار — استغلال أو عدم استغلال وزارة الخارجية ، ومجلس الامن القومى ، ووكالة المخابرات المركزية ، والوكالات الاخرى ذات العلاقة — وكذا تتوقف على عمق عملية التقييم نفسها . وفى الحقيقة ، طبقا للاسلوب الذى ينتهجه الرئيس ، قد تكون عملية التقييم مقامرة غير مضمونة أو عملية حكيمة بقدر ما هى واقعية .

غالبا ما كانت العملية مقامرة غير مضمونة العواقب ، فأغلب القرارات التى أدت الى تخفيض كبير فى نفقات الدفاع أو التسليح أو اعداد القوات قبل أو أثناء الازمات كانت تأتى من السياسيين الانتهازيين فى واشنجطن فى صورة « ضجيج أعلى للتملق » أو « خطف الزبد من البنتاجون » وتوفير دفاع أكثر فعالية بتكاليف أقل . فبرنامج ترومان الاقتصادى الشهير الذى أبنه لويس جونسن وزير الدفاع ، أدى الى كارثة فى أوائل حرب كوريا . ووضع الوزير ماكنمارا فى الايام الاولى منذ اشتراكه فى الحكم ما سماها « بالاستراتيجية المرنة Flexible Strategy » وعدل الجزء الاكبر من قوة الدولة الجوية التكتيكية لتكون صالحة للقصف التقليدى والنووى فى نفس الوقت . ولكنه رفض — كما أكدت فيتنام بشكل قاطع — أن يواجه تكاليف سياسته . والحرب الجوية التقليدية تحتاج لطائرات وطيارين وقطع غيار وقنابل وأسلحة أكثر مما يحتاجه القصف النووى . كذلك تحتاج لخطوط امداد وأموال أكثر . ورفض مستر ماكنمارا لمواجهة التكاليف المالية الزائدة « لاستراتيجيته المرنة » أدى الى نقص فى الطائرات والطيارين ، وقطع الغيار والاسلحة ، وعوق جهودنا خلال أغلب ايام الحرب . ويجدر بنا أن نبين هنا أن وزير الدفاع ميلفين ليرد اتخذ اجراءا سياسيا أضعف وأكثر واقعية عما فعله من سبقوه . انتقد مستر ليرد الاستقطاعات الكبيرة من ميزانية الدفاع ١٩٦٩ ، وما تبع ذلك من تقلص فى القوات المسلحة الامريكية العاملة فى السنة الاولى من حكم نيكسون — تقلص لم يسبق له مثيل — لبنائنا الدفاعى فى

وقت حرب حقيقية وأزمة . ووصف ليرد هذا العمل بما يستحقه حقا ، بأنه تقويض لجهازنا الدفاعى . لقد تمت هذه الاستقطاعات نتيجة للموازنة التى أجراها الرئيس بين الاخطـار ، ولاعتقاده أن العوامل الوطنية الاقتصادية والسياسية تقتضيها ، ولكن التاريخ فقط هو الذى سوف يستطيع تقييم مدى فعالية حسابات الرئيس للاخطار وان كان من المحتم الا تتأثر عملية حساب الاخطار بمضللات سياسية .

وفى البنتاجون ، تجرى مواءمة بين توجيهات الميزانية التى يصدرها الرئيس وبين الاستراتيجية الموضوعة ، والتزاماتنا العالمية ومستويات القوة المناسبة لكل هذه العوامل . يؤدى كل ذلك فى النهاية الى تحديد القدر اللازم لكل فرع من أفرع القوات المسلحة . ثم تجرى موازنة بين ما يلزم من القوة البشرية ، ودرجة استعدادها وبين نفقات البحوث والتطوير ، ونفقات بناء القواعد ، والايواء العسكرى ، وغير ذلك لكل فرع من هذه الفروع .

هذا التحليل المعقد يؤدى الى حلول وأراء متعددة تدخل فى نطـاق التحليل النوعى والكمى ، وهى من اختصاص العقول البشرية أولا وأخيرا . ومستويات القوة الناتجة من هذا التحليل لا تنطبق أبدا على ما يطالب به الجنرالات . وعادة لا يكتفى بما يعطى الا قلة منهم . من المحتم وضع نظام للاسبقية ، يجعل الاقل أهمية فى آخر القائمة . ويتحتم أيضا وضع علامة حمراء تحذر من الاخطار المحسوبة فى كل مجموعة ، وتحدد بدقة المطالب ذات الاسبقية الاولى ، ولتأكد أن الاخطار والمطالب معروفة جيدا على كل المستويات العليا فى الحكومة والكونجرس .

ماذا نستطيع أن ننفق على الدفاع ؟ يعتقد أدوين ديل الخبير المالى والاقتصادى لجريدة النيويورك تيمز اننا « طبقا للمفهوم الاقتصادى ، أى رقم .... وعلى وجه التحديد أى رقم نريده ، لا يسبب تضخما أو نتائج اقتصادية سيئة ، وكل ما نطلبه هو معدل ضريبى صحيح وانفاق داخلى يحققان توازن الميزانية » . فميزانية دفاع وطنى قدرها ٩٠ بليون دولار فى عام ١٩٧٥ تمثل ٧٫٥ فى المائة من مجموع دخلنا القومى المتوقع لذلك العام ، وهو يعادل ٨٫٥ فى المائة من دخل عام ١٩٦٩ . ويعتقد مستر ديل « اننا نستطيع أن نوفر دفاعا فعالا يتضاءل معدله بالنسبة للدخل القومى حتى يصل الى من ٦ الى ٧ فى المائة فى نهاية حرب فيتنام » .

سيؤيد كثيرون تقدير مستر ديل ، وسيعارضه آخرون . ولكن النسبة فى ميزانية دفاعنا ودخلنا القومى فى المستقبل ، سوف تتوقف الى حد كبير على موقف العالم حولنا ، ومدى تهديد العدو . وموقف العالم لا يتسم

بالاستقرار ، كما أن مدى التهديد ليس ثابتا ولا جامدا . التسليح الحديث يحتاج تكاليف باهظة ، ولكن بدونه لا يمكن أن تبقى قوة عالمية فى موضعها بالنسبة لباقى القوى فى العالم .

كما أن الجندى الامريكى ـ وهو يأتى من أعلى مستوى معيشى فى العالم ، ويعيش حياة مدللة فى وطنه ـ يكلف أموالا كثيرة ، اذ تنفق ثلث ميزانية الدفاع الامريكية على القوة البشرية ـ على المرتبات وغيرها ـ وتكلف ما يقرب من ١٠٠٠٠ دولار سنويا لكل فرد (للطعام والسكن ، والملبس ، والمرتب ، والعناية بمختلف شئونه) من الاركان حرب فى الخارج ، تقل الى ٧٠٠٠ دولار فى الداخل (١٢) . واذا ما أردنا تقليل جزء من ميزانية الدفاع بالنسبة لدخلنا القومى فسوف لا نستطيع أن يكون لدينا نظام تسليح حديث وقوة عسكرية كبيرة فى نفس الوقت ، بعد انتهاء حرب فيتنام .

تحتاج الالتزامات القارية والجيوش الكبيرة الى حشد بشرى ضخم ، ولكن الاستراتيجية المحيطية لا تحتاج الى مثل هذا الحشد .

يجب أن تكون الاسبقيات واضحة ومحددة فى أى ميزانية دفاع للغد كما يأتى : (١) تسليح لا يجارى . (٢) سيطرة فى الجو وعلى المحيطات وفى الفضاء الجوى . (٣) قوات برية خفيفة الحركة ، صغيرة الحجم ، جاهزة للعمل ، يساندها بناء ادارى ، ونظام تعبئة قادر على توفير قوة احتياطية ضخمة .

هذه الفكرة تحتم الاهتمام بالقوات المحترفة لمدة طويلة أكثر من العناصر المجندة لمدة قصيرة . وقوات المتطوعين المحترفين لها عدة عيوب يجب التغلب عليها من أجل تحقيق فعالية فى القتال والديموقراطية . ففى بعض الاحوال ، تميل القوات المحترفة الكبيرة الى الانحراف الى اتجاه مخالف لاتجاه الدولة التى تحارب من أجلها . لذلك يجب اتخاذ الحيطة نحو ظاهرة الانفصالية، ونمو القوة فى فراغ. يجب ربط هذه القوات جيدا بمجتمع المدنيين ، ويجب أن تستمر دورات تدريب ضباط الاحتياط ومدارس ضباط القوات المسلحة فى اعطاء دورات قصيرة لضباط القوات المسلحة، كما يجب أن توثق الجامعات والمعاهد العلمية ارتباطها بالبنتاجون . لان انعزال وعزلة العسكريين من أقوى العوامل التى تساعد على قيام دولة داخل دولة . ولكن التحول من أسلوب التجنيد الاجبارى الى التطوع يجب أن يتم بالتدريج وبنظام ، ولا يستطيع أحد أن يقدر بالتأكيد ما اذا كان من الممكن مقابلة المطالب العسكرية اللازمة ـ من الان حتى اعادة تقدير الموقف ووضع نظرية استراتيجية جديدة ـ بواسطة المتطوعين فقط .

وخلال العشرين عاما الماضية ، وافقت قلة من الحكماء ممن يعملون فى وضع سياسات الامن القومى على الغاء نظام التجنيد من أساسه ، مع استبقاء جهاز ادارى . اذا كان ذلك ضروريا . على أن تقابل الازمات التى تحتاج لقوة بشرية أكبر من التى يمكن حشدها عن طريق التطوع وحده ، كالازمات التى تتضمن مساسا حقيقيا بمصالحنا القومية الحيوية ، بتعبئة القوى البشرية كالقوى الصناعية فى البلاد .

ولكن هناك كره دفين للتجنيد الاجبارى وقت السلم منذ الماضى البعيد . وكان قد تخلف عن مشاعر كثيرين من أجدادنا هاجروا الى أوروبا هربا من التجنيد الاجبارى . وقد أثارت حرب فيتنام شعور الامريكيين بالكره نحو تجنيد الجنود تجنيدا اجباريا الى أقصى حدود الاثارة . وأصبح التجنيد الاجبارى بؤرة المعارضة الموجهة للنظام الحاكم . وكان بعض من واجهوا الجزاء لمخالفاتهم ، شرفاء وأوفياء فى معارضتهم . ولكن آخرين استغلوا معارضة التجنيد كستار نبيل لما يبغون تحقيقه من أهداف أنانية غير نبيلة .

من الواضح أن الامر يقتضى تعديل نظام التجنيد الاجبارى ، كله أو جزء منه ، ليصبح أكثر عدالة ، توطئة لاستبداله ـ عدا فى أوقات الازمات الكبرى ـ بنظام لتجنيد قوات من المتطوعين المحترفين . لقد وضعت التعديلات المطلوبة ، اذ أن نظام الاقتراع « العشوائى » لكل من يبلغ تسعة عشر عاما (وهو منفذ الان) ، مع الغاء كل مسببات التأجيل ، سوف يكون أكثر عدالة من النظام السارى منذ عقدين من الزمان . وليس هناك ما يمنع الاقتراع مسبقا قبل بلوغ التسعة عشر عاما (أو عند التخرج من المدارس العليا أيهما أسبق) لتحديد أسبقية الاستدعاء حسب الارقام المقترعة ، وبذلك يستطيع المقترعون تنظيم خطط حياتهم . يجب الا يكون هناك تأجيل لطلبة الجامعة ، فليس من الصواب استثناء فئة خاصة من التزامات المواطن . وحتى الان ، جاءت أغلب متاعبنا ومعوقاتنا من أهل الفكر الذين يعملون داخل الابنية وفى حجرات الدراسة ، الذين لم يخرجوا من برجهم العاجى قط ، والذين لا يستطيعون الرؤيا أبعد من أفقهم المحدود . واذا لم يقترع الشاب فى العام التاسع عشر من عمره فانه لا يستدعى الا فى وقت الازمات الكبرى التى تتعرض لها البلاد ، وحينئذ تكون كل مجموعة من سن معين حتى سن ٣٥ عاما معرضة للاستدعاء فى مثل هذه الظروف .

والافضل أن يبدأ التحول الى هذا النظام بفترة تجريبية ـ سنة أو سنتين ـ ، بعد أن تخفض تبعاتنا فى حرب فيتنام الى أدنى حد يطبق خلالها نظام تطوع بالكامل ، أو مع تجنيد اجبارى فى أضيق نطاق .

اذ لا يستطيع أحد أن يقدر اذا ما كان مثل هذا النظام بمحاسنه سوف يغطى مطالبنا ، الا بعد تجربته ، وتحديد مطالبنا لمقابلة كل استراتيجية جديدة بطريقة أكثر واقعية عما هى الان . وبعد اعادة دراسة التزاماتنا العالميـــة .

لقد بالغ بعض المعلقين فى تضخيم عيوب القوة العسكرية التى تعتمد بالكامل على نظام التطوع للاحتراف . واذا استغلت المرتبـــات الكبيرة كحوافز لاثارة الرغبة للخدمة فى أفرع القوات المسلحة فان الجيش سوف يتحول الى « جيش من المرتزقة » . وخطورة مثل هذا الجيش الحقيقية لا تكمن فى شغفهم بالاستيلاء على الحكم ، ولكن تكمن فى تردى كفايتهم القتالية . والعسكرية الحقيقية ـ طبقا للمفهوم البروسى ـ تفتقـدها القوات الامريكية المسلحة الى حد كبير ، لان نظام التجنيد يأخذ من كل طبقات المجتمع ، ولان الاوتوقراطية الطبقية فى بلادنا أكثر مرونة من ناحية التأثير على اختيار ضباط القوات المسلحة ووضع نظامهم منها فى أى جيش آخر ، ولان نظام تعليمنا العسكرى المتقدم جدا يرتبط الى حد كبير بنظام التعليم فى البلاد .

وقوة المتطوعين المحترفين لا تؤدى بالضرورة الى خطر البروسية ، أى قيام « دولة داخل الدولة » ولكن خطرها الحقيقى هو تقاعس الهمم وضعف الارادات وانخفاض الكفاءة القتالية اذا ما استعوضت الحكومة الدولار كحافز بدل أمجاد الماضى المثيرة . والمرتزق يستطيع أن يقـــاتل ، ولكن الجندية سوف تتحول الى عمل وظيفى ، بعد أن كانت مهنة مشرفة . ولكن مفاخر الخدمة العسكرية ، والتقاليد والمثل التى تدفع الرجال الى الموت طوعا فى سبيل الوطن أهم من الدولارات بالنسبة لكثير من الرجال ، خصوصا الرجال الذين يعملون كجنود محترفين . ومن الواضـــح أن القوات المسلحة لم تنجح نجاحا كافيا فى اذكاء حوافز الماضى عندما كانت الخدمة العسكرية مفخرة والجيش بيتا يسكن اليه الجندى . لقد تجاهلنا التقاليد وحرفناها ، والعلم الذى رفعه بيرى فى موقعة بحيرة ايرى الموضوع فى صالة احتفالات الكلية البحرية بجوار الكلمات المجيدة التى قالها لورنس أثناء وفاته « لا تستسلموا بالسفينة » حلت محلها الســـخرية من أسر الكوريين الشماليين للسفينة بوبيلو دون قتال ، وتبدلت صورة هذا العلم «بعلم بوتشر» كتعليق ساخر من شباب البحرية على هذا الحدث» . وامتهن كثير من الضباط وبينهم من وصل الى رتب عالية ، تقاليد مهنتهم وهدموا ما وضعه فيهم الرئيس من «ثقة خاصة ورجاء» بتصرفاتهم المشبوعة وجبنهم وسوء حالتهم المعنوية وتطبيقهم لمثل وأساليب يعتنقها العدو ـ بان الغاية تبرر الوســـيلة .

اذا كانت حوافز العمل الصحيحة ـ الحوافز المالية ، والترقيــة ، وزيادة الاختصاصات ـ بالاضافة الى المكافآت المالية وتمجيد التقاليد العظيمة وشرف الخدمة العسكرية ، وليست زيادة المرتبات فقط ، هى المؤثرات والحوافز المشجعة فان قوات المتطوعين المحترفين سوف تبز جيش المجندين من ناحية الكفاءة فى وقت السلم الى حد كبير جدا . لان معدل التغيير بينها سوف يكون قليلا . والمهارات بينها سوف تكون أكثر ، وقياداتها سوف تكون أكثر تقدما وتطورا . ومما لا شك فيه أن مثل هذه القوة المحترفة لمدة طويلة سوف تكون أنسب لما يحتاجه عصر التكنولوجيا .

القدرة على بناء مثل هذه القوات أو عدم القدرة على بناءها فى الظروف الحالية شيء لا يمكن تحديده على وجه التحقيق . لان مشكلات أى دولة تنعكس بالضرورة على مشكلات جيشها . وفى بلادنا مشكلات عديدة . لقد ولت مبادىء التجانس والارتباط الاخوى التى كانت تحكم تكوين قواتنا المسلحة الصغيرة منذ ثلاثين عاما ، والارجح أنها لن تعود . وتولدت عدة مشكلاتنتيجةاندماج مختلفالاجناس البشرية فى القوات المسلحة ، وهى مشكلات لا يسهلحلها بعد أناثرت علىوحدة الفكر ووحدة الغرضوتكامل الوحدات الذى كان قائما فى يوم ما . والاحتكاكات العنصرية التى ما زالت قائمة أبعد عمقا وأشد تأثيرا مما تسمح به ظروف الخدمة العسكرية ، وقد أدت الى فقد الثقة فى بعض الوحدات العسكرية .

اذا أردنا أن يكون لنا قوات مسلحة نستطيع الاعتماد عليها ـ وخاصة اذا أردنا أن تكون من المتطوعين المحترفين ـ فيتحتــم أولا حل هــذه المشكلات . يعتقد بعض المعلقين أن قــوة كلها من المحترفين المتطوعين سوف لا تكون الا جيشا من الفقراء والسود ، كما يبدو . سيحدث ذلك فعلا ، خصوصا اذا كان المرتب هو الحافز الوحيد ، واذا ما واصل رجال الاجتماع والسياسيون فرض سياسات جانبية . ومرتب الجندى مضافا الى العلاوة التى يحصل عليها جندى المظلات ، وهذا أعلى مرتب وصل اليه الجندى الملون فى الجيش فى هذه الايام ، هو العامل الذى يجذبه لقيد واعادة قيد نفسه للخدمة فى هذه الوحدات ، مما أدى الى تزايد نسبة الســـود بين العناصر المقاتلة ، فى فصـــائل وسرايا البنادق خصوصا فى وحـــدات المظلات ، لان انخفـــاض مســـتوى تعليمهم لا يجعلهـــم صالحين لمهارات أعلى من مهارات جندى المشاه . كما أن سياسة تأجيل التجنيد المجحفة تؤدى الى الابتداء بتجنيد من لا يذهبون الى الجامعة . ولكن هذا الموقف لن يستمر اذا ما ترك رجال السياسة والاجتماع الخدمة العسكرية وشأنها . لان القوات المسلحة تستطيع تحديد النســبة بين أجناس المجندين والوظائف المخصصة لهم اذا أعطيت لهم الفرصة لتحديد ذلك . هذه ليست مشكلة جديدة ، اذ تبقى بعد حرب كوريا نسبة كبيرة

من السود غـير المحاربين ذوو مدد الخـدمة الطويلة ، الذين أعادوا قيد أنفسـهم مرارا ، والذين رقوا بالاقدمية لا بالـكفاءة ، وكان أغلبهم لا يملكون مزايا تقتضى استبقاءهم . وقد حلت هـذه المشكلة عن طريق الاحالة الى التقاعد والسيطرة على التعيين واعادة القيد . اذا أرادت الدولة قوات محترفة ذات كفاءة قتالية عالية حقيقية ، فيجب الا تسـمح بتكرار هذه المشكلات . وكثيرا ما حاول رجال الاجتماع والاخصائيون ورجال السياسة بشكل خاص ، استغلال القوات المسـلحة لتحقيق مكاسب شخصية واجتذاب أصوات الاقليات . اذ أنه أثناء نظام حكم سابق قريب وضع أحد المصححين فى البنتاجون اقتراحا يقضى بأن تكون نسبة المقبولين السود للدراسة فى الكلية البحرية هى ٢ الى ٣ دون النظر الى المستويات . ولكن خفض المستوى للاقلية أو لاى مجموعة مميزة وارتفاع المستوى للباقين يتعارض مع الاحتراف ، وسوف يؤدى ــ فوق ذلك ــ الى اثارة الحزازات العنصرية العنيفة التى تسبب صدعا خطيرا للقـوات المسلحة . لا يمكن السـماح بمستويين من المؤهلات أو بمستويين من الانضباط . وسماح القوات لبحرية للسود بقص شعرهم بطريقة خاصة (القصة الافريقية) فى محاولة لتخفيف الاحتكاك ما هو الا سماحا بازدواج المستوى وبنوعين من الانصباط . قد يكون فى ذلك قبلة الموت . والضغط السياسى المستمر لتخفيف الانضباط ، ومحاباة الاقليات ، والتسامح مع المخالفين للنظم العسكرية ، والمحامين الذين يدافعون عن الذين يرتكبون أخطاءا تصـل الى حد التحريض على العصيان « بتوزيع المنشورات السرية » فى القهاوى والمنتديات ، كلها عوامل خطيرة تؤثر على الكفاءة القتالية لقوات المحترفين ، ولا يسمح بها أبدا . وكما قال الجنرال جورج مارشال الاخير « اذا كان عندنا نادى سياسى فلا يمكن أن نسميه جيشا » ولكن هذا لا يعنى أن نحكم بالفشل على مثل هذه القوات . والعودة الى المستويات القديمة ، والى السيطرة على الادارة والانضباط والقيد فى الخدمة العسكرية ــ اذا سمح لافرع القوات المسلحة بتطبيقها ــ يمكن أن تؤدى الى منع تحول قوات المتطوعين المحترفين الى « جيش الفقراء والسود » أو « النادى السياسى » الذى يخشاه المراقبون .

هناك كثير من المشاكل الحقيقية والمشاكل الصـعبة فى التحول من طريقة الاجبار الى أسلوب الاقناع ، من الخدمة التى تعتمد أساسا على المجندين الى التى تعتمد كلية على المتطوعين . أولها يتعلق بتجنيد الطلبة الضباط ذوو المستوى العالى . وكليات افرع القوات المسلحة هى المصدر الرئيسى الذى يمدها بالضباط ، والذى يمد الدورات الطويلة الاخرى ، ودورات تدريب ضباط الاحتياط ، ومدارس المرشحين الضباط . والى الان ، يأتى أغلب الضباط الذين يخدمون لفترة محدودة ثم يعودون الى وظائفهم المدنية من دورات الضباط المرشحين ، ودورات تدريب ضباط

الاحتياط وبرامج تدريب طيران متعددة . ولكن كليات أفرع القوات المسلحة تواجه الان بنطاق أضيق من الاختيار ، اذ يتوفر لها عدد أقل من المؤهلين نتيجة لتأثير الضجيج العالى المعادى لحرب فيتنام ومعارضة أعداء العسكرية الجدد . وليس ما سمى بالثورة ضد برامج تدريب ضباط الاحتياط الا علامة على الانحراف ظهرت فى الشرق الليبرالى الراهن بشكل خاص — فى كليات جامعة ايفى بالتحديد — ولو أن هذه الكليات ، هارفارد وييل وبرنستون ودارتموث وكولومبيا ، لم يبلغ عمرها فى الواقع الأ عشر سنوات أو أكثر من وجهة نظر الحكومة ، فى مجال تخريج ضباط احتياط من مستوى عال . وانسحابهم من هذا البرنامج أو تحديدهم له سوف لا يكون له تأثير على الرقم القومى الكلى للمدربين من ضباط الاحتياط . وقد يؤدى ذلك الى الاضرار بجامعة ايفى اكثر مما يضر ببرنامج تدريب ضباط الاحتياط على المدى الطويل . قد يكون هناك حاجة لتعديل هذه البرامج ولكن ليس لالغائها . وهناك ثلاثة شروط أساسية لازمة لتوفير ضباط متخصصين محترفين على مستوى عالى للقوات المسلحة المحترفة على المدى الطويل وهى :

١ — المحافظة على مستويات جثمانية وعقيلية ومعنوية عالية فى كليات أفرع القوات المسلحة ، والمحافظة على الغرض الاساسى منها كمدارس للجنود ، مدارس للبحر ، مدارس للجو .

٢ — المحافظة على دورات تدريب الضباط الاحتياط والتوسع فى جميع أفرع القوات المسلحة لتوفير « الجنود المدنيين » و « البحارة المدنيين » و « الطيارين المدنيين » وهم لازمون — خصوصا بالنسبة لقوات المتطوعين على المدى الطويل — لتوفير حلقة الاتصال بين أفرع القوات المسلحة والمجتمعات التى يخدمون فيها ، ولتوفير بعض المهنيين المحترفين للخدمة العسكرية العاملة والضباط الاحتياط اللازمين فى حالات الطوارىء .

٣ — المحافظة على مدارس المرشحين الضباط فى مستوى مرن ، قابل للتخفيض عندما تقل الحاجة للضباط ، يتسع فى وقت الطوارىء ، لتوفير الضباط الاصاغر لافرع القوات المسلحة وصف الضباط للرتب الاخرى .

سوف يتأرجح حجم القوات المسلحة الامريكية فى عالم الغد تبعا لرياح التغيير ولكن ، فى نطاق الحدود السياسية والاقتصادية التى يضعها النظام الحاكم . يجب أن يصل حجم قواتنا المسلحة الى ما يكفى لمقابلة الظروف العارضة القابلة للاشتعال ، لحراسة خطوط الملاحة البحرية الحيوية

والسيطرة عليها وعلى الفضاء الجوى ، ومقابلة الاحداث القارية الطارئة حول الشريط الساحلى التى تقتضى اشراك قوة أمريكية مسـلحة حتى ١٠٠٠٠ فرد . على أن أى حرب تحتاج لاشراك قوة أكبر ، لا نحاربها بقوة المحترفين فقط . يستطيع المحترفون مقابلة المواقف الطارئة . وهذا من واجبهم ، فهم خط الدفاع الاول . ولكن تجربة الفرنسيين فى الهند الصينية أثبتت انه اذا حرم المحترفون من معاونة المجندين المواطنين ، واذا حاربت القوات المسلحة حرب استنزاف طويلة دون مساندة الامة عن كثب ، فان النتيجة المنتظرة هى انسلاخ القوات المسلحة عن جسم الامة . ومن المحتم فى عصر أسلحة الفضاء المدمرة مواجهة الازمات بعمل تنفيذى يصـدق أو لا يصدق عليه الكونجرس . ولكن تصديق الكونجرس على اعـلان الحرب هو شىء حتمى لمواجهة أى نزاع كبير أو ممتد ، اذا ما أردنا أن نحافظ على العلاقة بين القوات المسلحة والدولة .

كان تنظيم وزارة ادفاع وأفرع القوات المسحة فى الثلاثين سنة الماضية نتاج لقوات مسلحة غير متناسقة سيئة التنظيم تخضع للتوجيه السياسى والسيطرة الاستراتيجية التى يصدرها الرئيس ، والى بيروقراطية تركز السلطة على أعلى مستوى فى حشد مفرط من الموظفين . فبفضل الغـاء نظام المراجعة العسكرية التقليدى ونظام الموازنة بين السـلطات وكانا مطبقان فى الماضى (١٣) ، وتركيز سلطة وضع السياسة وسلطة الامداد والادارة وسلطة القيادة فى أيدى قليلة فى واشنجطن ، وبفضل النشرات التفصـيلية الخاصة بأسلوب العمـل والتخطيط والعمليـات والتكتيك والتدريب والاستراتيجية ، وبفضل شبكات القيادة والسيطرة الممتـدة بعيدا ، التى وفرتها المواصلات الحديثة ، أصبح محللى العمليات وخبراء الادارة وجنرالات القيادة فى مركز القيادة فى واشنجطن يتحكمون فى تاريخ الولايات المتحدة الامريكية . واديرت حروبنا الحديثة — وخاصة حرب فيتنام — من واشنجطن . وقام الرئيس أو وزير الدفاع بعمل قائد الفصيلة أو الجناح أو المدمرة فى بعض الاحوال . قد حدث ذات مرة ، أثناء أزمة الدومنيكان ، ان أمر جنرال أمريكى يحمل أربعة نجوم ، القائد الامريكى فى الموقع بتحريك دبابة واحدة مربع واحد .

ادت هذه المبالغة الزائدة فى تركيز السلطة ، وتركيز السيطرة ، وتزايد الضباط والوكالات ، واللجان ، والبيروقراطية ، ادت الى تقاعس العنصر الضارب فى القوات المسلحة . وكل ذلك بالاضافة الى الازدراء الذى كان يكنه ماكنمارا لكل « عقلية عسكرية » مع ضـعف ولاءه لمن هو أدنى منه وميله الى الانفراد بالعمل ، وتبرمه من كل من يعتقد انه يعارض سياسته من الضـباط ، كل ذلك أضعف المبـاداة وقيد المرونة وأثر على الروح المعنوية (١٤) . فى السنين الاخيرة ، تعلم الضباط أن أفضل طريق للحصول

على المرتب والترقى يقتضى أن لا تتخذ اجراءا الا بعد أن تبلغ ، وغلب الميل الى التمرير الى أعلى - يبلغ الاقدم منه ويدعهم يضعون القرار . وكانت قضية بويبلو تجسيما لهذا الاتجاه . هناك قواعد ثابتة لا يمكن مخالفتها ، معروفة جيدا فى جميع أفرع القوات المسلحة . قائد السفينة مسئول عن سفينته ، ولا يمكنه أن يسمح ، اذا كان لديه أى وسيلة للمقاومة ، بوقوعها فى يد العدو « لا تسلم السفينة » . ولم يكن لولى بوتشر قائد السفينة وحده بل كان كل من يعملون فى سلسلة القيادة القائمة بالعمل أثناء هذه الحادثة غير حاسمين ، بطيئى التصرف ، تنتصهم القدرة على المبادأة (١٥) . والسبب الاساسى كان الميل الى « الرجوع الى الخلف » للسلطة الاعلى من أجل اتخاذ القرارات . ولكن البيروقراطية المتثاقلة المعقدة القائمة فى واشنجطن الان ، والتى تبث عيونها فى القيادات الادنى الموزعة فى جميع أنحاء العالم ، غالبا لا تكون قادرة على اتخاذ قرارات فورية .

منذ أن حاول جيم فورستال ، أول وزير للدفاع ، السيطرة على وضع السياسة فى البنتاجون ، تطع تطور تنظيم القوات المسلحة دورة كاملة . ولكن تصحيح الاخطاء الناتجة عن المبالغة فى التركيز والسيطرة لم يتم الا فى الشهور الاخيرة فى بعض النواحى فقط . والحكم على كفاية هذا التصحيح أو عدم كفايته لا يمكن أن يتم الا بحرب أو أزمة طارئة .

وضعف المبادرة ، وكانت المبادرة احدى الخصائص التى يتميز بها الامريكيون ، والبطء فىاتخاذ القرارات فى أوقات الازمات سارا متلازمان فى البنتاجون الجديد - وخاصة منذ عام ١٩٦٣ - وانعكس ذلك على تنفيذ وتحويلتصميمات الاسلحة الموضوعة علىالورقالى واقعملموسوانتاجها. وامتد وقت التصنيع - الوقت الذى يمر بين وضع فكرة السلاح وانتاجه - بالتدريج ، وكان قصر هذا الوقت من أهم خصائص انتاج الاسلحة فى أمريكا ، وعلى سبيل المثال تمكن الاتحاد السوفيتى فى كثير من الاحوال من وضع تصميم سلاح وانتاجه فى فترة وبتكاليف أقل مما نستطيع .

عندما بدأ ماكنمارا العمل فى الوزارة ، استن نظاما لمراجعة وتحليل مشروعات الانتاج ، كما اتبع أسلوبا للتخطيط ووضع البرامج والتمويل تضمن العديد من اجراءات المراجعة والموازنة لضمان منع تكرار العمل وتلافى النفقات الغير ضرورية . كانت فكرة ايجابية مثل كثير من الافكار التى جربت فى واشنجطن ، أدت الى منع الاسراف عند البدء فى تطبيقها . ولكنها أدت الى تدخل كثير من السلطات . واتجهت المعاملات بالتدريج الى المركزية فى الوزارة . وزادت حاجة البنتاجون والكونجرس الى المراجعة والفحص ، والى تقارير كثيرة من المتعاقدين مما أدى الى طول

وقت التصنيع وبطء نظام الانتاج كله . وكان القصد من « خطة التدبير الكلى » للسلاح ، مع اثارة التنافس بين المعاقدين على الورق ، توفير النفقات . ولكنها لم تفشل فى تحقيق ذلك فقط بالنسبة لانتاج أشياء هامة — مثل الطائرات ف - ١١١ — بل أدت أيضا الى اطالة وقت التصنيع .

التنافس المحدود بين افرع القوات المسلحة يعتبر علامة صحية . اذ أدى التنافس بين الجيش والقوات الجوية والقوات البحرية الى انتاج كلا نوعى موتورات الطائرات التى تبرد بالهواء وتبرد بالسوائل ، وكلاهما كان ضروريا لتحقيق النصر فى الحرب العالمية الثانية . كما كان انتـاج الطائرة ف ٤ المستخدمة الان فى القوات الجـوية والبحرية نتيجـة لهـذا التنافس . وقد أدى نظام التعاقد القديم — ويتضمن عمل نماذج أولية للاسلحة طبقا لمواصفات خاصة بواسطة عدة متقدمين للعطاء — الى توفير أفضل الاسلحة ، كما ادى الى توفير النفقات فى أحوال كثيرة . كانت القوات البحرية والقوات الجوية تقوم بتحديد نوع الطائرة التى تريدها والعمل المطلوب منها أداؤه ، وعلى ضـوء ذلك يقوم كل من يرغب من المتعاقدين بعمل نماذج منها للتجربة والمنافسة ، التى على ضوئها يفـوز المتفوق بالعقد . ربما تكلف هذه الطريقة تكاليف باهظة اذا طبقت على توفير الاسلحة الكبرى فى هذه الايام ، ومن المحقق أن توفير التكاليف كان أساسا للنظام الذى وضعه ماكنمارا ، والذى بمقتضاه اختبرت وصنعت الاجزاء الرئيسية وتنافس المتعاقدون فى سباق لوضع التصميمات على ورق دون استخدام أى معدن . ولكن هذه الطريقة أدت الى فشل واضح فى بعض الاحوال ، وقطعا ، لم تؤد الى انتاج افضل الاسلحة فى اقصر وقت ممكن .

ركزت السلطة فى أعلى مستوى فى مجالات التدبير والادارة ، وتعاقب انشاء مستويات لها سلطة المراجعة مستوى بعد مسـتوى فى سلسلة القيادة والادارة . وكان لكل هذه المستويات تقريبا ، سـلطة المنع أو التعطيل ، ولم تكن تملك سلطة التصديق . وتضخمت اقسـام وزارات الدفاع — الامدادات ، والاستخبارات ، والمواصلات — فى ظل نظـرية الاصناف ذات الاستخدام العام . ولم يتحقق فى الواقع أى وفر فى الافراد لان أقسام الرئاسة العليا تستوعب عددا أكبر وليس أقل من الافراد . وعمل الرجال والنساء على نقل مكاتبهم واختصاصهم من أفرع القوات المسلحة الى وزارة الدفاع . ولم تكن نتيجة ذلك فعالية أكثر الا بالنسبة للاتصال . وانعكس النظام الهرمى ، حقيقة ، رأسا على عقب . والارجح، انه لم يحدث فى تاريخ الصراع البشرى أن قادت الكثرة مثل هـذه القلة من الافراد وأدارتها .

من المحقق أن ارتفاع كفاءة التنظيم الاعلى في واشنجطن يؤدى الى وفر فى النفقات وفى الوقت اللازم لوضع القرار ، ولكنه لا يخلق المعجزات. واذا ما أردنا تحويل هذه الكفاءة الى فعالية قتالية أعلى فى ميدان المعركة وجب تحسين نظام القيادة والاركان فى أفرع القوات المسلحة ، وكذا تحسين سلاسل القيادة لتصبح أكثر فعالية واستجابة .

أدى التحول فى نظام توحيد القيادة بعد الحرب العالمية الثانية من نظام قيادتين برية وبحرية لا تخضعان الا لقيادة رئيس الجمهورية الذى ينسق العمل بينهما ، الى النظام الحالى لافرع القوات المسلحة الاربعة — الذى يزداد الى خمسة فى وقت الحرب بعد اضافة ممثل خفر السواحل — الذين يعملون فى قيادة موحدة تحت قيادة قادة مسارح العمليات فى مختلف أنحاء العالم ، والتى يوحد بينها وزير الدفاع من خلال التنظيم المنسق لرئاسة هيئة الاركان حرب المشتركة ، أدى ذلك الى ابتلاع عدد كبير من الضباط الاركان والى زيادة الانفاق . كما أن الرغبة فى التوحيد والتعميم أدت الى وضع « قوانين » أغلبها مكتوبة ، جامدة صارمة تقضى بأن يكون لكل من أفرع القوات المسلحة ممثل فى كل قيادة موحدة ، وأن يعمل هؤلاء تحت قيادة قائد هذه القيادة . وقد نتج عن ذلك تحول نظام الجيش — البحرية المزدوج القديم الى نظام ثلاثى . ولكن ليس هناك شك فى أن انشاء ادارة مستقلة للقوات الجوية فى عصر تكنولوجيا الفضاء ساعد على توفير جهاز يستطيع تخيل تطور التسليح والافكار والنظريات التى قد تكون لها أهمية عظمى فى عالم الغد . ومن جهة أخرى ، ليس هناك شك أيضا فى أن الدولة تكلفت بلايين أخرى بسبب التنظيم المضاعف ثلاث مرات وأربع مرات ، ليس فى واشنجطن فقط ، ولكن فى جميع أنحاء العالم .

اللامركزية فى واشنجطن ، وتقليل العدد الهائل من البروقراطيين فى مستوى القمة ، وتركيز سلطة أكبر ومسئولية أكبر فى المستويات الادنى وخاصة فى هيئات الجيش والبحرية والطيران ، واستبعاد المطالب التى تسبب تزايد ضباط الاركان حرب المغرورين ذوو الثلاث تخصصات ، فى جميع أنحاء العالم ، سوف يؤدى كل ذلك الى ارتفاع الكفاءة وتقليل الانفاق . وهناك قيادات كثيرة من الطبيعى أن يكون لها تخصص واحد أو تخصصين . ففى فيتنام الجنوبية مثلا ، كان جنرال ويستمورلاند يعتقد بحق أن الحرب هناك كانت « عملا بريا » فقط .

بالاضافة الى تخفيض قوة القيادة والاركان فى واشنجطن وفى ميدان المعركة ، يجب توضيح حدود السلطات والاختصاصات لان ذلك شرط أساسى يجب توفره لنجاح القيادة والادارة وضمان سرعة اتخاذ القرارات.

لقد نشأت وكالات عليا كثيرة فى واشنجطن ، واصبحت تتدخل فى أعمال البنتاجون ، وغالبا ما يؤثر عملها على العمليات فى الميدان أو يسبب لهـا اربـاكا .

تفاقمت الميوعة فى تحديد المسئوليات ، وزادت سلسلة القيادات التى يجب تبليغ التقارير لها ، مما قد يؤدى الى ـــ كما ظهر فى حادثة بويبلو وفى حادثة القوات الخاصة فى فيتنام ـــ تعقـد الازمات ويعوق حلها . فوكالة المخـابرات المركزية ، ووكالة الامن القومى (المواصـلات ، والاستخبارات ، والشفرات والكود ... الخ) ، ووكالات أخرى عديدة، تعمل مع القوات المسلحة دون تنظيم العلاقة بينهم بطريقة واضـحة فى عدة أحوال . كان العسكريون أنفسهم مسئولين عن بعض هذا الارباك . اذ أن ميلهم المستمر لمضـاعفة الامن وحجب المعلومات تطبيقا لمبـدأ « المعلومات لمن تلزمه فقط دون غيره » أدى الى تقسيم سلسلة القيادة وهيئة الاركان الى فئات متباينة . وفى هذا العصر أصـبح الامن المطلق شيئا مستحيلا نتيجة للقدم التكنولوجى ، والتخلى جزئيا عن محاولة تحقيق الامن المطلق قد يؤدى الى فعالية أقوى .

يتحتم مقاومة اتجاه ساد فى وزارة الدفاع ، بل يجب عكسه . وهو اتجاه له نتائج خطيرة . ذلك هـو الميل لتركيز السلطة فى ايدى قليـلة وما يصاحب ذلك من فصل بين المسئولية والسلطة .

منذ بدأت عملية التوحيد ، ظهر لفترة ، حل سطحى مضلل للخلافات التى نشأت بين أفرع القوات المسلحة . وكان هذا الحل يتضمن تركيز السلطة فى قمة التنظيم الهرمى ، وانشاء تنظيم أكبر من الاركان العامة ، من الضباط الذين لا يتبعون لاسلحتهم ، ورئاسة هيئة أركان حرب عليا فوق كل أفرع القوات المسلحة . وبصرف النظر عن المظهر الخارجى لهذا النظام فهو ليس الا نسخة مطابقة للنظام الالمانى قبل الحرب العالمية الثانية، ولنظام هيئة الاركان حرب العامة فى الجيشين الالمانى والياباني . وفى ظل هذين النظامين شغل ضباط الاركان حرب العامة مراكز مختارة وباشروا سلطات ضخمة دون رقابة تذكر ، ودون مسئولية محددة بدقة . وقد أدى هـذا النظام الى قيام « تحريات عسكرية » ـــ وهذا شذوذ خطير عن المبادىء العسكرية ـــ أدت فى أول الامر الى تخطى السلطات المدنية بالتدريج ثم الى اغتصابها ، ثم الى الهزيمة المحيقة فى الحرب .

ذهبت النظرية الامريكية للتنظيم العسكرى الى حد بعيد ، بعيد جدا فى بعض الاحوال ، فى تطبيق هذا المبدأ الخطير ، فقد كان لرئيس هيئـة الاركان العـامة ، فى واقع الامر ، سلطة ضخمة ومسئولية محددة .

ووضع وزير الدفاع بسلطانه الضخمة المطلقة ورئيس هيئة الاركان العامة فى موقع متوسط يفصل بين الرئيس باعتباره قائدا عما وبين قادة افرع القوات المسلحة المسئولين ، بالرغم من أن حرب فيتنام اثبتت انه من المحتم توفر المشورة الحكيمة العميقة للرئيس ، ومنع محاصرته بمدرسة عسكرية بمفردها ، ومنع قيام دولة داخل دولة فى الولايات المتحدة الامريكية ، وأن ترتبط السلطة بالمسئولية يدا فى يد ، وان تجرى المراجعة والموازنة داخل البنتاجون كما هى خارجه ، وان يتضاعف دور كل رئاسة من رئاسات افرع القوات المسلحة ، وان يقوم الضباط رؤساء الاركان بعملين فى نفس الوقت ، أحدهما متعلق بسلاحهم والاخر من أجل التنسيق والتعاون ، كما يجب أن يكون الاتصال ميسرا ــ حرا وسهلا ــ بين المستويات الادنى والقائد العام .

لا يمكن أن يسلم أى تنظيم ضخم مثل وزارة الدفاع وادارات افرع القوات المسلحة من بعض الاسراف وقلة الفاعلية . فالضخامة والتعقيد ، وكلاهما صفة ملازمة لافرع القوات المسلحة فى الغد ، يؤديان الى شىء من الاسراف ، على عكس الماضى عندما كانت القوات المسلحة صغيرة وبسيطة وعلى مستوى أعلى من الانضباط والتخصص . ولكن تخفيض حجم القوة يعنى تخفيض قدرتها ، وما نادى به السياسيون منذ مدة ، بانه فى الامكان توفير البلايين برفع الكفاءة فى وزارة الدفاع غير واقعى ــ قد نستطيع توفير ملايين وليست بلايين ــ وقد تخفض الميزانية بلايين فى السنوات القادمة ، فاذا ما حدث ذلك فسوف يكون على حساب قوتنا . هناك مخاطر محسوبة لكل ميزانية دفاع ، قد تضاعف الخطر العسكرى (بتخفيض الميزانية) اذا قل الخطر السياسى ، أو اذا حتم الاقتصاد هذا التخفيض . ولكنه من المحتم أن نواجه المساومات . انه لرياء شديد ان ندعى أن فى استطاعتنا الاحتفاظ بنفس القدرة على الدفاع بنفقات أقل الى حد كبير .

اذا أردنا البقاء قوة عالمية ، فهناك حد أدنى لمستويات القوة التى يتحتم علينا الاحتفاظ بها كقاعدة للقوات المسلحة . وقد تسمح الاستراتيجية المحيطية ببعض التخفيض ، ولكن التخفيض الى مستويات ما قبل الحرب العالمية الثانية ، قطعا ، لا تبرره أى نظرية ، ولا أى استراتيجية عالمية ، ولا أى تصور لعالم الغد . والاستراتيجية المحيطية تحتاج الى أكبر واحدث اسطول فى العالم ، فيلق بحرى من ثلاث فرق بحرية ، كل من ثلاثة كتائب على سفن برمائية ، وواحدة أو اثنين فى القواعد الجزيرية المتقدمة ، وقوة جوية تعمل من قواعد بحرية لا يعوقها مانع ، وتفوق فى تكنولوجيا الفضاء ، وجيش حديث محترف ، أفضل جيوش العالم نوعا ، يساند كل ذلك احتياطى جيد الاعداد . ويبدو أن أقل حجم لازم من القوات المسلحة

فى العقد القادم يجب أن يصل الى مليون ونصف على الاقل ، وقد يزيد الى مليونين أو مليونين ونصف. لا يمكن أن نواجه جميع التحديات وكل المطالب باستراتيجية واحدة ، لأن القوات المسلحة لا يمكن تفتيتها ، كما اننا سوف نحتاج الى قوة عسكرية مشكلة من كل الانواع ومن جميع أفرع القوات المسلحة فى السنين القادمة . يجب وضع نظرية بحرية تكون أساسا للتخطيط وتكوين القوات فى المستقبل ، على أن القوات البحرية وقوات الفضاء الجوى ستكون عناصر أساسية لازمة للقوة الوطنية ، والرجل بمدفعه على الارض هو السلاح النهائى .

والمحافظة على مثل هذه القوات ، بصرف النظر عن التعاون الدولى الذى يبدو مستقبله مظلما ، وتحديد التسلح ، قد يكون عاملا مدعما فى كلا المجالين . وعلى مائدة المباحثات مع دول أخرى ، كثيرا ما كانت الولايات المتحدة الامريكية مثل التلميذ الساذج عندما يقامر . واذا نزعنا سلاحنا من جانب واحد ، واذا وقف الليبراليون وذوو العقول الجامدة من السياسيين حائلا يعوق تقدمنا التكنولوجى فسوف لا نستطيع الوصول الى ما نصبو اليه من غايات ، ولا تحقيق خفض للتسلح .

هناك خطر ، خطر رهيب ، لقد بدأنا الانزلاق فى منحدر خطير ، لقد دخلنا ، وفى الواقع ، استجدينا مباحثات السلام فى فيتنام ، ولكننا تجاهلنا الضغوط التى قد تجعل من المستطاع تحقيق السلام بالتفاوض . لقد اوقفنا قصف فيتنام الشمالية ، وصرفنا النظر عن امكان تحقيق النصر ، كما اننا نقوم بسحب قواتنا . كما اننا بدأنا مباحثات خفض التسلح مع روسيا السوفيتية من موقف قريب من الشعور بالضعف العسكرى . وقد أعطينا الفرصة لموسكو للحاق بنا والتفوق علينا فى مجال انتاج عناصر هامة من عناصر القوة الاستراتيجية — فى عدد وقوة الصواريخ الموجهة التى تستخدم بين القارات،الموضوعة على قواعد برية،وفى شبكة الصواريخ المضادة للصواريخ ، والصواريخ المتوسطة ذات المدى المتوسط وفى عدد القاذفات . ولكننا لا نزال محتفظين بتفوق فى عدد الصواريخ الموجهة الموضوعة على قواعد بحرية ، وان كان ذلك ليس مؤكدا ، أو سوف لا يستمر طويلا . لقد انتج الروس من ١٠ الى ٢٠ غواصة جديدة فى عام ١٩٦٩ ، ولم تخرج الولايات المتحدة الامريكية الا ٥ غواصات . وفى نهاية ١٩٧٠ ، سوف يكون لدى موسكو اسطول من الغواصات التى تسير بالطاقة النووية أكبر من اسطول غواصات الولايات المتحدة الامريكية المماثلة . واذا سار البرنامج بالمعدل الحالى حتى سنة ١٩٧٥ ، حينئذ ستصبح الولايات المتحدة فى المرتبة الثانية فى مجال الصواريخ الموضوعة على قواعد بحرية ، وبالنسبة للقوة النووية الضاربة عموما . لقد بدأت واشنجطن فعلا برنامجا لتخفيض التسلح من جانب واحد . وقد خفضت

نسبة كبرى من القوات المسلحة . واقتطع جزء كبير من ميزانية الدفاع قبل انتهاء الحرب ، وحدث ذلك لاول مرة فى التاريخ .

تحديد التسلح وتخفيض تكاليف سباق التسلح وتخفيف التوتر الذى يسببه هذا السباق كلها آمال مرغوب فيها . ولكن من المحتمل أن نكون قد حكمنا على جهدنا بالفشل ، لا يمكن للانسان أن يساوم بنجاح — أو بامان على اقل تقدير — من موقع ضعف ظاهر أو كامن . وسباق التسلح شىء خطير ولكن ضعف التسلح شىء أخطر . من المحقق أن أى معاهدة تؤدى الى انزلاق الولايات المتحدة الى موقف ضعيف سوف تجرنا الى الحرب أو الى ضياع اشياء عزيزة علينا . والحلول البديلة التى ينادى بها الليبراليون عشوائيا دون تفكير — مثل اقتراح وقف التطور التكنولوجى وخفض التسلح ، أو الدمار — لم تكن أبدا حلولا واقعية . قوة أعظم ، واختراعات جديدة لا تسبب نكبة لنا أبدا ، فقد حافظنا على الردع خلال ربع قرن من العصر النووى ، ويمكن المحافظة عليه فى الغد الخطير ، ولكن ليس من موقف الضعف ، وليس بتحديد التسلح من جانب واحد ، وليس بالشرف فقط ، وليس بقبول الفكرة الخيالية لشكل من « التكنولوجية المفتوحة » .

التحفظ وكبح الجماح — نعم ! والتعقل — نعم ! ولكن ، قطعا ، دون أن نهرب من مواجهة الحقائق ، الحقائق القبيحة ، كما هى . قد يسبب سباق التسلح اندفاعا جنونيا يمكن بل يجب السيطرة عليه ، ولكنه نتاج للتوتر العالمى وليس سببا له . المجتمعات الشيوعية التوسعية هى التى تولد هذه التوترات أساسا باثارة مشكلات أخرى ، سياسية واقتصادية واجتماعية . والاسلحة والتسلح سوف يلعبان دورا كبيرا فى تاريخ البشر حتى الوصول الى حلول لهذه المشكلات .

اذا ارادت الولايات المتحدة الامريكية أن تعيش الثلث الاخير من القرن العشرين دون أن « تموت أو تصبح حمراء » فيجب أن تبقى بارودها جافا .

وفى مجال التفسير العسكرى الحديث ، يمكن أن يترجم ذلك فى خمس اسبقيات أساسية :

١ — **تفوق فى الاسلحة الاستراتيجية** ، فالشعور بضعف التسلح النووى يهدد بفشل الردع ، ويضعف فرص النجاح فى أى نزاع تقليدى ، كما أنه يؤدى الى فشل دبلوماسيتنا .

٢ — **تفوق بحرى** . القدرة على استخدام البحار لاغراضنا وحرمان العدو من استخدامها اذا لزم الامر .

٣ — **الابحاث والتطوير فى مجال العلم والتكنولوجيا** . اذ أن زمن المعجزات لم ينته بعد ، والمفاجأة التكنولوجية لاتزال ممكنة .

أبحاث أساسية وتطبيقية نشطة فى مجال الاسلحة الهجومية والدفاعية وفى مجال خفة الحركة كلها مطالب اساسية لتحقيق الامن . لقد أبلغ د. جون فوستر ، مدير ادارة بحوث وهندسة الدفاع ، اتحاد الادارة والتعامل مع القوات المسلحة فى عام ١٩٦٩ « ان السوفييت يوسعون فى مجال الابحاث ويضاعفون جهودهم فى مجال الفضاء ، والدفاع ، والطاقة الذرية منذ السنين القليلة الماضية بمعدل يصل الى ١٠ فى المائة فى كل عام . وان الانفاق الامريكى فى مجال بحوث وتطوير الدفاع زاد ٤ فى المائة فى كل عام فى نفس الفترة ، وهذا لا يكفى لمسايرة التضخم التكنولوجى ، كما أن الانفاق على الطاقة النووية والفضاء قد يتضاءل فى واقع الامر » ونتائج ذلك تبدو واضحة فى السفن السوفيتية الحديثة فى فيتنام والشرق الاوسط ، وفى المفاجأة التكنولوجية التى ظهرت أثناء غزو تشيكوسلوفاكيا . استخدم الروس نوعا جديدا من الردة لم يكن معروفا فى الغرب حتى ذلك الوقت ، كوسيلة لتعمية رادارات براج . وهذه الردة ، كما وصفتها بعض المصادر « غازية » ، وهى فى الغالب نوع رقيق من الشرائط المعدنية مثل التى كانت تسقط من الطائرات فى الحرب العالمية الثانية . وقد امتد تأثيرها الفعال الى مناطق كبيرة .

٤ — **الاستخبارات** — الالمام التام بالعدو والعالم حولنا — تلك هى الصخرة الاساسية التى يجب أن تبنى عليها كل سياسة .

٥ — **تقصير وقت الانتاج** — الوقت بين وضع التصميم على الورق وبين الانتاج الفعلى ، لكل أنواع التسليح والمعدات .

٦ — **الاهتمام بسيادة الانسان ملك المعركة** ، اذ أن مستقبل الولايات المتحدة يتوقف على ارادته ومهارته . وفى الغد يجب أن تكون هناك مدرسة خاصة للقادة فى القوات المسلحة .

من الممكن بل يجب أن تكون مستويات القوة مرنة ، حتى يمكنها تقبل الزيادة والنقص فى الاسلحة والقادة . والمطالب الداخلية يمكن بل يجب أن تأتى بعد أسبقية المطالب الخارجية . قد يلزم تقبل مخاطر عسكرية معينة أكثر لتقليل المخاطر الاقتصادية أو السياسية . ولكننا اذا أهملنا أى من الاسبقيات الست التى ذكرناها ، حكمنا على أنفسنا بالخراب .

نظرية الاستراتيجية البحرية هى الانسب للموقع الجغرافى والاستراتيجى للولايات المتحدة الامريكية ، والانسب لميزة العبقرية

الامريكية التى جعلت بلادنا أكثر دول العالم تقدما صناعيا وأعظمها قوة تكنولوجية . وهى أفضل اطار نوائم فى نطاقه بين المتناقضات ونقابل فيه المطالب الداخلية والخارجية بالمصادر المتاحة والاموال المحدودة . وهى تعطى للأمن الخارجى كما تعطى لعلاج المشاكل والامراض الداخلية ، أن هذه الاستراتيجية تحمى مصالحنا عبر البحار ، وتقلل من احتمال اقحامنا فيما لا نرغب فيه .

الولايات المتحدة تقف مرة ثانية فى مفترق طرق تاريخى .

لقد دخلنا حقبة المباحثات . اذ تتباحث الولايات المتحدة مع روسيا ، وحلف وارسو مع الناتو ، لخفض التسلح وتخفيف القوات فى اوروبا . قد يكون ذلك تطورا حسنا يعطى أملا فى حياة الانسان ، وقد يكون فخا وتضليلا . يجب أن نضع فى اعتبارنا انه يستحيل على الانسان أن يضع نظام تفتيش مؤكد وموثوق فيه من الناحية التكنولوجية ، وممكن تطبيقه من الناحية السياسية فى نفس الوقت . والثقة هى العنصر الاساسى فى الاتفاق ، وصوت الافعال أعلى من صوت الكلام .

اذا كان الامل يجب أن يتحقق ، على الاقل بقدر محدود ، فيجب علينا أن نصعد قليلا على المنحدر الطويل من الهوة التى ابتدأنا فيها . يجب أن نستغل قوتنا لنفرض حدودا على القوة .

لا يمكن فى الواقع أن يكون هنـــاك طريق آخر ، يجب أن نتسـلح لنفاوض. والا فسوف تكون مفاوضات لا معنى لها، أو ندخل عصر مخاطر لا يمكن حسابها .

يجب أن نحفظ بارودنا جافا . واذا فعلنا ذلك ، فسوف لا يكون هناك يوتوبيا عالمية ، عالم فاضل ، ولكن سيكون هناك نفس العالم القديمبجميع مشاكل الانسان . سوف يكون عالمـــا ممكن أن نعيش فيه ، عالم يكون فيه الامن القومى للولايات المتحدة الامريكية ، ليس مؤكدا ، لانه ليس هناك أمنا مطلقا ، ولا ضمانا نهائيا ، ولكن مضمون الى حد معقول . هناك طريق فيه الأمل ، وآخر ، يؤدى الى السقوط والهلاك .

ملحق « أ »
الانتاج الصناعى

	الصلب	المونيوم	قوة كهربية
و. أ. م.	* ١٣٤١٠١٠٠٠	* ٢٩٦٨٣٦٦	* ١٣١٧٣٠٠
الاتحاد السوفيتى	١١٠٠٠٠٠٠٠ (١٩٦٧)	١٤٣٠٠٠٠	٥٥٦٨٥٥
اليابان	٥٢٦٧٣٠٠٠	٣٧١٧٧٨ (١٩٦٨)	٢٣٧١٦٨
المانيا الغربية	٣٨٩٢٩٠٠٠	٢٦٨٨٣٩	١٧٢٢٥٠
المملكة المتحدة	٢٧٢٣٣٠٠٠	٤٠٩٣٤	١٩٦١٨٧
فرنسا	٢١٥٨٩٠٠٠	٤٠٠٧٠١	١١١٦٣٧
الصين +	١٧٦٠٠٠٠٠	١١٠٠٠٠	٣٦٠٠٠
تشيكوسلوفاكيا	١٠٠٦٢٠٠٠	٦٨٠٠٠	—
الهند	٧١٩٨٠٠٠	٩١٨٠٣	—

* أرقام الصلب بالأطنان الطولية ، الألمونيوم بالأطنان القصيرة ، والقوة الكهربية بملايين كيلوات-ساعة. وكل الأرقام لعام ١٩٦٩ الا ماهو مبين.

+ الصين الشيوعية ، الاقليم الأساسى فقط .

Sources. Minerals Yearbook. Vols. 1 - 2 U.S. Department of Interior, Washington, D.C. Government Printing Office 1968; World Almanac, 1970, p. 140; Federal Power Commission.

ملحـــق (ب)

الدخل القومى وحجم القـــوات

بيانات مقارنة بالنسبة لعدد السكان ومعدل الانتاج القومى المخصص للدفاع فى بلاد معينة

م. أ. ق لكل فـرد		النسبة المئوية لمعدل أ. ق للدفاع		النسبة المئوية من السكان للقوات المسلحة (١)		بيان المصادر المخصصة للدفاع	
و. م. أ	٣٧٦٩دولار	اسرائيل	١٠ر٥	اسرائيل	٢ر٧	اسرائيل	٢٨ر٤
كندا	٢٦٥٨	الاتحاد السوفيتى(٢)	٩ر٠	كوريا جنوبية	٢ر٠	الولايات المتحدة	١٣ر٦
أوستراليا	٢١٧٨	و. م. أ	٨ر٥	الولايات المتحدة	١ر٦	الاتحادالسوفيتى(٢)	١٢ر٦
فرنسا	٢٠٥٢	مملكة متحدة	٥ر٨	الاتحاد السوفيتى	١ر٤	كوريا جنوبية (٢)	٧ر٨
ألمانيا غربية	١٩٩٠	فرنسا	٥ر٢	تركيا	١ر٤	تركيا	٦ر٦
مملكة متحدة	١٩٢٤	تركيا	٤ر٧	فرنسا	١ر١	فرنسا	٥ر٧
دول ناتو أوربية(٣)	١٥٧٠	د. ن. ا	٤ر٦	د. ن. ا	١ر٠	مملكة متحدة	٤ر٦
الاتحاد السوفيتى	١٥٣١	أوستراليا	٤ر٢	مملكة متحدة	٠ر٨	د. ن. ا	٤ر٦
اسرائيل	١٤٥٤	ألمانيا غربية	٤ر١	ألمانيا غربية	٠ر٧	ألمانيا غربية	٢ر٩
اليابان	٩٨٦	كوريا جنوبية	٣ر٩	أوستراليا	٠ر٦	أوستراليا	٢ر٥
برازيل	٣١٠	باكستان	٣ر٦	كندا	٠ر٥	كنـدا	١ر٥
تركيا	٢٩٥	برازيل	٣ر١	تايلاند	٠ر٤	برازيل	٠ر٩
تايلاند	١٤١	كندا	٣ر٠	برازيل	٠ر٣	تايلاند	٠ر٨
كوريا جنوبية	١٣١	تايلاند	٢ر١	اليابان	٢ر	باكستان	٠ر٧
باكستان	١١٥	اليابان	١ر٠	باكستان	٢ر	اليابان	٠ر٢
مجموع حلف وارسو ما عدا روسيا	١٢٠٨		٤ر٤		١ر١		٤ر٨

(١) عدد أفراد القوات المسلحة مضروبا فى نسبة الدخل القومى التى تنفق على الدفاع تبين نظريا قوة البلاد العسكرية

(٢) لا تتضمن الانفاق على أبحاث وتطوير الفضاء . ويجب وضع استغلال الفضاء للأغراض العسكرية فى روسيا فى الاعتبار .

(٣) د. ن. ا دول الناتو الأوربية

Source : Arms Controls & Disarmament Agency Report 68-52, of Dec. 1968 ; based on 1966-67, figures.

ملحق ج

مصادر المواد الخام الهامة

	النسبة المئوية للانتاج الداخلى فى الولايات المتحدة	النسبة المئوية للاستيراد	المصادر الأجنبية مرتبة حسب أهميتها
الانتيمون	٤٧ *	٥٣	المكسيك • جنوب افريقيا • بوليفيا • يوجوسلافيا • المملكة المتحدة
الاسبستوس	١٤	٨٦	كندا • جنوب افريقيا
البوكسيت	١٣	٨٧	جاميكا • سورينام • جمهورية الدومنكان • هاييتى
البريليوم	١١	٨٩	الهند • استراليا • البرازيل الكونجو
الكروم	لاشىء	١٠٠	جنوب افريقيا • زامبيا • روديسيا • الملايو • الفلبين • الاتحاد السوفيتى • تركيا
الكوبالت	١١	٨٩	الكونجو• بلجيكا• لكسمبورج النرويج • فرنسا • ألمانيا الغربيه
الكولومبيوم التنتالوم	لاشىء	١٠٠	نيجيريا • كندا • البرازيل
النحاس	٧٢	٢٨	شيلى • بيرو • كندا • جنوب افريقيا
الالياف	لاشىء	١٠٠	الفلبين • البرازيل• المكسيك تانزانيا • هاييتى
خام الحديد	٦٦	٣٤	كندا • فنزويلا • ليبيريا • شيلى • البرازيل
الرصاص	٤٦	٥٤	المكسيك • أوستراليا • كندا• بيرو • جنوب افريقيا • يوجوسلافيا
خام المنجنيز	١	٩٩	البرازيل • جابون • ساحل العاج • الكونغو • غانا • الهند • جنوب افريقيا

	المنسبةالمئوية للانتاج الداخلى فى الولايات المتحدة	النسبة المئوية للاستيراد	المصادر الاجنبية مرتبة حسب أهميتها
رقائق الميكا	٦	٩٤	الهند • البرازيل • جمهورية ملجاش
النيكل	٩	٩١	كندا • النرويج
البترول	٨٦	١٤	فنزويلا • كندا • العربية السعودية • ايران • سومطرا الكويت
المطاط	لاشيء	١٠٠	اندونيسيا • ماليزيا • ليبيريا
السكر	٥١	٤٩	الفلبين • المكسيك • جمهورية الدومنكان • بيرو • البرازيل
خام الثوريوم	+	—	استراليا • ماليزيا
الصفيح	١	٩٩	ماليزيا • بوليفيا • نيجيريا • المملكة المتحدة
التونجستين	٦٨	٣٢	بوليفيا • كندا • بيرو • استراليا • كوريا الجنوبية
اليورانيوم	٨٠	٢٠	جنوب افريقيا • كندا
الزنك	٥٢	٤٨	كندا • المكسيك • بيرو
الزركون	—	—	استراليا

* كل هذه الأرقام تخص عام ١٩٦٥ ، وهى أرقام صحيحة تقريبية الا اذا ذكر غير ذلك •
+ الفراغ يعنى عدم امكان الحصول على معلومات •

Sources : U.S. Life Lines—Imports of Essential Materials — 1963, 1964, 1965, Washington, D.C. Office of the Chief of Naval Operations, Department of the Naavy, Dec. 1966.

ملحق (د)

المحيط المتجمد الشمالي

معاهدة اليابان

معاهدة جمهورية كوريا

معاهدة جمهورية الصين

معاهدة الفيليبين

معاهدة جنوب شرق آسيا

معاهدة الانزوس

معاهدة شمال الأطلنطي

معاهدة ريو

المحيط الهندي

استراليا

المحيط الهادى

البرازيل

الدومنيكان

الولايات المتحدة والدول المشتركة معها في معاهدات دفاع مشترك

دول شيوعية

١
معاهدة حلف شمال الأطلسي
١٥ دولة
الولايات المتحدة الامريكية
كندا ـ لكسمبرج ـ ايسلندا
البرتغال ـ النرويج ـ فرنسا
المملكة المتحدة ـ ايطاليا
هولندا ـ اليونان ـ الدنمارك
تركيا ـ بلجيكا
المانيا الاتحادية

٢
معاهدة ريو
٢٢ دولة
الولايات المتحدة الأمريكية
المكسيك ـ كولومبيا ـ براجواى
فنزويلا ـ هايتي ـ اكوادور
جمهورية الدومنيكان بيرو
هندراس ـ البرازيل جواتيمالا
بوليفيا ـ السلفادور ـ برجواى
نيكاراجوا ـ شيلي ـ كوستاريكا
الارجنتين ـ بنما ـ ارجواى
ترانداد وتوباجو

٣
معاهدة جمهورية كوريا
ثنائية مع كوريا الجنوبية
الولايات المتحدة الأمريكية
جمهورية كوريا الجنوبية

٤
معاهدة اليابان
ثنائية
الولايات المتحدة الأمريكية
اليابان

٥
معاهدة الفيليبين
ثنائية
الولايات المتحدة الأمريكية
الفيليبين

٦
معاهدة الأنزوس
٣ دول
الولايات المتحدة الأمريكية
نيوزيلندا
استراليا

٧
معاهدة جنوب شرق آسيا
٨ دول
الولايات المتحدة الأمريكية
المملكة المتحدة ـ استراليا
فرنسا ـ الفيليبين
نيوزيلندا ـ تايلاند
باكستان

٨
معاهدة جمهورية الصين
ثنائية
الولايات المتحدة الأمريكية
جمهورية الصين (فورموزا)

معاهدات ومنظمات الولايات المتحدة الامريكية للدفاع الجماعي

تابع ملحق (د)

١ — معاهدة حلف شمال الاطلسى وقعت فى ٤ ابريل ١٩٤٩ بمقتضاها « اتفق الاطراف على أن أى هجوم مسلح على طرف أو أكثر من أطرافها فى أوروبا أو أمريكا الشمالية سوف يعتبر هجوما عليهم جميعا ... وان كل منهم ... سوف يعاون منفردا وبالاشتراك مع باقى الاطراف .. الطرف المعتدى عليه باتخـاذ الاجراءات اللازمة بما فى ذلك استخدام القوات المسلحة » .

٢ — معاهدة ريو وقعت فى ٢ سبتمبر ١٩٤٧ تنص على أن أى هجوم على أى دولة امريكية « سوف يعتبر هجوم على جميع الدول الامريكية ... ويتعهد كل منهـا ... باتخاذ الاجراءات اللازمة لمقـابلة الهجوم » .

٣ — معاهدة جمهورية كوريا (الجنوبية) وقعت فى ١ أكتوبر ١٩٥٣ بمقتضاها ، كل طرف « يعتبر ان أى هجوم مسلح فى منطقـة المحيط الهادى ضد أى طرف تهديدا لامنه وسلامته » وان كل طرف « سوف يتخذ الاجراءات اللازمة لمقابلة العدوان المشترك عليها طبقا للنظم الدستورية السائدة » .

٤ — معاهدة اليابان ، وقعت فى ١٩ يناير ١٩٦٠ بمقتضاها تعهد كل طرف « بأن يعتبر الهجوم المسلح على أحد طرفيها فى المنـاطق التابعة لليابان خطرا على أمنه وسلامته ، ويتعهد بأنه سـوف يعمل على مقابلة الخطـر المشترك طبقا لنظامه الدسـتورى وأحكامه » . وحلت هذه المعاهدة محل معاهدة الامن المتبادل التى وقعت فى ٨ سبتمبر ١٩٥١ .

٥ — معاهدة الفلبين ، وقعت فى ٣٠ أغسطس ١٩٥١ بمقتضاها يعتبر الطرفان « أى هجوم مسلح فى منطقة المحيط الهادى موجها لاحدهما خطرا على أمن وسلامة الطرف الاخر . وان كل طرف يتعهـد باتخاذ الاجراءات لمقابلة الخطر المشترك طبقا للنظم الدستورية المعمول بها فى بلاده » .

٦ — معاهدة الانزوس ، وقعت فى ١ سبتمبر ١٩٥١ بمقتضاها يعتبر الاطراف « ان الهجوم المسلح فى منطقة المحيط الهادى الموجه على أى من الاطراف خطرا على أمنها وسلامتها ، وانهم يتعهدوا باتخاذ

الاجراءات اللازمة لمقابلة الخطر المشترك طبقا للنظم الدستورية المعمول بها فى بلادهم » .

٧ — معاهدة جنوب شرق آسيا ، وقعت فى ٨ سبتمبر ١٩٥٤ يعترف بمقتضاها كل طرف « ان العدوان بالهجوم المسلح على أى الاطراف فى منطقة المعاهدة يعرض سلامته وأمنه للخطر ، وان كل طرف ... فى هذه الظروف سوف يتخذ الاجراءات لمقابلة الخطر المشترك طبقا لنظامه الدستورى » .

٨ — معاهدة جمهورية الصين ، وقعت فى ٢ ديسمبر ١٩٥٤ بمقتضاها يعترف كل طرف من الطرفين « ان أى هجوم مسلح فى منطقة غرب المحيط الهادى، موجه الى أقاليم أى طرف خطرا على سلامته وأمنه . وان كل طرف ... سوف يتخذ الاجراءات لمقابلة الخطر المشترك طبقا للنظم الدستورية المعمول بها فى بلاده » وقد سمى اقليم جمهورية الصين باسم تايوان (فورموزا) والباسكدورز .

NOTES

1 — MAN AND POWER

1. Colonel Amos A. Jordan, Jr., ed., Issues of national Security in the 1970's. New York : Praeger, 1967, from chapter by Lieutnant Colonel Paul F. Gorman, "Internal Defense and less Developed countries," p. 127.

2. Quincy Wright, A study of war. Chicabo : University of Chicago Press, 1942, Vol. 11, p. 1284.

3. Ibid, p. 1285.

4. Robert Ardrey, African Genesis. New York : Dell (paperback), 1963. pp. 323, 324, 348.

5. Robert Ardrey, The Territorial Imperative. New York: Dell (paperback), 1966.

6. Kohrad Lorenz, On Aggression, New York, Harcourt, Brace &World, 1966. For an apposite point of view, see Man and Aggression, edited by M.F. Ashely Montaqu, New York : Oxford University Press, 1969. The contributors emphasize "the unique importance of human history and cultutral institution." But in this author's opinion, history would appear to emphasize the importance, as outlined by Ardrey and Lorenz, of instinctual behaviour.

7. Robert Leckie, warface. New York : Harper and Row, 1970, P. 182.

8. William R. Kintner, Intercollegiate Review, March-April, 1967. There are, of course, some things worse than war (the Nazi concentration camps, for example). Wars do settle problems. (i.e., the elimination of Hitler). Robert Ardrey's eloquent passages in African Genesis, op. cit. p. 324, is illustrative.

Let us not be too hasty in our dismissal of war as an unblemisbed evil. Are you a christian ? Then recall that christandom survived its darkest hour in the fury of the battle of tours. Do you believe in law ? the rule of law became a human intitution in the shelter of the Roman legions. Do you subscribe to the value of individual worth ? Only by the success of the phalanx at Marathon did the Greeks repel the persian horde and make possible the Golden Age. Are you a materialist ? Do you regard as a human good the satisfaction of economic want ? the Pax Britannica, made possible by the unchalengeable supremacy of the British fleet, gave mankind the opportunity to lay the broad foundations of the industrial Revolution.

John Stwart Mill put it more badly over a century age.

War is an ugly thing, but not the ugliest thing ; the decayed and degraded state of moral and patriotic feeling which thingks nothing worth a war is worse .... A man who has nothing which he cares about more than his personal safety is a miserable creature who has no chance of being free, unless made and kept so by the exertions of better men than himself.

And in a famour Memorial Day at Havard, " The Soldier's Faith ", Justice Oliver Wendell Halmes spoke, (Speeches) Boston : little Brown, 1913.p. 56 - 66.) in 1895, in much the same terms : What kind of world do you want ? War .... is horrible and dull .... But some teacher of the kind we all need .... We need it everywhere and at all times .... In this time of individualist negations .... revalting at discipline .... denying that anything is worth reverence — for high and dangerous action teaches us to believe as right beyond dispute things for which our doubting minds are slow to find proof. Out of heroism grows faith in the worth of heroism .... In this snug, over—safe corner of the world .. our comfortable routine is no eternal necessity of things, but merely, a little space of calm in the midst of the tempertuous untamed streaming of the world.

2 — *OF RECENT HISTORY*

1. Lyman B. Kirkpatrich, Jr.. Captains Without eyes. New York : Macmilan, 1969, p. 270.

2. Sir Robert Thompson, "The strategy of intervention", paper delivered at the Seminar on "Vietnam : Lessons and mislessons," Adlai Stevenson institute, Chicago, 1968. This and other papers delivered at the same conference were edited by Richard M. Pfeffer, conference director, and published under the title No More Vietnams ? by Harper and Row, New York, 1969. I am indebted to the publisher for permission to untilize excerpts from the conference and the book.

3. Ibid. Stanley Hoffman has described the process, in a paper delivered at the same seminar, as "a copulation with statistics".

4. Aviation week and space Technology. September 1, 1968.

5. See Economic Impact of the Vietnam War. A prescient study of the dangers of trying to have your cake and eat it, too, published by the Georgetown Center for strategic and international studies, Special Robert Series No. 5, June, 1967 — a panel report, with the background paper by Dr. Murray L. Weidenbaum. The underestimate of defense spending and a sharp rise in inflationary pressures were noted, and the Report recommended (a recommendation that went unheeded) that "should another mayor escalation, occur in the level U.S. commitment in Southeast Asia, it would be important to promptly develop the restraining fiscal measures needed to offset the inflationary impacts."

6. In Korea and to same extent in the later stages in Vietman attempts were made to "ration" casualties, i.e., to limit the numbers of U.S. killed and wounded by prescribing the kind and size of operations that could be undertaken, that tactics that might be used and even the number of casualties that might be incurred. The results, of course, were stultifying, not alone to successful battlefield tactics but to the casualty list.

7. T.E. Lawrance, "Science of Guerilla War," Encyclopaedia Britannica, 14th edition, p. 953.

8. Jordan, op. cit., from chapter, "Employing America's. Military strength in the 1970's p. 55.

9. Brain Crozier, the Strategic Uses of Revolutionary War. London : Institute for strategic stutdies, Adelphi Papers, No. 55, March, 1969, "Problems of Modern strategy part two."

10. Robert Shaplen, the last Revolution. New York : Harper & Raw, 1965, p. 151.

11. Marks S. Watson, Shief of Etaff : pre war plans and preparations (U.S. Army in World War II). Historical Division, Washington : U.S. Government Printing Office, 1950, p. 12.

3 — *THE WORLD OF TOMORROW*

1. Thomas B. Macaulay in a letter to Henry S. Randall, May 23, 1857.

2. George Stantayona, Character and Opinion in tbe United States. New York : Charles Scribner's Sons, 1921. Harold Nicolson noted these trends in the United States in 1943. In a diary entry of August 13, 1943 (Diaries and letters of Harold Nicolson, Vol. II, The War Years, ed. Nigel Nicolson. New York : Atheneum, 1967, p. 310), Nicolson records a conversation with Norman Angell, auther, journalist and political scientist, who had just returned to England from an extended visit in the United States : "He agrees with me that America (having run out of the frontier and limitless opportunity) will be faced with the rise of an internal proletariat, compose of partly of their Negro population and partly of the non Anglo-Saxon immigrants. Already, he says, in left wing circles, it is a disability to possess an Anglo-Saxon name".

3. Sir Halford Mackinder, Democratic Ideals and Reality. New York 1919. Nichols John Spykman, America's Strategy in World Politics. New York : Harcourt Brace, 1942.

4. John Findley Green Lecture by C.P. Snow at Westminster Collage Fulton, Missouri, November 12, 1968. The New York Times, Nocember 13, 1968. George W. Ball has estimated that 3 billion additional human beings will be added to the world's population in the next forty years, requiring

double the present food output. " Calcutta now a cesspool of three to five millions, threatens us by the year 2000 with a prospective population of from thirty to sixty million" (Quoted by George Ball, The Discipline of Power. Boston : Atlantic — Little, Brown, 1968. p. 231, from an article " counterrevolutionary America" by Robert Heilbroner.)

5. " In Latin America, the Seizure of political power by the military is virtually common place. Though extreme, Bolivia's record is not atypical; its millitary coup in 1964 was in 180th revolution in 138 years of nationhood .. by any standard, Latin America is in revolutionary ferment ".
Lieutenant Colonel Paul F. Gorman, " Internal Defence and the Less Developed Countries, in Jordan, Op. Cit., p. 131 Since this book was written another coup in Bolivia has taken place.

6. Leonard A. Lecht, Geals, Priorities and Dollars : The Next Decade. New York Free Press, 1966, p. 267.

7. Samuel P. Huntington " Military Intervention, Political Invelopment and the Unlessons of Vietnam" paper delivered to the conference on Vietnam, Adlai Stevenson Institute, Chicago, 1968.

8. Ibid. Mr. Huntington quoted approvingly a study by Frank L. Klingberg " The historical Alteration of Methods in American Foreign Policy," World Politics, IV, January, 1952, P. 239-273. Mr. Klingberg's studies pointed out that the history of the United States recorded eight alternating periods of introversion and extroversion in American Studies toward foreign affairs, with the periods of introversion averaging 21 years, of extroversion 27 years. The cycles as recorded by him, were :

Introversion	Extroversion
1776 — 1793	1798 — 1824
1824 — 1844	1844 — 1871
1871 — 1891	1891 — 1919
1919 — 1940	1940 —

9. Ithiel de Sola Pool, paper delivered at the conference on Vietnam Adlai Stevenson Institute, Chicago, 1968.

10. Perhaps even more important will be the potential capability of the Russians to "saturate" only the shadow U.S. missile Submarine. Moscow is embarked upon what is, by for, the largest Peacetime submarine construction program in history. A large number of her new submarines are nuclear — power attack types which can be used to shadow and neutralize missile submarines. The Soviet submarine expansion program is a major part of her bid for domenance at Sea. The U.S. Navy, in late 1969 stated that "Soviet Nuclear submarine construction capacity is estimated to be some 20 units per year. With a crash program, having no restriants on man power or materials, they could produce considerably higher number. Intellegence estimates are that the Soviet will construct between 100-150 new submarines 1978, and 80 or 100 percent of that construction will be nuclear. In the past the Soviet have built five nuclear submarines per year. Today we believe they are building double that number .. The future unfortunately, does not look quite so bright". Jane's Fighting ships, in the foreward to its latest (72nd) edition, quotes a report of the U.S. House Armed Service Subcommittee on Sea power as stating that "The Soviet Union has outpaced the United States in new construction — the Soviet Navy boating 1,575 vessels, against the United States 894.

"It was pointed out," the Jane's forward continues, "that the avarge age of U.S. ships was $17\frac{1}{2}$ years and that 58 per cent of them were more than 20 years old, while only one in a hundred Soviet ships was that old".

Some of newest of U.S. ships are, as Jane's says, "the finest instruments of sea power ever devised" Our technology at its best is superb, and, in over-all skills and capabilities, the United States Navy is still,—despite deficiencies in surface to-surface missiles; small, fast missiles-carrying craft like the Russian Komar and Osa types, and long range, stand-off, air-to-surface missiles — the best in the world. But the trend is highly unfavorable; the challenge at sea is major; and we are not meeting it.

P. Eleson. writting in Ordance Magazine (November-December. 1969 p. 258) states — too flatly — that as a matter of premeditated policy, the U.S. may be about to abdicate its primacy in the ocean to the Soviet Union". He stresses the Soviet nuclear submarine construction program and cites 1969 announcement by Secretary of Defence Melvin R. Laird that U.S. is not "going to try to match the U.S.S.R. in numbers of submarines". Eleson concludes : "We have decided to to cede dominance in the oceans to the Soviet Unions. Before that is an irriversible fact we would do well to think more on the concequences of such a decision".

For a calm a thorough study, see Soviet Sea Power, Special Report Series No. 10, June 1969, of the Centre for Stratigic and International Studies, Georgetown University, Washington, D.C.

11. Zbigniew Brzezinski, "Peace and Power — Looking Towards the 1970's Encounter October 1968.

12. William R. Kintner and Harriet Fast - Scott, ends, The Nuclear Revolution in Soviet Military Affairs. Norman, Okla University of Oklahomo Press 1968, p. 390.

13. Admiral Arleigh Burke, speech to Internotional Sea Power Symposium, Naval War College, Newport, R.I., November 19, 1969.

14. Robert F. Byrnes, International Negotiation. A memorandum prepared at the request of the Subcommittee on National Security and International Operations of the Committee on Government Operations, U.S. Senate, October 17, 1969. Washington : U.S. Government Printing Office p. 19.

4 — *COLOSSUS UNDER STRAIN*

1. For a study for the Soviet economy and its influence upon the U.S. Military budget, See "Part 3. The United States, June 23 and June 24, 1969". Hearings Before the Subcommittee on Economy in Government of the Joint Economic Committee of the Congress of the United States (The Military Budget and National Economic Priorities), 91st Con-

gress, 1st Session. Washington : U.S. Government Printing Office, 1969.

2. Hal Borland, Countryman : A Summary of Belief. Philadelphia : Lippincott, 1965, p.p. 121-122.

3. Lecht, Op. Cit., p. 50-51.

4. There are of course, loopholes and escape hatches in all these agreements, as General Harold K. Johnson, then Chief of Staff of U.S. Army, pointed out in testimony to the Preparedness Investigating Subcommittee of the Senate Armed Services Committee, on February 23, 1967 (Washington : U.S. Government Printing Office, 1967 Part 2, p. 187). " .. all of them (the treaties provide that we are to consult and to provide forces in Conformity without respective constitutional processes — so that we do not have specific force commitments stated in these treaties ".

5. Stephen Maxwell, Rationality in Deterrence. London: Institute for Startegic Studies, Adelphi Papers, No. 50, August, 1968.

6. Jomes C. Thompson, Jr., " The effecet of Our Involvement in Vietnam on Future U.S. Patterns of Intervention." paper delivered at the conference on Vietnam, Adlai Stevenson Institute, Chicago, 1968.

7. See the interesting paper by William R. Kintner, " U.S. Overseas Defence Commitments Now and in the 1970's" Foreign Policy Research Institute, University of Pensylvania. June, 1968.

5 — *THIS WE MUST DEFEND*

1. Statement by Secretary of Defence Robert S. McNamara on the Fiscal Year 1969-70 Defence Program and the 1969 Defence Budget before the Senate Armed Services Committee, p. 64.

2. Statement of General Earle, G. Wheeler, Chairman of the Joint Chiefs of Staff. " Status of U.S. Strategic Power ".

Hearings Before the Preparedness Investigating Subcommittee of the Committee on Armed Services, United States Senate, 90th Congress, 2nd Session, Part 1, April 23, 24 and 26, 1968 Washington, U.S. Government Printing Office, 1968, p. 2.

3. Dr. Harold Brown, Secretary of the Air Force, told a preparedness Investigating Subcommittee of the Senate Armed Committee.

To ensure deterrence, we must be able to inflict an unacceptable level of damage on the Soviets after we have absorbed a Soviet first — Strike. Exactly what that level is will depend on the judgements of enemy leaders about the outcome of actual war Mr. McNamara, in his recent posture testimony, stated that the question could not be answered precisely, but judged that a capability to destroy 20 to 25 per cent of the Soviet population and 50 per cent of her industry should serve as an effective deterrent.

Of course even 25 per cent Soviet casualties might not be enough for deterrence if U.S. casualties were disproportionately higher if the Soviets thought they would be able to recover in some period of time while the United States would take three or four times as long, or would never recover, than the Soviets might not be deterred.

"Status of U.S. Strategic Power," Hearings, 90th Congress, 2nd Session, Part II 1968, p. 177.

4. Albert Wholstetter, "The Role of ABM in the 1970's" Statement before the Senate Armed Services Committee, April 23, 1969 Reprinted in William R. Kintner, ed Safeguard : Why the ABM Makes Sense. New York : Hawthorn Books. 1969, p.p. 336-337.

5. McNamara, Op. Cit., p. 64.

6. The limitations as well as the capabilities of satellite intelligence systems should, however be remembered. No satellite, for instance, will be able to tell Washington how many MiRV's (Multiple Independently Targetable Re-entry Vehicles) are carried by each Soviet rocket, and satellites are

by no means infallible at penetrating camouflage or discovering carefully concealed or underground sites. Moreover, mobile missiles, on land or sea, are extremely hard to keep under surveillance constantly; the problem is to achieve a " real time readout " or continuous and instant surveillance of moving objects without a time lag which would make this knowledge useless for targeting purposes.

7. Albert Wholstetter, statement to subcommittee on National Security and International Operations of the Committee on Government Operations, U.S. Senate, " Planning-Programming-Budgeting, Defence Analysis : Two Examples." " Washington : U.S. Government Printing Office, 1969, p. 5.

8. This extensive descussion of Cuba has been republished in modified form from an article by the auther, " A Military Perspective " a chapter in the book Cuba and United States, edited by John Plank, and published by the Bookings Istitution, Washington, D.C. 1967. I am indebted to the Bookings Institution for permission to reprint this material.

9. For a case history of how not to conduct U.S.-Latin-American relations, See Mario Lanzo's Dagger in the Heart : American Policy Failures in Cuba. New York : Funk and Wagnalls. 1968.

10. John Monder, The Unrevoltionar Society. New York : Knopf, 1969.

11. Captain Raymond J. Toner, U.S.N. (Ret.), " The Latin American, Military," U.S. Naval Institute Preceedings, November. 1969.

12. Samuel P. Huntington Commented (" Military Intervention, Political Involvement and the Unlessons of Vietnam". cp. oit.,) that : The American Commitment to Social reform .. presupposes the existence in the recipient country of a political system sufficiently well-developed and authoritative as to be capable of inaugurating such reforms. As the first five years of the Alliance for Progress amply demonstrate, this assumption is of questionable validity in much of Latin American .. If the United Stated is to make social reform a condition for

economic assistance, it may also have some responsibility to develop the political institution required to make such reforms a reality.

6 — *THE DEFENCE OF EUROPE*

1. Horace Walpole, letter to Horace Mann, November 24, 1774.

2. U.S. capital invested in Western Europe was estimated in 1967 at $14 billion in plants and equipment. See Jean Jacques Servan — Schreiber's Study, The American Challenge. New York, Atheneum, 1968.

3. General Lyman L. Lemnitzer, "Report on Europe", Annual Meeting of the Association of the U.S. Army, Washington, D.C., October 28, 1968.

4. George W. Ball, The Discipline of Power, Boston : Atlantic — Little, Brown; 1968, p. 166-167. Trade between West Germany and Soviet bloc has expanded considerably in recent years.

5. It is questionable what influence the advent in 1969 of a Socialist government in Bonn will have upon the "Look to the East" school in Germany. Western commentators frequently comfort themselves with the shibboleth that socialist governments are the strongest enemies of communism. In the crunch when the chips are finally down, this may well be true — though it is necessary to distinguish among socialist governments — but such governments also have a tendency to attempt to reconcile the irreconcilable, to seek accommodations and relations with other left-wing groups, and sometimes to make compromises which impair future freedom of maneuver. Specifically, in the case of West Germany it seems likely that Willy Brandt will try to bridge the gaps between East and W. Germany and to improve materially relations with Russia and her Eastern European satellites to a greater degree than his predecessors. This is a commendable objective provided it does not imply dangerous concessions. It seems unlikely that such concessions will be made; Brand's background as the stalwart Mayor of West Berlin, beleaguered and

isolated in a Communist sea, would appear to militate against such a course. It is clear, however, that there are considerable political risks for the west — as well as the East — in such bridge-building efforts.

6. The defence of northern Norway has been built, in NATO planning around airborne and amphibious forces, backed by powerful naval task forces, including two to four aircraft carries, at least half of them supplied by the U.S. This would appear to be a desirable but maginal requirement, which might be reduced, or eliminated, with relatively small risk, in decade ahead.

7. Lemnitzer, op. cit. For a discussion of the Soviet threat and NATO, See stefan T. Passony, " NATO's Defence Posture ", Ordnance Magazine July-August, 1969 Mr. Passony strongly stresses the need to adopt a nuclear-defence to concept for Europe.

8. Dwight D. Eisenhower, " Let's Be Honest with ourselves," That Saturday Evening Post, March 1963.

9. Zbigniew Brzezinski, " Meeting Moscow's Limited coexistence " the New leader, December 16, 1968.

7 — *THE MEDITERRANEAN AND MIDDLE EAST*

1. The quotation cited continues, : " Some 1,200 of the 1,500 ships of sea would belong to members of the (NATO) alliance. The goods and materials carried in these ships are essential for economic life of allied countries concerned, particularly for Italy, Greece and Turkey, who depend very heavily on Sea transport to satisfy their needs. This is illustrated by the fact that only about 90,000 tons of goods are carried in and out of these three countries by air, whereas by sea the total comes to about 160,000,000 tons. For these three countries, in particular, the protection of the sea lanes in the Mediterranean is vital.

From Committee on Defence Questions and Armaments, Assembly, Western European Union, " Defence of the Medi-

terranean and the NATO Southern Flank," Preliminary Draft Report. submitted by Mr. Goedhart, Rapporteur, Paris 30 Octobre 1967, p. 3.

The Assembly of the Western European Union is an unofficial but active body composed of representatives, chiefly legislators, of NATO members.

2. Ibid, p. 2.

3. Micheal Howard and Robert Hunter, Israel and the Arab World — The crisis of 1967, London : Institute for Strategic Studies, Adelphi Paperss, No. 41, October, 1967, p.p. 43-44.

4. Georgetown University : American Institute on Problems of European Unity, October 17-19, 1969.

8 — *EAST OF SUEZ*

1. The Middle East produces about 28 per cent of the world's known resources. Average crude oil production costs (1967 figures) were about 15 cents a barrel for the Middle East generally (6.26 cents in Kuwait, the lowest known costs), as compared with $ 1.31 a barrel in the United States and perhaps 80 cents in Russia. Before the oil reaches the consumer overseas, there must be added, of course, refinery costs and the costs of transportation, via pipeline and tanker. With the development of the supertankers, transportation costs have decreased, and Middle East oil is lower-priced, in its principal markets, than its competitors'. The conclusion of most experts is that Middle East oil is now, and probably long will be, the non-communist world's principal supply. The Aramco handbook Oil and the Middle East, published by the Arabian American Oil Company at Dhahran, Saudi Arabia (revised edition, July 1, 1968), is a rich store of information about Middle East Oil. See also the Gulf-Implication of British withdrawl, Georgetown University, Center for strategic and International Studies, February, 1969 also the Soviet Dilemma in the Middle East, Parts I and II, by Robert E. Hunter, London :

Institute for strategic Studies, Adelphi papers, Nos. 59 and 60, September-October, 1969.

2. Moscow has spent millions on propaganda in India, large sums go to help support left-wing and communist courses. The Russian efforts are aided by the peculiarly parochial view world depicted in the Indian press, and by the the egocentric Indian character.

3. The Indian Army consists of about 1,000,000 men, plus another 100,000 undergoing 50 weeks of training. The basic soldier signs up for a long term — a minimum of 8 years, normally about 15 — and there are about seven applications for every vacancy. The Army is organized in 24 divisions — 13 infantry, 10 mountain and 1 armored division — and 2 parchute brigades, plus other independent brigades and units, which swell the total to the equivalent of 29 to 30 divisions. The Army is backed for internal security duties by the Central Reserve Police (a federal force) and the State Armed Police (paramilitary units with light infantry equipment), amounting in all to about 250,. 000 men and by smaller border security forces. The greatest weakness of the Army, in addition to logistics, reserves (perhaps 4 additional divisions, only lightly equipped, could be raised and trained in six months), ammunition and equipment, is potentially its officer corps. The British influence is fading, and the new breed of notive officers — unlike the British — selected officers, drawn not only from the material races (Sikhs and Gurkas) but also from all classes in India, including the former "untouchables" — are an unknown equation.

4. Calcutta, in some ways the cesspool of the world, a vast city designed for 1 million people with 5 million in its environs (half a million of them living, literally, on the sidewalks) is perhaps the worst case history of the meaning of population explosion. But though worse than other examples, it is not untypical of the overcrowding, starvation, economic and social discrepancies, poverty, filth and ignorance that beset the so-called Indian democracy. India, despite its Gandhian tradition of meekness, has a history of violence. Its street mobs, volatile and easily excited, spill over into bloodshed easily; its crimes

committed in the name of religion have probably caused more deaths than any civil war in history, dacoits (bandits, extortionits a traditional criminal class) room many sections of the countryside, and the dead hand of Hinduism, with its multiple gods and godesses and its enshrinement of the cows and the monkey virtually alongside man, mean that life is cheap in India and its millions violently and unpredicatbly emotional.

Agronomists believe that India's tremendous, though spotty, progress since 1967, in agricultural mechanization of fertilizers, new high yield crops, the development of tube wells and irrigation, has demonstrated India's capability of feeding her own population. Hunger and periodic famines could, theoretically be completely eliminated, the experts believe, even if the Indian population increased to one billion people by year 2000. However these projections, though based on the progress of recent years, are still hopes. For fulfillment, they will depend upon a variety of factors : relaxation of the dead hand of the Hindu religion, Slow-down in population growth, extension to much of Indian of the mechanization-irrigation projects which have been sucessful in the Punjab and some political and economic stability. The odds are still in favour of famine.

5. Ernest Le fever, "Africa a Background Paper", Research Resources. Conference, October 24-25, 1969, Centre for Strategic an dInternational Studies, Georgetown University, Washington, D.C.

6. Ibid p. 8 and 9.

7. Ibid p. 10.

8. Anthony Harrigan, "Naval Defence of the Southern Oceans" American Security Council, Washington Report W.R. 69-32, August 18, 1969.

9. Ibid sees also D.C. Watt, "The Countinuing Strategic International of Simonstown" U.S. Naval Institute Proceeding, October, 1969.

10. Ball, op. cit., p. 258.

11. In 1966 about 274,250,000 net tons of shipping passed through the Suez Canal. Of this total, tanker tonnage represented 206,000,000tons. Today, with the canal reopened, the proportion of tanker to total tonnage could greatly decrease. The development of giant supertankers, of pipelines and of North African oil sources has permanently altered the flow of oil traffic. But U.S.S.R. tanker tonnage South bound, fully loaded, from the Black Sea fields, would be routed until the depletion of the Black Sea — Caspian reseves, via Suez. For an interesting study, see the Indian and Pacific Oceans : Some Strategic Considerations, by T.B. Millar, London : Institute of Strategic Studies,Adelphi Popers, No. 57, May, 1969. Also Committee on Defence Questions and Armaments, Western European Union. Op. Cit., p. 4. Also a dated but extremely interesting overview, India and the Indian Ocean by K.M. Panikkar, New York, Macmillan, 1945, a study from the Indian point of view, stressing India's dependence on maritime power.

12. Lefever, Op Cit., p.p 16, 17, See also pages 13 and 15 of this excellent summary.

9 — *ASIA AND THE BROAD PACIFIC*

1. Coral Bell, The Asian Balance of power — A comparison with European Precedents. London : Institute for Strategic Studies, Adelpi Papers No. 48, February, 1968.

2. About 90 per cent of the world's supply of natural rubber comes from Indonesia, Malasia, Cylon, Thailand and (until the discruption of war) Vietnam.

3. More than 98 per cent of U.S. imports of zircon, the basis ore from which zirconium is produced, came from Australia in 1965.

4. Kei Wakaizumi, " Japan Beyond 1970 " Foreign Affairs, April 1969.

5. There were in late 1968, 149 U.S. military installation of all sorts in Japan, ranging from the Yokosuka naval ship repair base and airfields to offices, warehouses and antenna sites. This number compares with more than 3,800 U.S. installations in the main Japanese islands during the Korean War, and is still being steadly reduced. U.S. forces in Japan numbered about 38,000 in 1968, and also were on the decline.

6. Joungwon A. Kim, "North Korea's New Offensive", Foreign Affairs, October, 1969.

7. SEATO members are Australia Britain, France, New Zealand, Pakistan, the Philippines, Thailand and the United States. The organization which covers the southwest Pacific and southeast Asia below 21-30 north latitude is to a large extent a "paper" one, though it has served a useful consultative purpose and has helped, if but to a minor degree, in its avowed purpose of increasing the collective and military strength of the area. The treaty members were suposedly committed to discuss joint action in case of an attack, direct of indirect, against any member — or against the so-called protocol states" of southern Vietnam, Laos and Cambodia. Unlike NATO, SEATO has no organized international command or military structure. And events have eroded its strength and to some extent, common purpose. Cambodia and Laos have forsworn SEATO's protection. Pakinstan is completely inactive; France — sience Dienbienphu and her subsequent withdrawal from Indochina — has no real presence in Asia; and the planned British withdrawal from Singapore and the Far East will have the United States the only major power as a participant in Seato.

8. Saigon is only about 31 airline miles — slightly more by road — from the nearest point on the Cambodian frontier. The so-called "parrot's beak" of Cambodia justs out threatningly toward South Vietnam's capital city.

9. Tillman Durdin, veteran Asian correspondent and the most knowledgeable New York Times expert on Chinese Affairs, noted in a dispatch to the Times, October 2, 1969, that

Maoist China faces its third decade with massive problems and handicaps. With the gross national product probably no higher today than it was 10 years ago, an annual population growth of 15 million to 20 million has negated attempts to raise the standards of living.

The dangerous disdupte with the Soviet Union over borders and idealogical influence and the continued hostility toward not only the U.S. but most other countries add to the strains and uncertainties. Given stability, practical domestic guidelines and policies of peaceful adjustment in foreign relations, the Chinese Communist state would stand a good chance of pulling out of its present slump and making new progress. But these factors appear difficult to assure under a leadership headed by .... Mao or any other leader now on the horizon.

10. One of the great miscalculations by most of our communist experts was the prediction, before the event, that U.S. intervention in Vietnam would reduce Sino-Soviet friction and act as a unifying force in the communist world. The opposite appeared to be true, but whether Vietnam really had any major effect upon the course of communist dissension is uncertain. Both powers continued their unilateral aid to North Vietnam and increased it; the conflict between Russian and China grew more and more serious as the war continued. But about the only effect that was indirect importance to the U.S. was the withdrawal, since 1968, of sizable Chinese forces from Yunnan province, near the north Vietnamese border, apparently to reinforce the Chinese—Russian frontier.

11. William E. Gruffith, "The American Stake in the Russia-China confrontation", Reader's Digest, September, 1969. 1969.

10 — *STRATEGY FOR TOMORROW*

1. Sir Robert Thampson, No Exit from Vietnam, New York : David Mckay, 1969.

2. The new York Times, Section 3, page 1, September

7, 1969. Article by GerdWilche.

3. Brooks Enemy, the Strategy of Raw Materials New York : Macmillan, 1934.

4. Rear Admiral J.C. Wylie, U.S.N., contends in his interesting little book, Military Strategy (New Brunswick : Rutgers University Press, 1967), that there are four principal strategic concepts, or schools of thoughts : continental, maritime, acrospace, and the Mao theory of guerrilla warfare. To this writer the Mao concept appears to be rather a derivative of the continental concept, or a tactic used in gaining continental control, rather than an entirely new strategic concept. Nevertheless Wylie is of course correct when he points out that there is interdependence and overlap among concepts and that none alone fits all conditions. He is also correct in stressing that the objective of war is to exert control of some kind and degree over an enemy, and that is impossible to predict with certainty the nature or pattern of a future war. This, of course, means that we must hedge many bets and that our military forces must have at least an initial capabililty to fight nearly any kind of war anywhere, holding the fort, so to speak, until the pattern of the war, and its peculiar and special needs, can be determined and met. This tremendously complicates the problem of force mix and of training.

5. The John Foster Dulles strategy of " massive retaliation " was an attempt to reduce the great costs of maintaining large armed forces for both conventional nd nuclear war. It was not so much an answer to the enemy as a formula keyed to domestic economics—a "bigger bang for a buck". Admiral Arthur W. Radford, U.S.N. (Ret). Then Chairman of the Joint Chiefs of Staff, frankly stated in an interview with me in 1953 that the principal reason why he had changed the opinions he held before taking office and now tended to place his major reliance on nuclear weapons was costs, " We can't afford both ", he said. But even during the keyday of this temporary policy, which was quickly outdated by Russia's growing nuclear strength and the lack of credibility of the threat of massive relation " (word opinion refusey to believe of the threat of " massive relation aggression except in the

defence of really vital U.S. interests), the U.S. maintained large ground forces in Europe and in Asia.

6. The psychological and political as well as the military importance of tactical nuclear weapons in the defence of island positions was well illustrated in the case of Quemoy, the Chinese Nationalist island about one mile from the Communist—held mainland. This island is geographically perhaps the most vulnerable of all insular positions — seemingly susceptible to an overwhelming amphibious assault. It was under blockade by bombardement and naval interdiction in the offshore island crisis of 1958. President Einsenhower ordered U.S. Marines to emplace 8-inch howitzers, capable of firing nuclear shells, in Quemoy. The nuclear artillery shells were never made available to the Nationalists, but the Communists knew that one transport aircraft could break the blockade and could bring in enough shells to doom any attempted amphibious assault. The assault never took place; the bombardment and blockade petered out.

7. The principal disadvantage of the submarine - launched missile is the relative vulnerability of its land-based command and control system to destruction by sudden enemy surpirse attack. Submerged missile submarines constantly monitor high-powered, VLF (very low frequency) radio stations which represent the instruments of Washington's Command and control apparatus. VLF radio waves penetrate water, at least to shallow depths, and the submerged submarines can, if necessary, trial a wire antennas (just above the surface) buoyed by a small float, or can project fixed antennas just above the surface. But the powerful low-frequency stations required to commuicate with submerged submarnes are relatively few in number, and their locations are known and are necessarily immobile on land bases. Hence, theorists argue, at the strait of any nuclear war an enemy could "zero in" against these stations and cripple to command and control system for our missile submarines. The argument, when examined, is largely fallaciius; there are alternative methods communication, and, in any case, the interruption of regular communications would altert all submarine commanders to emergency procedures. When surfaced or running at shallow depths with antennas above water, other radio stations

or satellite communications systems could substitute for the low-frequency stations. Project Sanguine, the Navy's proposal to use the earth itself as a kind of giant antenna, is an R and D project to insure constant communications.

8. Force levels in any Security structure, no matter what the strategic concept, will be tied to " Commitenents " and to the budget. The concept enunciated in this chapter would probably require (after Vietnam) an army in the continental United States, including Alaska, of seven or eight divisions — all of them ready and full — strength — plus one or two divisions in Europe, one (for the time being) in Korea and several brigades in Panama or at forward island bases.

9. Dr. Cora Bell, op. cit.

10. These self-imposed limitations, already approved by President Nixon, upon chemical, biological nd radiological warfare should never limit our development of protective measures against possible enemy use. And—a fact the average citizen rarely undertands — there is no possible way of developing, adequate defenses without, at the same time, developing, expermintally, offensive techniques, means and methods. The stockpiling of chemical agents is also an essential precautionary measure. The psychological and political revolution against the use of lethal and disabling chemical-warfare agents is so great that political and psychological price of using them is not worth the military gain in most circumstances. But the fact remains that the revulsion is not entirely justified on the basis of the relative degree of " humaneness " of any Weapon. Gas, in World War I, caused 4.6 per cent of all combat injuries, but only 1.32 per cent of the fatalities, and gas casualties were neither naimed nor horribly wounded as were the victime of high explosive. Modern gas warfare, with its disabling and incapacitating agents, can probably — under favorable conditions of terrain climate, weather and geography — save lives. The various farms of tear and nausea gas, used by police forces around the World, defoliants — derivatives of commercial chemicals — and perhaps some of disabling chemical agents should never included in any self-imposed or internationally agreed ban. The price would be, in another war U.S. blood. See chemicals

in War by Lieutenant Colonel Augustin M. Prentiss, U.S. Army. New York : McCraw — Hill, 1937.

1. Letter to the author, February 21, 1969.

12. These figures increase to between $ 15,000 and $ 20,000 per year to maintain one U.S. soldier in combat overseas.

13. There used to be much talk, pre-McNamara of service rivalries. " They still exist, though they are muted ". Some of these revabries were carried to absured lengths. Nevertheless, some of them represented healthy competition. More important, the old system — preunification — of independent executive departments, the War Department and the Navy Department, and the independent service committees of Congress provided built — in checks and balances in both the executive and the legislative departments of government. Rivalries within the services and inter - as well as intra-service competition for funds — between the various bureaus of the Navy Department (now abolished) and between the chiefs of the combat arms and services in the Army (also abolished) — acted as effective military restraints upon too much concentration of power in too few hands. Similarly, the dual federal - state National Guard system and organized reserves provided additional political checks upon an over-concentration of power. The various reorganizations of the Pantagon since unification, and the centralized management philosophy of Secretary McNamara, resulted in the elimination of most of these traditional military checks and balances, and the uprecedented concentration of power in the hands of a civilian Defence Secretary and a political - intelligentsia secretariat.

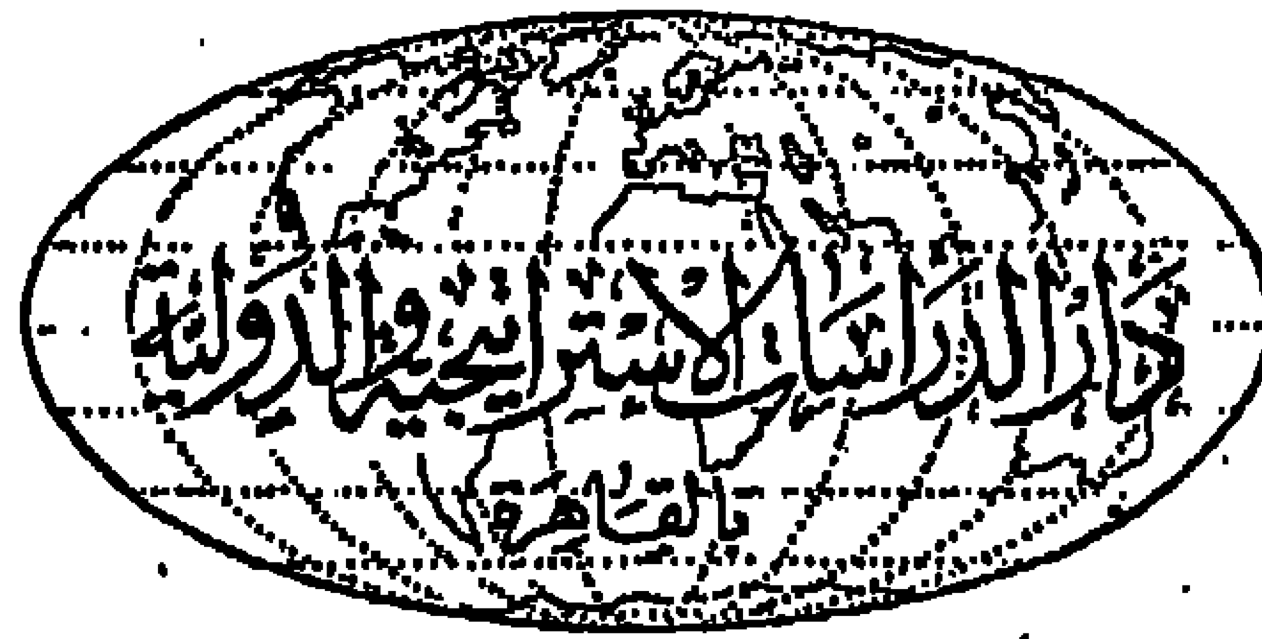
14. Secretary McNamara was a detail man, who had an amazing propensity for absorbing — and sometimes misinterpreting — facts, tremendous entergy and — the quality that endeared him to two administrations — loyatly up. But he violated the rule of the good administrator, few decisions were left to his subordinates. Once during the Pentagon's attempts to help the government diminish the outflaw of gold

he told this writer that he personally examined every Defence Department overseas contract in excess of $ 100,000. He acted as his own project officer on the F-111, and actually had engineering progress meetings with Convair; Gurman and United Aircraft executives, as well as with several of his chief assistants, every two weeks. He told Admiral George Anderson how the Navy should run the Cuban blockade during the missile crisis, and he repeatedly intervened in details of armaments weapons, spare parts, etc .. which should have been, and could have been settled with greater effectiveness and speed by subordinates.

15. A thorough study of the Pueblo incident, revealing the confusion, the uncertainties and the indecision of the command structure, was made by a subcommittee of the House Armed Services Committee. See Inquiry into the U.S.S. Pueblo and E.C. 121 plane Incidents, Report of the Special Subcommittee on the U.S.S. Pueblo of the Committee on Armed Services, House of Representatives, 91st Congress, 1st Session, July 28, 1969. Washington : U.S. Government Printing Office, 1969.

———————

تمت بحمد الله فى

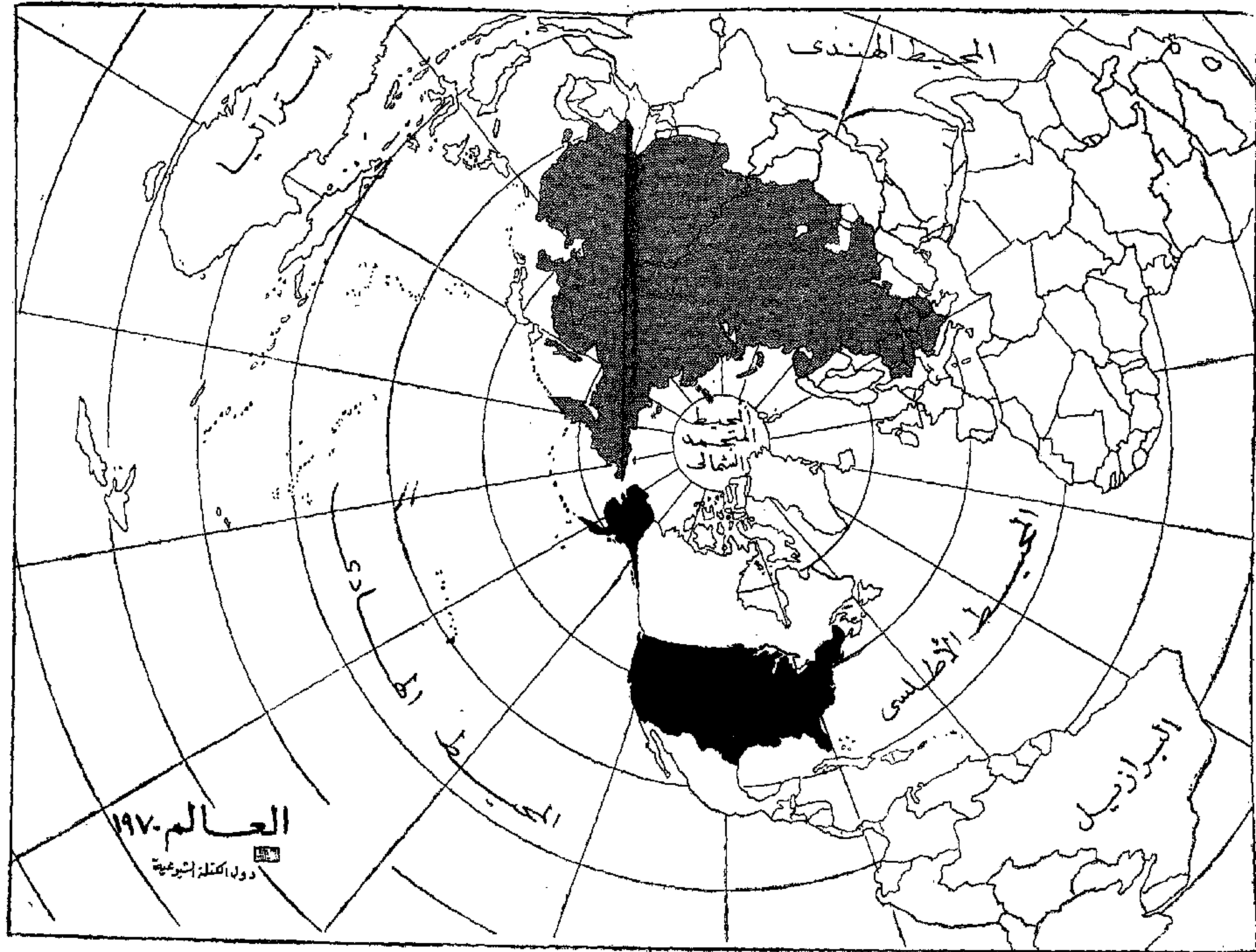


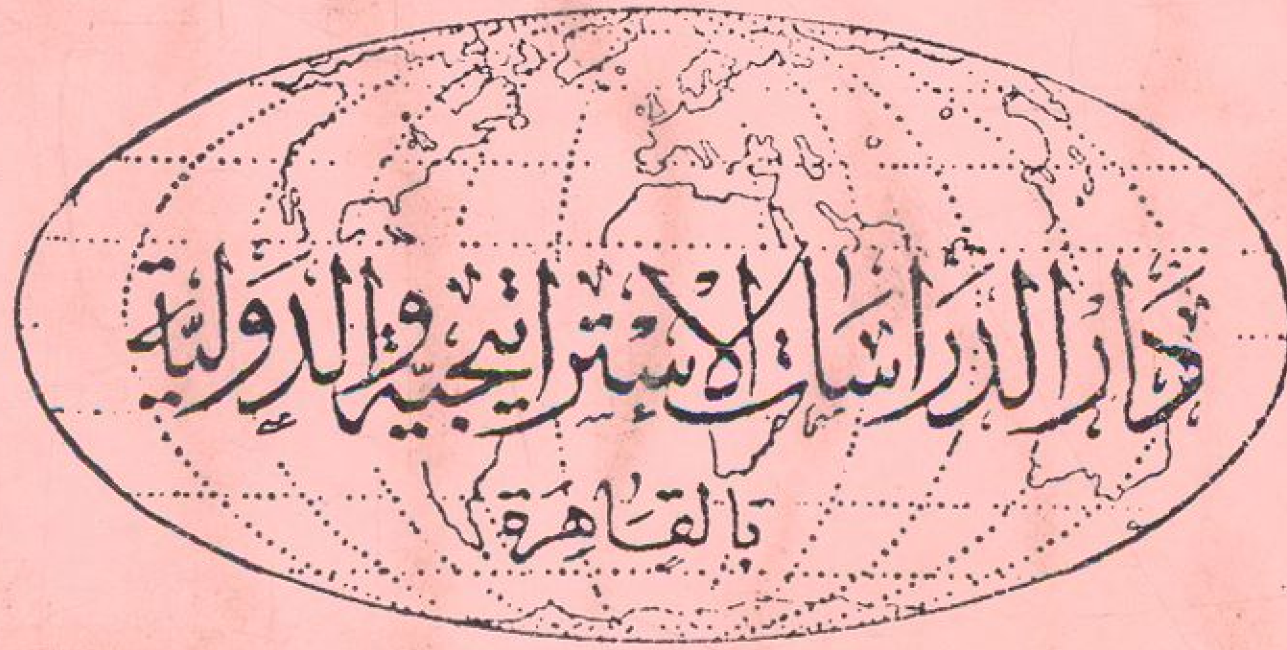
مركز البحـــوث

ص . ب ١٣٢٩ تلغرافيا سترادولى رقم التســجيل ١٥٠١٥٧
القـــاهرة

رقم الايداع بدار الكتب ٧٢/٢٨٨٢

مطبعة دار العالم العربى
٢٣ شارع الظاهر ــ القاهرة
ت ٩٠٦٧٠٦


المحيط الهندى
استراليا
المحيط المتجمد الشمالى
المحيط الأطلسى
البرازيل
العالم ١٩٧٠
دول الكتلة الشيوعية



The Center for Strategic and International Studies
CAIRO



الناشر ـ مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة